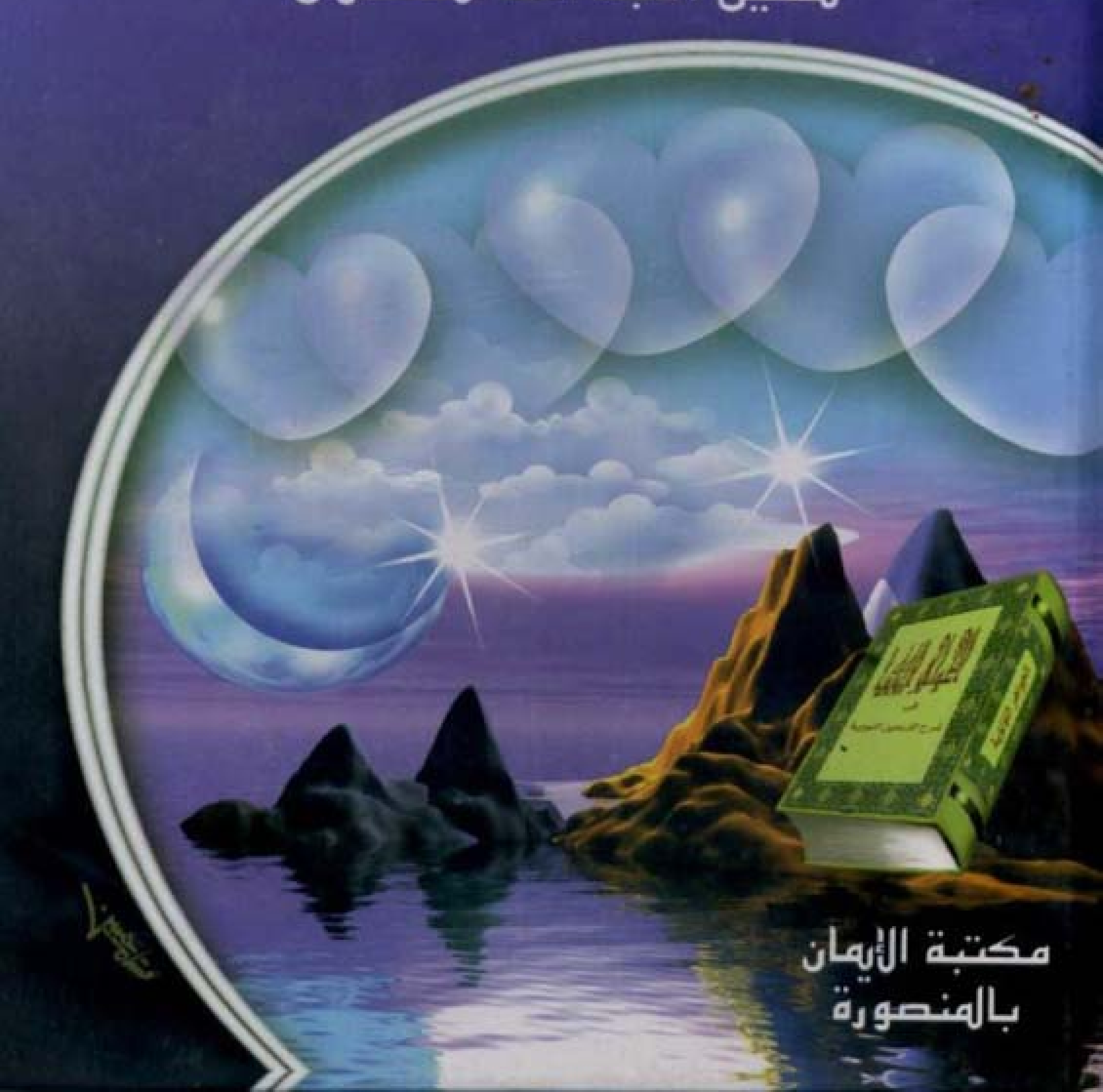
الجواهر اللؤلؤية

فى شرح الأربعين النووية

محمد بن عبد الله الجردانى الدمياطى

تحقيق/ عبد الله المنشاوى



مكتبة الإيمان
بالمنصورة

الجواهر اللؤلؤية

فى

شرح الأربعين النووية

تأليف

محمد بن عبد الله الجردانى الدمياطى

المتوفى ١٣٣١ هـ

خرج أحاديثه وضبطه

عبد الله المنشاوى

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع
المنصورة ـــ أمام جامعة الأزهر
تليفون: ٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧١، ٧٢]

وبعد: يسر **مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع بالمنصورة أن** تقدم لقرائها الأعزاء هذا الكتاب القيم وهو **(الجواهر اللؤلؤية فى شرح الأربعين نووية)** للإمام محمد بن عبد الله الجردانى الدمياطى، المتوفى سنة ١٣٣١هـ ـ رضى الله عنه وأسكنه جناته وهو رجل مبارك من أهل العلم له من الكتب المشهورة كتابان هما: كتاب مصباح الظلام بشرح أحاديث نيل المرام فى الوعظ والإرشاد والترغيب فى الجنة والتخويف من النار. والكتاب الثانى الذى بين أيدينا.

ومكتبة الإيمان بهذا العمل تسأل الله عز وجل أن يكون هذا العمل خالصا لوجه الله تعالى وأن ينفع الله به المسلمين فى ربوع الأرض. اللهم آمين

عملنا فى الكتاب

١ ـ ضبط الكتاب لغويا

٢ ـ تخريج الآيات القرآنية.

٣ ـ تخريج الأحاديث من مصدرها.

٤ ـ وضع عناوين رئيسة للكتاب.

٥ ــ ذكر الدروس المستفادة من كل حديث.

وبهذا العــمل المتواضع ندعــو الله عز وجل أن نكون من الذين يقــولون فيـعملون ويعملون فيخلصون ويخلصون فتقبل أعمالهم يارب العالمين.. اللهم آمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أبو محمد

عبدالله المنشاوى

نوسا الغيط ـ أجا ـ دقهلية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، قيوم السموات والأرضين، مدبر الخلائق أجمعين، باعث الرسل صلواته وسلامه عليهم إلى المكلفين، لهدايتهم وبيان شرائع الدين، بالدلائل القطعية وواضحات البراهين.

أحمده على جميع نعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، الكريم الغفار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله. أفضل المخلوقين، المكرم بالقرآن العزيز، المعجزة المستمرة على تعاقب السنين، وبالسنن المستنيرة للمسترشدين، المخصوص بجوامع الكلم وسماحة الدين. صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين، وآل كل وسائر الصالحين.

أما بعد:

فقد روينا عن على بن أبى طالب، وعبدالله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبى الدرداء، وابن عمر، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبى هريرة، وأبى سعيد الخدرى - رضى الله عنهم - من طرق كثيرات، بروايات متنوعات، أن رسول الله ﷺ قال:

«من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها؛ بعثه الله - تعالى - يوم القيامة فى زمرة الفقهاء والعلماء»[(١)].

وفى رواية: **«بعثه الله فقيها عالما»** [(٢)].

وفى رواية أبى الدرداء: **«وكنت له يوم القيامة شافعا وشهيدا»**.

---

(١) ذكره العجلونى فى كشف الخفاء ٢/ ٣٢٢ (٢٤٦٥) وقال: رواه أبو نعيم بنحوه عن ابن عباس وابن مسعود، وأخرجه ابن الجوزى فى العلل المتناهية عن أنس وعلى ومعاذ وأبى هريرة وغيرهم.
وقال ابن حجر: جمعت طرقه فى جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة، وقال البيهقى في شعبه: ليس له إسناد صحيح. وقال النووى فى خطبة أربعينه: واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه
قلت: والحديث ضعيف فقد ورد من حديث على ،وابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبى الدرداء وأبى سعيد وأبى هريرة وأبى أمامة وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وجابر بن سمرة وأنس وبريدة، وجميع هذه الأحاديث ضعيفة. انظر تحقيق هذه الأحاديث وعللها فى كتاب العلل المتناهية لابن الجوزى (١/ ١١٩) وعلقه الشيخ الألبانى على المشكاة (١/ ٨٦).

(٢) العلل المتناهية لابن الجوزى (١/ ١١٤).

وفى رواية ابن مسعود: «**قيل له: ادخل من أى أبواب الجنة شئت**»[1].

وفى رواية ابن عمر: «**كتب فى زمرة العلماء، وحشر فى زمرة الشهداء**»

واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقة.

وقد صنف العلماء - رضى الله تعالى عنهم - فى هذا الباب مالا يحصى من المصنفات. فأول من علمته صنف فيه: عبدالله بن المبارك، ثم محمد بن أسلم الطوسى العالم الربانى، ثم الحسن بن سفيان النسوى، وأبو بكر الآجرى، وأبو بكر محمد بن إبراهيم الأصفهانى، والدارقطنى، والحاكم، وأبو نعيم، وأبو عبدالرحمن السلمى، وأبو سعد المالينى، وأبو عثمان الصابونى، وعبدالله بن محمد الأنصارى، وأبو بكر البيهقى، وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين.

وقد استخرت الله فى جمع أربعين حديثا، اقتداء بهؤلاء الأئمة الأعلام، وحفاظ الإسلام.

وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال. ومع هذا فليس اعتمادى على هذا الحديث، بل على قوله ﷺ فى الأحاديث الصحيحة: «**ليبلغ الشاهد منكم الغائب**»[2] وقوله ﷺ: «**نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها**»[3].

ثم من العلماء من جمع الأربعين فى أصول الدين، وبعضهم فى الفروع، وبعضهم فى الجهاد، وبعضهم فى الآداب، وبعضهم فى الخطب. وكلها مقاصد صالحة - رضى الله عن قاصديها - وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله. وهى أربعون حديثا مشتملة على جميع ذلك.

وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين، وقد وصفه العلماء بأن

---

(١) أبو نعيم فى الحلية (٤/ ١٨٩).

(٢) البخارى فى العلم (٦٧، ١٠٥) وفى الحج (١٧٤١) وفى الأضاحى (٥٥٥٠) وفى الفتن (٧٠٧٨) وفى التوحيد (٧٤٤٧) ومسلم فى القسامة (١٦٧٩/ ٢٩، ٣٠).

(٣) أبو داود فى العلم (٣٦٦٠) والترمذى فى العلم (٢٦٥٧، ٢٦٥٨) وابن ماجة فى المقدمة (٢٣١) والدارمى (٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠) والطبرانى فى الكبير (١٥٤١ - ١٥٤٤) والحاكم (١/ ٨٧) وابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١/ ٤٦ - ٥٠).

مدار الإسلام عـليه، أو هو نصف الإسلام، أو ثلثه، أو نحـو ذلك. ثم ألتزم فى هذه الأربعين أن تكون صـحيحـة. ومعظمـها فى صـحيـحى البخارى ومـسلم، وأذكرها محذوفة الأسانيد، ليسـهل حفظها، ويعم الانتفاع بها إن شاء الله تعالى، ثم أتبعها بباب فى ضبط خفى ألفاظها.

وينبغى لكل راغب فى الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث؛ لما اشتملت عليه من المهـمات، واحـتوت عـليه من التنبـيـه على جمـيع الطاعـات. وذلك ظاهر لمن تدبره. وعلى الله اعتـمادى، وإليـه تفويضى واستنادى. وله الحـمد والنعـمة، وبه التوفيق والعصمة.

شرح مقدمة الكتاب

الحمد لله الذى شرف قدر من اشتغل بحديث سيد المخلوقات ﷺ، وعلى آله وأصحابه ما دامت الأرض والسموات.

وبعد

فيقول راجى عفو ربه الغنى، محمد بن عبدالله الجردانى: طلب منى بعض إخوانى المحبين، أن أجمع له شرحاً وجيزاً على متن الأربعين. فأجبته لما طلب، راجياً من الله - تعالى - الإعانة وبلوغ الأرب[1]. وبادرت بالشروع فيه، مؤملا الدخول فى حديث: «**والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه**»[2] وسميته: «**الجواهر اللؤلؤية فى شرح الأربعين النووية**» جعله الله خالصا لوجهه الكريم، ونفع به النفع العميم. آمين.

ثم إن مصنف هذه الأربعين كان قطب زمانه، وفريد عصره وأوانه. واسمه: يحيى بن شرف الدين، ولقب بمحيى الدين؛ لكونه حرر مذهب الشافعى - رضى الله تعالى عنه - وقيل له: النووى؛ لأنه ولد بنوى قرية من قرى دمشق، ودفن فيها. وكان مولده فى المحرم سنة ستمائة وثلاثين، وقيل: وإحدى وثلاثين. وكان شديد الورع والزهد، صابراً على خشونة العيش، تاركاً لجميع ملاذ الدنيا. وكان لا يأكل فى اليوم والليلة إلا أكلة واحدة بعد العشاء، ولا يشرب إلا شربة واحدة عند السحر. ولم يجمع بين إدامين.

وله - رضى الله عنه - كرامات كثيرة. منها: أن سبابة يده اليسرى أضاءت له حين فقد وقت التصنيف ما يسرجه. ومنها: أنه كان من أصحاب الخطوة؛ فكان يذهب إلى «مكة» ليلا ويطوف ويرجع. واشتهر : أن الخضر - عليه السلام - كان يجتمع به. ولما مرض مرض الموت؛ اشتهى التفاح؛ فجىء له به؛ فلم يأكله. فلما مات رآه بعض أهله فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: أكرم نزلى، وتقبل عملى، وأول قرابى جاءنى بالتفاح.

---

(١) الأرب: بفتحتين هى الحاجة.

(٢) مسلم فى الذكر والدعاء (٢٦٩٩) وأحمد (٢/ ٢٧٤).

وكانت وفاته فى رجب سنة ست وسبعين وستمائة. وعمره: نحو ست وأربعين سنة ـ رحمة الله تعالى عليه ـ.

وافتتح كتابه بقوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ اقتداء بالقرآن العزيز، وعملاً بحديث: «كل أمر ذى بال» أى صاحب حال يهتم به شرعا «**لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم**» أى لا تذكر البسملة فى أوله «**فهو أجذم**»[1] ـ أى ناقص وقليل البركة ـ فهو وإن تم حسّا لا يتم معنى. وورد: إذا كتبتم كتاباً؛ فاكتبوا فى أوله: بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا كتبتموها فاقرؤوها. ومن خواصها: أن من تلاها عند النوم إحدى وعشرين مرة، أمن تلك الليلة من الشيطان، ومن موت الفجأة، وأمن بيته من السرقة. ومن كتبها ثلاثمائة مرة، وحملها رزق الحفظ والقبول عند جميع الخلق. وقيل: إن من كتبها فى أول يوم من المحرم مائة وثلاث عشرة مرة وحملها لم ينله مكروه، هو وأهل بيته مدة عمره. ومن استيقظ من منامه وقال: بسم الله الرحمن الرحيم رزقه الله رضوانه الأكبر.

وفى الحديث: « **إذا قال العبد: بسم الله الرحمن الرحيم؛ قالت الجنة: لبيك وسعديك اللهم إن عبدك فلانا قال بسم الله الرحمن الرحيم اللهم زحزحه** ــ أى باعده ــ **عن النار وأدخله جنتك**».

(**الحمد**) أى الثناء بكل كمال ثابت ومستحق (**لله**) فلا مرد منه لغيره ـ سبحانه وتعالى ـ لأن الكمال إما قديم. فهو وصفه، وإما حادث. فهو فعله. وأتى المصنف بالحمدلة بعد البسملة اقتداء بالقرآن الكريم، وعملا بقوله ﷺ: «**إن الله يحب الحمد يحمد به ليثيب حامده**»[2] وورد أنه ﷺ قال: «**حمد الله أمان للنعمة من زوالها**»[3].

وقال بعض العارفين: الحمد لله ثمانية أحرف، وأبواب الجنة ثمانية، فمن قال: الحمد لله؛ استحق أن تفتح له الأبواب الثمانية يدخل من أيها شاء، فيخير بينها إكراماً له.

---

(١) ابن ماجة فى النكاح (١٨٩٤) وقال السندى: حسنه ابن الصلاح والنووى، ورواه ابن حبان (١، ٢ ــ إحسان) وذكره السيوطى فى الجامع الصغير (٦٣٨٣ ـ ٦٣٨٥).

(٢) الطبرانى (١/ ٨٢٥).

(٣) كنز العمال (٦٤٢١) وعزاه للبيهقى.

واختلف العلماء: هل الأفضل قول الحمد لله، أو قول لا إله إلا الله؟ فذهب جمع إلى الأول واحتجوا بقوله ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله، كتب له عشرون حسنة، وحط عنه عشرون سيئة، ومن قال: الحمد لله رب العالمين؛ كتب له ثلاثون حسنة، وحط عنه ثلاثون سيئة»**(١) وذهب جمع إلى الثاني، واحتجوا بقوله ﷺ: **«مفتاح الجنة لا إله إلا الله»**(٢) واختار هذا ابن عطية واستدل له بقوله ﷺ: **«أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»**(٣)

(رب العالمين) أي مالك جميع المخلوقين من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم. ولا يجوز إطلاق لفظ (رب) على غيره تعالى إلا مقيداً، كرب الدار.

قال بعضهم: وفي هذا اللفظ خصوصية لا توجد في غيره من أسماء الله تعالى، وهي أنك إذا قرأته طردا - أي مستقيما كان من أسمائه تعالى، وإذا قلبته كان من أسمائه أيضا. وهو بر بفتح الباء بمعنى محسن. وقيل: إنه اسم الله الأعظم؛ لما ورد في الحديث: **«إذا قال العبد: يا رب يا رب، قال الله تعالى: لبيك عبدي سل تعط»**(٤). وقال بعضهم: من أكثر ذكر هذا الاسم أجاب الله دعوته وقضى حاجته.

(قيوم السموات والأرضين) أي القائم بتدبيرهما وحفظهما وحفظ ما فيهما.

فائدة: من قال يا حي يا قيوم أذهب الله عنه كل هم وحزن وغم ورزقه من حيث لا يحتسب. وقال بعضهم: من قال ذلك كل يوم أربعين مرة عند طلوع الشمس؛ أحيا الله قلبه، ونور فكره، ويسر عسره، وأنطقه بالحكمة، وشرح بالمعرفة صدره. وقال جعفر بن محمد: عجبت لمن بلي بأربع كيف يغفل عن أربع: من بلي بالغم كيف لا يقول: ﴿ **لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٧] والله

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٧، ٨٨) رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح.

(٢) أحمد (٥/ ٢٤٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٦) رواه أحمد والبزار وفيه انقطاع بين شهر ومعاذ.

(٣) كنز العمال (١٢١٠٨).

(٤) الديلمي (١١٢٩) والسيوطي في الجامع الصغير (٧٧٧) وعزاه لابن أبي الدنيا في الدعاء وقال: ضعيف. وقال المناوي في فيض القدير (١/ ١١٤) ضعيف لأن فيه يعقوب الزهري لايعرف، وقال الألباني في ضعيف الجامع (١/ ٢١١) ضعيف جدا.

تعالى يقول: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، ومن خاف شيئاً كيف لا يقول: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] والله تعالى يقول: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، ومن مكر به، كيف لا يقول: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ والله تعالى يقول: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ [غافر: ٤٥]، ومن رغب فى شىء كيف لا يقول: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] والله تعالى يقول: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٤٠]

(مدبر الخلائق أجمعين) أى مصرف أمورهم على وفق مشيئته من إيجاد وإعدام، وإعطاء ومنع، وإعزاز وإذلال، وصحة ومرض. وغير ذلك على حسب ما تقتضيه حكمته البالغة. فينبغى للعاقل ألا يهتم بأحوال الدنيا، بل يسلم أمره لمولاه، كما قال الشيخ أبو الحسن البكرى ـ نفعنا الله به:

وقيل:

سلم أمورك للطيف العالم	وأرح فؤادك من جميع العالم
واعلم بأن الأمر ليس كما تشا	بل ما يشاء الله أحكم حاكم
فاطرب وطب وانس الهموم جميعها	إن الهموم تزيل لب الحازم
لا ينفع التدبير عبداً عاجزاً	فاتركه تبقى فى نعيم دائم

وقيل:

سيكون ما هو كائن فى وقته	وأخو الجهالة متعب محزون
ولعل ما تخشاه ليس بكائن	ولعل ما ترجوه ليس يكون

وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى: من أراد عز الدارين فليرح من الدنيا جسده وقلبه.

(باعث الرسل) أى مرسلهم بالأوامر والنواهى، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو وأربعة عشر أو خمسة عشر؛ يجب علينا أن نعرف خمسة وعشرين منهم بأسمائهم. وقد نظمهم الشيخ محمد الدمنهورى على حسب ترتيبهم فى

الإرسال، فقال:

ألا إن إيـمـانـاً بـرسـل تحـتـمـا	وهم: آدم إدريس نوح عـلى الـولا
وهود وصـالح لوط مـع إبراهيم أتى	كذا نجـله إسمـاعيل إسـحاق فـضلا
ويعقـوب يوسف ثم يتلو شـعيـبهم	وهارون مع مـوسى وداود ذو العـلا
سليـمـان أيوب وذو الكـفل يونس	وإليـاس أيضاً واليـسع ذاك فـاعقـلا
كـذا زكـريا ثـم يحـيـى غـلامـه	وعـيـسى وطه خـاتماً قـد تـكمـلا

(**صلواته**) المتكررة. وفى بعض النسخ: صـلاته ـ بالإفـراد ـ أى رحمـته المقرونة بالتعظيم (**وسلامه**) أى تحيته (**عليهم**) أى الرسل. وجمع المصنف بين الصلاة والسلام خروجا من كراهة إفراد أحدهما عن الآخر لفظاً أو خطاً. واستظهر المناوى: أن أصل السنة يحصل بالإتيان بأحدهما، وكمالها إنما يحصل بجمعهما.

وقوله: (**إلى المكلفين**) متعلق بباعث. والمكلفون هم البالغون العاقلون. سموا بذلك لتحملهم كلفة ـ أى مشقة ـ الأوامر والنواهى. وقوله: (**لهدايتهم**) متعلق أيضاً بباعث. والهداية معناها: الدلالة والإرشاد. أى لأجل إرشادهم ودلالتهم على سلوك سبيل الهدى، وتجنب طريق الردى أي الهلاك (**وبيان شرائع الدين**) أى ما شرعه الله من الأحكام. وقوله: (**بالدلائل القطعية**) متعلق ببيان. والقطعية: ما تقطع مجادلة الخصم ومعارضته. وقوله: (**وواضحات البراهين**) من إضافة الصفة إلى الموصوف، أى البراهين الواضحة التى لا إشكال فيها

(**أحمده**) أى أثنى عليه ثناء جميلا (**على جميع نعمه**) وهى كثيرة لا تحصى، كما قال تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا**﴾[إبراهيم: ٣٤] وأعظم النعم الدنيوية الإيمان، وأعظم النعم الأخروية، مشاهدة ذات الله تعالى فى الجنان (**وأسأله المزيد**) أى أطلب منه مزيد النعم، أى زيادتها (**من فضله**) أى إحسانه (**وكرمه**) أى إكرامه.

حكى أن رجلين أعميين جلسا على طريق أم جعفر، وكانت موصوفة بالكرم، وكان أحدهما يقول: اللهم أعطنى من فضلك، والآخر يقول: اللهم

أعطنى من فضل أم جعفر.

فكانت ترسل كُلَّ يوم للأول درهمين، وللثانى رغيفين معهما دجاجة مشوية فى جوفهـا عشرة دنانير، فكان طالبُ فـضلها يقول لصاحـبه: أعطنى الدرهمين وخذ الدجاجة لأولادك وهو لا يعلم ما فى جوفـها، ففعل ذلك مدة. فقالت أم جعفر: قولوا لطالب فـضلنا: أما أغناك عطاؤنا؟ فقال: لا والله إنما كنتم تُعطونى رغيـفين ودجاجـة، فكنت أبيع ذلك لصاحـبى بدرهمين فقـالت: صدق، ذلك يطلب من فـضل الله فأعطاه الله من حـيث لم نقـصد غناه، وهذا طلب فـضلنا فحرمـه الله من حيث أردنا غناه؛ ليعلم الخلق أن المقادير لا تغـالب، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

(وأشهـد) أى أقر وأذعن **(أن لا إله)** أى لا مـعبـود بحق **(إلا الله)** الواجب وجوده. قال بـعضهم: وحظّ العبـد من لا إله إلا الله أن يعلم أنه لا مُعطى ولا مـانع إلا من ثبتت لـه الألوهيةُ. ولذا قـيل: إذا قـال أحد لا إله إلا الله طالبـه بحقها، وهو أنه لا ينسب شيئا إلا إليه

(الواحد) أى المنفرد فى ذاته وصفاته وأفـعاله، لا شريك له ولا نظير، ولا مشابهة بينه وبين غـيره بوجه من الوجوه. **(القهار)** أى الذى لا موجود إلا وهو مقهـور تحت قدرته، مُسَخَّـر بقضائه، عاجـز فى قبضتـه. وقيل: هو الذى أذلَّ الجبابرة وأهلكهم **(الكريم)** أى الذى إذا قدر عفـا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى أزاد على منتهى الرجاء، ولا يبالـى كم أعطى ولا لمن أعطى، وإن رفعت حاجة إلى غـيره لا يرضى ولا يضـيع من لاذ [1] به والتـجأ، بل يغـنيه عن الوسـائل والشفعاء **(الغفار)** أى الكثير المغفرة لعباده.

فائدة: قال بعضُ السلف: مَن أحبَّ أن يكثر ماله وولده ويُبارك له فى رزقه فليقل: أستغفر الله إنه كان غفارا فى اليوم سبعين مرة.

(وأشهد أن) سيدنا **(محمدا)** علم على نبينا ﷺ **(عبده ورسوله)** قدم وصف العبودية امتثالا لما فى الحديث الصحيح: «**ولكن قولوا عبد الله ورسوله**»[2]

---

(١) اللوذ بالشيء: الاستتار والاحتضان به والإحاطة كما فى القاموس.

(٢) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥).

ولأنها أشرف أوصافه، ومن ثمَّ لما خيِّر بين أن يكون ملكاً رسولا أو عبداً رسولا؛ اختار أن يكون عبدا رسولا لعلمه بشرف العبودية

والرسول لغة: المرسل. واصطلاحا: ذكر من بنى آدم أوحى إليه بشرع يعمل به وأمر بتبليغه. وهو أخص من النبى، إذ هو مأمور بالعمل بما أوحى إليه فقط، فكل رسول نبى ولا عكس

(وحبيبه وخليله) أى الذى أحبه الله تعالى، وجعله خليلا.

رُوى: أنه صعد المنبر يوماً مستبشرا فرحاً فقال: « **إن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، فأنا حبيب الله، وأنا خليل الله** » (١)

ومحبة الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه عنه، وهى تكون بحسب معرفته به ولاشك أن أعرف الناس به نبينا محمد ﷺ، فهو أحبهم وأحقهم باسم الحبيب. وخلة الله للعبد تمكينه من طاعته وعصمته. ومعنى كون المصطفى خليل الله أنه شديد الطاعة لمولاه، وأن الله اصطفاه وخصه بالكرامات من إجابة الدعوة، وإظهار الخوارق على يديه، والنصرة على أعدائه

(أفضل المخلوقين) من أهل السموات والأرضين، أى أرفعهم وأشرفهم فى الدنيا والآخرة. ويليه سيدنا إبراهيم، ثم سيدنا موسى ثم سيدنا عيسى، ثم سيدنا نوح، ثم بقية الرسل. ثم الأنبياء غير الرسل، وهم متفاضلون فيما بينهم عند الله تعالى - ثم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل، ثم بقية رؤساء الملائكة، كرضوان ومالك وحملة العرش والكروبيين، وهم الحافون به، سموا بذلك لأنهم متصدون للدعاء برفع ما نزل بالأمة من الكروب. ثم عوام الملائكة وهم غير رؤسائهم. ثم صلحاء هذه الأمة كالصحابة والتابعين والشهداء. وأفضل الصلحاء أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على، ثم الستة الباقون من العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل غزوة بدر، ثم أهل غزوة أحد، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم بقية الصحابة، ثم التابعون - وأفضلهم أويس القرنى، ثم أتباع التابعين رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

(المكرم) على غيره من الرسل **(بالقرآن)** وهو الكلام المنزل إليه للإعجاز

---

(١) الطبرانى فى الكبير (٧٨١٦) والحاكم (٢/ ٥٥٠).

المتعبد بتلاوته، أى المثاب على قراءته ولو بدون معرفة معناه، بخلاف غيره من الأذكار فإنه لا يُثاب عليه قارئه إلا إذا عرف معناه ولو إجمالا، والأحاديث وباقي العلوم لا يثاب عليها من حيث قراءة لفظها، وإنما يثاب عليها من حيث تعليمها وتعلمها وكتابتها.

(العزيز) أى الذى لا نظير له، الممنوع من تغييره أو تحريفه لحفظ الله له.

(المعجزة) أى الذى أعجز الفصحاء من العرب عن معارضته، وذلك أنه ﷺ دعاهم للإتيان بمثله فعجزوا، ثم بعشر سور فعجزوا، ثم بمثل أقصر سورة منه فعجزوا، ثم نادى بذلك على جميع البلغاء والفصحاء منهم مع كثرتهم فعجزوا؛ حتى إنهم آثروا مقارعة السيوف على معارضة الألفاظ والحروف ووجه إعجازه كونه فى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة، مع اشتماله على الإخبار بالمغيبات الماضية والآتية، وعلى دقائق العلوم، وأحوال المبدأ والمعاد، ومكارم الأخلاق، والإرشاد إلى المصالح الدينية والدنيوية، وجاء أنهم يتعجبون من حُسن نظمه وبلاغة معانيه، حتى إن جماعة منهم كانوا يرقصون رؤوسهم عند سماع قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾[هود: ٤٤]

وسجد واحد منهم عند سماع قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]. وقال: سجدتُ لفصاحة هذا الكلام.

وروى أن الأصمعى - بفتح الميم - سمع بنتا صغيرة تتكلم فتعجب من فصاحتها، فقالت له: يا هذا وهل ترك القرآن لأحد فصاحة؟ اقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] فقد جمع بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين. وقيل: إن بعض بطارقة [١] الروم سمع من يقرأ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢] فأسلم، وجاء إلى سيدنا عمر - رضي الله تعالى عنه - وأخبره أن هذه الآية جمعت كل ما أنزل على سيدنا عيسى من أحوال الدنيا والآخرة.

---

(١) بطارقة: مفردها بطريق بكسر الباء وهو قائد من قواد الروم.

فائدة: ذكر بعض العلماء أن كمال الإيمان متوقف على معرفة علم المعانى والبيان والبديع، لتوقف إدراك إعجاز القرآن، الذى هو معجزة المصطفى ﷺ، على معرفتها؛ فلذا كانت معرفتها؛ فرض كفاية.

(المستمرة) أى الدائمة **(على تعاقب)** أى توالى **(السنين)** فيعارض بها من طعن فى رسالته فى كل زمان إلى يوم القيامة، بخلاف باقى معجزاته، وكذا معجزات سائر الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فإنها انقرضت بانقراضهم.

(وبالسنن) أى والمكرم بالسنن جمع سنة، وهى لغة: الطريقة. والمراد بها هنا ما أوحى إليه به وألهمه. وقال بعضهم: هى ما سنه النبى ﷺ، أى: ما شرعه من الأحكام فرضاً أو نفلاً

(والمستنيرة) أى الواضحة **(للمسترشدين)** أى طالبين الرشد والاستقامة **(المخصوص)** دون غيره من الأنبياء والرسل **(بجوامع الكلم)** من إضافة الصفة للموصوف، أى بالكلم الجوامع وهى: إيجاز اللفظ مع سعة المعنى، فيجمع المعانى الكثيرة فى اللفظ القليل، وهذا أمر محمود؛ فقد قال الحسن بن على - رضى الله عنهما: «خير الكلام ما قل ودل» وجوامع الكلم التى خص بها ﷺ نوعان:

أحدهما: ما هو فى القرآن؛ كقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] قال الحسن: لم تترك هذه الآيةُ خيرا إلا أمرت به ولاشراً إلا نهت عنه.

وثانيهما: ما هو فى كلامه ﷺ كقوله: **«من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه»** (١) وقوله لمن سأله الوصية: **«لا تغضب»** (٢) وقوله: **«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»**(٣) وقوله: **«كن فى الدنيا**

---

(١) الترمذى فى الزهد (٢٣١٧، ٢٣١٨) وابن ماجة فى الفتن (٣٩٧٦) وأحمد (١/ ٢٠١) والطبرانى فى الكبير (٣/ ٢٨٨٦) ومالك فى الموطأ فى حسن الخلق ٢/ ٦٨٩ (٣) وهو الحديث الثانى عشر، فى الكتاب.

(٢) البخارى فى الأدب (٦١١٦) والترمذى فى البر والصلة (٢٠٢٠) وأحمد (٢/ ٣٦٢، ٤٦٦) وهو الحديث السادس عشر فى الكتاب.

(٣) الترمذى فى البر والصلة (١٩٨٧) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٥/ ١٧٧، ٢٣٦) والدارمى فى الرقاق (٢٧٩١) والحاكم (١/ ٥٤) والطبرانى فى الكبير (٢٠/ ٢٩٦) وقال الألبانى فى صحيح الجامع (١/ ٨٦) حديث حسن: وهو الحديث الثامن عشر فى الكتاب.

كأنك غريب أو عابر سبيل»[1] وقوله: **«رحم الله امرأ تكلم فغنم أو سكت فسلم»**[2] وقوله: **«الدال على الخير كفاعله»**[3].

وجوز ابن حبيب أن يكون المراد بجوامع الكلم ما جاء أنه ﷺ كان يكلم كل قبيلة بلسانها وإن لم يكن رآها قبل.

(وسماحة الدين) معطوف على جوامع الكلم، أى والمخصوص سماحة الدين، أى سهولته وخلوه من المشاق التى كانت على اليهود كعدم إجزاء أخذ الدية فى القتل ولو خطأ، وكقطع الأعضاء الخاطئة، وفقء العين فى النظر إلى ما لا يحل، وأداء ربع المال فى الزكاة، واسترقاق السارق للمسروق منه، وتحريم مجالسة الحائض ومؤاكلتها ومضاجعتها وكون من أذنب منهم يحرمُ عليه أكل الطيبات ويصبح ذنبه مكتوبا على بابه فيقام عليه حده. وكما أن هذا الدين خال من المشاق فهو خال أيضا من التفريط المفوت لمحاسن الآداب كما كان فى النصرانية، من نحو: جواز مخامرة النجاسة، أى مخالطتها، ووطء الحائض. وقد ورد: **«أحب الأديان إلى الله تعالى الحنيفية السمحة»**[4] أى الملة المائلة عن دين اليهود والنصارى، السهلة التى لا حرج فيها ولا تضييق، وهى ملة الإسلام التى تمنى الأنبياء أن يتبعوه فيها. كما جاء أنه ﷺ قال: **« لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعى»**[5].

(صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر) أى باقى أو جميع **(النبيين)** وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً والرسل منهم. وتقدم أنهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو وأربعة عشر، أو وخمسة عشر. وأعاد المصنف الصلاة والسلام عليه خصوصا

---

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤١٦) وابن المبارك فى الزهد (١٦) والطبرانى فى الكبير (١٢/ ١٣٤٧٠) وهو الحديث الأربعون فى الكتاب.

(٢) أحمد فى الزهد (٢٧٧) وابن المبارك فى الزهد (٣٨٠) والديلمى (٣٠٢٧) والبيهقى فى الشعب (٤٩٣٨) وعزاه السيوطى فى الجامع الصغير (٤٤٢٥) للبيهقى عن أنس وعن الحسن مرسلا ورواه ابن حبان (١٢٨ - موارد) والعجلونى فى كشف الخفاء (١/ ٥١٤).

(٣) أحمد (٥/ ٢٧٤) والترمذى فى العلم (٢٦٧٠) والطبرانى فى الكبير (١٧/ ٦٢٨ - ٦٣٢) وأبو نعيم فى الحلية (٦/ ٢٦٦).

(٤) أحمد (١/ ٢٣٦) والبخارى تعليقا فى الإيمان ١/ ٥١ باب (٣٠) حديث رقم (٣٩) والسيوطى فى الجامع الصغير (٢٠٨) وعزاه للطبرانى عن ابن عباس وقال: صحيح.

(٥) أحمد (٣/ ٣٨٧) بنحوه.

ثم على الأنبياء عـموماً؛ لمزيد التعظيم لهم إذ هم الواسـطة بين الله وبين العباد، وجميع النعم الواصلة إلـيهم التى أعظمها الإنقاذ من الضـلالة، والإرشاد إلى ما يوصل إلى السعـادة الأبدية، إنما هى بسببـهم، واغتناماً للثـواب الوارد فى قوله ﷺ: «**من صلى علـيّ فى كـتـاب لم تـزل الملائكة تسـتـغـفـر له**»[1] وفى رواية: «**تصلى عليه ما دام اسـمى فى ذلك الكتاب**» وعملا بقوله ﷺ: «**صلوا على النبيين إذا ذكرتمونى فإنهم بعثوا كما بعثت**»[2].

فائدة: من قال ثلاث مرات حين يمسى وحين يصبح: «**اللهم صل على سيدنا محـمد فى الأولين، وصل على سـيدنا مـحمـد في الآخرين، وصل على سـيدنا محـمد فى الـنبيين، وصل علي سـيدنا مـحمـد فى المرسلين، وصل على سيـدنا مـحـمــد في الملأ الأعلى إلي يوم الديـن، هدمت ذنوبه ومُـحـيـت خطاياه، ودام سروره، واستُجيب دعاؤه، وأعطى أمله، وأعين على عدوه**».

(**وآل كل**) أي وعلى آل كُل واحــد ممن ذكــر. والمراد بالآل الأقــارب أو الأتباع، وهو أولى؛ لأنه اللائق بمقـام الدعاء (**وسائر الصالحين**) وهم القائمون بحقوق الله وحقوق عباده.

واعلم أن الصلاة على الأنبياء والملائكة مطلوبة اسـتقلالا بخلاف غيرهم، فـتطلب لهم تبـعـا كـمـا هنا، وتكره اسـتـقلالا. وقـيل: تحـرم، وأمـا قـوله ﷺ: «**اللهم صل على آل أبى أوفى**»[3] فهو من خصائصه؛ لأن الصلاة حقه؛ فله أن يخص بها من شاء. ومثله فى ذلك باقى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(**أما بعد**) هذه كلمة تذكـر للانتقال من نوع مـن الكلام إلى نوع آخر منه، ويُستحب الإتيان بها فى أول الكتب والخُطب اقـتداء به ﷺ وأصلها مهما يكن من شيء بعد فحذفت مهـما ويكنُ، وأقيمت أما مقامهـما، أى بعد ما تقدم من البسملة والحمدلة وما معهما (**فقد روينا**) أى فأقول لك: قد روينا أى نقلنا (**عن**)

---

(١) الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد (١/ ١٣٦، ١٣٧) وقال الهيثمى: فيه بشر بن عبيد الدارسى كذبه الأزدى وغيره.

(٢) السيوطـى فى الجامع الصغير (٥٠٣٥) وعـزاه للشاشى وابن عسـاكر عن وائل بن حجر وقال الـسيوطى ضعيف.

(٣) البخارى فى الزكاة (١٤٩٧) ومسلم فى الزكاة (١٠٧٨).

أميـر المؤمنين (**على بن أبى طالب وعـبـد الله بن مسـعـود ومعـاذ بن جـبل وأبى الدرداء**) عويمر بن زيد (**و**) عبد الله (**بن عمر**) وعبد الله (**بن عباس، وأنس بن مالك، وأبى هريرة**) عبد الرحـمن بن صخر (**وأبى سعيـد الخدرى ـ رضى الله تعالى عنهم**) أى حفظهم من سخطه (**من طرق كثيرات**) متعلق بروينا (**بروايات متنوعات**) أى مختلفة الألفاظ (**أن رسول الله ﷺ قال: من حـفظ على أمتى**) أى نقل لها وبلغـها (**أربعين حـديثا من أمر ديـنها**) أى مما يتعلق بأمـر دينها أصولا وفروعاً (**بعثه الله تعالى يوم القـيامة فى زمرة**) أى جماعة (**الفقهاء**) أى الذين يعرفـون المسائل الفقهـية (**والعلماء**) أى المتصفـين بالعلم، فقهاً كـان أو غيره. كالحديث والتفسير فهو أعم مما قبله

(**وفى رواية: بعثه الله فقيها عالما**) قال بعضهم: استفتيت أبا الحسن الكيا الطبرى فيمن أوصى بثلـث ماله للعلماء والفقهـاء أو وقف عليهم هل يدخل فيهم كـتبة الحديث؟ فكتـب: نعم، كيف لا يدخل وقد قـال النبى ﷺ: «**من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما**»[1].

(**وفى رواية أبى الدرداء: وكنت له يوم القيامـة شافعا**) أى سائلا من الله أن يتجاوز عن ذنوبه (**وشهيدا**) أى شاهدا له باستحقاقه رفعة درجته وعلو مرتبته.

(**وفى رواية ابن مسعود: قيل له ادخل من أى أبواب الجنة شئت**) بفتح المثناة الفوقية. أى فـفتح له أبوابها الثمانية، وكل بواب يدعـوه إلى الدخول من الباب الذى هو موكل به تـعظيما له وإكـراما، ولا يدخل إلا من البـاب الذى سبق في علمه تعالى أنه يدخل منه بأن يزينه له ويزهده فى الباقى.

(**وفى رواية ابن عمر: كـتب فى زمرة العلماء**) أى ضم إليهم. وفائدة ذلك أن يكون له أجر مـن نوع أجورهم (**وحـشر فى زمـرة الشهـداء**) فـيعطى مـثل منازلهم. بل قيل: إنه يأخذ ثواباً أكثـر منهم، فقد ورد أنه يوزن مداد العلماء أى الحبـر الذى يكتبـون به فيـرجح بين هذه الروايات بأن حفـاظ الأربعين مخـتلفو المراتب.

---

(١) سبق تخريجه.

(**واتفق الحفاظ**) أى أئمة الحديث (**على أنه**) أى هذا الحديث المذكور فى المتن (**حديث ضعيف وإن كثرت طرقه**) وقد أوضح ضعفها ابن الجوزى وغيره. والحديث الضعيف: هو ما فُقد فيه شرطٌ من شروط القبول، وهى ستة: اتصال السند، والعدالة، والضبط، ونفى الشذوذ ونفى العلة القادحة، والعاضد عند الاحتياج إليه.

(**وقد صنف العلماء ـ رضى الله تعالى عنهم فى هذا الباب**) أى باب الأربعينات (**ما لا يُحصى من المصنفات**) أى ما لايعد منها. وهذا من المبالغة، فالمراد أنه يعسر إحصاؤها لبلوغها فى الكثرة حدا عظيما.

(**فأول من علمته صنف فيه: عبد الله بن المبارك**) صاحب أبى حنيفة، ولد سنة تسع عشرة ومائة ومات سنة إحدى وثمانين ومائة.

(**ثم محمد بن أسلم**) بفتح الهمزة واللام (**الطوسى**) بضم الطاء نسبة إلى طوس؛ بلد من خراسان (**العالم الربانى**) وهو من أفيضت عليه معارف ربه وربىّ الناس بعلمه، توفى فى المحرم سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

(**ثم الحسن بن سفيان**) مثلث السين (**النسوى**) بنون فمهملة مفتوحتين فواو نسبة إلى نسا مدينة بخراسان، ويقال فى النسبة إليها أيضا نسائى بهمزة بعد الألف. توفى سنة ثلاث وثلاثمائة.

(**وأبو بكر**) محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى (**الآجرى**) بهمزة مفتوحة ممدودة مع ضم الجيم وتشديد الراء، نسبة إلى الآجر، وهو الطوب المحرق لبيعه أو عمله. مات بمكة فى المحرم سنة ستين وثلاثمائة.

(**وأبو بكر محمد بن إبراهيم الأصفهانى**) بالفاء أو الباء مع فتح الهمزة أو كسرها، نسبة إلى أصفهان أو أصبهان؛ بلدة من بلاد العجم. توفى سنة ست وستين وأربعمائة.

(**والدارقطنى**) بفتح الدال والراء بينهما ألف، نسبة إلى دار القطن، حارة كبيرة ببغداد، واسمه: على بن عمر، ولد سنة خمس أو ست وثلاثمائة، ومات سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.

(**والحاكم**) محمد بن عبد الله النيسابورى، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وتوفى سنة خمس وأربعمائة.

(وأبو نعيم) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهانى، ولد سنة ست أو سبع وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة ثلاثين وأربعمائة.

(وأبو عبد الرحمن) محمد بن الحسين **(السلمى)** بضم السين وفتح اللام، نسبة إلى سليم قبيلة مشهورة من قبائل العرب. توفى سنة اثنتى عشرة وأربعمائة.

(وأبو سعيد) بالياء، وفى نسخة أبو سعد بلا ياء وهو الصواب؛ كما نُقل عن ابن الأثير، واسمه أحمد بن محمد **(المالينى)** بفتح الميم وكسر اللام ثم مثناة تحتية ساكنة ثم نون نسبة إلى مالين، وهى قرى مجتمعة من أعمال هراة يقال لجميعها مالين. مات سنة اثنتى عشرة وأربعمائة.

(وأبو عثمان) إسماعيل **(الصابونى)** نسبة إلى عمله. قال بعضهم: ولعل أحد أجداده كان يعمله .

(وعبد الله بن محمد الأنصارى) نسبة إلى الأنصار، وهم الأوس والخزرج، ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وتوفى بهراة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة. وما فى بعض النسخ من أنه محمد بن عبد الله ؛ انقلاب من الكاتب.

(وأبو بكر) أحمد بن الحسين بن على **(البيهقى)** نسبة إلى بيهق، بفتح الباء قرية على عشرين فرسخاً من نيسابور. ولد بها سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، ومات بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، ونقل إلى بيهق فدفن بها.

ولعل المصنف أتى بثم فى الأولين لعلمه بالتأخر الزمانى فيهما بخلاف الباقين، ولما خصص المشاهير بالذكر عمم، فقال: **(وخلائق لا يحصون)** بالبناء للمجهول، أى لا يعدون لكثرتهم **(من المتقدمين)** أى بعد الصحابة والتابعين: كالطائى والشيخ عز الدين بن عبد السلام **(والمتأخرين)** كالمنذرى والزين العراقى وولده وابن حجر والمناوى.

(وقد استخرت الله) تعالى **(فى جمع أربعين حديثاً اقتداء بهؤلاء الأئمة الأعلام)** أى الذين يهتدى بعلمهم كما يُهتدى بالأعلام إلى الطريق **(وحفاظ الإسلام)** أى حفاظ أحكامه الشرعية بتعليمها للناس، وقدم المصنف الاستخارة على جمع هذه الأربعين لطلبها من كل عازم على أمر، فقد روى أن: « من

سعادة ابن آدم الرضا بالقضاء، واستخارة الله فى أموره. ومن وشقاوته ترك ذلك»[1] وورد: «لاخاب من استخار، ولا ندم من استشار»[2] وصفتها الشرعية أن يصلى الشخص ركعتين، يقرأ فى الأولى الفاتحة والكافرون، وفى الثانية الفاتحة والإخلاص، ثم بعد السلام منها أو فى أثنائها فى سجود الركعة الأخيرة أو بعد التشهد يقول: «**اللهم إنى أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن كذا خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاقدره لى ويسره لى، ثم بارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن كذا شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله؛ فاصرفه عنى واصرفنى عنه، واقدر لى الخير حيث كان، ثم رضنى به**»[3].

ويفعل ما ينشرح إليه صدره من الفعل أو الترك. فإن لم ينشرح لشىء كرر الصلاة والدعاء أو الدعاء فقط حتى ينشرح صدره لشىء. فلو فرض عدم انشراحه مع التكرار؛ أخر ما هو عازم عليه إن أمكن، وإلا توكل على الله، وشرع فيما تيسر له؛ فيكون الخير فيه إن شاء الله تعالى ـ ببركة الاستخارة.

(وقد اتفق العلماء) أى أكثرهم **(على جواز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال)** لأن مقتضاه لا يترتب عليه تحليل ولا تحريم، بل هو طاعة والطاعة لا حرج على فاعلها. نعم إن اشتدَّ ضعفه بأن لا يخلو طريق من طرقه من كذاب أو متهم بالكذب؛ فلا يعمل به **(ومع هذا)** الذى ذكرته من جواز العمل بالحديث الضعيف فى الفضائل **(فليس اعتمادى على هذا الحديث)** أى المتقدم، وهو « **من حفظ على أمتى**» إلخ، أى لست مستنداً إليه فقط **(بل)** عليه، **(وعلى قوله ﷺ)** الداخل **(فى الأحاديث الصحيحة: ليبلغ)**» بكسر اللامين مع

---

(١) الحاكم بنحوه (١/ ٥١٨) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى، ورواه الترمذى بمعناه فى القدر (٢١٥١) وقال هذا حديث غريب.

(٢) الطبرانى فى الصغير (٢/ ٧٨) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢/ ٢٨٠) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط.

(٣) البخارى فى الدعوات (٦٣٨٢) والترمذى فى أبواب الصلاة (٤٨٠) وابن ماجه فى إقامة الصلاة (١٣٨٣) وأحمد (٣/ ٣٤٤).

تشديد الثانية، ويجوز تخفيفها، وفى الغين الكسر والفتح و«**الشاهد**» بالرفع فاعل يبلغ و«**منكم**» خطاب للصحابة، ثم لمن بعدهم إلى يوم القيامة. و«**الغائب**»[1] بالنصب على المفعولية. والمعنى ليبلغ الحاضر منكم السامع ما أقوله للغائب الذى لم يسمع

(**وقوله ﷺ نضر الله امرءاً**) أى إنساناً، ونضر: روى بتشديد الضاد المعجمة وبتخفيفها من النضارة، وهى حسن الوجه وبريقه، والمعنى: ألبسه الله النضرة وهى الحسن والإضاءة، يعنى جمله الله وزينه وخصه بالبهجة والسرور؛ وقيل: المعنى أوصله الله إلى نضرة الجنة أى بهجة نعيمها (**سمع مقالتى**) أى كلامى منى أو من أصحابى أو من أتباعى (**فوعاها**) أى حفظها (**فأداها**) أى بلغها إلى من لم تبلغه (**كما سمعها**)[2] أى مثل ما سمعها من غير زيادة ولا نقص، فمن زاد أو نقص؛ فهو مغير لا مؤد.

فائدة: رأى بعضُ العلماء المصطفى ﷺ فى المنام، فقال له: أنت قلت: «**نضر الله امرأ**» إلخ؟ قال: نعم ووجهه يتهلل بالسرور أنا قلته، وكرره ثلاثاً. ونقل عن سيدى محمد الشاذلى: أن أهل الحديث اختصوا من دون سائر العلماء بأنهم لا تزال وجوههم نضرة لدعوة النبى ﷺ لهم بقوله: «**نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره**»[3].

ومن نظم الجلال السيوطى رحمه الله تعالى ونفعنا به:

من كان من أهل الحديث فإنه ذو نضرة فى وجهه نور سطع
إن النبى دعا بنضرة وجهه من أدى الحديث كما تحمّل واتبع

وفى الحديث: «**من أدى إلى أمتى حديثا واحداً يقيم به سنة أو يرد به بدعة فله الجنة**»[4]

---

(١) البخارى فى العلم (٦٧، ١٠٥) وفى الحج (١٧٤١) وفى الأضاحى (٥٥٥٠) وفى الفتن (٧٠٧٨) وفى التوحيد (٧٤٤٧) ومسلم فى القسامة (١٦٧٩/ ٢٩، ٣٠) والترمذى فى العلم (٢٦٥٧) وقال حسن صحيح وابن ماجه فى المقدمة (٢٣٢) وأحمد (٥/ ٣٧، ٣٩، ٤٥).

(٢) الترمذى فى العلم (٢٦٥٨) وابن ماجة فى المقدم (٢٣١) والدارمى (٢٢٧ ـ ٢٣٠) والطبرانى فى الكبير (١٥٤١ ـ ١٥٤٤) والحاكم (١/ ٨٧) وابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١/ ٤٦ ـ ٥٠).

(٣) أبو داود فى العلم (٣٦٦٠) والترمذى فى العلم (٢٦٥٦) وقال: حديث حسن.

(٤) أبو نعيم فى حلية الأولياء (١٠/ ٤٤) وفى سنده: عبد الرحيم بن حبيب؛ قال ابن حبان عنه: يضع الحديث.

(ثم من) وفى نسخة «ثم إن» من **(العلماء من جمع الأربعين فى أصول الدين)** والمراد بها الأمور الاعتقادية المتعلقة بالإله عز وجل وبالأنبياء والحشر والنشر **(وبعضهم)** جمعها **(فى الفروع)** أى المسائل الفقهية **(وبعضهم)** جمعها **(فى الجهاد)** أى فى فضل قتال الكفار **(وبعضهم)** جمعها **(فى الزهد)** أى فى فضل ترك ما لا يحتاج إليه من الدنيا، والإعراض عما يشغل عن الأخرى **(وبعضهم)** جمعها **(فى الآداب)** بالمد، جمع أدب وهو استعمال ما يُحمد قولا وفعلا **(وبعضهم)** جمعها **(فى الخطب)** أى فى فضلها وكيفيتها والمراد الخطب التى كان يخطب بها النبى ﷺ في نحو جمعة وعيد وعند نزول الأمور المهمة وقدوم الوفود عليه ونحو ذلك. ومن بعض خطبه: «**أيها الناس إن العبد لا يكتب من المسلمين حتى يسلم الناس من يده ولسانه، ولا ينال درجة المؤمنين حتى يأمن جاره بوائقه أو بوادره ولا يعد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس**» والبوائق: الظلم والشر. والبوادر: السقطات عند الحدة.

(وكلها) أى الأربعينات التي جمعوها **(مقاصد صالحة)** أى أغراض حسنة و**(رضى الله عن قاصديها)** أى مريديها **(وقد رأيت)** أى اخترت **(جمع أربعين أهم من هذا كله)** أى أشد فائدة مما جمعه هؤلاء **(وهى أربعون حديثا مشتملة)** أي محتوية **(على جميع ذلك)** أى الذى جمعوه **(وكل حديث منها قاعدة عظيمة)** أى أمر كلى **(من قواعد الدين)** أي أموره الكلية التى يرجع إليها غالب الأحكام، يعنى أن كلا منها لظهور أحكامه منه للأفهام كأنه قاعدة مرفوع عليها أبنية ظاهرة للأبصار **(قد وصفه العلماء بأن مدار)** أى مرجع **(الإسلام عليه)** أى غالب أحكام الإسلام مستفادة منه **(أو هو نصف الإسلام)** أى نصف أدلة أحكامه **(أو ثلثه)** أى ثلث أدلته **(أو نحو ذلك)** كالربع، أى ربع أدلته. والمراد أن كل حديث منها لا يخلو من وصفه بواحد من تلك الأوصاف.

(ثم ألتزم فى هذه الأربعين أن تكون صحيحة) ليعمل بها فى الفضائل وغيرها. والمراد بكونها صحيحة أنها غير ضعيفة فتشمل الحسن **(ومعظمها)** بالرفع على أنه مبتدأ وما بعده خبر، أو على أنه معطوف على اسم تكون. والتقدير: وألتزم أن يكون معظمها أى أكثرها **(فى صحيحى البخارى ومسلم)** لأنهما أجل الكتب المؤلفة فى الحديث.

وقد وفى المصنف بما قال، إذ فيها منهما تسع وعشرون حديثا ، اتفقا على اثنى عشر، وانفرد البخارى بأربعة، ومسلم بثلاثة عشر. ولاشك أن ذلك أكثرها. وفيها لغيرهما ثلاثة عشر: خمسة للترمذى، وواحد لابن ماجه، وواحد للبيهقى، وواحد للدارقطنى، وواحد للترمذى مع النسائى، وواحد له أيضا مع أبى داود وواحد لابن ماجة مع البيهقى، وواحد له أيضاً مع الدارقطنى، وواحد فى كتاب الحجة.

(**وأذكرها**) بالرفع عطفا على ألتزم، وبالنصب عطفا على تكون، أى وأن أذكرها (**محذوفة الأسانيد**) جمع إسناد ، وهو: حكاية الطريق الموصلة إلى ألفاظ الحديث، وعلل ذلك بقوله: (**ليسهل حفظها**) أى بسبب قلة ألفاظها (**ويعم الانتفاع بها إن شاء الله تعالى**) وقد حقق الله له ما تمناه (**ثم أتبعها**) بالرفع أى ألحقها بعد تمامها (**بباب**) أى بجملة من العلم مترجمة بلفظ باب (**فى ضبط خفى ألفاظها**) من إضافة الصفة للموصوف، أى ألفاظها الخفية باعتبار غرابة مبانيها أو معانيها على بعض المشتغلين بها؛ لئلا يغلط فى شىء منها، وليستغنى به عن مراجعة غيره.

(**وينبغى**) أى يطلب (**لكل راغب فى الآخرة**) أى فى نيل درجاتها (**أن يعرف هذه الأحاديث**) أي يعلم ألفاظها، ويبحث عن معناها، وينقلها، ويعمل بما فيها. وعلل ذلك بقوله: (**لما اشتملت عليه من المهمات**) أى من الأمور التى يجب الاعتناء بها (**واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات وذلك**) أى ما ذكر من الاشتمال والاحتواء (**ظاهر**) أى منكشف (**لمن تدبره**) أى تأمله وتفكر فيه. ووجه ظهوره أن الشرع وضع لبيان مصالح الخلق وانتظام أحوالهم في معاشهم ومعادهم. وانتظام حال الأول إنما يتم بوضع قانون المعاملات على وفق العدل. وانتظام حال الثانى إنما يوجد بالتوحيد، ويتم بالطاعات القلبية والعلمية والعملية.

وهذه الأحاديث بعضها ناص على الأول وبعضها على الثانى (**وعلى الله**) وفى نسخة زيادة «**الكريم**» (**اعتمادى**) أى معتمدى فى هذا الجمع وغيره (**وإليه**

تفويضى) أى رد أمورى (**واستنادى**) أى التجائى. وفى الحـديث القدسى: « **يابن آدم عليك التـوكل وعلىّ الكفـاية يابن آدم عليك الـتفـويض وعلىّ الحـفظ**» وفيـه أيضاً: « **من فوض أمره إلىّ من أمـتك حفظته من آفات الدنيا وأعتـقته من النار فى العقبى**».

(**وله الحمد**) ملكا واستحقاقاً واختصاصا (**والنعمة**) إيجاداً وإيصالاً إلى خلقه (**وبه**) أى بسبب عونه، وفى نسخة «**وبيده**»، أى بقدرته وتصريفه (**التوفيق**) وهو خلق قدرة الطاعة فى العبد (**والعصمة**) أى الحفظ من المعصية.

الحديث الأول

الأعمال بالنيات

١ـ عن أمير المؤمنين أبي حفص ـ عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّما الأَعْمَالُ بالنِّيَّات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فمن كانتْ هجـرتهُ إلى الله ورسوله فهجـرتُهُ إلى الله ورسوله، وَمن كانت هجـرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

رواه إماما المحدثين أبو عـبد الله محمد بن إسماعـيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَهْ الْبُـخَارِيُّ الجُعْـفِيُّ، وأبو الحسَـيْنِ مُسْلِمُ بنُ الحَـجَّاجِ بْن مُـسْلمٍ الْقُشَـيْرِيُّ النيسابُورِي في صَحيحَيْهِمَا اللَّذَيْن هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَة [١].

الشرح والبيان

(عن أميـر المؤمنين أبي حفص ـ عـمر بن الخطاب ـ رضى الله تعـالى عنه) هو أول من سمى أميـر المؤمنين على العموم، سماه بذلك بعضُ الصـحابة. وقيل: إنه قال للناس فى بعض خطبـه: أيها الناس أنتم المؤمنون وأنا أمـيركم. فسمى أمـير المؤمنين. وكان قبل ذلك يقال له: يا خليـفة خليفة رسول الله ﷺ، والذى كناه بأبى حفص؛ النبى ﷺ لما رأى فيه من الشدة. والحفص لغة: الأسد.

ولقبه بالفاروق؛ لأن الله تعالى فرق بـه بين الحق والباطل، فهو أول من جهر بالإسلام. وأيد الله به دعوة الصـادق المصدوق لما قال ﷺ: **«اللهم أعزَّ الإسلام بأحب الرجلين إليك: بعـمر بن الخطاب أو بعـمرو بن هـشام»**[٢] يعنى أبا جهل، فأصبح عمر فأسلم فقال رسول الله ﷺ: **«أتانى جبريل فقال: قـد استبشر»** أى فرح ـ **«أهلُ السماء بإسلام عمر»**[٣]

---

(١) البخارى فى بدء الوحى (١) ومسلم فى الإمارة (١٩٠٧/ ١٥٥) وأبو داود فى الطلاق (٢٢٠١) والترمذى فى فضائل الجهاد (١٦٤٧).

(٢) أحمـد (٢/ ٩٥) والترمـذى فى المناقب (٣٦٨١) وقال: حـسن صحـيح غريب، والطبـرانى فى الكبـير (١٠/ ١٠٣١٤) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ٦١، ٦٢) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بنحوه باختصار وقـال: رجال الكبير رجال الصحيح غـير مجالد بن سعيد وقـد وثق، ورواه أبو نعيم فى الحلية (٥/ ٣٦١) وعبد بن حميد فى المنتخب (٧٥٩).

(٣) لم أقف عليه فيما عندى من مصادر.

وكان إسلامه سنة ست، وقيل خمس من النبوة. وسببه أنه لما بلغه إسلام أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد قصدهما ليعاقبهما، فقرأت عليه شيئاً من القرآن فأوقع الله فى قلبه الإسلام؛ فأسلم، ثم جاء إلى النبى ﷺ وهو مع أصحابه فى دار عند الصفا فأظهر إسلامه فكبر المسلمون فرحاً بذلك، وبشره النبى ﷺ بالجنة، وشهد له بأن الله تعالى جعل الحق على لسانه وقلبه[1] وأن الشيطان يفر منه. ثم إنه خرج إلى مجامع قريش؛ فنادى بإسلامه، فأصابهم من ذلك كآبة [2] لم يصبهم مثلها. قال صهيب: لما أسلم عمر جلسنا حول البيت وتحلقنا وطفنا وانتصفنا ممن غلظ علينا.

وهو رضى الله تعالى عنه أفضل الصحابة بعد أبى بكر - رضى الله تعالى عنه، وأجمعوا على كثرة علمه، ووفور فهمه وزهده وتواضعه، ورفقه بالمسلمين واهتمامه بمصالحهم. وكان يبكى ليلا ونهاراً فسُئل عن ذلك فقال: قد وليت أمراً إن أعدل أحاسب، وإن أظلم أعاقب، وإن نمتُ نهاراً أضعتُ الرعية، وإن نمتُ ليلاً أضعت نفسى.

وكان يتصفح الناس أى ينظر فى شؤونهم وأحوالهم ويسألهم عن أمرائهم، وإذا بلغه عن أحد منهم أنه لا يعود المريض ولا يدخل على الضعيف عزله. ودخل عليه عامل له فوجده - رضى الله تعالى عنه - مستلقيا وصبيانه يلعبون على بطنه، فأنكر ذلك، فقال له عمر رضى الله تعالى عنه: كيف أنت مع أهلك؟ قال: إذا دخلتُ عليهم سكت الناطق، فقال له: اعتزل عنا فإنك لا ترفق بأهلك وولدك، فكيف ترفق بأمة محمد ﷺ؟

وكان رضى الله تعالى عنه يتعاهد العميان والزمنى[3] والعجائز والصبيان ليلاً، ويحمل إليهم الماء والحطب بنفسه، ويخرج عنهم الأذى. وكان يأتى إلى

(١) الترمذى فى المناقب (٣٦٨٢) وقال: حسن غريب، وابن ماجة فى المقدمة (١٠٨) وأحمد (٢/ ٥٣، ٩٥، ٤٠١ و٥/ ١٤٥، ١٦٥) والطبرانى فى الكبير (١/ ١٠٧٧) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ٦٦) فيه أبو بكر بن أبى مريم وقد اختلط. قلت: وهو حديث صحيح لوروده من طرق حسنة عن ابن عمر وأبى ذر وأبى هريرة ومعاوية.

(٢) كآبة: أى غم وحزن شديد.

(٣) الزمنى: مفردها الزَّمِن وهو المرض الذى يدوم.

النساء اللاتى غاب عنهن أزواجهن، ويقول لهن: ألكن حاجة؟ فيرسلن معه جواريهن فيشترى لهن ما يحتجن إليه، ومن كانت لا تملك شيئا يشترى لها من عنده.

ومناقبه ـ رضى الله تعالى عنه كثيرة ـ منها: أنه أرسل جيشاً وأمر عليهم «سارية» فاشتد عليهم الحال وكثرت جموع الأعداء عليهم، فبينما هو يخطب بالمدينة إذ نادى بأعلى صوته ثلاث مرات: ياسارية الجبل فسمعه سارية ومن معه، وهم بأرض العجم، فانحازوا إلى الجبل فنصرهم الله على الأعداء[1].

وأتت زلزلة عظيمة فى زمنه حتى كادت أن تقع، فضرب الأرض بسوطه، وقال لها: اسكنى إن لم أكن عدلا فويلٌ لعمر فسكنت ولم يأت بعدها مثلها. وكتب إليه عمرو بن العاص وهو أمير على مصر: أن النيل لا يزيدُ زيادته المعتادة إلا أن تُلقى فيه امرأة بكر، فأرسل إليه عمر كتاباً فيه:

«من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر: أما بعد: فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجرى، وإن كان الواحد القهار يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك، وأمره أن يلقيه فى النيل بدل المرأة. فألقاه عمرو فيه؛ فزاد زيادة عظيمة، ولم يلق فيه بعد ذلك امرأة

وكانت نار تأتى كل عام إلى المدينة المنورة فشكا المسلمون له ذلك، فقال لغلامه: خذ هذا الرداء فإذا جاءت النار فأفرده فى وجهك، وقل: يانار هذا رداء عمر بن الخطاب، فهى ترجع لوقتها. فلما جاءت فعل الغلام ما أمره به سيده، فرجعت في الحال، ولم تعد.

وروى له عن رسول الله ﷺ خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثا. وعاش ثلاث وستين سنة. ومات شهيدا بطعنة طعنها له أبو لؤلؤة المجوسى، ودفن فى الحجرة عند النبى ﷺ. قيل: كان عليها قفل فانفتح من غير أن يفتحه أحد، وسمعوا قائلا منها يقول: أدخلوا الحبيب إلى الحبيب فإن الحبيب إلى الحبيب مشتاق، ولما توفى أظلمت الأرض فجعل الصبى يقول لأبيه :أقامت القيامة؟ فيقول: لا يابنى، ولكن قتل عمر. وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال.

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/١٧٨).

(**قال**) نفعنا الله به (**سمعت رسول الله ﷺ**) أى سمعت صـوته حال كونه (**يقول: إنما الأعمال بالنيات**) أى إنما صحتها بنيـاتها؛ فلا يصح العمل بدون نية. وقيل: لا حاجة إلى تقـدير هذا المضاف وهو صحة؛ لأن المراد نفى حقـيقة العمل بانتفاء ركنه أو شرطه وهو الـنية والتقدير إنما وجود الأعمال شـرعا كائن بالنيات، فإذا انتفت النية انتفى العمل، بمعنى: أنه غير معـتبر شرعا. ثم إن الحصر المستفاد من «**إنما**» أكثرى لا كلى، إذ قد يصح العمل بـلا نية كالأذان والقراءة وغسل الميت وإزالة النجاسة.

(**وإنما لكل امرئ**) أى إنسان (**ما نوى**) أى جزاء ما نواه فى عمله، من خير أو شر. فهـذه الجملة أفادت غيـر ما أفادته التى قبلها؛ لأن تـلك أفادت أن العمل لا يكون معتـبرا شرعاً إلا بالنيـة، وهذه أفادت أن الإنسان يعود عليـه من نفع عمله وضرره بحسب نيته.

كما حكى أن أخـوين كان أحدهما عابـدا والآخر عاصيا، فـجاء إبليس يوما إلى العابد وقـال له: واأسفا عليك ضيـعت عمرك في حصـر نفسك [1] وإتعاب بدنك، فأطلق نفسك فى شهواتها، فقال فى نفسه: لعلى أنزل إلى أخى فى أسفل الدار وأوافقه على ما هو فيه من اللذات ثم أتوب. وأمـا العاصى فإنه استيقظ من سكره فوجـد نفسه في حـالة رديئة قد بال على ثيـابه وهو مطروح على التراب، فقـال: قد أفنيـت عمرى فـى المعاصى، وأخى يتلذذ بطاعـة ربه؟ ثم تاب ونوي الخير، وطلع ليوافق أخاه على الطاعة، ونزل أخـوه على نية المعصية، فسقط على أخيه؛ فوقعا ميتين فيحشر العابد على نية المعصية، ويحشر العاصى على نية الطاعة.

وقيل: إنها تفيد تخصيص الألفاظ بالنية فى الزمان والمكان، وإن لم يكن فى اللفظ ما يقتضى ذلك، كمن حـلف لا يدخل دار فلان وأراد فى شهر كذا أو سنة كذا، أو حلف لا يكلم فلانا وأراد كلامه بالقاهرة مثلا دون غيرها، فإن له ما نوى ولا كفارة عليه.

وقيل: إنها تفيـد أن الأعمال العادية تصير طاعة يثاب عليـها فاعلها إذا نوى بها القربة كالأكل والشرب، إذا قصد بهما التقوى على العبادة. والنوم إذا قصد به الاستراحة لأجل الاستيـقاظ لصلاة الصبح أداء. والوطء إذا أراد به العفة عن الزنا

---

(١) حصر نفسك: أى حبسها والتضييق عليها.

وحصول النسل. والتنظف إذا نوي به دفع الروائح المؤذية لعباد الله. والإنفاق على الزوجة والرقيق والدابة إذا قصد به امتثال أمر الشارع.

وقيل: إنها تدل على أن من نوى شيئا يحصل له وإن لم يعمله لمانع شرعى، كمريض تخلف عن الجماعة، وكان قصده فعلها لولا المرض.

وقد ورد: **«أن الله تعالى يقول للحفظة يوم القيامة: اكتبوا لعبدى كذا وكذا من الأجر فيقولون: ياربنا لم نحفظ ذلك منه، ولا هو فى صحيفته فيقول الله تعالى: إنه نواه»**.

وقيل: إنه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيدفع له كتاب فيأخذه بيمينه، فيجد فيه حجا وجهادا وصدقة وما فعلها، فيقول: هذا ليس بكتابى فإنى ما فعلت شيئا من ذلك، فيقول الله تعالى: هذا كتابك لأنك عشت عمرا طويلاً وأنت تقول: لو كان لى مال حججت منه، لو كان لي مال تصدقت منه، فعرفت ذلك من صدق نيتك وأعطيتك ثواب ذلك كله. وفى الحديث: **«نية المؤمن أبلغ من عمله، ونية الفاجر شر من عمله»**[1] وفى رواية: **«وإن الله عز وجل ليعطى العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله»**[2] أى لأن النية لا رياء فيها، والعمل يخالطه الرياء، ولأنها تحتمل التعدد والتكثر فى العمل الواحد، فيتضاعف أجره بقدر النيات فيه، كما إذا جلس شخص فى المسجد بنية الاعتكاف وانتظار الصلاة والعزلة وقراءة القرآن، وحفظ السمع والبصر واللسان عما لا يعنيه وعمارة المسجد بالذكر. فينبغى للعاقل أن يكثر من النيات الصالحة ليحوز ثوابها.

حكى أن جماعة دخلوا على بعض الصوفية يعودوه فى مرضه فقال لهم: انوو بنا حجا، انووا بنا كذا وعدد لهم أنواعا من البر فقالوا له: كيف وأنت على هذه الحالة؟ فقال: إن عشنا وفينا، وإن متنا حصل لنا أجر النية.

(**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله**) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر، ومن شرطية وجوابها قوله (**فهجرته إلى الله ورسوله**) والتقدير: إذا عرفت أن

---

(١) أبو نعيم فى حلية الأولياء (٣/ ٢٥٥) والخطيب فى تاريخ بغداد (٩/ ٢٣٧) والديلمى (٧٠٩٦) وقال الألبانى فى ضعيف الجامع (٦/ ١٧) ضعيف.

(٢) الديلمى (٧٠٩٧) عن أبى موسى وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة (٤٥٠) ضعيف.

الأعمال بحسب النيات. وإن حظ العبد من عمله نيته لا صورته، فمن كانت نيته فى الهجرة التقرب إلى الله تعالى والامتثال لرسوله؛ **فهجرته إلى طاعة الله تعالى** وامتثال رسوله مقبولة عندهما، ويثاب عليها. فالجزاء كناية عن قبولها والإثابة عليها. والمذكور مستلزم لذلك دال عليه، فأقيم السبب مقام المسبب.

وقال بعضهم: إذا اتحد لفظ الشرط والجواب يعلم منه المبالغة إما فى التعظيم كما فى هذه الجملة، وإما فى التحقير كما فى الجملة التى بعدها وهى **(ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها)** أى يحصلها **(أو امرأة ينكحها)** بكسر الكاف أى يتزوجها ـ **(فهجرته إلى ما هاجر إليه)** من الدنيا أو المرأة أى هى منصرفة لهما وإن كانت صورتها صورة الهجرة إلى الله ورسوله. والمعنى: ومن كانت نيته فى الهجرة تحصل الدنيا أو التزوج بالمرأة، فهجرته إلى ما هاجر إليه من الدنيا أو المرأة قبيحة غير مقبولة، فلا ثواب له فيها؛ لأن قاصد الأولى تاجر، وقاصد الثانية خاطب، وليس واحد منهما بمهاجر لله ورسوله.

ومعنى الهجرة شرعاً: مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام، وهى واجبة على من لا يمكنه إظهار دينه أو يخاف فتنة وقد أطلقها فى الحالتين. وقد وقعت فى زمنه ﷺ على وجهين:

الأول: انتقال بعض الصحابة من مكة إلى الحبشة، وذلك أنه لما اشتد عليهم الأذى من المشركين أمرهم النبى ﷺ بالهجرة إلى أرض الحبشة سنة خمس من النبوة، ثم بلغهم أن أهل مكة أسلموا؛ فقدموا فى تلك السنة فوجدوهم لم يسلموا واستقبلوهم بالأذى. فلما كان سنة سبع من النبوة ذهبوا ثانية إلى أرض الحبشة بأمره ﷺ ، ثم لحقوه إلى المدينة بعد أن أعلى الله كلمته.

الثانى: انتقال من كان منهم بمكة إلى المدينة بعد البعثة بثلاثة عشر سنة.

ثم اعلم أن حقيقة الدنيا جميع المخلوقات قبل الدار الآخرة. وتطلق على ما يتمتع به من ذهب وفضة وامرأة وملبوس ونحو ذلك. وهذا هو المراد هنا. ونص ﷺ على المرأة مع دخولها فى مسمى الدنيا إيذانا وإعلاما بشدة فتنتها، ولأن سبب هذا الحديث: أن رجلا أراد أن يتزوج بامرأة يقال لها أم قيس؛ فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر؛ فهاجر لأجلها.

وقال بعضهم: يحتمل أنه هاجر لمالها مع نكاحها؛ فجمعهما لذلك. ولم يكرر ذكرهما كما كرر ذكر الله ورسوله؛ حثا على الإعراض عن الدنيا والنساء، وعدم الاحتفال بشأنهما، وتنبيها على أن العدول عن ذكرهما أبلغ في الزجر عن قصدهما لدناءتهما. أي خستهما.

قال الشاعر:

أعاف دنيا تسمى من دناءتها ... دنيا وإلا فمن مكروهها الداني[1].

وقال غيره:

أف للدنيا الدنية ... خبثت فعلا ونية
عيشها بدؤه هم ... وفي عقباه المنية

وقال الفرزدق:

لا تعجبنك دنيا أنت تاركها ... كم نالها من أناس ثم قد ذهبوا

وقال بعضهم:

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ... ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه ... فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقال آخر:

إن لله عبادا فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما عرفوا ... أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة[2] واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

ومما جاء في ذم النساء ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما تركت في الناس بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» [3] أي لعدم الاستغناء عنهن، وهو يحمل على الزنا، وعلى ما يُشغل عن طلب أمور الآخرة من الانهماك على طلب الدنيا وذلك أشر الفساد.

---

(١) الداني: القريب.

(٢) اللجة: معظم الماء.

(٣) البخاري في النكاح (٥٠٩٦) ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٤٠).

وقال الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ

رأيت الهم في الدنيا كثيرا ... وأكثره يكون من النساء
فلا تأمن لأنثى قط يوما ... ولو قالت نزلت من السماء

وقال بعضهم:

إن النساء شياطين خلقن لنا ... نعوذ بالله من شر الشياطين
فهن أصل البليات التى ظهرت ... بين البرية فى الدنيا وفى الدين

وقيل إن كيدهن أعظم من كيد الشيطان؛ لأن الله تعالى يقول: **﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾** [النساء: ٧٦] وقال الله تعالى: **﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾** [يوسف: ٣٨].

وفى كلام سيدنا على رضى الله تعالى عنه: إن فيهن ثلاث خصال من خصال اليهود: يتظلمن وهن الظالمات، ويتمنعن وهن الراغبات، ويحلفن وهن الكاذبات، فاستعيذوا بالله من شرارهن، وكونوا على حذر من خيارهن. وقال بعضهم: ما نهيت امرأة عن شيء قط إلا أتته. وفى معنى ذلك قال الشاعر:

إن النساء متى ينهين عن خلق ... فإنه واجب لابد مفعول

ثم إن هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ وقد تواتر النقل عن الأعلام بعموم نفعه وعظيم وقعه.

وابتدأ المصنف كتابه به تبعا للسلف، فإنهم كانوا يحبون افتتاح مصنفاتهم به لعموم الحاجة إليه. وقال أبو عبيد: ليس فى الأحاديث أجمع وأغنى وأكثر فائدة منه.

وقال بعضهم: إنه نصف العلم لتضمنه حكم النيات التى محلها القلب. وأعمال القلب تقابل أعمال الجوارح. وقال كثيرون: إنه ثلثه لأن كسب العبد إما بقلبه أو بلسانه أو بجوارحه، فالنية أحدها بل هى أرجحها؛ لأنهما تابعان لها صحة وفساداً وثوابا وحرمانا.

(رواه) أى نقله (**إماما المحدثين**) أى المصنفين فى علم الحديث، وسميا إمامين

لأنهما بـلغا الغاية فى الزهد والورع والاجتـهاد فى تخريج الصحـيح من الحديث حتى ائتم بهما من جاء بعدهما.

أحدهما (**أبو عبد الله محمد بن إسـماعيل بن إبراهيم بن المغيرة**) بضم فكسر (**ابن بردزبه**) بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فدال مهملة مكسورة فزاى ساكنة فموحدة مفتـوحة فهاء ساكنة، اسـم فارسى ومعناه: الزارع (**البخارى**) بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجـمة وبالراء المكسورة بعد الألف، نسبة إلى بخـارى بلدة معروفة. ولد بها - رضى الله تعـالى عنه - بعد صلاة الجـمعة لثلاث عـشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة

(**الجعفى**) بضم الجيم وسكون العين المهملة ففـاء، نسبة إلى اليمان بن أخنس الجعفى وإلى بُخارى. وإنما نُسب إليه لمـا له عليه من ولاء الإسلام بسبب أن جده المغيرة أسلم على يديه، ومات بردزبه على دين قومه، وكـان مجوسيا - نعوذ بالله من سوء الخاتمة آمين - .

ومحاسـن هذا الإمام لا تحصى، ومناقبـه لا تستقصى، ألهم حـفظ الحديث وهو ابن عشر سنين أو أقل. وقيل: إنه كان يحـفظ وهو صبى سبعين ألف حديث سرداً، وكـان إذا نظر فى الكتاب مرة واحـدة حفظ ما فيـه. وروى عنه أنه قال: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتى ألف حديث غير صحيح.

وكان - رضى الله تعالى عنه - يخـتم فى رمضان كل يوم ختمـة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بخـتمة. وكان فى سعة من الدنيـا، قد ورث من أبيه مالا كثيـرا، وكان يتصدق بـه، وربما كان يأتى عليه نهار، ولا يأكل فـيه إلا لوزتين أو ثلاثا. وقيل: إنـه كان يصوم الدهر لا يفطر إلا لعـذر شرعى، وكـان زاهدا ورعاً مفرطا فى الكرم. وكان من العلماء العاملين، وممن تنزل الرحمة عند ذكرهم.

ومن كلامه - رضى الله تعالى عنه -:

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع　　　فعسى أن يكون موتك بغتة [1].

كم صحيح رأيت من غير سقم　　　ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

---

(١) بغتة: فجأة.

ومن مناقبه ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن كتابه المشهور لم يقرأ فى كرب إلا فرج، ولا ركب به فى مركب فغرقت وقد دعا لقارئه. ويقال: إنه أخرجه من نحو ستمائة ألف حديث، وإن مدة تصنيفه ست عشرة سنة.

وحُكى أن أمير بخارى طلب منه أن يأتيه بكتابه المذكور ويحدثه به فى قصره، فامتنع من ذلك، وقال: لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس؛ فطلب منه أن يعقد مجلسا لأولاده ولا يحضر معهم غيرهم؛ فامتنع من ذلك أيضا، وقال: لا يسعنى أن أخص قوما بالسماع دون قوم. فحصل بينهما وحشة بسبب ذلك، فأمره الأمير بالخروج من البلد، فدعا عليه، فلم يمض شهر حتى ورد أمر الخليفة بأن ينادى عليه فى البلد فنودى عليه، وهو على حمار وحبس إلى أن مات، ولم يبق أحد ممن ساعده إلا ابتلى ببلاء شديد.

ولما خرج من بخارى كتب إليه أهل سمرقند يطلبونه إلى بلدهم؛ فسار إليهم. فلما كان بخرتنك ـ بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح المثناة الفوقية وسكون النون ـ قرية على فرسخين من سمرقند، بلغه أنه وقع بينهم بسببه فتنةٌ، فقوم يريدون دخوله وقوم يكرهونه، فأقام بخرتنك حتى ينجلى الأمر، فضجر ليلة فدعا وقد فرغ من صلاة الليل، فقال: اللهم قد ضاقت علىّ الأرض بما رحبت، فاقبضنى إليك. فمات فى ذلك الشهر ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، وعمره اثنان وستون، ودفن بالقرية المذكورة، وفاح من قبره رائحة أطيب من المسك، واستمرت أياما كثيرة حتى تواترت عند جميع أهل تلك الناحية.

(و) ثانيهما: **(أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى)** بضم القاف وفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة تحت، نسبة إلى قشير بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة، قبيلة كبيرة **(النيسابورى)** بفتح النون وسكون المثناة التحتية نسبة إلى نيسابور بفتح النون، أعظم مدائن خراسان.

ولد رضى الله تعالى عنه سنة أربع ومائتين، وأخذ الحديث عن أحمد بن حنبل وحرملة، وخلائق كثيرين، وصنف صحيحه من ثلاثمائة ألف حديث، ومات سنة إحدى وستين ومائتين. ودُفن بنيسابور، وقبره بها مشهور يزار ويتبرك به .

قيل: إن وفـاته كانت بسبب غريب نشـأ من غمرة ــ أى شدة ــ فكرة علـمية وذلك أنه عقد لـه مجلس للمذاكرة، فذكـر له حديث فلم يعرفـه، فانصرف إلى منزله فأوقد السراج وقال لمن بداره: لا يدخل على أحد منكم. فقالوا: أهديت لنا سلة[1] تمر، وقدموها له. فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة فـأصبح وقد فنى التمر ووجد الحديث، فمات ـ نفعنا الله به.

(فى صحـيحـيهـما) متـعلق برواه، والضميـر عائد على الإمامين البـخارى ومسلم. يعنى أنهما رويا هذا الحديث أى نقلاه فى صحيحيهما **(اللذين هما أصح الكتب المصنفة)** أى المؤلفة فى الحديث بإجماع المحققين من العلماء.

وقول الإمام الشافعى: ما بعد كتاب الله أصح من الموطأ؛ لا يقدح فى ذلك؛ لأنه كان قبل وجودهما.

وذهب الجمهـور إلى أن أصحهما كـتاب البخارى؛ لأنه أى البـخارى كان لا يروى عن شخص حتى يجتمع به، ومسلم يكتفى بالمعاصرة.

ويدل لما ذكر تقسيم المحدثين الحديث الصحيح إلى سبعة أقسام:

أحدها: ما اتفق عليه الشيخان.

ثانيها: ما انفرد به البخارى.

ثالثها: ما انفرد به مسلم.

رابعها: ما خرج على شرطهما.

خامسها: ما خرج على شرط البخارى.

سادسها: ما خرج على شرط مسلم.

سابعها: ما حكم بصحته إمام معتبر ولا معارض له.

---

(١) سلة: وعاء يحمل فيه الفاكهة كما فى المصباح.

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ النية أساس العبادات في الإسلام وأن محلها هو القلب وهي أول شرط لقبول الأعمال.

٢ ـ ليس الوطن بالضرورة هو مسقط الرأس، بل إن وطن المسلم هو المكان المناسب للدعوة في سبيل الله وأن أي أرض مهما كانت ليست وطنا للمسلم ما دامت هي أرض لا تصلح لغرس هذه الدعوة.

٣ ـ اعتبار الأرض أرض إيمان أو كفر مرتبط بحسب ساكنيها فكل أرض سكنها المسلمون هي أرض إيمان وكل أرض سكنها الكفار هي أرض كفر فإن تبدلت أصبحت أرض بحسب ساكنيها.

*****

الحديث الثانى

مراتب الدين

عن عمـر أيضا ـ رضى الله تعـالى عنه ـ قال: بينما نحـن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السـفر ولا يعرفـه منا أحد، حتى جلس إلى النبى ﷺ، فـأسند ركبتـيه إلى ركبـتيه، ووضع كفـيه على فخذيـه، وقال: يا محمـد، أخبرنى عن الإسلام، فـقال رسول الله ﷺ: «الإسـلام أن تشهـد أن لا إله إلا الله وأن محـمدا رسول الله، وتـقيم الصـلاة، وتؤتى الزكاة، وتصـوم رمضـان، وتحج البيت إن اسـتطعت إليـه سبـيلا» قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصـدقه. قال: فأخبرنى عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله، وملائكتـه، وكتبـه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقـدر خيره وشـره» قال: صدقت، قال: فأخبرنى عن الإحسان. قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قـال: فأخبـرنى عن الساعة، قـال: «ما المسؤول عنهـا بأعلم من السائل» قال: فأخـبرنى عن أماراتها. قال: «أن تلد الأمـة ربتها، وأن ترى الحفـاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان».

ثم انطلق، فلبثت مليا، ثم قـال لى ﷺ: «يا عمر أتدرى من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» رواه مسلم[1].

الشرح والبيان

(**عن**) سيدنا (**عمر**) بن الخطاب (**أيضا**) أى كما عنـه الحديث الأول، وقد تقدمت ترجـمته (**رضى الله تعالى عـنه قال: بينما نحن جـلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا**) أى ظهر لنا (**رجل**) وهو جبريل عليه السلام أتى إلى النبى ﷺ فى صورة رجل لا يعرفونه. وكان فى الغالب يأتيه فى صورة دحية ـ بكسر الدال ـ الكلبى الصحابى، وكان أجمل أهـل زمانه وأحسنهم صورة. وجملة نزول جبريل على النبى ﷺ أربعة وعشرون ألف مرة، وقيل غير ذلك (**شديد بياض**

---

(١) مسـلم فى الإيمان (١/ ٨) والبـخـارى فى الإيمان بنحـوه (٥٠)، وأبو داود فى السنة (٤٦٩٥) وأحـمـد (١/ ٥١) والتـرمذى فى الإيمان (٢٦١٠) وقـال: حديث حـسن صـحيح والنسـائى فى الإيمان (٨/ ٩٧ ـ ١٠١) وابن ماجه فى المقدمة (٦٣).

الثياب شديد سواد الشعر) بفتح العين وتسكن، أى شعر اللحية كما وقع مصرحا به فى رواية لابن حبان[1]. ومجيئه فى تلك الهيئة الحسنة يدل على استحباب التجمل للقادم على الكبراء ولطالب العلم ومعلمه؛ لأنه قدم على سيد الكبراء معلما للصحابة فى صورة متعلم.

ونقل عن ابن عبد السلام أنه قال: لا بأس بلباس شعار العلماء الذين يعرفون به، فإنى كنت محرما فأنكرت على جماعة محرمين لا يعرفوننى ما أخلوا به من آداب الطواف؛ فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت عليهم ذلك؛ سمعوا وأطاعوا، فإذا لبسها فقيه لمثل ذلك كان له أجر؛ لأنه سبب لامتثال أمر الله، والانتهاء عما نهى عنه.

وقوله **(لا يرى عليه أثر السفر)** روى بضم المثناة التحتية مبنيا للمفعول، فأثر بالرفع نائب الفاعل. وروي بالنون المفتوحة مبنيا للفاعل، فأثر بالنصب مفعول. والرواية الأولى أبلغ. والمعنى: لا يرى أحد عليه أثر السفر. أى علامته وهيئته من غبرة وشعوثة **(ولا يعرفه منا)** أى معاشر الصحابة **(أحد)**.

وقوله **(حتى جلس)** أى فجلس، فحتى ابتدائية، ويصح أن تكون غائية، فتتعلق بمحذوف، أى فسلم واستأذن ودنا حتى جلس **(إلى النبى ﷺ)** أى عنده أو معه قريباً منه **(فأسند)** أى ألصق **(ركبتيه إلى ركبتيه)** أى وضع الرجل ركبتيه متصلتين بركبتى رسول الله ﷺ **(ووضع)** أى الرجل **(كفيه على فخذيه)** أى فخذى النبى ﷺ . وإنما فعل ذلك للتنبيه على أنه ينبغى للسائل عدم الاستحياء عند السؤال، وينبغى للمسؤول الصفح عن السائل وإن تعدى ما ينبغى من الاحترام للمسؤول والأدب معه

(وقال: يا محمد أخبرنى عن الإسلام) أى عن حقيقته. وكذا يقال فيما بعده. وناداه باسمه مع أنه حرام؛ لأن ذلك كان قبل التحريم، أو لأن الحرمة مختصة بالآدميين دون الملائكة. وإنما فعل ذلك ليقوى ظن الصحابة أنه من جفاة الأعراب[2] لمزيد التعمية عليهم.

---

(١) ابن حبان (١٦٨ـ إحسان).

(٢) جفاة الأعراب وهم أصحاب القلوب الغليظة.

(**فقال رسول الله ﷺ**) مجيباً له (**الإسلام أن تشهد**) أى تعلم وتصدق وتسلم (**أن لا إله إلا الله**) أى لا معبود بحق إلا الله (**وأن محمداً**) أى وأن تشهد أن محمدا (**رسول الله**) أرسله إلى الناس ليعلمهم دينهم (**و**) أن (**تقيم الصلاة**) أى تأتى بها بأركانها وشروطها وتواظب عليها فى أوقاتها (**و**) أن (**تؤتى الزكاة**) أى تعطيها لمستحقيها أو للإمام ليدفعها لهم (**و**) أن (**تصوم**) شهر (**رمضان**) أى تمتنع عن جميع المفطرات فى أيامه (**و**) أن (**تحج البيت**) أى تقصد بيت الله الحرام للنسك، وتأتى بأفعاله (**إن استطعت إليه سبيلا**) أى إن قدرت على الوصول إليه بدون مشقة عظيمة، مع الأمن على النفس والمال ووجود مؤن السفر.

(**قال**) أى الرجل (**صدقت**) أى فيما أجبت به. قال عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ : (**فعجبنا له**) أى منه (**يسأله ويصدقه**) ووجه تعجبهم أن سؤاله قرينة على عدم علمه بما سأل عنه، وتصديقه يقتضى أنه عالم به ثم زال تعجبهم لما علموا أنه جبريل؛ لأنه ظهر أنه كان عالما فى صورة متعلم تعليما لهم وتقوية لإيمانهم.

(**قال**) أى الرجل (**فأخبرنى عن الإيمان، قال**) أى النبى ﷺ مجيباً له عن ذلك: (**أن تؤمن**) إن وصلتها في موضع رفع خبر مبتدأ محذوف، أى الإيمان هو أن تؤمن أى تصدق (**بالله**) أى بوجوده وربوبيته ووحدانيته، وأنه متصف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص ومحال (**وملائكته**) أى وأن تؤمن بملائكته، وهم أجسام نورانية قادرون على التشكل بأشكال مختلفة. ومعنى الإيمان بهم التصديق بوجودهم، ﴿ **عِبَادٌ مُكْرَمُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٢٦] ﴿**لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦] وهم بالغون فى الكثرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى. وقد ورد مرفوعا: « **ما فى السموات السبع موضع قدم ولاشبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد** » [(١)] .

وذكر بعضهم: أن من أعجب ما خلق الله فيهم ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار، وهو يسبح الله تعالى ويقدسه ويمجده ويوحده، ويقول في كلامه: اللهم يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين.

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير (٢/ ١٧٥١) وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ٥١، ٥٢) فيه عروة بن مروان قال عنه الدارقطنى فى ميزان الاعتدال (٣/ ٦٤) ليس بقوى الحديث.

فائـــــدة

يجب علينا معرفة عشرة من الملائكة تفصيلا، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ومنكر ونكير ورضوان ومالك وكاتبا الحسنات والسيئات، ويسمى كل منهما رقيبا عتيدا.

(وكتبه) أى وأن تؤمن بكتبه التى أنزلها على رسله. ومعنى الإيمان بها: التصديق بأنها كلام الله تعالى، وأن جميع ما تضمنته حق، واختلف فى عددها فقيل: إنها مائة وأربعة، وقيل غير ذلك. ويجب معرفة أربعة منها تفصيلا، وهى: التوراة لسيدنا موسى، والإنجيل لسيدنا عيسى، والزبور لسيدنا داود، والقرآن لسيدنا محمد ﷺ وعليهم أجمعين

(ورسله) أى وأن تؤمن برسله بأن تصدق بأن الله تعالى أرسلهم إلى الخلق لهدايتهم إلى طريق الحق، وأنهم صادقون فى جميع ما جاؤوا به عن الله تعالى - وتقدم أنه يجب معرفة خمسة وعشرين منهم بأسمائهم ومر بيانهم.

(واليوم الآخر) أى وأن تؤمن باليوم الآخر، وهو يوم القيامة. وسمى آخراً؛ لأنه لا ليل بعده. ومعنى الإيمان به التصديق بوجوده، وبجميع ما اشتمل عليه من بعث المخلوقات، وحسابهم، ووزن أعمالهم، ومرورهم على الصراط، وإدخال بعضهم النار بالعدل وبعضهم الجنة بالفضل.

(وتؤمن بالقدر خيره وشره) أي بأن تعتقد وتصدق بأن الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق، وأن جميع ما كان وما يكون بقضاء الله تعالى وقدره وإرادته. وأعاد العامل وهو تؤمن إما لبعد العهد وإما للاهتمام بشأن الإيمان بالقدر، إذ لا يؤمن به كل أحد ولا يعلمه إلا حاذق [1] بأمور الدين وقد جاء فى الحديث: أن الإيمان به يذهب الهم والحزن[2] .وكان السلف الصالح يجيبون من سألهم عن القضاء والقدر بقولهم: أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

---

(١) الحاذق: الذى يعرف دقائق الأمور.

(٢) يقول ﷺ «الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن» رواه السيوطى فى الجامع الصغير (٣١٠١) وعزاه للحاكم فى التاريخ والقضاعى عن أبى هريرة وقال: ضعيف، وذكره صاحب كنز العمال (٤٨١).

وروى عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما أرسلني في حاجة فلم تتهيأ إلا قال: « **لو قضى كان ولو قدر كان** »[1] وورد أن الله تعالى قال: خلقت الخير والشر؛ فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه، وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه. وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف[2].

وبالجملة فجميع أفعال العباد وما يحصل لهم من نفع أو ضر إنما هو على حسب ماسبق فى علمه تعالى - فلا ينفع حذر من قدر.

حُكى أن ملكا قال له منجموه: إنك تموت فى اليوم الفلانى، فى الوقت الفلانى بلدغة عقرب. فلما آن الوقت تجرد من ثيابه وركب فرسه بعد غسلها وتسريح شعرها ودخل بها البحر حذراً؛ فعطست فخرج من منخرها عقرب فلدغته، فمات. وما أغناه الحذر من القدر.

(قال) أى الرجل السائل **(صدقت)** أى فيما أخبرتنى به. ثم **(قال فأخبرنى عن الإحسان)** يعنى به الإخلاص. ويجوز أن يُراد به إتقان العمل من قولهم: أحسن في كذا إذا أتقنه وأجاد فعله.

(قال) أى النبى ﷺ **(أن تعبد الله كأنك تراه)** أى أن تطيعه وأنت مخلص له فى العبادة، خاضع ذليل خاشع، كأنك تعاينه **(فإن لم تكن تراه فإنه يراك)** أى فإن لم تكن فى عبادته كأنك تراه بأن غفلت عن تلك المشاهدة فاستمر على إحسان العبادة، واستحضر أنك بين يدى الله تعالى وأنه مطلع على سرك وعلانيتك؛ ليحصل لك أصل الكمال.

وقد ذكر العلماء أن للعبد فى عبادته ثلاثة مقامات:

الأول: أن يفعلها على الوجه الذى يسقط معه الطلب، بأن تكون مستوفية للشروط والأركان.

---

(١) أبو نعيم فى الحلية (٦/ ١٧٩) والبيهقى فى الشعب (١٩٤).

(٢) الإتحافات السنية فى الأحاديث القدسيه (١٠٨) وعزاه للبيهقى فى الاعتقاد.

الثاني: أن يفعلها كـذلك وقد استغرق فى بحر المكاشفـة حتى كأنه يرى الله تعالى وهذا مقام المشاهدة.

الثالث: أن يفعلهـا كذلك وقد غلب عليـه أن الله تعالى يشاهده وهذا مـقام المراقبة.

وكل من المقامات الثلاثة إحسان، إلا أن الإحـسان المشروط في صحة العبادة إنما هو الأول. وأما الإحسان بالمعنيين الأخيرين؛ فهـو من صفة الخواص، ومتعذر من كثيرين.

وقال بعضهم: من راقب الله فى خواطره عصمه الله فى جوارحه. وسئل ابن عطاء: ما أفضل الطاعات؟ فقال: مراقبة الحق على دوام الأوقات.

وحكى أن بعض المشايخ كان يخص بعض تلامذته بإقباله عليه، فقالوا له فى ذلك، فدفع إلى كل واحد منـهم طيراً، وقال: اذبحه بحيث لا يراه أحـد. فمضى كل واحد فذبح ما مـعه بمكان خال. وجاء هذا التلميذ ومعه الطيـر غير مذبوح، فسأله الشيخ عن عدم ذبحه، فقال: إنك أمرتنى أن أذبحه بحيث لا يراه أحد، ولم يكن موضع إلا والحق سـبحانه وتعـالى يراه. فقال الشيـخ لتلامذته: لهذا أقـدمه عليكم، فإن الغالب عليكم رؤية الخلق، وهذا غير غافل عن الحق.

وقال الأستاذ البكرى نفعنا الله تعالى به:

إنْ رمت تـدنو مـن المعـــالى ... وترتـقى أحـــسـن المســالك

وتحظـى بالقـــرب والتــــدانى ... وتنجـــو أيضـا من المـهـالك

وعنك حـــجب البـعـــاد تجلي[1] ... وتجـرى مـا شـئـت فى الممـالك

وينـجلـى عنـك كل غـــيـم ... وتنمـــحى ظلمـة الحـوالك[2]

فـــفـــرِّغ القلـب من ســواه ... وراقب الله فـى فـــعـــالك

---

(١) تجلى: تكشف.

(٢) الحوالك: السواد.

(قال) أى الرجل **(فأخبـرنى عن الساعة)** أى عن وقت مجيئـها. والمراد بها القيامة. وسميت ساعة؛ لأنها تأتى الناس بغتة في ساعة، فيموت الخلق كلهم في مكانهم بصيحة واحدة؛ حتى إن أحدهم يرفع اللقمة إلى فيه فلا يطعمها.

(قال) النبى ﷺ **(ما المسؤول عنها)** أي عن وقت مجـيئـها **(بأعلم من السائل)** أي كلانا سواء فى عدم العلم بزمن وقوعها.

وقيل: إن رجلا أتى النبى ﷺ فقال له: متى قـيام الساعة؟ وإنى قد ألقيت حبـاتى فمـتى السماء تمطر؟ وحـمل امرأتى ذكـر أم أنثى؟ وما أعـمل غداً؟ وأين أموت؟ فنزل قـوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ [لقمان: ٣٤] والحق: أن الله سبحانه وتعـالى لم يقبض نبينا ﷺ حتى أطلعه على كل مـا أبهمه عليه إلا أنه أمره بكتم البعض والإعلام بالبعض (١)

(قال) أى الرجل: **(فأخبـرنى عن أمارتها)** بفتح الهمزة. وروى « **أماراتها**» بالجمع، أى علاماتها ومقدماتها التى تظهر قبل قيامها، وتدل على قربها **(قال)** أي النبى ﷺ مجيـباً له عن ذلك **(أن تلد الأمة)** أى الجارية المملوكة **(ربتـها)** أى سيـدتها. وفى رواية « **ربها**» أى سيـدها، واختلف فى معـنى ذلك على أقوال، منها: أنه كناية عن كثـرة اتخاذ السرارى، فتلد السرية مـولودا من سيدها ،والولد بمنزلة أبيـه فى السيـادة عليهـا. ومنهـا: أنه كناية عن كون الأرقـاء يلدن الملوك، فتكون أم الملك من جملة رعـيته وهو سيدها وسيد غـيرها من الرعية، ويؤيد هذا أن الرؤساء في الصدر الأول كانوا يستنكفون غالباً عن وطء الإماء، ويتنافسون فى الحرائر، ثم انعكس الأمـر سيما فى أثناء دولة بنى العـباس. لكن رواية «**ربتها**» بالتـأنيث لا تسـاعد ذلك؛ لـندرة كون الأنثى ملـكة، إلا أن تجعل التـاء لتـأنيث النفس. والمعنى أن تلد الأمة نفساً هي ربتها فتشمل الذكر والأنثى

(وأن ترى الحـفاة) بضم الحاء جـمع حاف وهو من لا نعل برجله **(العراة)** بضم أوله، جمع عار، وهو من لا شيء على جسده، والمراد به هنا من ليس عليه

(١) هناك أمور خص الله سبحانه وتعالى بها نفسه كما في قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (لقمان: ٣٤).

ثياب أشراف النـاس بدليل رواية الحفدة بالتحـريك أى الخدمة (**العالة**) بفتح اللام المخففة أى الفقراء الذين يعولون عـلى غيرهم فى أمر المعيشة (**رعاء الشاء**) بكسر الراء والمد، ويجوز ضـمها، جـمع راع ويجمع أيضـا على رعاة كقـضاة، وعلى رعيان كشـبان، والشاء: الغنم، وهو جمع شاة. وخصـهم بالذكر؛ لأنهم أضعف أهل البادية.

(**يتطاولون فى البنيـان**) أى يتـفاخـرون بطوله وكثـرته وارتفاعـه. والمراد: أن أسافل الناس يـصيرون أكـابر وأصحاب ثـروة ظاهرة، وتكثر أموالهـم، وتنصرف هممهم إلى تشـييد البنيان وزخـرفته، حتى إنهم يتبـاهون ويتفاخرون به، فـيقول الواحد منهم لصاحبه: بنيانى أطول مـن بنيانك، ويقول الآخر: بنيانى أحسن من بنيانك. يقولون ذلك عجبا وتكبرا.

واعلم أن إطالة البناء لم تكن مـعروفة فى زمن النبى ﷺ بل كـان بنيانهم قصيـرا بقدر الحاجة. وعـن الحسن البصرى أنه قـال: كنت وأنا مراهق أدخل بيت أزواج النبى ﷺ فى خلافة عـثمان، فأتناول سقفـها بيدى. وروى أبو داود عن أنس قال: رأى رسول الله ﷺ قبة مشرفة، أى عالية، فقال: «**ما هذه؟**» قالوا: هذه لفلان فسكت حتى جاء فأعرض عنه، فشكا لأصحابه، فأخبر الخبر فهدمها. فـخرج رسـول الله ﷺ فلم يرها، فسـأل عنها، فـقـالوا: شكا إلينا صاحـبهـا إعراضك فأخبرناه فهدمها، فقال: « **أما إن كل بناء فهو وبال على صاحبه إلا مالابد منه**»[1].

وروى عن ابن مسعود: من بنى فوق ما يكفيه ناداه مناد من السماء: يا عدو الله إلى أين تريد. وينبغى لمن مر على بناء مزخرف عال ألا ينظر إليه، فقد حكى أن سفيان الثورى مشى مع رفيق له، فرآه يـنظر إلى باب دار مرفوع معمور، فقال له: لا تنظر إليـه؛ فإن الناس لو لم ينظروا إليـه؛ لكان صاحـبه لا يتـعاطى هذا الإسراف. فالناظر إليه مـعين له على الإسراف. ونقل عن ابن مطيع أنه نظر يوما إلى داره فأعجـبه حسنها، فبكى، ثم قـال: والله لولا الموت لكنت بك مسرورا،

(١) رواه أبو داود فى الأدب (٥٢٣٧).

ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور؛ لقرت بالدنيا أعيننا، ثم بكى حتى ارتفع صوته ـ رحمة الله تعالى عليه ـ

تنبيه

للساعة علامات كثيرة صغرى وكبرى:

أما الصغرى فمنها: قبض العلم بموت أهله، وكثرة الزلازل ، والفتن، والزنا، وشرب الخمر، والربا، وعقوق الوالدين، والتجاهر بالمعاصى، وإضاعة الصلاة والأمانة، وتعطيل الحدود، وقلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإعراض الأكابر عن الأذان وتركه للسفلة.

وأما الكبرى فمنها: ظهور المهدى، وخروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها. ولعل اقتصار المصطفى ﷺ على ما ذكره هنا لقرب وقوعه؛ فحذر الحاضرين منه.

قال عمر ـ رضى الله تعالى عنه: **(ثم انطلق)** وفى نسخة: **«فانطلق»** بالفاء بدل «ثم» أى ذهب الرجل السائل عما ذكر **(فلبثت)** بضم تاء المتكلم، أى مكثت لا أدرى من الرجل، وفى رواية: « **فلبث**» أى النبى ﷺ ، يعنى أمسك عن الكلام فى هذه القضية **(مليا)** بفتح الميم وكسر اللام وتشديد المثناة التحتية أى زمنا طويلاً؛ وهو ثلاثة أيام كما فى بعض الروايات.

(ثم قال) أى النبى ﷺ **(يا عمر أتدرى)** أى أتعرف **(من السائل؟قلت: الله ورسوله أعلم)** أى من غيرهما.

وتخصيص عمر بالنداء من بين الحاضرين يدل على جلالته ورفعة مقامه ومنزلته عند رسول الله ﷺ . ويؤخذ منه ندب تنبيه العالم أكبر تلامذته على فوائد العلم والغرائب؛ لتفهمهم وتيقظهم. ولا يخفى ما في قول عمر **(الله ورسوله أعلم)** من حسن الأدب من جهة تفويض العلم إليهما.

ويؤخذ منه أن التلميذ إذا سأله شيخه عن شىء هل يعلمه أم لا، لا يقول أعلم؛ لأنه إن لم يعلمه فقد كذب، وإن علمه حرم من بركة لفظ أستاذه، ومن فائدة يستفيدها زيادة على ما عنده، بل يقول: الله وأهل العلم أعلم.

ثم لما قال عمر ما ذكر (قال) أى النبى ﷺ له (فإنه) وفى نسخة (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) أى يفهمكم أمر دينكم بسبب سؤاله.

وهذا الحديث عظيم الموقع؛ لاشتماله على وظائف العبادات الظاهرة والباطنة.

(رواه) الإمام (مسلم) فى كتاب الإيمان بهذا اللفظ، وظاهره مخالف لما فى الحديث الذى رواه هو والبخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه من أن الرجل أدبر فقال ﷺ: «ردوه علىّ» فأخذوا يردونه ؛ فلم يروا شيئا، فأخبرهم حينئذ أنه جبريل[1]. وأجيب عن ذلك بأن عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن حاضرا وقت هذا الإخبار، بل كان قام من المجلس، ولم يتفق الإخبار له إلا بعد ثلاثة أيام.

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا دائما يلحون على النبى ﷺ لمعرفة أمور دينهم حتى نزل قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢] فأصبحوا يتحاشون أن يسألوا النبى فنزل جبريل ليريهم ويعلمهم أحكام دينهم.

٢ ـ أن الانقلاب الخطير الذى يحدث فى القيم الاجتماعية حيث يتسيد الأراذل وتنقلب الموازين من علامات الساعة .

٣ ـ الطريقة الحوارية فى التعليم أجدى بكثير من الطريقة الإلقائية وظهر هذا فى سؤال جبريل وجواب النبى ﷺ له.

٤ ـ على الدعاة أن يتواضعوا إذا سئلوا فى أمور الدين.

٥ ـ أعلى درجات الإسلام هو الإحسان.

٦ ـ على الداعى أن يتدرج مع المدعوين لتعريفهم أمور دينهم.

---

(١) البخارى فى الإيمان (٥٠) ومسلم فى الإيمان (٩/ ٥).

الحديث الثالث

أركان الإسلام

٣ ـ عن أبى عبد الرحمن، عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان». رواه البخارى ومسلم (١).

الشرح والبيان

(عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أى عن عبد الله وأبيه عمر، وأشار المصنف بذلك إلى أنه ينبغى لمن يذكر صحابيا ولأبيه صحبة أن يترضى عنهما. أسلم عبد الله هذا بمكة مع أبيه وهو صغير، وهاجر معه إلى المدينة، وكان من فقهاء الصحابة ومتقيهم وزهادهم. حج ستين حجة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، وحمل على ألف فرس فى سبيل الله، وأتاه اثنان وعشرون ألف دينار فى مجلس فلم يقم حتى فرقها.

وكان كثيرا ما يتقرب بما يعجبه ويستحسنه من ماله. ولما عرف أرقاؤه منه ذلك كانوا يقبلون على الطاعة ويلازمون المسجد، ليعتقهم فقيل له: إنهم يخدعونك فقال: من خدعنا بالله انخدعنا له. وكان عنده جارية يُحبها فقال لها: إنى سمعت الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢] . فاذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى، ثم أنكحها نافعا، وقال: لولا أنى لا أعود فى شىء جعلته لله لنكحتها. وكان نافع هذا رقيقه فدفع له فيه عشرة آلاف دينار، فقال له عاصم بن محمد: يا أبا عبد الرحمن فما تنتظر أن تبيع؟ فقال: فهلا ما هو خير من ذلك؟ هو حر لوجه الله تعالى.

وجىء له وهو مريض بعنقود عنب، فجاء مسكين فقال: أعطوه إياه فذهب

---

(١) البخارى فى الإيمان تعليقا ـ باب (١) ووصله فى باب (٢) حديث رقم (٨) وفى التفسير (٤٥١٤) ومسلم فى الإيمان (١٦/١٩ ـ ٢٢) والترمذى فى الإيمان (٢٦٠٩) والنسائى فى الإيمان (١٠٧/٨، ١٠٨) وأحمد (٢٦/٢، ٩٣، ١٢٠، ١٤٣).

إليه إنسان فاشتراه منه، ثم جاء به إليه، فجاءه المسكين يسأله فقال: أعطوه إياه، فذهب إليه إنسان فاشتراه منه. وأراد السائل أن يرجع؛ فمنع. ولو علم ابن عمر بذلك العنقود ما ذاقه.

وجاءه سائل فقال لابنه: أعطه دينارا فلما انصرف قال له ابنه: تقبل الله منك يا أبتاه. فقال: لو علمت أن الله عز وجل تقبل منى سجدة واحدة أو صدقة واحدة بدرهم واحد؛ لم يكن غائب أحب إلىّ من الموت، أتدرى ممن يتقبل الله؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] وكان يقول: لا يصيب عبد شيئا من الدنيا إلا انتقص من درجاته عند الله عز وجل - وإن كان على الله كريماً.

ومن مناقبه - رضى الله تعالى عنه - أنه خرج فى بعض أسفاره، فبينما هو يسير إذ وجد قوماً وقوفاً، فقال: ما لهؤلاء القوم؟ قالوا: أسد على الطريق قد أخافهم؛ فنزل عن دابته ثم مشى إليه حتى أخذ بأذنه ونحاه عن الطريق.

روي له عن رسول الله ﷺ ألف وستمائة وثلاثون حديثا، وعاش أربعا وثمانين سنة، ومات بمكة شهيدا؛ وسببه أن الحجاج خطب يوماً فأخر الصلاة، فقال له ابن عمر: إن الشمس لا تنتظرك، فقال له الحجاج: لقد صممت أن أضرب الذى فيه عيناك، فقال له ابن عمر: إنك سفيه مسلط. فتغير من ذلك وأمر رجلا فسم طرف رمح وزاحمه فى الطواف حتى وضعه على قدمه، فمرض أياماً ثم مات . . رحمة الله تعالى عليه -

(قال: سمعت رسول الله) وفى نسخة «**النبى**» (ﷺ **يقول بُنى الإسلام على خمس)** أى أسس على خمس قواعد، وفى رواية لمسلم: «**على خمسة**»، أى خمسة أشياء أو أصول أو أركان والمراد أن دين الإسلام يتحقق ويوجد بهذه الخمس **(شهادة)** بالجر على أنه عطف بيان أو بدل من خمس، ويجوز رفعه على أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره: منها، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أحدها، ويجوز أيضا نصبه بفعل محذوف تقديره: أعنى شهادة **(أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)** وفى نسخة: «**وأن محمداً عبده ورسوله**»

(وإقام الصلاة) أى المعهود شرعا، وهى خمس فى كل يوم وليلة، والمراد بإقامتها المحافظة عليها فى أوقاتها مع استيفاء شروطها وأركانها. وقد ورد فى

الحديث: « **من حافظ على الصلوات الخمس، على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها، ويعترف أنها حق لله سبحانه وتعالى كان جسده حراما على النار**»[1].
وروى: إذا كان يوم القيامة أمر بطبقات المصلين إلى الجنة، فتأتى أول زمرة كالشمس، فتقول الملائكة: من أنتم؟ قالوا: نحن المحافظون على الصلاة. قالوا: كيف كانت محافظتكم؟ قالوا: كنا نسمع الأذان ونحن فى المسجد. ثم تأتى زمرة أخرى كالقمر ليلة البدر، فتقول الملائكة: من أنتم؟ قالوا: نحن المحافظون على الصلاة. قالوا: كيف كانت محافظتكم؟ قالوا: كنا نتوضأ قبل الوقت ثم نحضر مع سماع الأذان. ثم تأتى زمرة أخرى كالكواكب، فتقول الملائكة: من أنتم؟ قالوا: نحن المحافظون على الصلاة. قالوا: كيف كانت محافظتكم؟ قالوا: كنا نتوضأ بعد الأذان.

وروى مرفوعا: « **أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله**»[2].

(وإيتاء الزكاة) أى دفعها لمستحقيها. وسميت زكاة؛ لأنها سبب في زكاة المال ونموه وحصول البركة فيه. وقد ورد: «**حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة**»[3].

وورد: ما ضاع مال فى بر أو بحر إلا من عدم الزكاة. وجاء: إن من لم يخرج زكاة ماله سلط الله عليه وجوها من الظلم أو الهلكة يصرفه فيها. وفى الحديث: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار؛ فتكوى بها جبهته وجنباه وظهره، كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى الله بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**» [4]

---

(١) أحمد (٤/ ٢٦٧) والطبرانى فى الكبير (٣٤٩٤) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/ ٢٨٩) رواه أحمد والطبرانى ورجال أحمد رجال الصحيح.
(٢) الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد (١/ ٢٩١، ٢٩٢) وقال الهيثمى: فيه القاسم بن عثمان قال البخارى: له أحاديث لا يتابع عليها، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال: ربما أخطأ، ورواه السيوطى فى الجامع الصغير (٢٨١٨) وعزاه للضياء المقدسى عن أنس.
(٣) أبو نعيم فى حلية الأولياء (٢/ ١٠٤ و٤/ ٢٣٧) والطبرانى فى الكبير (١٠/ ١٠١٩٦) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣/ ٦٤) رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير وفيه موسى بن عمير وهو متروك. ورواه القضاعى فى مسند الشهاب (٦٩١).
(٤) مسلم فى الزكاة (٩٨٧/ ٢٤) وأبو داود فى الزكاة (١٦٥٨) وأحمد (٢/ ٢٦٢).

وورد: أنه يجيء مال مانع الزكاة يوم القيامة طوقا فى عنقه من نار لو أن ذلك الطوق وضع فى الدنيا لاحترقت منه، وتقطعت جبالها، ويبست بحارها. وما من عبد أدى زكاة ماله بطيب نفس إلا جاء عقدا من نور فى رقبته يشرق نور ذلك العقد على المؤمنين يوم القيامة، حتى يمشى فى نوره على الصراط ويدخل الجنة.

(وحج البيت) وهو واجب على المستطيع، وفعله يكفر الصغائر والكبائر، حتى التبعات؛ وهى حقوق الآدميين إن مات فى حجه أو بعده وقبل التمكن من أدائها، مع عزمه عليه عند القدرة. وذكر ابن العماد أن حكمة تركيبه من الحاء والجيم الإشارة إلى أن الحاء من الحلم والجيم من الجرم فكأن العبد يقول: يارب جئتك بجرمي أى ذنبى لتغفره بحلمك ولا يجب الحج إلا مرة واحدة فى العمر. فقد ورد: **«من حج حجة أدّى فرضه، ومن حج ثانية داين ربه، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار»**[1] ووجوبه على التراخى عند الشافعية، وبه قال محمد صاحب أبى حنيفة. وقال مالك وأحمد: على الفور، وبه قال أبو يوسف صاحب أبى حنيفة، وكذلك المزنى

ولو تعارض الحج والنكاح فالأفضل لمن لم يخف العنت أى الفجور والزنا تقديم الحج، ولخائف العنت تقديم النكاح، بل يجب عليه ذلك إن تحقق أو غلب على ظنه الوقوع فى الزنا

ومثل الحج العمرة. فهى واجبة عند الشافعى فى العمر مرة واحدة. ونقل عن أبى حنيفة ومالك أنها سنة وهو قول الشافعى . وعن أحمد أنها فرض كالحج.

وقد جاء فى فضلهما أخبار كثيرة منها قوله ﷺ: **«من خرج من بيته حاجا أو معتمرا ومات أجرى الله له أجر الحاج والمعتمر إلى يوم القيامة»**[2]. ومنها قوله ﷺ: **«تابعوا بين الحج والعمرة»** أى ائتوا بهما متتابعين بدون فاصل كبير **«فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد»**[3] وفى رواية: **«فإن متابعة**

---

(١) لم أقف عليه فيما عندى من مصادر.

(٢) أبو يعلى (٦٣٢٧) وقال الهيثمى فى المجمع (٥/ ٢٨٣) رواه أبو يعلى وفيه ابن إسحاق وهو مدلس. ورواه البيهقى فى الشعب (٤١٠٠)

(٣) أحمد (١/ ٣٨٧) والترمذى فى الحج (٨١٠) وقال: حديث حسن صحيح والنسائى فى الحج (٥/ ١١٥، ١١٦) والطبرانى فى الكبير (١٠/ ١٠٤٠٦ و١١/ ١١١٩٦) وابن حبان (٩٦٧) وأبو نعيم فى الحلية (٤/ ١١٠).

ما بينهما تزيد فى العمر والرزق» [1] أى يبارك فيهما. ومنها قوله ﷺ: **«العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»** [2].

وحكى عن محمد بن المنكدر أنه حج ثلاثاً وثلاثين حجة، فلما كان في آخر حجة حجها قال وهو فى عرفات: اللهم إنك تعلم أنى وقفت في موقفى هذا ثلاثا وثلاثين وقفة، فواحدة عن فرضى، والثانية عن أبى والثالثة عن أمى، وأشهدك يارب أني وهبت الثلاثين لمن وقف بموقفى هذا ولم تتقبل منه. فلما دفع من عرفات، أى رحل عنها وفارقها، نودى: يابن المنكدر أتتكرم على من خلق الكرم والجود؟ وعزتى وجلالى لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألف عام.

(وصوم رمضان) أى الإمساك عن المفطرات فى نهاره، بنيته.

وفرض فى السنة الثانية من الهجرة، فصام ﷺ تسع رمضانات. كلها ناقصة إلا واحداً. ولعل الحكمة فى ذلك: تطمين نفوس من يصومه ناقصا من أمته.

وقد جاء فى فضل رمضان وصومه أخبار كثيرة:

منها: ما روى: **«إن الجنة لتتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان، فإذا كان أول ليلة من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة، فتصفق ورق أشجار الجنة وحلق المصاريع ـ أى الأبواب ـ فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه، فتبرز الحور العين حتى يقمن على شرف الجنة، فينادين: هل من خاطب؟ ثم يقلن: يا رضوان ما هذه الليلة؟ فيجيبهن بالتلبية، فيقول: يا خيرات حسان هذه أول ليلة من رمضان»** [3]. وقال ﷺ: **«لو يعلم الناس ما فى رمضان من اليمن والبركة لتمنوا أن يكون حولاً كاملاً»** [4] **وقال** ﷺ: **«من صام رمضان إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»** [5] وفى رواية: **«وما تأخر»** [6].

---

(١) الطبرانى فى الكبير كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣/ ٢٧٧) وفيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف.

(٢) البخارى فى العمرة (١٧٧٣) ومسلم فى الحج (١٣٤٩).

(٣) رواه البيهقى فى الشعب (٣٦٩٥) وابن عساكر كما فى كنز العمل (٢٤، ٨١).

(٤) أبو يعلى كما فى مجمع الزوائد (٣/ ١٤١) وقال الهيثمي: فيه جرير بن أيوب وهو ضعيف.

(٥) البخارى فى الصوم (١٩٠١) ومسلم فى صلاة المسافرين (٧٥٩، ٧٦٠)

(٦) الخطيب البغدادى كما فى الجامع الصغير للسيوطى (٨٧٧٦) وقال السيوطى: ضعيف.

وورد: **«لو أذن الله للسموات والأرض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة»**[1].

وما أحسن قول بعضهم:

شهر الصيام لقد علوت مكرما	وغدوت من بين الشهور معظما
يا صائمى رمضان هذا شهركم	فيه أباحكم المهيمن مغنما
يا فوز من فيه أطاع إلهه	متقربا متجنبا ما حرما
فالويل كل الويل للعاصى الذى	فى شهره أكل الحرام وأجرما

فائدة

نقل عن ابن حجر: أن تمنى زوال رمضان من الكبائر، ولعله كما قال الأمير إذا كان بغضا للعبادة. وربما يخشى منه الكفر ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

ومما يخالف تعظيم شعائر الله تعالى، قول العوام: رمضان مريض أو يطالع فى الروح أو نحو ذلك، فينبغى تجنب ما ذكر.

ثم إن هذا الحديث قد اشتمل على أركان الإسلام. فهو من قواعد الدين العظيمة.

(رواه البخارى) فى الإيمان والتفسير (ومسلم) فى الإيمان والحج[2].

---

(١) العقيلى فى الضعفاء الكبير (٣/٦٨) وقال: إسناده مجهول.

(٢) لم أقف على الحديث فى كتاب الحج عند الإمام مسلم.

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ قواعد الدين ثابتة ومحددة ومبينة: وهى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان.

٢ ـ لا خلاف في كفر من أنكر وجوب الصلاة بين أهل العلم، إنما الخلاف في حكم من تركها عمدا فأبى أن يصليها لا جحودا لفرضها بل تكاسلا وتهاونا فذهب أحمد ابن حنبل وإسحاق وابن المبارك إلى أنه كافر. وذهب الجمهور من السلف والخلف منهم مالك والشافعى، وأبو حنيفة، وأصحابه إلى أنه يفسق ولا يكفر.

٣ ـ الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين.

٤ ـ إن الأمة الإسلامية هى التى ساعدت على توفر أسباب الذل والمهانة عندها لأن الأعداء لم يهدموا البناء الإسلامى إلا بعد أن هدم المسلمون أنفسهم قواعد الدين وصدق الله العظيم حين قال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

٥ ـ الإسلام شامل لا يفرق بين فرض وآخر.

٦ ـ أركان الإسلام هى القواعد الأساسية التى يقام بها الدين ولكن لابد من الواجبات الأخرى كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجميع الحقوق الإسلامية.

الحديث الرابع

مراحل الخلق

٤ ـ عن أبى عبدالرحمن عبدالله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: حدثنا رسول الله ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق ـ: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة[١]، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات؛ بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أم سعيد، فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار؛ حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» رواه البخارى ومسلم[٢].

الشرح والبيان

(عن أبى عبدالرحمن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه) أسلم بمكة قديماً. ويقال: إنه سادس ستة فى الإسلام، وسبب إسلامه أن النبى ﷺ مر به وهو يرعى غنما لعقبة بن أبى معيط، فقال له: **«يا غلام هل عندك من لبن تسقينا؟»** قال: نعم، ولكنى مؤتمن، قال: **«هل عندك جذعة لم ينز عليها الفحل»** قال: نعم، فأتاه بها فمسح ﷺ ضرعها ودعا؛ فامتلأ ضرعها باللبن، فحلب فى إناء أتاه به أبو بكر، وشرب وسقى أبا بكر ـ رضى الله تعالى عنه ـ ثم قال للضرع: **«اقلص»** يكسر اللام «فقلص» بفتحها، أى رجع كما كان، لا لبن فيه. فلما رأى ذلك أسلم ـ رضى الله تعالى عنه[٣] ـ.

---

(١) هذه اللفظة فى الجامع الصغير للسيوطى (٢١٧٩).

(٢) البخارى فى بدء الخلق (٣٢٠٨) وفى الأنبياء (٣٣٣٢) وفى القدر (٦٥٩٤) ومسلم فى القدر (٢٦٤٣/ ١) وأبو داود فى السنة (٤٧٠٨) والترمذى فى القدر (٢١٣٧) وابن ماجة فى المقدمة (٧٦) وأحمد (١/ ٣٨٢، ٤١٤، ٤٣٠).

(٣) أحمد (١/ ٤٦٢) والطبرانى في الكبير (٩/ ٨٤٥٥) وأبو يعلى (٤٩٦٤، ٥٠٧٤، ٥٢٩٠) وأبو نعيم فى الحلية (١/ ١٢٥) والبيهقى فى الدلائل (٦/ ٨٤) وابن أبى شيبة (٧/ ٥١ و١١/ ٥١٠).

وكان شديد الأدمة ـ بالضم أى السمرة، خفيف اللحم، قصيراً جداً نحو ذراع، دقيق الساقين، أى رفيعهما، أخذ يجتنى سواكاً من الأراك فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه فقال رسول الله ﷺ : **«مم تضحكون؟»** فقالوا: يا رسول الله من دقة ساقيه، فقال: **«والذى نفسى بيده لهما فى الميزان أثقل من أحد»**[١]

وكان ـ رضى الله تعالى عنه ـ صاحب سر المصطفى ﷺ . وكان يمشى أمامه بالعصا، ويوقظه إذا نام ويلبسه نعليه إذا قام[٢]. وكان من أجود الناس ثوباً، وأطيبهم ريحا تعظيماً لنعلى رسول الله ﷺ فإنه كان يحملهما إذا جلس. وكان النبى ﷺ يكرمه ويقربه ولا يحجبه؛ فلذا كان كثير الدخول عليه ﷺ . وكان رضى الله تعالى عنه يقول: والله الذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم أين نزلت؟ وفيم نزلت؟ ولو أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا؛ لأتيته[٣].

وهو ـ رضى الله تعالى عنه ـ أول من جهر بالقرآن من الصحابة. وذلك أنه لما نزلت سورة الرحمن قال المصطفى ﷺ : **«من يقرؤها على قريش؟»** فقال ابن مسعود: أنا يا رسول الله. وذهب إليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة، فافتتح القراءة بها، فقام أبو جهل فلطمه وشق أذنه وأدماه، فذهب وعينه تدمع، فاغتم المصطفى ﷺ ، فنزل جبريل عليه السلام ضاحكاً، فقال المصطفى ﷺ : **«أنت تضحك وابن مسعود يبكى؟»** فقال: ستعلم يا رسول الله مم أضحك؟ فلما كان يوم بدر، ونصر الله المسلمين، أمر المصطفى ﷺ ابن مسعود أن يأخذ رمحه ويلتمس فى الجرحى من به رمق، أى بقية حياة فيقتله، فمر بأبى جهل وهو ملقى فى شدائد الهلاك، فخاف أن يكون به قوة، فوضع الرمح فى أنفه من بعد. فلما عرف عجزه، ارتقى على صدره، وقطع رأسه، وشق أذنه، وجعل فيها خيطاً وجره ـ أى الرأس ـ إلى أن ألقاه بين يدى النبى ﷺ ، و جبريل بين يديه

---

(١) أحمد (١/ ٤٢٠، ٤٢١) وأبو نعيم فى الحلية (١/ ١٢٧) والطبرانى في الكبير (٩/ ٨٤٥٢) وأبو يعلى (٥٢٨٩، ٥٣٤٤)

(٢) صفة الصفوة (١/ ١٤٨).

(٣) البخارى فى فضائل القرآن (٥٠٠٢) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٤٦٣).

يضحك، ويقول: أُذُن بأذن والرأس زيادة.

ولي ـ رضي الله تعالى عنه ـ قضاء الكوفة، وبيت مالها، لعمر وصدراً من خلافة عثمان، ثم أتى إلى المدينة وتمرض بها، فدخل عليه عثمان ـ رضي الله تعالى عنه فقال له: ما تشتكى؟ فقال: ذنوبى. قال: فما تشتهى؟ قال: المغفرة. قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضنى. قال: ألا آمر لك بعطاء قال: لا حاجة لى به. قال: يكون لأولادك من بعدك؟ قال: إنى لا أخشى عليهم الفقر بعد أن علمتهم سورة الواقعة يقرؤونها كل ليلة. وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ـ أى فقر ـ واحتياج أبداً**»[1].

روى له ثمانمائة حديث وأربعون حديثا، ومات بالمدينة على الأصح سنة اثنين أو ثلاث وثلاثين وهو ابن بضع وستين سنة، ودفن بالبقيع. وروى أنه خلف ستين ألف دينار سوى الرقيق والماشية ـ رحمة الله تعالى عليه ـ

(**قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق**) أى الآتى بالصدق (**المصدوق**) أى الذى يصدقه الله تعالى فى دعواه الرسالة بإظهار المعجزات على يديه، ويصدقه الخلق فيما يقول، أو الذى يأتيه جبريل بالصدق من عند الله تعالى.

(**إن**) بكسر الهمزة وفتحها (**أحدكم**) أى معشر بنى آدم (**يجمع**) بالبناء للمفعول أى يضم ويحفظ (**خلقه**) نائب الفاعل، وهو على حذف مضاف أى مادة خلقه، وهو المنى الذى يخلق منه (**فى بطن أمه**) أى فى رحمها الذى هو فى بطنها، والرحم ما يشتمل على الولد يكون فيه تخليقه من كونه نطفة إلى كونه خلقا آخر. وقيل: إنه خشن كالسفنج. وله أفواه وأبواب، فإذا دخل المنى من باب واحد خلق الله منه جنينا، وإذا دخل من بابين خلق الله منه ولدين وإذا دخل من ثلاثة أبواب خلق الله منه ثلاثة أولاد، فيكون عدد الأجنة فى الرحم بعدد دخول المنى من أفواه الرحم[2].

---

(١) البيهقى فى الشعب (٢٤٩٧) وابن السنى فى عمل اليوم والليلة (٦٨٠) والمطالب العالية (٣٧٦٥) والسيوطى فى الجامع الصغير (٨٩٤٢) والدر المنثور (٦/ ١٥٣) وقال المناوى فى فيض القدير (٦/ ٢٠١) فيه أبو شجاع نكرة ولا يعرف كما في ميزان الاعتدال. قلت: ضعفه الألبانى فى الضعيفة (٢٩٠).

(٢) هذا الكلام مخالف للعلم لأن الرحم له مدخل واحد.

(**أربعين يوماً**) ظرف ليجمع، وقوله (**نطفة**) حال من خلقه، أى حال كونه نطفة أى منياً، يعنى أنه يمكث فى الرحم هذه المدة مجموعاً بعد انتشاره فى جميع بدن المرأة. وفى تلك المدة لا يختلط منى الرجل بمنى المرأة، بل يكونان متجاورين لا يغير أحدهما الآخر. وفى الأربعين الثانية يختلطان؛ لأن منى المرأة لا يصلح للتخلق إلا بضم منى الرجل له، فهو بمنزلة الإنفحة[1] للبن، فلا يصلح اللبن للجبن إلا بعد ضم الإنفحة إليه.

موعظة: روى عن على ـ كرم الله تعالى وجهه ـ أنه قال: ما لابن آدم والفخر. أوله نطفة مذرة، أى خبيثة، وآخره جيفة قذرة، وما بينهما يحمل العذرة، أى النجاسة.

وحكى: أن بعض أولاد المهلب مر بمالك بن دينار. فقال له مالك: لو تركت الخيلاء لكان أحسن لك. فقال: أما تعرفنى؟ فقال: والله أعرفك معرفة جيدة. أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت مع ذلك تحمل العذرة. فأرخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه.

(**ثم**) عقب تلك الأربعين (**يكون**) أى يصير (**علقة**) بعد ذر التراب عليه، وعجنه به من المكان الذى يدفن فيه. فقد ورد: أن الملك الموكل بالأرحام ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذى يدفن فيه، فيذر على النطقة، فيخلق من التراب ومن النطفة والعلقة ـ بفتح اللام ـ: قطعة دم غليظ وسميت بذلك لكونها تعلق بما يمر عليها (**مثل ذلك**) بالنصب صفة لموصوف محذوف، أى زمنا مثل ذلك، أى مقدار ذلك الزمن الذى مر وهو أربعون يوما.

(**ثم**) عقب الأربعين الثانية (**يكون مضغة**) بضم الميم وسكون المعجمة، أى قطعة لحم صغيرة بقدر ما يمضغ (**مثل ذلك**) الزمن المذكور، وهو أربعون يوماً، وهى الأربعون الثالثة، وفيها يصورها الله ويجعل لها فما وسمعا وبصرا وأمعاء. وغير ذلك من الأعضاء.

(**ثم**) إذا تم التصوير وكملت الأجزاء، وصار ابن أربعة أشهر (**يرسل إليه**

---

(١) الإنفحة: تستخرج من البطن وبها خميرة تجبن اللبن.

الملك) بالبناء للمجهول، والمرسل هو الله تعالى كما صرح به مسلم فى رواية[1]. وهذا الملك هو الموكل بالرحم. والمراد بإرساله: أمره بالتصرف؛ أى يأمر الله الملك.

(فينفخ فيه الروح) التى بها يحيا الإنسان. وحقيقة النفخ: إخراج ريح من النافخ يتصل بالمنفوخ فيه، والمراد به هنا: الإدخال، أى يدخل الملك الروح فى البدن بعد تمام خلقته، فتسرى فى أجزائه الظاهرة والباطنة، فيجد اللذة والألم. وهذا الإدخال يكون من اليأفوخ كما أن خروجها عند الموت يكون منه. واليأفوخ ـ بالهمز ـ وسط الرأس، حيث يكون لينا من الصبى.

وقال بعضهم: نفخ الملك فى الصورة سبب لإيجاد الله تعالى فيها عنده الروح والحياة. وأول شىء تحله الحياة؛ العين، وهى آخر شىء تنزع منه الروح، وأول شىء يسرع إليه الفساد. ويجوز التسبب فى إلقاء الحمل قبل نفخ الروح فيه، ويحرم بعده.

وروى أن السقط يأتى يوم القيامة وله سوط مثل الرعد يستغيث وينادى: أنا المظلوم، فيتعلق بأمه، ويقول: يا رب سل هذه لم قتلتنى؟ فيقول الله تعالى: لم قتلته وقد حرمت قتل النفس إلا بالحق؟ يا ملائكتى سلموها لمالك خازن النار يحبسها فى جب الأحزان، فتغل يدها إلى عنقها، ويوضع الطوق والسلسلة فيه، وتسحب إلى النار، فيرميها مالك فى جب الأحزان، وفيه نار وسباع وزنانبير وحيات وعقارب تنهش المعذبين، وزبانية بأيديهم حراب من نار تطعن القاتلين.

وأفتى بعضهم بأنه لا يحل للمرأة أن تستعمل دواء يمنع الحبل. واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر ـ أى عقبها ـ كما صرح به جماعة، فيتحرك الجنين بين نفخها وعشرة أيام بعده، فتحس أمه بحركته، ولذا صارت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً.

ونقل عن أهل التشريح: أن الولد يتحرك لمثل ما يتخلق فيه، ويوضع لمثل ما يتحرك فيه. وتخلقه يختلف فى العادة؛ فتارة يكون لشهر، وتارة يكون لشهر وخمسة أيام، وتارة يكون لشهر ونصف. فإذا تخلق لشهر تحرك لشهرين ووضع لستة. وإذا تخلق لشهر وخمسة أيام تحرك لشهرين وثلث ووضع لسبعة. وإذا

---

(١) مسلم فى القدر (٢٦٤٥، ٢٦٤٦).

تخلق لشهر ونصف تحرك لثلاثة ووضع لتسعة. ولذلك لا ينقص الحمل عن ستة ولا يعيش ابن ثمانية، إلا كرامة. كما وقع لسيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ فإنه ولد فى الشهر الثامن.

وقال بعض الأطباء: إن الولد عند استكمال سبعة أشهر يتحرك للخروج حركة عنيفة أقوى من حركته فى الشهر السادس، فإذا تهيأ له الخروج خرج وعاش، وإن لم يتهيأ له الخروج استراح فى البطن عقب تلك الحركة المضعفة له؛ فتقل حركته فى البطن فى الشهر الثامن، ولا يتحرك فيه للخروج. فإن اتفق تحركه وخرج فقد ضعف غاية الضعف؛ فلا يعيش لاستيلاء حركتين مضعفتين له مع ضعفه. ولو فرض أنه يعيش يكون معلولاً.

(ويؤمر) بالبناء للمفعول، وهو معطوف على « **فينفخ**» أى يأمر الله الملك **(بأربع كلمات)** أى بكتابة أربع قضايا، وهذه الكتابة على جبهته، أو بطن كفه، أو فى ورقة تعلق بعنقه. قيل: ولا مانع من الكتابة على الثلاثة.

وظاهر هذا الحديث: أنه يؤمر بهذه الكتابة ابتداءً، وليس كذلك، بل إنما يؤمر بها بعد أن يسأل عنها بقوله: يا رب ما الرزق؟ ما الأجل؟ ما العمل؟ وهذا شقى أو سعيد؟

وقوله: **(بكتب)** بكسر الباء الموحدة بدل من قوله بأربع، وكتب مضاف. وقوله **(رزقه)** بالجر مضاف إليه. والمراد بكتبه كتب قدره قليلاً أو كثيراً، وصفته حلالاً أو حراما أو مكروها، ومن أى جهة. وهو عند أهل السنة: ما ساقه الله إلى الحيوان فانتفع به بالفعل مأكولاً أو غيره كملبوس ومركوب ومنكوح، وقيل: إنه يتناول العلوم ونحوها؛ لأن الرزق نوعان: ظاهر للأبدان كالقوت، وباطن للقلوب والنفوس كالعلوم والمعارف **(وأجله)** أى قدره طويلا أو قصيرا؟ وفى أى ساعة ؟ وأى موضع يكون انتهاؤه؟ **(وعمله)** أى بيانه صالحا أو فاسدا **(وشقى أو سعيد)** مرفوعا على الخبرية لمبتدأ محذوف، والتقدير: وهو شقى فى الآخرة أو سعيد فيها. والمراد: أنه يكتب لكل واحد إما الشقاوة وإما السعادة، ولا يكتبان لواحد معاً. قيل: لما حضرت عبدالرحمن بن عوف الوفاة غشى عليه ثم أفاق

فقال: أتانى الساعة مَلَكان فقال لى: قم نحاكمك بين يدى العزيز الحكيم، ففزعت منهما، فإذا بملك ثالث قد نزل من السماء، فقال: خليا عنه؛ فإنه كتب فى بطن أمه سعيداً.

(**فوالذى لا إله غيره**) الفاء فصيحة واقعة فى جواب شرط مقدر والواو للقسم، والذى صفة لمقسم به محذوف، والتقدير إذا كان كل من الشقاوة والسعادة مكتوبا فأقسم بالله الذى لا معبود بحق غيره.

(**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة**) أى بأن يأتى بالطاعات ويترك المنهيات (**حتى ما يكون**) بالنصب والرفع فيه وفيما بعده، والمعنى إلى أن لا يوجد (**بينه وبينها**) أى الجنة (**إلا ذراع**) زاد البخارى: «أو باع»[1]، وهذا كناية عن شدة القرب (**فيسبق**) أى يغلب (**عليه الكتاب**) أى مضمونه وحكمه الذى كتب له فى بطن أمه (**فيعمل بعمل أهل النار**) وهو المعاصى كفرا كانت أو كبيرة (**فيدخلها**) أى النار يوم القيامة، ويفتح له فى قبره طاقة منها.

فالمراد مطلق من تغير حاله قبل موته، وهو قسمان:

الأول: من تغير حاله بالكفر ـ والعياذ بالله تعالى ـ وهذا يتحتم دخوله النار ويخلد فيها.

والثانى: من تغير حاله بمفسق؛ كأن ارتكب كبيرة ومات بلا توبة، وهذا يدخل النار إن لم تنله رحمة العزيز الغفار، ولا يخلد فيها، بل لا بد من خروجه منها ودخوله الجنة

(**وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة**) بأن يتوب من ذنبه؛ إما بالإسلام إن كان كافرا، وإما بالإقلاع والندامة ورد المظالم إن كان مسلما عاصيا (**فيدخلها**) أى الجنة بحكم القدر الجارى عليه، فمن سبقت له السعادة صرف الله قلبه إلى الخير قبل موته، ومن سبقت له الشقاوة . . والعياذ بالله تعالى ـ كان بعكسه.

حكى: أن رجلا مسلما كان يهوى امرأة نصرانية فمرض مرض الموت، فقال

---

(١) البخارى فى القدر (٦٥٩٤).

فى نفسه: أنا أعشق هذه ولم أجتمع بها فى الدنيا، وإن مت على الإسلام لم أجتمع بها فى الآخرة، فتنصر ومات على النصرانية ـ حفظنا الله من ذلك ـ ولما مرضت المرأة قالت: إن فلانا كان يهوانى ولم يجتمع بى فى الدنيا، وأخشى إن مت على النصرانية ألا أجتمع به فى الآخرة، فأسلمت، وماتت على الإسلام.

وحكى: أن رجلا دخل بلاد الروم فرأى جارية، فافتتن بها فخطبها، فأبوا أن يزوجوه بها حتى يتنصر. فأجابهم إلى ذلك، فأحضروا له القسيسين وتنصر، فخرجت الجارية وبصقت فى وجهه، وقالت: ويحك تركت دين الحق؛ لشهوة، فكيف لا أترك أنا دين الباطل لنعيم الأبد؟ أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

ثم إن من لطف الله تعالى وسعة رحمته أن انقلاب الناس من الشر إلى الخير كثير، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر؛ ففى غاية الندور، ونهاية القلة، ولا يكون إلا لمن أصر على الكبائر.

قال بعضهم: الأسباب المقتضية لسوء الخاتمة ـ والعياذ بالله تعالى ـ أربعة: التهاون بالصلاة ـ أى التكاسل عن فعلها ـ وشرب الخمر، وأذى المسلمين، وعقوق الوالدين.

وروى: أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إن ههنا غلاما قد احتضر، فيقال له: قل لا إله إلا الله؛ فلا يستطيع أن يقولها. قال: **«أليس كان يقولها فى حياته؟»** قالوا: بلى. قال: **«فما منعه منها عند موته؟»** فنهض النبى ﷺ ونهضنا معه، حتى أتى الغلام، فقال: **«يا غلام قل لا إله إلا الله»** فقال: لا أستطيع أن أقولها. قال: **«ولم؟»** قال: لعقوق والدتى. قال: **«أحية هى؟»** قال: نعم. قال: **«أرسلوا إليها»** فجاءته، فقال لها رسول الله ﷺ : **«آبنك هو؟»** قالت: نعم. قال: **«أرأيت لو أن ناراً أججت، فقيل لك: إن لم تشفعى فيه قذفناه فى هذه النار»** فقالت: إذا كنت أشفع. قال: **«فأشهدى الله وأشهدينا بأنك قد رضيت»** فقالت: قد رضيت عن ابنى. فقال: **«يا غلام قل لا إله إلا الله»** فقال: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ : **«الحمد لله الذى أنقذه من النار»**[1].

وفى الحديث: علامة الشقاوة: جمود العين، أى قلة دمعها ،وقساوة القلب،

---

(١) البيهقى فى الشعب (٧٨٩٢) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٤٨/٨) رواه الطبرانى وأحمد باختصار وقال: فيه أبو الورقاء وهو متروك.

وحب الدنيا، أى الرغبة فيها، والانهماك عليها ،وطول الأمل، أى رجاء الإكثار من الإقامة فى الدنيا. وقال ذو النون المصرى: علامة السعادة: حب الصالحين والدنو منهم، وتلاوة القرآن، وسهر الليل، ومجالسة العلماء، ورقة القلب.

وقيل: علامة السعادة: أن تطيع الله، وتخاف أن تكون مردودا. وعلامة الشقاوة: أن تعصيه وترجو أن تكون مقبولا.

خاتمة: قال أبو إدريس الخولانى: سألت السيد الخضر ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقلت: يا نبى الله أى عمل إذا عمله العبد آمنه الله على الإيمان؟ فقال لى: أدركت مائة ألف نبى وسألتهم عن استعمال شىء يأمن العبد به من سلب الإيمان. فلم يجبنى أحد منهم، حتى اجتمعت بمحمد ﷺ، فسألته عن ذلك، فقال: حتى أسأل جبريل عن ذلك، فسأله عن ذلك، فقال: حتى أسأل رب العزة عن ذلك، فسأل رب العزة عن ذلك، فقال الله عز وجل: «**من واظب على قراءة آية الكرسى** و﴿**ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ**﴾[البقرة: ٢٨٥] إلى آخر السورة. و ﴿**شهد الله**﴾[آل عمران: ١٨] إلى قوله: ﴿**الإسلام**﴾ [آل عمران: ١٩] و﴿**قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ**﴾[آل عمران: ٢٦] إلى قوله: ﴿**بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [آل عمران: ٢٧] **وسورة الإخلاص والمعوذتين والفاتحة عقب كل صلاة، أمن من سلب الإيمان**»[1].

وقال الحكيم الترمذى: رأيت رب العزة ألف مرة، فقلت: يا رب إنى أخاف من زوال الإيمان؛ فأمرنى بقراءة هذا الدعاء بين سنة الفجر وفريضته. وهو هذا: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم بحرمة الحسين وأخيه وجده وأبيه وأمه وبنيه نجنى من الغم الذى أنا فيه، ياحى يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تحيى قلبى بنور معرفتك، يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين»

وذكر فى «حياة الحيوان» أن من صلى بعد سنة المغرب ركعتين كل ليلة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب، وآية الكرسى و﴿**قل هو الله أحد**﴾ والمعوذتين، فإذا سلم منهما صلى على النبى ﷺ عشرا. وقال ـ ثلاثا ـ: «اللهم إنى أستودعك دينى؛ فاحفظه علىّ فى حياتى، وعند مماتى، وبعد وفاتى؛ أمن من سوء الخاتمة»

---

(١) لم أقف عليه فيما عندى من مصادر ولكنه مخالف لصحيح الأحاديث حيث أن الخضر رجل عاش فى عهد سيدنا موسى عليه السلام فقط.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك؛ كتب برق**» أى فيه «**ثم طبع بطابع فلم يكسر إلى يوم القيامة**»[1] أى لم يتطرق إليه إبطال.

قال العلماء ـ رضى الله تعالى عنهم: وهذا يدل على أن قائل ذلك يموت على الإيمان، إذ صريحه عدم تطرق البطلان له أصلاً، ولو مات كافراً؛ لتطرق إليه، وحينئذ فيتأكد قول ذلك حرصا على هذه البشارة. ويا لها من بشارة.

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم جامع لجميع أحوال الشخص، إذ فيه بيان حال مبدئه وهو خلقه، وحال معاده وهو السعادة أو الشقاوة، وما بينهما وهو الأجل، وما يتصرف فيه وهو الرزق.

(**رواه البخارى ومسلم**) فى صحيحيهما ـ رحمهما الله تعالى ونفعنا بهما ـ

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ إن الله تعالى هو مدبر الكون ومصدر الأجنة فى الأرحام.

٢ ـ معرفة مراحل تكوين الجنين أول من تكلم عليها هو الدين الإسلامى.

٣ ـ الأعمال بالخواتيم.

٤ ـ الأجل والرزق قضيتان محسومتان عند الله، وطالما أنهما كذلك فلا يخاف الدعاة إلى الله من قصر الأجل أو نقص فى الرزق.

٥ ـ الإنسان ميسر لما خلق له ولكن عليه العمل لقوله ﷺ «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**».

---

(١) رواه بنحوه: النسائى فى عمل اليوم والليلة (٨٣) وابن السنى فى عمل اليوم والليلة (٣٢) والحاكم (١/ ٥٦٤) وصححه .

الحديث الخامس

النهى عن الابتداع فى الدين

٥ ـ عن أم المؤمنين أم عبدالله عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه البخارى ومسلم[١].

وفى رواية لمسلم: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»[٢].

الشرح والبيان

(عن أم المؤمنين أم عبدالله عائشة رضى الله تعالى عنها) هى الصديقة بنت الصديق ـ رضى الله تعالى عنه ـ وكنيت بأم المؤمنين لأنها من أزواجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد قال الله ـ عزوجل ـ: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] أى منزلات منزلتهن فى الاحترام والتعظيم وحرمة النكاح دون جواز الخلوة والنظر وتحريم البنات، وقيل لها: أم عبدالله، مع أن الأصح أنها لم تلد؛ لأن النبى ﷺ كناها بابن أختها أسماء: عبدالله بن الزبير لما سألته أن يكنيها، ولعل السبب فى تكنيتها به: ما بينها وبينه من شدة العلاقة والمودة والرحمة والمحرمية، وكونه أحب الأسماء إلى الله ـ تعالى ـ .

وكانت ـ رضى الله تعالى عنها ـ أحب نسائه إليه ﷺ بعد خديجة ـ رضى الله تعالى عنها ـ وفى التفضيل بينهما خلاف، والأصح: أن خديجة أفضل، ثم عائشة، وبعدها زينب بنت جحش، ثم حفصة، وبقية نسائه سواء. والمتفق عليه: أنهن كن إحدى عشرة، مات فى حياته منهن اثنتان: خديجة، وزينب بنت خزيمة، وتوفى عن الباقى، ونظمهم المقدسى فقال:

توفى رسول الله عن تسع نسوة ... إليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية ... وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ... ثلاث وست ذكرهن مهذب

---

(١) البخارى فى الصلح (٢٦٩٧) ومسلم فى الأقضية (١٧١٨/١٧) وأبو داود فى السنة (٤٦٠٦) وأحمد (٦/ ٢٤٠) وابن ماجة فى المقدمة (١٤)

(٢) مسلم فى الأقضية (١٧١٨/١٨).

ولم يتزوج ﷺ منهن بكرا غير عائشة، وهى أول امرأة عقد عليها بعد موت خديجة، وكان ذلك بمكة وهى بنت ست أو سبع. ودخل بها فى المدينة وهى بنت تسع أو عشر.

روى: أنه لما ماتت السيدة خديجة اغتم النبى ﷺ فجاءه جبريل ـ عليه السلام ـ بورقة من الجنة منقوش عليها صورة السيدة عائشة. وقال : يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول: إنى زوجتك البكر التى تشبه هذه الصورة فى السماء، فتزوجها أنت فى الأرض، فدعا النبى ﷺ الخطابة، وقال لها: «**هل تعرفين فى مكة بكرا تشبه هذه الصورة**» قالت: نعم، بنت أبى بكر تشبهها، فدعا النبى ﷺ أبا بكر وقال له: «**إن لك بنتا تشبه هذه، تسمى عائشة، زوجنى الله تعالى بها فى السماء، وأمرك أن تزوجنى بها فى الأرض**» فقال: يا رسول الله إنها صغيرة لا تصلح لك، قال: «**لو لم تكن صالحة لما زوجنى الله تعالى بها**» فعقد النكاح، ورجع أبو بكر إلى منزله، وأرسل مع عائشة طبقا من تمر، وقال لها: اذهبى بهذا إلى رسول الله ﷺ وقولى له: يا رسول الله هذا الذى ذكرته لأبى، إن كان يصلح لك؛ فمبارك عليك. فمضت. وهى تظن أن أبا بكر يقصد التمر، فدخلت على رسول الله ﷺ وبلغته الرسالة، فقال: «**قبلنا يا عائشة قبلنا**» وجذب طرف ثوبها، فنظرت إليه مغضبة وذهبت. فدخلت على أبيها فأخبرته بما وقع. فقال: يا بنية لا تظنى برسول الله ﷺ ظن سوء إن الله تعالى قد زوجك به، وإنى قد زوجتك منه. قالت: فما فرحت بشىء أشد من فرحى بقول أبى بكر: قد زوجتك منه.

ويقال: إن أول حب وقع فى الإسلام حب النبى ﷺ لها.

وكانت رضى الله تعالى عنها صائمة الدهر، صاحبة كرم وزهد. بعث لها معاوية ـ رضى الله تعالى عنه ـ طوقاً من ذهب. فيه جوهر قيمته مائة ألف، فقسمته بين أزواج النبى ﷺ . وبعث لها عبدالله بن الزبير مالا فى غرارتين نحو ثمانين ومائة ألف؛ ففرقته على الناس، وأمست وهى صائمة وما عندها درهم، وأفطرت بخبز وزيت، فقيل لها: هلا أبقيت درهما فتشترى به لحما. فقالت: لو ذكرت لفعلت.

وكانت ـ رضى الله تعالى عنها ـ فقيهة عالمة حافظة فصيحة. طلب منها معاوية ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن ترسل إليه كتابا توصيه فيه، ولا تكثر، فكتبت: من عائشة إلى معاوية: سلام عليك

أما بعد: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من التمس رضا الناس بسخط الله؛ وكله الله إلى الناس، ومن التمس رضا الله بسخطهم؛ كفاه الله مؤونة الناس**»(١) والسلام عليك

وكتبت له مرة أخرى

أما بعد: فاتق الله، فإنك إن اتقيت الله؛ كفاك الناس، وإن اتقيتهم؛ لم يغنوا عنك من الله شيئا. والسلام»

وقد ورد فيها: «**خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء**»(٢)، تصغير حمراء، وقال أبو موسى: ما أشكل علينا حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما(٣).

وقيل: إن الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يسألونها عن الفرائض. وقال الزهرى: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبى ﷺ وجميع النساء كان علم عائشة أكثر.

روى لها ألف حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث، وماتت وعمرها ست وستون سنة، ودفنت بالبقيع ـ نفعنا الله تعالى بها ـ.

---

(١) الترمذى فى الزهد (٢٤١٤) وأبو نعيم فى حلية الأولياء (٨/١٨٨) وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير (٨٣١٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث (١/٤٣٨) والعجلونى فى كشف الخفاء ١/٤٤٩، ٤٥٠ (١١٩٨) وقال: قال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث ابن الحاجب: لا أعرف له إسنادا ولا رأيته فى شىء من كتب الحديث إلا فى النهاية لابن الأثير، ورأيته فى الفردوس بغير لفظه، وقال السيوطى فى الدر: لم أقف عليه، وقال الحافظ عماد الدين فى تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب: هو حديث غريب جدا بل هو منكر. سألت عنه شيخنا المزى فلم يعرفه ولم أقف له على سند إلى الآن. انظر الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص (٣٩٩).

(٣) الترمذى فى المناقب (٣٨٨٣) وقال: حديث حسن صحيح.

(**قالت: قال رسول الله ﷺ: من أحدث**) أى أنشأ واخترع من قبل نفسه أمرا حادثا، أى لم يكن موجودا فى زمن النبى ﷺ وهو المسمى بالبدعة.

(**فى أمرنا**) أى شأننا الذى نحن عليه وهو دين الإسلام، كما جاء فى رواية: «**فى ديننا**» وأشار إليه بقوله (**هذا**) تنزيلا له منزلة المحسوس والمشاهد تعظيما له.

وقوله (**ما ليس منه**) أى ليس من أمرنا بأن كان ينافيه، أو ليس له مستند من أدلة الشرع (**فهو رد**) أى مردود لا يعتد به.

(**رواه البخارى ومسلم. وفى رواية لمسلم: من عمل عملا**) أى أحدثه هو أو غيره (**ليس عليه أمرنا**) أى حكمنا وإذننا بأن كان غير مستند إلى دليل شرعى (**فهو رد**) أى مردود ـ كما مر ـ

وأتى المصنف بهذه الرواية؛ لأنها تفيد أن كل عمل لم يكن على أمر الشرع؛ فهو مردود، وفاعله آثم. سواء كان محدثا له، أو مسبوقا به. فهى أعم مما قبلها.

ثم إن هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ وفيه: التحذير من البدع والمخترعات المذمومة؛ مكروهة كانت، أو محرمة.

فمن الأولى: زخرفة المساجد، وتزويق المصاحف، والتزام القبور، وما عليها من نحو تابوت، وشرب الدخان المعروف؛ وأول حدوثه كان فى بلاد الإنكليز، ثم انتشر فى بلاد الإسلام بعد الألف بخمس سنين أو عشر، ولم يجلبه الإنكليز لبلاد الإسلام إلا بعد أن اجتمع أطباؤهم على منعهم من الملازمة عليه، وألا يستعملوا منه إلا القدر الذى لا ضرر فيه.

وقيل: إنهم شرحوا رجلا بعد موته كان ملازما على شربه فوجدوه ساريا فى عروقه وعصبه؛ حتى إن مخ عظامه قد اسود، ووجدوا قلبه مثل السفنجة اليابسة وكبده محروقا كأنه شوى فى النار. ومن ذلك الوقت منعوا من المداومة عليه، وأمروا ببيعه للمسلمين ليضرهم فى الآجل. ولذا نقل عن بعض العلماء: أنه قال بتحريمه، فالاحتياط المنع من شربه.

ومن أمثلة الثانية وهى المحرمة: المكوس[1] والاشتغال بمذهب أهل البدع المخالفة لما عليه أهل السنة، والتقرب إلى الله تعالى بآلة اللهو؛ كالكاس والمزمار وترك الحدود الشرعية وإبدالها بعقوبات أخرى مالية أو بدنية، وبيع الخمر والكلب والخنزير، وأكل الحشيشة المعروفة وشربها، وكان حدوثها فى أواخر المائة السابعة، وذكر العلماء أن فيها مائة وعشرين مضرة دينية وأخروية.

واعلم: أن من أحدث بدعة محرمة كان عليه وزرها ووزر من يعمل بها إلى يوم القيامة. كما أن من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة.

وأخرج ابن ماجه عن حذيفة مرفوعا: «**لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوما، ولا صدقة، ولا حجا ولا عمرة، ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا ـ أى لا فرضا ولا سنة ـ يخرج من الدين كما تخرج الشعرة من العجين**»[2].

وكان السلف الصالح ينكرون البدعة المباحة فضلا عن المحرمة والمكروهة.

حكى: أن أبا يوسف صاحب الإمام أبى حنيفة حضر مائدة الخليفة هارون الرشيد فطلب الملاعق، فقال له: يا أمير المؤمنين قد قال جدك ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] أى جعلنا لهم أصابع يأكلون بها، ولم نجعلهم كالدواب تأكل بأفواهها، فأبى إلا أن يأكل بالملاعق. وقيل إنه ردها وأكل بأصابعه.

وما أحسن قول بعض علماء الأندلس: ثلاث بهن خير الدنيا والآخرة: اتبع ولا تبتدع، اتضع ولا ترتفع، من ورع لا يتسع.

---

(١) المكس: الضريبة التى يأخذها المكاس ممن يدخل البلد.

(٢) ابن ماجة فى المقدمة (٤٩).

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ الأمر المبتدع أمر باطل غير معتد به وصاحبه ليس له من الأجر شيء.

٢ ـ القوانين والدساتير والأحكام الأرضية البشرية من البدع التى استحدثت في الأحكام.

٣ ـ يجب التسلح بسلاح الحكمة والتحلى بالموعظة الحسنة فى محاربة البدعة.

الحديث السادس

البعد عن مواطن الشبهات

٦ ـ عن أبى عبدالله ـ النعمان بن بشير ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب» رواه البخارى ومسلم[1].

الشرح والبيان

(**عن أبى عبدالله النعمان**) بضم النون الأولى (**ابن بشير**) بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة (**رضى الله تعالى عنهما**). ولد النعمان هذا على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة، وحملته أمه إلى المصطفى ﷺ، فطلب تمرة فمضغها ثم وضعها فى فمه. وهو أول مولود ولد للأنصار بعد قدوم النبى ﷺ المدينة، ومات ﷺ وعمره ثمانى سنين وسبعة أشهر، فقد تحمل الحديث وهو صغير، وأداه بعد بلوغه، وولى إمارة الكوفة وقضاء دمشق وحمص.

وكان من أخطب الناس، ومن خطبه: إن للشيطان مصائد وفخوخاً، وإن من مصائده وفخوخه؛ البطر بنعم الله، والفخر بعطاء الله، والكبر على عباد الله، واتباع الهوى فى غير ذات الله.

روى له مائة حديث وأربعة عشر حديثا، وقتل غيلة ـ أى بحيلة ـ سنة أربع أو خمس أو ست وستين، وله أربع وستون سنة. وكان قتله مصداقا لقول النبى ﷺ لأمه حين طلبت منه أن يدعو له بكثرة ماله وولده: «**أما ترضين أن يعيش**

---

(١) البخارى فى الإيمان (٥٢) وفى البيوع (٢٠٥١) ومسلم فى المساقاة (١٥٩٩/١٠٧، ١٠٨) وأبو داود في البيوع (٣٣٢٩، ٣٣٣٠) والترمذى فى البيوع (١٢٠٥) والنسائى فى البيوع (٧/ ٢٤١ـ ٢٤٣) وابن ماجة فى الفتن (٣٩٨٤) والدارمى فى البيوع (٢٥٣١) وأحمد (٤/ ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥)

حميدا ويقتل شهيداً ويدخل الجنة»

(قال) نفعنا الله تعالى به **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الحلال بين)** أى ظاهر متضح لا يخفى حله. وهو عند الشافعى ومالك: ما لم يرد دليل بتحريمه؛ بأن ورد دليل بحله، أو لم يرد دليل لا بحله، ولا بحرمته؛ كشرب القهوة والدخان. وعن أبى حنيفة: أنه ما ورد دليل بحله. فهو أخص مما قبله لخروج المسكوت عنه؛ فهو حرام عنده؛ لكن الصحيح فى مذهبه: موافقة ما قاله الشافعى ومالك، وهو الحل.

واعلم أن أخذ الشيء والاستيلاء عليه؛ إما أن يكون بغير اختيار، وإما أن يكون باختيار. فالذى بغير اختيار كالإرث، والذى باختيار إما أن يكون من غير مالك، وإما أن يكون من مالك، فالذى من غير مالك كالأشياء المباحة التى لم يسبق عليها ملك كثمار الجبال والبرارى وحشيشها، والذى يكون من مالك إما أن يؤخذ كرها وإما أن يؤخذ بالتراضى. فالمأخوذ كرها كالغنائم وكالزكوات والنفقات الواجبات من الممتنعين عن دفعها. والمأخوذ بالتراضى إما أن يؤخذ بعوض كالبيع والصداق، وإما بغير عوض كالهبة والصدقة، وجميع هذه الأشياء حلال إذا روعى فى تحصيلها شروط الشرع المذكورة فى كتب الفقه.

(وإن الحرام بين) أى ظاهر غير خفى، وهو ما منع من تعاطيه دليل على مذهب الشافعى ومالك. فهو ما نص الله أو رسوله أو أجمع المسلمون على تحريمه. وعن أبى حنيفة: ما لم يرد دليل بحله. فهو أعم مما قبله لدخول المسكوت عنه، والصحيح فى مذهبه: أنه ما دل الدليل على حرمته والمنع منه، فهو موافق لمذهب الشافعى ومالك.

ثم إن منع الشارع منه إما لمفسدة فيه ظاهرة؛ كالمسكرات، أو خفية. كالزنا، وإما لمضرة فيه ظاهرة. كالسميات، أو خفية؛ كلحم ما لا يؤكل ومذكى المجوس. وإما لخلل فى تحصيله كالمأخوذ بالغصب أو السرقة أو العقد الفاسد أو المعاطاة؛ وهى أن يتراضيا بغير صيغة شرعية، وهى محرمة فى الحقير وغيره. وقيل: ينعقد البيع بها فى كل ما يعده الناس بها بيعا. وقيل: فى المحقرات فقط: كرغيف عيش ونحوه. وذهب المالكية والحنفية إلى انعقاد البيع بها فى الحقير وغيره.

ونقل عن الغزالى: أن الحرام كله خبيث، ولكن بعضه أخبث من بعض، فليس المأخوذ بالمعاطاة كالمأخوذ بالغصب، بل المغصوب أغلظ إذ فيه ترك طريق الشرع وإيذاء الغير، وليس فى المعاطاة إلا الأول. ودرجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى ـ بفتح الذال المعجمة ـ فالمأخوذ ظلما من فقير أو صالح أو يتيم أخبث وأغلظ من المأخوذ من غنى أو فاسق أو قوى.

وفى الحديث: «**إن لله تعالى ملكاً على بيت المقدس ينادى كل ليلة: من أكل حراماً لم يقبل منه صرف**» ـ أى نافلة ـ «**ولا عدل**» أى فريضة[1]

(**وبينهما**) أى بين الحلال والحرام الواضحين (**أمور مشتبهات**) أى غير واضحات الحل والحرمة. والمراد: أنها تشتبه على بعض الناس دون بعض؛ ولذا قال (**لا يعلمهن**) أى لا يعرف حكمهن من التحليل والتحريم (**كثير من الناس**) بل الذى يعرف ذلك قليل، وهم العلماء الراسخون فى العلم، وإذا عرفوا حكم شىء اتبعوا فيه، فإن لم يظهر لهم شىء بأن تعارض لهم دليلان فى شىء، ولم يظهر لهم ترجيح أحدهما؛ فالمختار التوقف فيه. وإذا كان الدليل غير خال عن الاحتمال؛ فالورع تركه.

(**فمن اتقى الشبهات**) أى تحرز عنها وتركها، والمراد بها: المشتبهات (**فقد استبرأ**) بالهمز وتركه. أى حصل البراءة (**لدينه**) عن النقص (**وعرضه**) من الطعن فيه.

واعلم: أن من أتى شيئا يظنه الناس شبهة. وهو يعلم أنه حلال؛ فلا حرج عليه من الله فى ذلك، ولكن إذا خشى من طعن الناس فيه بسبب ذلك؛ كان تركه حينئذ حسنا استبراء لعرضه.

وقال بعضهم: يستحب لكل من ارتكب ما يدعو الناس إلى الوقيعة فيه أن يستر على نفسه، كمن أحدث فى صلاته أو وهو منتظر إقامتها، لا سيما مع قرب الزمان، فيستحب له أن يأخذ بأنفه ثم ينصرف موهما أنه رعف، سترا على نفسه

---

(١) رواه الخطيب البغدادى (١٥٨/٤) بمعناه وذكره الشوكانى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص (١٤٥) وقال: لم يوجد له أصل.

لئلا يخوض الناس فيه.

وجاء: أن أنسا ـ رضى الله تعالى عنه ـ خرج لصلاة الجمعة فرأى الناس راجعين منها، فدخل محلا لا يرونه، وقال: من لا يستحى من الناس لا يستحى من الله.

وقال بعض السلف: من عرض نفسه للتهم؛ فلا يلومن من أساء به الظن. وروى: أن السيدة صفية زوج النبى ﷺ رضى الله عنها جاءت إليه تزوره، وهو معتكف فى المسجد، فتحدثا ثم قامت إلى منزلها. فقام النبى ﷺ معها، حتى إذا بلغت باب المسجد مر رجلان فسلما على رسول الله ﷺ لما رأياه، واستحيا فرجعا مسرعين، فقال لهما النبى ﷺ: **«امشيا على رسلكما»** ـ بكسر الراء وسكون المهملة ـ أى على هينتكما **«فليس شيئا تكرهانه إنما هى صفية»** فشق عليهما ذلك وقالا: سبحان الله وهل نظن بك إلا خيرا؟ فقال النبى ﷺ: **«ما أقول لكما هذا أن تكونا تظنان شرا، ولكن قد علمت أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم»** أى يتمكن من إغوائه وإضلاله تمكنا تاما **«وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا»**[1]. **[فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم]**[2]

ويؤخذ من ذلك: طلب التحرز مما يتوهم منه نسبة الإنسان إلى ما لا ينبغى، وهو متأكد فى حق العلماء، ومن يقتدى بهم؛ فلا ينبغى لهم أن يفعلوا فعلا يوجب ظن السوء بهم، وإن كان لهم مخلص؛ لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم.

(ومن وقع فى الشبهات) بأن لم يترك فعلها **(وقع في الحرام)** المحض، أو قارب أن يقع فيه. يعنى: أن من أكثر من تعاطى الشبهات صادف الحرام وهو لا يشعر به. وقيل: المعنى أنه يعتاد التساهل فى ارتكابها، ويتمرن عليه، ويتجاسر على فعل شبهة، ثم شبهة أغلظ منها ثم أغلظ، وهكذا، حتى يقع فى الحرام

---

(١) رواه البخارى فى الاعتكاف (٢٠٣٥) وفى بدء الخلق (٣٢٨١) وفى الأدب (٦٢١٩) ومسلم فى السلام (٢١١٥/٢٤).

(٢) مابين المعكوفتين ليست من الحديث.

عمدا. وربما استولت عليه الذنوب، وأخذت بمجامع قلبه؛ فيصير بطبعه مائلا إليها، مستحسنا إياها ظانا أنه لا لذة سواها، وحينئذ يبغض من يمنعه عنها، ويعرض عمن ينصحه فيها.

وقد قيل: الصغيرة تجر الكبيرة وهي تجر الكفر - نسأل الله السلامة - ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿**وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا**﴾ [آل عمرن: ١١٢] أى تدرجوا بالمعاصى إلى قتلهم. وقوله ﷺ: «**لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**»[١]. أى يتدرج منهما إلى نصاب السرقة، فتقطع يده.

وحكى عن هشام أنه قال: كنت أمشى خلف العلاء فكان يتوقى الطين، فدفعه إنسان، فوقعت رجله فى الطين؛ فخاضه، فلما وصل إلى الباب قال لى: رأيت يا هشام؟ قلت: نعم. قال: كذلك المرء المسلم يتوقى الذنوب، فإذا وقع فيها خاضها.

ثم إن النبى ﷺ مثل لما ذكره بقوله (**كالراعى**) أى هو أى حاله كحال الراعى الذى هو حافظ الحيوان (**يرعى**) مواشيه (**حول**) يعنى جانب (**الحمى**) أى المكان المحمى، والمراد به موضع الكلأ الذى منع منه الغير، وتوعد من رعى فيه (**يوشك**) بضم الياء وكسر الشين المعجمة أى يسرع ويقرب (**أن يرتع**) بفتح الياء والتاء وفى نسخة «**يقع**» (**فيه**) أى المحمى، أى تدخله الماشية وتأكل منه. ووجه هذا التمثيل: أن الراعى يجره رعيه حول الحمى إلى وقوعه فيه، فيستحق العقاب. فكذلك المكثر من الشبهات؛ ينجر إلى فعل الحرام فيستحق العقاب بسبب ذلك

(**ألا**) هى للتنبيه، أتى بها إشارة إلى أن ما بعدها أمر ينبغى التنبيه له. والجملة بعدها معطوفة على مقدّر بعدها، أى ألا إن الأمر كما ذكر (**وإن لكل ملك**) بكسر اللام من ملوك العرب (**حمى**) يتحجره لرعى خيله أو غير ذلك من مصالحه، ويوقع العقوبة على من دخله، ومن احتاط لنفسه لا يقرب منه خوفاً من الوقوع فيه.

---

(١) البخارى فى الحدود (٦٧٨٣) ومسلم فى الحدود (١٦٨٧)

ومن ذلك ما حكى أن كليبا كان إذا مر بمرعى وأعجبه حماه وعلامة ذلك أن يأخذ جروا فيقطع أذنه وذنبه، ويتركه فى ذلك المكان ينبح، فإذا سمعت العرب نباحه تجنبت ذلك المرعى؛ خوفا من حصول العقوبة لهم.

(ألا وإن حمى الله محارمه) أى معاصيه التى حرمها، فمن دخل حماه بارتكاب شيء من المعاصى؛ فقد استحق العقوبة، ومن قاربه يوشك أن يقع فيه. فينبغى للعاقل أن يتباعد عن المحرمات كل التباعد، وأن يجعل بينه وبينها حاجزاً، خوفاً من الوقوع فيها؛ فتحل عليه العقوبة.

حكى عن الجنيد ـ نفعنا الله تعالى به ـ أنه دخل مغارة فى ليلة شاتية، وكان معه حمارة ، فأخرجها من المغارة، وقال: مغارة وحمارة وليلة مطارة ونفس أمارة.

وحكى أن الشبلى ـ رضى الله تعالى عنه ـ دخل مرة خرابة فرأى فيها حمارة، فصاح بأعلى صوته: الحقونى فإنى أخاف أن ينهض بى الشيطان. أى يسرع إلى.

(ألا وإن فى الجسد مضغة) أى قطعة لحم صغيرة بقدر ما يمضغ **(إذا صلحت)** بفتح اللام أى بالإيمان والعلم والعرفان **(صلح الجسد كله)** أى بالإخلاص فى الأعمال للملك الديان **(وإذا فسدت)** بفتح السين أى بالجحود والكفران **(فسد الجسد كله)** أى بالفجور والعصيان **(ألا وهى القلب)** وهو محل العقل المميز بين الضار والنافع، وورد فى الحديث الشريف: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه**» [١] ومعنى استقامته: كونه ممتلئا من محبة الله ومحبة طاعته وكراهة معصيته.

وقيل: إن لقمان كان عبدا حبشيا فدفع إليه سيده شاة، وقال له: اذبحها وائتنى بأطيب مضغتين منها؛ فأتاه بالقلب واللسان. ثم بعد أيام دفع إليه شاة أخرى، وقال له: اذبحها وائتنى بأخبث مضغتين منها، فأتاه بالقلب واللسان، فسأله عن ذلك، فقال: هما أطيب شيء إذا طابا، وأخبث شيء إذا خبثا.

---

(١) أحمد (٣/١٩٨) وابن عدى فى الكامل (٥/٢٨٨) والبيهقى فى الشعب (٨) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/٥٣): رواه أحمد وفى إسناده على بن مسعدة وثقه جماعة وضعفه آخرون.

وذكر العلماء أن صلاح القلب فى تسعة أشياء: أحدها: قراءة القرآن بالتدبر. ثانيها: خلاء البطن بتقليل الأكل. ثالثها: قيام الليل بالعبادة. رابعها: التضرع عند السحر. خامسها: مجالسة الصالحين. سادسها: الصمت عما لا يعنى. سابعها: العزلة عن أهل الجهل. ثامنها: ترك الخوض فى الناس. تاسعها: أكل الحلال. وهو رأسها؛ فإنه ينور القلب ويصلحه؛ فتزكو بذلك الجوارح، وتدرأ المفاسد، وتكثر المصالح. وأكل الحرام والشبهات يصدئ القلب، ويظلمه ويقسيه.

وقد قيل: يخاف على آكل الحرام والشبهة ألا يقبل له عمل ولا يرفع له دعاء؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] وآكل الحرام والمسترسل فى الشبهات؛ ليس بمتق على الإطلاق.

وقال أبو ذر ـ رضى الله تعالى عنه: تمام التقوى: أن يتق الله العبد بترك بعض الحلال مخافة أن يكون حراما. وروى أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه، ونفعنا به أتاه غلامه بلبن فشربه، فقال له الغلام: كنت إذا جئتك بشىء تسألنى عنه، ولم تسألنى عن هذا اللبن فقال له: وما قضيته؟ قال: رقيت قوما رقى الجاهلية ـ بفتح الراء وسكون القاف ـ فأعطونى هذا، فلما سمع ذلك أجهد نفسه حتى تقايأه، وقال: اللهم هذا مقدرتى فما بقى فى العروق فأنت حبسته. فقيل له: أكل ذلك فى شربة؟ فقال: والله لو لم تخرج إلا بنفسى لأخرجتها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به**». فخشيت أن ينبت شىء من جسدى من هذه الجرعة [١] وفى رواية أنه قال لغلامه: هل عندك شىء؟ فقال: نعم قطعة لحم، فقال له: اشوها وهاتها. فلما أكلها قال له الغلام: مالك ما سألت عنها على عادتك؟ فقال: كنت جائعا فمن أين هى؟ قال: مررتُ على قوم من الجاهلية قد عملوا عرساً فأعطونى هذه القطعة، فقام أبو بكر ـ رضى الله تعالى عنه، ولم يزل يتقايأ حتى أخرجها، وهى مصبغة بالدم، فقيل له: يا صاحب رسول الله ﷺ وما مقدار هذه؟ فقال: والله لو لم تخرج إلا بروحى لأخرجتها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل لحم نشأ من سحت فالنار أولى به**» والسحت: بضم فسكون وبضمتين: الحرام أو ما خبث من المكاسب

(١) ابو نعيم فى حلية الأولياء (١/ ٣١).

ولزم عنه العار. وقال إبراهيم بن أدهم: الورع ترك كل شبهة وترك ما لايعنيك.

وما أحسن قول بعضهم:

المرء إن كان عاقلا ورعا أشغله عن عيوبهم ورعه
كما العليل السقيم أشغله عن وجع الناس كلهم وجعه

وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كن ورعا تكن أعبد الناس، وكن قنعا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا، وأحس مجاورة من جاورك تكن مسلما، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**» (١)

وقيل: إن الله أوحى إلى موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه: لا يتقرب إلى المتقربون بمثل الورع. وقال الحسن: مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال ذرة من الصوم والصلاة.

ورؤى سفيان الثورى فى المنام وله جناحان أخضران يطير بهما من شجرة إلى شجرة، فقيل له: بم نلت هذا؟ قال: بالورع.

لطيفة: قيل: إن ورع العوام ترك الشبهات، وأما ورع الخواص فهو صحة اليقين، وكمال التعلق برب العالمين، وعدم الركون إلى غيره.

كما حكى عن بعضهم أنه قال: خرجت من بغداد أريد الموصل، فبينما أنا أسير وإذا بالدنيا قد عرضت على بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها وزيناتها ومشتهياتها، فأعرضت عنها. فعرضت على الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها. فقيل لى: لو وقفت مع الأولى لحجبناك عن الثانية، ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا، فها نحن لك وقسطك، أى نصيبك من الدارين، يأتيك.

ثم إن هذا الحديث قد أجمع العلماء على كثرة فوائده، ومن أمعن النظر فيه وجده حاويا لعلوم الشريعة، إذ هو مشتمل على الحث على فعل الحلال،

---

(١) ابن ماجة فى الزهد (٤٢١٧) وفى الزوائد: هذا إسناد حسن، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٣٦٥) والبيهقى فى الزهد (٨١٨).

واجتناب الحـرام، والإمساك عن الشـبهات، والاحـتياط للدين والعـرض، وعدم تعاطى الأمور الموجبة لسـوء الظن والوقوع فى المحذور، وتعظيم القلب، والسعى فيما يصلحه. وغير ذلك.

(رواه **البـخارى**) فى كتـاب الإيمان والبيع (**ومسلم**) فى البيـع. ورواه أيضاً الأربعة ـ رحمهم الله تعالى.

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ من أنكر معلوما من الدين بالضرورة فقد ارتد عن الإسلام.

٢ ـ صلاح الأقوال والأعمال متوقف على صـلاح الجسد وصلاح الجسد يكون بصلاح القلب وبفساد القلب يفسد كل شئ.

٣ ـ مهمة التحلـيل والتحريم خصوصية من خصوصـيات المولى ـ عزَّ وجلَّ ـ فلا يحق لأحد أيا كان أن يعطى لنفسه حق التشريع والتحليل والتحريم.

٤ ـ الدعاة هم المتفقهون فى الدين المتضلعون فى أحكامه.

٥ ـ عدم الخـوض فى الأمـور المشتـبهـة بلا علم ولا دراية حتى لا نكون ممن قـال الله فيهم: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِـخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾** [آل عمران: ٧]

٦ ـ إن سد الذرائع أصل من أصول التـشريع الإسلامى فما يؤدى إلى الحـرام حرام وما يؤدى إلى الحلال حلال، وما لا يؤدى الواجب إلا به فهو واجب.

الحديث السابع

النصيحة عماد الدين

٧ ـ عن أبى رقية؛ تميم بن أوس الدارى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم» رواه مسلم (١).

الشرح والبيان

(**عن أبى رقية**) بضم الراء وتشديد المثناة التحتية (**تميم بن أوس**) بفتح الهمزة وسكون الواو (**الدارى رضى الله تعالى عنه**) كنى بأبى رقية التى هى بنته؛ لأنه لم يولد له غيرها. وقيل له الدارى نسبة إلى جده الدار بن هانئ. وقيل: إلى موضع يقال له دارين.

أسلم رضى الله تعالى عنه ونفعنا به سنة تسع من الهجرة، وكان من مشاهير الصحابة وأفاضلهم ـ رضى الله تعالى عنهم ـ وغزا مع رسول الله ﷺ، وكان صاحب دين وقيام وقراءة. كان يختم القرآن في ركعة، وربما كان يردد الآية الواحدة الليل كله إلى الصباح. واشترى حلة بألف كان يقوم فيها الليل. وقيل: كان يخرج فيها إلى الصلاة. ويقال: إنه لما قدم المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا، وعلق تلك القناديل بسوارى المسجد وأوقدت، فقال له رسول الله ﷺ: «**نورت مسجدنا نور الله عليك فى الدنيا والآخرة، أما والله لو كان لى ابنة لأنكحتكها**» (٢) فقال رجل: يا رسول الله أنا أزوجه ابنتى، فزوجه إياها.

ومن مناقبه رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ حدث عنه على المنبر قصة الجساسة والدجال، وحاصلها أن النبى ﷺ جمع الناس، فلما حضروا وقضى صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: «**ليلزم كل إنسان مصلاة**» ثم قال: «**أتدرون لم جمعتكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**والله ما جمعتكم**

---

(١) البخارى تعليقا فى الإيمان ـ باب (٤٣) ووصله مسلم فى الإيمان (٥٥/ ٩٥) وأبو داود فى الأدب (٤٩٤٤) والترمذى فى البر والصلة (١٩٢٦) والنسائى فى البيعة (٧/ ١٥٦، ١٥٧) وأحمد (٢/ ٢٩٧).
(٢) القرطبى فى التفسير (١٢/ ٢٧٤).

لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميماً الدارى كان رجلا نصرانيا، فجاء فبايع وأسلم، وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال. حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام،فلعب بهم الموج شهرا فى البحر فأرسوا إلى جزيرة، أى قاربوها، حيث تغرب الشمس، فجلسوا فى أقرب السفينة ـ بضم الراء جمع قارب بكسرها ـ سفينة صغيرة يقال لها سنبوك ـ فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة كبيرة كثيرة الشعر، لا يدرون ما قبلها من دبرها من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة ـ بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى ـ سميت بذلك لتجسسها الأخبار، أى تفتيشها عنها للدجال، قالت:أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق ـ أى شديد الأشواق إليه ـ

قال: فلما سمت لنا رجلا فزعنا منها، أى خفنا أن تكون شيطانة، فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه خلقا وأشده وثاقا، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا:ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبرى فأخبرونى ما أنتم؟ قالوا:نحن أناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية فلعب بنا الموج شهرا فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة كثيرة الشعر. فقالت:أنا الجساسة، اعمدوا إلى هذا الدير. فأقبلنا إليك سراعا، فقال:أخبرونى عن نخل بيسان [١] هل تثمر؟قلنا:نعم. قال:أما إنها يوشك ـ أى يقرب ـ ألا تثمر. قال: أخبرونى عن بحيرة طبرية هل فيها ماء؟ قلنا: هى كثيرة الماء. قال: إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبرونى عن عين زُغر ـ بضم الزاى وفتح الغين المعجمة ـ هل فى العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا:نعم، هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها. قال:أخبرونى عن نبى الأمين ما فعل؟ قلنا:قد خرج من مكة ونزل بيثرب ـ اسم للمدينة قبل النهى عنه ـ قال: أقاتلته العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال: أما إن ذلك خير لهم إن يطيعوه، وإنى مخبركم عنى؛ إنى أنا المسيح، سمى بذلك لأنه يمسح الأرض فى المدة اليسيرة، وإنى يوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير

---

(١) بيسان: قرية بالشام.

في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة هما محرمتان عليّ، أي ممنوع من دخولهما كلتاهما، **كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا**، بفتح الصاد وضمها، أي مسلولا، **يصدني عنهما. وإن على كل نقب، أي طريق منهما، ملائكة يحرسونهما**» وطعن رسول الله ﷺ بمخصرته في المنبر وقال: «**هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة**» يعني المدينة. «**ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟**» قالوا: نعم[1]. والمخصرة: بكسر الميم يتوكأ عليه كالعصا ونحوها، ومايشير به الخطيب إذا خاطب الناس.

وانتقل تميم من المدينة إلى الشام بعد مقتلة عثمان - رضي الله تعالى عنه - وسكن بيت المقدس، ومات سنة أربعين، ودفن ببيت جبريل، ويقال: جبرين قرية من قرى الخليل - عليه وعلى نبينا وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة والسلام.

روى له ثمانية عشر حديثا، وليس له في صحيح البخاري رواية ولا في مسلم إلا هذا الحديث الذي ذكره المصنف وهو (**أن النبي ﷺ قال: الدين**) أي دين الإسلام (**النصيحة**) وهي كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح. والكلام على حذف مضاف أي عماد الدين ومعظمه النصيحة. وقيل: لا حذف، بل الدين محصور فيها؛ لأن من جملتها الإيمان بالله ورسوله، وطاعتهما، والعمل بما قالاه، وليس وراء ذلك من الدين شيء فهي جامعة له، وقد قيل: ليس في كلام العرب أجمع لخيرى الدنيا والآخرة من كلمة النصيحة وكلمة الفلاح

(**قلنا**) معشر السامعين (**لمن**) أي هي لمن يا رسول الله؟

(**قال: لله**) بمعنى الإيمان به، ونفي الشريك عنه، والإخلاص له، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه.

وروى: أن الحواريين قالوا لعيسى - صلوات الله وسلامه عليه: من الناصح لله؟ قال: الذي يقدم حق الله على حق الخلق، وإن عرض عليه أمران: أحدهما لله والآخر للدنيا بدأ بحق الله تعالى.

كما حكى أن ثلاثة أخوة كانوا يغزون، فأسرهم الروم، وقال لهم الملك: إني

---

(١) الحديث بتمامه رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٩٤٢/١١٩).

أجعل فيكم الملك، وأزوجكم بناتى، وتدخلون فى دين النصرانية. فأبوا، فأمر بثلاث قدور فصب فيها الزيت، ثم أوقد تحتها وعرضهم عليها ثلاثة أيام، وهو يدعوهم إلى النصرانية، فيأبون فألقى الأكبر ثم الأوسط، ثم أدنى الأصغر فجعل يفتنه عن دينه، فيأبى. فقام إليه علج[1] ، فقال: أيها الملك أنا أفتنه عن دينه. قال: بماذا؟قال: قد علمت أن العرب أسرع شيء إلى النساء، وليس فى الروم أجمل من بنتى، فادفعه إلىّ حتى أخليه معها، فإنها ستفتنه. فدفعه إليه وضرب له أجلا أربعين يوما. فجاء به فأدخله مع ابنته فى محل وأخبرها بالأمر، فأقام عندها صائم النهار قائم الليل، حتى مضى أكثر الأجل فقال العلج لابنته: ما صنعت؟قالت: هذا رجل فقد أخويه فى هذه البلدة وربما أن يكون امتناعه بسبب رؤية آثارهما، فاستزد الأجل من الملك، وانقلنى معه إلى غير هذه البلدة. ففعل ما أمرته به وأخرجهما إلى قرية. فمكث أياما كما كان صائم النهار قائم الليل، حتى قرب انتهاء الأجل. فقالت له البنت: يا هذا إنى أراك تقدس ربا عظيما وإنى قد دخلت معك فى دينك، وتركت دين آبائى. فقال لها: فكيف الحيلة في الهرب؟ فجاءت له بما يركبانه، فجعلا يسيران بالليل ويكمنان بالنهار، فبينما هما يسيران ليلة إذ سمعا وقع خيل، فإذا هو بأخويه ومعهما ملائكة فسلم عليهما وسألهما عن حالهما، فقالا: ماكانت إلا السقطة التى رأيتها حتى خرجنا إلى الفردوس، وإن الله أرسلنا إليك لنشهد تزوجك بهذه الفتاة، فزوجوه إياها، ورجعوا. وذهب هو إلى بلاد الشام فأقام بها.

(ولكتابه) أى القرآن بمعنى الإيمان به والعمل بما فيه، وتعظيمه وإكرامه؛ فيحرم مد الرجل إلى المصحف إن لم يكن مرتفعا، ويسن جعله على كرسى والقيام له وتقبيله وتطييبه.

حكى عن بعضهم أنه رأى ورقة فى الأرض فأخذها فوجد فيها البسملة وشيئا من القرآن فقبلها وطيبها، فرأى ربه سبحانه وتعالى فى تلك الليلة وهو يقول له: كما طيبت اسمى فى الدنيا لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة فصار بعد ذلك من الأولياء.

---

(١) العلج: الرجل القوى الضخم كما فى النهاية فى غريب الحديث (٣/ ٢٨٦).

(ولرسوله) سيدنا محمد ﷺ، بمعنى الإيمان به، وتصديقه في جميع ما جاء به، والتزام طاعته فى أمره ونهيه، وإحياء سنته، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة آل بيته وأصحابه.

(ولأئمة المسلمين) أى ولاة أمورهم، بمعنى معاونتهم على الحق، وأمرهم به، وإعلامهم بما غفلوا عنه، والدعاء بالصلاح لهم، وأداء الزكاة إليهم، وامتثال أمرهم لكن فى غير معصية الله. فقد روى أن عبد الله بن حذافة السهمى بعثه النبى ﷺ فى سرية وجعله أميراً عليها، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه فى شيء، وكان فيه مزاح فأمرهم أن يجمعوا حطباً ويوقدوه ناراً، فلما أوقدوها أمرهم بدخولها، فأبوا فقال لهم: ألم يأمركم رسول الله ﷺ بطاعتى؟ وقال: «**من أطاع أميرى فقد أطاعنى**»[1] فقالوا: ما آمنا بالله واتبعنا الرسول إلا لننجو من النار. فسكن غضبه وطفئت النار. فلما بلغ ذلك النبى ﷺ استصوب قولهم، وقال: «**لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق**»[2].

ويصح أن يراد بأئمة المسلمين علماء الدين، ومعنى نصيحتهم قبول ما رووه، وتقليدهم فى الأحكام، ونشر مناقبهم، وإحسان الظن بهم، وتعظيمهم. قال سهل بن عبد الله: لايزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد الله دنياهم وأخراهم. وقال بعضهم: وليس المراد بالعلماء من تزيا بزيهم، وادعى العلم، وأكل الدنيا بالدين، ولا عذر لمن أكل الحرام وقال العالم الفلانى يأكله؛ لأنه كيف يعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به، فإن من خالف الله لا يقتدى به. ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على عدم دخولها فلا عذر لك فى دخولها.

(وعامتهم) أى المسلمين ، والمراد بهم: من لم يكن أميرا ولا عالما، ولم يعد اللام فيهم لكونهم تبعا لأئمتهم لا استقلال لهم. ومعنى نصيحتهم: إرشادهم إلى ما يصلح دينهم ودنياهم، وإعانتهم على مهماتهم، وستر عوراتهم، وجلب المنافع

---

(١) رواه البخارى فى الجهاد والسير (٢٩٥٧) ومسلم فى الإمارة (١٨٣٥).

(٢) أحمد (١/٤٠٩ و٥/٦٦) والطبرانى واللفظ له في الكبير (١٨/٣٨١) والبزار (١٦١٣ ـ ١٦١٦) فى كشف الأستار

إليهم، وكف الأذى عنهم، وتعليمهم ما جهلوه من أمر دينهم، والذب أى المنع عن أموالهم وإعراضهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ومحبته لهم ما يحب لنفسه من الخيرات، وكراهته لهم ما يكره لنفسه من المكروهات.

وقد ورد فى الحديث: «**إن أحب عباد الله إلى الله أنصحهم لعباده**» (١) وقال بعض التابعين: خير الناس أنصحهم لهم، وشر الناس أغشهم لهم.

ويطلب كون النصيحة برفق لتكون أقرب للقبول، ومن ثم كان السلف الصالح إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرا. وقال الإمام الشافعى - رضى الله تعالى عنه - من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه. وسئل ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر، فقال: إن كنت فاعلا ولابد ففيما بينك وبينه.

وحكى أن رجلا وعظ المأمون - رضى الله عنه - وأغلظ عليه، فقال له: خير منك وعظ من هو شر منى؛ فإن موسى وهارون على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام - لما أرسلهما الله تعالى إلى فرعون قال لهما: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا**﴾ [طه: ٤٤] أى ارفقا به.

وينبغى للناصح أن يرى نفسه دون المنصوح، وأن يمهد، أى يسوى له بساطا قبل النصح.

فقد حكى أن الحسن والحسين - رضى الله تعالى عنهما - أقبلا على شيخ يتوضأ وضوءا باطلا، فقال أحدهما للآخر: تعال نرشد هذا الشيخ. فقال أحدهما: يا شيخ إنا نريد أن نتوضأ بين يديك حتى تنظر إلينا، وتعلم من يحسن منا الوضوء ومن لا يحسنه، ففعلا ذلك. فلما فرغا من وضوئهما، قال: أنا والله الذى لا أحسن الوضوء وأما أنتما فكل واحد منكما يحسن وضوءه. فانتفع بذلك منهما من غير تعنيف ولا توبيخ.

ويجب على من باع شيئا أن يظهر للمشترى جميع عيوبه نصحا له، فإن

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٥٤) وأبو نعيم فى حلية الأولياء (٨/ ١٧٥) والترمذى الحكيم فى نوادر الأصول (١/ ٥٥٦) والبغوى فى شرح السنة (١٣/ ٩٦) بمعناه.

أخفى العيب كان ظالما غاشا، والغش حرام في البيوع والصنائع.

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ مر برجل يبيع طعاما؛ فأعجبه، فأدخل يده، فرأى بللا، فقال له: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟**» فقال: أصابته السماء - أى نزل عليه المطر منها - فقال: «**أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ من غش فليس منا**» (١) أى ليس على طريقتنا الكاملة.

وقد قيل: إنه كان فى السلف الصالح من بلغت به النصيحة إلى الإضرار بدنياه، كما حكى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب - أى صنف - منها قيمة كل حلة منه أربعمائة، وضرب قيمة كل حلة منه مائتان فذهب يوما إلى الصلاة وخلف - أى ترك - ابن أخيه في الدكان فجاءه أعرابى وطلب منه حلة بأربعمائة فعرض عليه حلة من حلل المئتين؛ فاستحسنها ورضيها واشتراها منه، فمشى بها وهى على يده؛ فلقيه يونس فعرف حلته. فقال للأعرابى: بكم اشتريت هذه؟ فقال: بأربعمائة. فقال له: إنها ما تساوى أكثر من مائتين فارجع حتى تردها. فقال: هذه تساوى ببلدنا خمسمائة وأنا ارتضيتها. فقال له يونس: انصرف، فإن النصح فى الدين خير من الدنيا بما فيها. ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتى درهم، وخاصم ابن أخيه وقال له: أما استحييت؟ أما اتقيت؟ تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين؟فقال: والله ما أخذها إلا ورضى بها. قال: فهلا رضيت له ما ترضاه لنفسك؟

ونظير ذلك ما حكى عن محمد بن المنكدر أنه كان له شقاق (٢) بعضها بخمسة، وبعضها بعشرة، فباع غلامه فى غيبته شقة من الخمسيات بعشرة، فلما علم بذلك صار يطلب المشترى طول النهار حتى وجده، وقال له: إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوى خمسة بعشرة. فقال: يا هذا قد رضيت، فقال: وإن رضيت؛ فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا، فاختر إحدى ثلاث خصال: إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك، وإما أن نرد عليك خمسة، وإما أن ترد

---

(١) رواه مسلم فى الإيمان (١٠١، ١٠٢).

(٢) شقاق: جمع شقة وهى جنس من الثياب وقيل هو نصف الثوب كما فى النهاية فى غريب الحديث (٤٩٢/٢).

علينا شقتنا وتأخذ دراهمك. فقال: أعطنى خمسة. فدعها إليه، فانصرف الأعرابى وهو يسأل ويقول: من هذا الشيخ؟ فقيـل له: هذا محمد بن المنكدر. فقال: لا إله إلا الله، هذا الذى نستسقى به فى البوادى إذا قحطنا.

ثم إن هذا الحديث ألفـاظه قليلة، وفوائده كثيرة، بـل قيل: إن أحكام الإسلام داخلة تحته، بل تحت كلمة منه وهى« **ولكتابه**» إذ هو مشتمل على الدين كله أصلا وفرعا وعملا واعتقادا.

(رواه مسلم) فى كتاب الإيمان.

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ النصح لله أول قاعدة يرسيها القرآن ودارت عليها معظم آياته ،وظل الرسول يغرسها فى القلوب طوال حياته.

٢ ـ النصح للمسلمين يكون بإرشادهم لما ينفعهم فى دينهم ودنياهم وتطبيقهم لشرع الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

٣ ـ يجب علينا احترام علماء الإسلام وتوقيرهم وعدم مخالفتهم فى الطاعة.

٤ ـ النصح للكتاب تعنى :العمل بما جاء به من أحكام وتشريعات والدفاع عنه.

٥ ـ على الداعى أن يكون حكيما فى نصحه ويتبع سبيل الموعظة الحسنة.

٦ ـ على الداعى أن يبدأ بنفسه قبل نصح الآخرين.

٧ ـ على الداعى أن يتخيـر المكان والزمان المناسبين لإسداء نصيحـته وليعلم الداعى أن نصيحة الإنسان أمام الملأ فضيحة.

الحديث الثامن

حرمة دم المسلم وماله

٨ ـ عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى» رواه البخارى ومسلم (١)

الشرح والبيان

(**عن**) عبد الله (**ابن عمر**) تقدمت ترجمتهما (**رضى الله**) تعالى (**عنهما: أن رسول الله ﷺ قال:أمرت**) بالبناء للمفعول، أى أمرنى ربى (**أن أقاتل الناس**) أى بقتالهم، فإن والفعل مؤولان بمصدر مجرور بحرف جر محذوف. وكان هذا الأمر بعد الهجرة؛ لأنه ﷺ مكث بعد البعثة يبلغ الدعوة، وينذر من غير قتال، وهو صابر على شدة أذية العرب بمكة واليهود بالمدينة

وكان جماعة من أصحابه منهم عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وقدامة بن مظعون، وسعد بن أبى وقاص، يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة، فقالوا: يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة؛ فائذن لنا فى قتال هؤلاء. فإنهم قد آذونا. فيقول لهم: «**كفوا أيديكم عنهم، فإنى لم أؤمر بقتالهم**»

ثم لما هاجر إلى المدينة، أذن له فى القتال إذا ابتدأه الكفار، ثم أحل له الابتداء به فى غير الأشهر الحرم، ثم أمر به مطلقا أى لمن قاتل ومن لم يقاتل فى الأشهر الحرم وغيرها. وقد قاتل المصطفى ﷺ هو وأصحابه ـ رضى الله تعالى عنهم ـ حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا أى جماعات بعد جماعات. ونقل عن ابن عباس: أن كل من أمر بالقتال من الأنبياء؛ نصر، ولم يقتل نبى إلا إذا لم

---

(١) البخارى فى الإيمان(٢٥) وفى الزكاة (١٣٩٩) وفى الاعتصام تعليقا ـ باب (٢٨) ومسلم فى الإيمان (٢٠، ٢١) والترمذى فى الإيمان (٢٦٠٦) وأبو داود فى الجهاد (٢٦٤٠) والنسائى فى الجهاد (٦/ ٧٠٤) وابن ماجة في المقدمة (٧٢) وفى الفتن (٣٩٢٧ ـ ٣٩٢٩) وأحمد (١/ ١١، ١٩، ٣٦، ٤٨ و ٢/ ٣١٤، ٣٧٧، ٤٢٣، ٤٣٩ و ٣/ ٣٩٥، ٣٠٠ و ٥/ ٢٤٦).

يؤمر بقتال.

ثم إن المراد بالناس في هذا الحديث: الإنس فقط، وإن كان النبى ﷺ مرسلا إلى الجن إجماعا، إذ لم يرد أنه قاتلهم، وإنما ورد أن جماعة منهم أسلموا على يديه. قيل: والمراد من الإنس عبدة الأوثان ونحوهم دون أهل الكتاب لسقوط القتال عنهم بقبول الجزية. قال بعضهم: ويحتمل أن يكون قبولها منهم كان بعد هذا الأمر المتناول لقتالهم أيضا

(حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) أى حتى يؤمنوا بأن الله واحد لا شريك له، وأن محمدا رسوله. والمراد: أنهم إذا نطقوا بذلك؛ لم يجز قتالهم، ولا يقال إنهم آمنوا فى الظاهر خوفا وهم فى الباطن كفار، و(حتى) هنا حرف غاية وجر؛ لأن ما بعدها غاية لما قبلها وهو القتال أو الأمر به، أى إلى أن يشهدوا . . . إلخ. ويصح أن تكون للتعليل كما فى «أسلم حتى تدخل الجنة».

واعلم: أن العلماء اختلفوا هل الأفضل مد ألف لا النافية من لا إله إلا الله أو قصرها، فمنهم من اختار المد ليستشعر المتلفظ بها نفى الألوهية عن كل موجود سوى الله تعالى، ومنهم من اختار القصر؛ لئلا يموت قبل التلفظ بذكر الله تعالى. والمختار قول «الفخر» جمعا بين القولين ـ الأفضل لمن يريد الإسلام القصر، وللمسلم المد إلى سبع ألفات، وتمد كل ألف بحركتين من حركات الأصابع متوالية مقارنة للنطق بالمد، فإن زاد على السبع كره، وقيل: حرم.

وورد في الحديث الشريف: **«من قال لا إله إلا الله ومدها هدمت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر»**[1] وجاء فى الأثر: **«إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أعطاه الله من الثواب بعدد كل كافر وكافرة»** قيل: وسبب ذلك أنه لما قال هذه الكلمة فكأنه قد رد عليهم فأعطى ثوابا بعددهم.

ونقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: يفتح الله تعالى أبواب الجنة، وينادى مناد من تحت العرش: أيتها الجنة وكل ما فيك من النعم لمن أنت؟

---

(١) قال الكنانى فى تنزيه الشريعة (٢/ ٣٢٥، ٣٢٦): قال الحافظ ابن حجر فى اللسان: أخرجه ابن النجار فى الذيل والحديث باطل.

فتنادى الجنة وكل ما فيها: نحن لأهل لا إله إلا الله ولا نطلب إلا أهل لا إله إلا الله، ولا يدخل علينا إلا أهل لا إله إلا الله، ونحن محرمون على من لم يقل لا إله إلا الله. وعند هذا تقول النار وكل ما فيها من العذاب: لا يدخلنى إلا من أنكر لا إله إلا الله، ولا أطلب إلا من كذب بلا إله إلا الله، وأنا حرام على من قال لا إله إلا الله، ولا أمتلئ إلا بمن جحد لا إله إلا الله، وليس غيظى وزفيرى إلا على من أنكر لا إله إلا الله. ثم قال: فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول: أنا لأهل لا إله إلا الله، وناصرة لمن قال لا إله إلا الله، ومحبة لمن قال لا إله إلا الله، والجنة مباحة لمن قال لا إله إلا الله، والنار محرمة على من قال لا إله إلا الله، والمغفرة من كل ذنب لأهل لا إله إلا الله، والرحمة والمغفرة غير محجوبة عن أهل لا إله إلا الله.

وقيل: إن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار.

وحكى عن محمد بن آدم أنه قال: رأيت بمكة أسقفا ـ بضم الهمزة وسكون السين وضم القاف وتشديد الفاء ـ رئيس النصارى في الدين، يطوف بالكعبة، فقلت له: ما الذى نزعك، أي جذبك وأخرجك عن دين آبائك؟ قال: تبدلت خيراً منه فقلت: وكيف ذلك؟ قال: ركبت البحر فانكسرت السفينة، ودفعتنى الأمواج إلى جزيرة فيها أشجار كثيرة، ولها ثمر أحلى من الشهد وألين من الزبد، وفيها نهر عذب، فحمدت الله تعالى على ذلك، وقلت: آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر؛ حتى يقضى الله تعالى بأمره.

فلما ذهب النهار خفت على نفسى من الوحش، فطلعت على شجرة ونمت فوقها، فلما كان جوف الليل وإذا بدابة على وجه الماء تسبح الله تعالى وتقول: لا إله إلا الله العزيز الجبار، محمد رسول الله النبى المختار، أبو بكر الصديق صاحبه فى الغار، عمر الفاروق فاتح الأمصار، عثمان القتيل فى الدار، على سيف الله على الكفار؛ فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبار، ومأواه النار وبئس القرار، ولم تزل تكرر هذه الكلمات حتى طلع الفجر، فقالت: لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد، محمد رسول الله الهادى الرشيد، أبو بكر ذو الرأى السديد، عمر بن الخطاب سور من حديد، عثمان الفضيل الشهيد، على بن أبى طالب ذو البأس

الشديد؛ فعلى مبغضهم لعنة الرب المجيد.

ثم أقبلت إلى البر فإذا رأسها رأس نعامة، ووجهها وجه إنسان، وقوائمها قوائم بعير، وذنبها ذنب سمكة، فخشيت على نفسى الهلكة، فهربت فنطقت بلسان فصيح فقالت: يا هذا قف وإلا تهلك، فوقفت، فقالت: ما دينك؟ فقلت: دين النصرانية. فقالت: ويلك ارجع إلى دين الحنيفية فقد حللت بفناء قوم من مسلمى الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلما.

فقلت: وكيف الإسلام؟ قالت: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فقلتها. فقالت: أتم إسلامك بالترحم على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى - رضى الله تعالى عنهم - فقلت: من أتاكم بذلك؟ قالت: قوم منا حضروا عند رسول الله ﷺ سمعوه يقول: «**إذا كان يوم القيامة تأتى الجنة فتنادى بلسان طلق فصيح: إلهى قد وعدتنى أن تشيد أركانى، فيقول الجليل جل جلاله: قد شيدت - أى رفعت - أركانك بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى، وزينتك بالحسن والحسين**»[1].

ثم قالت الدابة: أتريد القعود هنا أم الرجوع إلى أهلك؟ فقلت: الرجوع إلى أهلى فقالت: اصبر حتى تمر بك مركب. فبينما نحن كذلك وإذا بمركب أقبلت تجرى، فأومأت، أى أشارت لها فأرسلوا إلىّ زورقا أى قاربا. فركبت فيه، وجئت إليهم، فوجدت المركب فيها اثنا عشر رجلا كلهم نصارى، فقالوا: ما الذى جاء بك إلى هنا، فقصصت عليهم قصتى؛ فتعجبوا من أمرى وأسلموا كلهم.

(ويقيموا) أى وحتى يقيموا **(الصلاة)** أى المفروضة بأن يؤدوها بشروطها وأركانها المجمع عليها؛ لأن الكلام فى صلاة تدفع المقاتلة.

ومما جاء فى فضلها ما روى عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه - أى وسخه - شىء؟** » قالوا: لا يبقى من

---

(١) روى الكنانى فى تنزية الشريعة (١/ ٤٠٧) الحديث بلفظ: «**إذا استقر أهل الجنة فى الجنة قالت الجنة يارب أليس وعدتنى أن تزينى بركنين من أركانك قال: أولم أزينك بالحسن والحسين فماست الجنة ميسا كما تميس العروس**» وعزاه للخطيب البغدادى والطبرانى فى الأوسط وقال الذهبى: الحديث باطل وفى الإسناد مجاهيل.

درنه ـ أي وسخـة ـ شيء؟. قال: «**فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**» (١) وروى عن عثمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يتوضأ رجل فيحسن وضوءه، ثم يصلى الصلاة، إلا غفر له ما بينها وبين الصلاة التى تليها**» (٢).

(**ويؤتوا**) أى وحتى يؤتوا (**الزكاة**) أي المفروضة بأن يعطوها إلى مستحقيها أو إلى الإمام ليدفعها لهم.

ومما جاء فى فضلها ما روى عن أنس ـ رضى الله تعالى عنه قال: أتى رجل من تميم رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى ذو مال كثير وذو أهل ومال وحاضرة، فأخبرنى كيف أصنع؟ وكيف أنفق؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حق المسكين والجار والسائل**» (٣) وروى عن أبى أيوب ـ رضى الله تعالى عنه أن رجلا قال للنبى ﷺ: أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة؟ قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل الرحم**» (٤) اهـ.

(**فإذا فعلوا ذلك**) كله، أى أتوا به قولا كان وهو الشهادتان، أو فعلا وقولا وهو الصلاة، أو فعلا محضا وهو الزكاة (**عصموا**) بفتح الصاد، أى: فحفظوا ومنعوا (**منى دماءهم وأموالهم**) فلا يحل سفك دمائهم ولا أخذ أموالهم (**إلا بحق الإسلام**) كقتل القاتل ورجم الزانى، وقطع يد السارق، وأخذ بدل المتلفات وأخذ النفقات الواجبة من مانعيها

(**وحسابهم على الله تعالى**) أى أمر سرائرهم موكول له، ومفوض إليه، يعنى أننا نعاملهم ـ بحسب الظاهر ـ فنحكم بإسلامهم، ونجرى عليهم مقتضاه.

---

(١) البخارى فى مواقيت الصلاة (٥٢٨)، ومسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٦٦٧) والترمذى فى الأمثال (٢٨٦٨) والنسائى فى الصلاة (١/ ٢٣٠، ٢٣١) وابن ماجة فى إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٩٧).

(٢) البخارى فى الوضوء (١٦٠) ومسلم فى الطهارة (٢٢٧).

(٣) أحمد (٣/ ١٣٦) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣/ ٦٣): رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

(٤) البخارى فى الزكاة (١٣٩٦) ومسلم فى الإيمان (١٣).

ثم إن كانوا صادقين أدخلهم الله الجنة، وإن كانوا كاذبين ؛ فهم من جملة المنافقين فى الدرك الأسفل من النار، أى فى المكان الأسفل منها وهو قعرها ـ نسأل الله تعالى السلامة منها.

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم مشتمل على مهمات قواعد الدين

(رواه البخارى ومسلم) فى كتاب الإيمان. ولم يذكر النبى ﷺ فيه الصوم والحج، إما لكونهما لم يفرضا إذ ذاك، وإما لكونهما لم يقاتل على تركهما؛ إذ الحج على التراخى، والصوم يحبس تاركه ويمنع الطعام والشراب. ولهذا لم يذكرهما لـ«معاذ» حين بعثه إلى «اليمن» فقد روى البخارى أنه قال له:**«ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن هم أطاعوا إلى ذلك؛ فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك؛فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»**[1].

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ المطلع على ما فى النفوس هو الله وحده الذى إليه أمر الخلائق ـ إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم.

٢ ـ المنافقون الذين يعلنون الإسلام ويبطنون الكفر تعصم دماؤهم وأموالهم وحسابهم على الله.

٣ ـ قتال تارك الصلاة والزكاة لا يقوم بها العوام ولكن هذا من اختصاص الحاكم.

٤ ـ الداعية لا ينتصر لذاته أو لشخصه بل ينتصر لله إذا ما انتهكت حرمات الله .

٥ ـ الدعوة ليست ترصد يترصد الإنسان تحركات الآخرين ويتحسس خفاياهم بل يتذكر قوله تعالى ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١].

---

(١) البخارى فى الزكاة (١٣٩٥)

الحديث التاسع

النهى عن كثرة السؤال والتشدد فى الدين

٩ ـ عن أبى هريرة ـ عبد الرحمن بن صخر ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم» رواه البخارى ومسلم[١]

الشرح والبيان

(عن أبى هريرة عبد الرحمن بن صخر رضى الله تعالى عنه) سبب تكنيته بأبى هريرة: ما روى عنه أنه قال: كنت أحمل يوما هرة فى كمى فرآنى النبى ﷺ فقال: **«ما هذه؟»** فقلت: هرة. فقال لى: **«يا أبا هريرة»** [٢]. وما ذكره المصنف من أن اسمه عبد الرحمن واسم أبيه صخر هو الصحيح من أقوال كثيرة، قدم المدينة سنة سبع ورسول الله ﷺ بخيبر، فسار إليه وأسلم على يديه، ولازمه ملازمة تامة رغبة فى العلم؛ فلذا كان أكثر الصحابة رواية بإجماع العلماء. وروي عنه خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وأربعة وسبعون حديثا. وكان يقول: إنما حدثت بنصف الأحاديث التى أعرفها.

وروى عنه أنه قال: كنت أكثر من مجالسة رسول الله ﷺ وأنه حدثنا يوما فقال: **« من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثى ثم يقبضه فإنه ليس ينسى شيئا سمعه منى أبدا»** فبسطت ثوبى أو قال ردائى، ثم حدثنا: فقبضته إلىّ، فو الله ما نسيت شيئا سمعته منه [٣].

وكان رضى الله تعالى عنه عريف ـ أى رئيس ـ أهل الصفة. وهى موضع مظلل فى المسجد النبوى يأوى إليه فقراء المهاجرين، ولم يكن على غالبهم إلا ساتر العورة. وكان النبى ﷺ يجالسهم، ويأنس بهم، ويدعوهم بالليل فيفرقهم

---

(١) البخارى فى الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨) ومسلم فى الحج (١٣٣٧/ ٤١٢) وفى الفضائل (١٣٣٧/ ١٣٠، ١٣١) وأحمد (٢/ ٢٥٨، ٤٢٨) وابن حبان (١٨ ـ ٢١ ـ إحسان).

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٥٠٦) وساقه الذهبى مختصرا فى التلخيص.

(٣) مسلم فى فضائل الصحابة (٢٤٩٢) وأحمد (٢/ ٢٤٠، ٢٧٤، ٣٣٤، ٤٢٧).

على أصحابه، وتتعشى طائفة منهم معه. وكان إذا جاءته هدية أصاب منها وبعث إليهم منها، وإذا جاءته الصدقة بعث بها إليهم ولم يصب منها.

ونقل عن مجاهد أنه قال: كان أبو هريرة يقول: والله إنى كنت لأعمد بكبدى على الأرض من الجوع، وإنى كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع، وقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعنى فلم يفعل، ثم عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني؛ فلم يفعل، فمر أبو القاسم محمد ﷺ فعرف ما فى وجهى وما في نفسى فقال: « **أباهر** » فقلت: لبيك يا رسول الله. قال: «**الحقنى**» فتبعته فدخل واستأذنت فأذن لى، فوجد لبنا فى قدح، فقال: « **من أين لكم هذا اللبن؟** » فقالوا: أهداه لنا فلان أو آل فلان. قال: «**أبا هر**» قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «**انطلق إلى أهل الصفة فادعهم**» قال: فأحزننى ذلك وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أقوى بها بقية يومى وليلتى. فقلت: أنا الرسول فإذا جاء القوم كنت أنا الذى أعطيهم فلم يبق لى من هذا اللبن شىء، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد، فانطلقت فدعوتهم؛ فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم من البيت.

ثم قال: «**يا أبا هر خذ فأعطهم**» فأخذت القدح فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى، ثم يرد القدح فأعطيه الآخر؛ فيشرب حتى يروى، ثم يرد القدح، حتى أتيت على آخرهم ودفعته إلى رسول الله ﷺ فأخذ القدح فوضعه في يده، وقد بقى فيه فضلةٌ، ثم رفع رأسه فنظر إلى وتبسم، فقال: «**يا أبا هر**» فقلت: لبيك يا رسول الله. قال: «**فاقعد فاشرب**» فقعدت فشربت. ثم قال لى: « **اشرب** » فشربت. ثم قال لى: «**اشرب**» فشربت. فما زال يقول «**اشرب**» وأشرب، حتى قلتُ: والذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكا. قال: «**ناولنى القدح**» فرددت إليه القدح فشرب من الفضلة [1].

وروى عنه أنه قال: أصبت ثلاث مصائب فى الإسلام: موت النبى ﷺ، وقتل عثمان والمزود. قالوا له: وما المزود؟ قال: كنا مع النبى ﷺ فى سفر

---

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤٥٢) والترمذى فى صفة القيامة (٢٤٧٧).

فقال: «**هل معك شيء؟**» فقلت: تمر في مزود. قال: «**جيء به**» فأخرجت منه تمرا. وفي رواية: عشرين تمرة، فسمى الله ودعا، وجعل يضع كل تمرة ويسمى حتى أتى إلى آخرهن، ثم قال: «**ادع الجيش عشرة عشرة**» فدعوتهم حتى أكل الجيش كله، وبقى فى المزود. فقال: «**إذا أردت أن تأخذ منه شيئا فخذ ولا تكبه**» فأكلت منه حياة رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان، فلما قتل انتهب بيتى وانتهب المزود. ألا أخبركم؟ أكلت منه أكثر من مائتى وسق [1]. والمزود بالكسر ما يجعل فيه الزاد، والوسق ستون صاعا.

ومن فضائله رضى الله تعالى عنه: أنه كان يستغفر الله ويتوب إليه كل يوم اثنى عشر ألف مرة. وقيل: كان له خيط فيه ألفا عقدة، فلا ينام حتى يسبح به. وحكى أنه كان هو وامرأته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثا، يصلى هذا، ثم يوقظ هذا فيصلى، ثم يوقظ هذا فيصلى. وكان له جارية زنجية فرفع عليها السوط يوما، فقال: لولا القصاص لأوجعتك به ولكن سأبيعك لمن يوفينى ثمنك. اذهبى فأنت حرة لوجه الله عز وجل - وجاءه رجل فقال له: ادع لابنى فقد وقع في نفسى الخوف عليه من الهلاك، فقال له: ألا أدلك على ما هو أنفع لك من دعائى وأنجح وأسرع إجابة؟ قال: بلى. قال: تصدق بصدقة تنوى بها نجاة ولدك وسلامة ما معه. فأعطى سائلا درهما. وقال: اللهم هذا فداء ابنى زيد وما معه. فلما قدم سأله أبوه عن حاله، فقال: يا أبى قد رأينا عجبا يوم كذا وكذا وذلك أنا أشرفنا على الهلاك والغرق، فسمعنا صوتا من الهواء: ألا إن فداء زيد مقبول وزيد مغاث وجاءنا رجال عليهم ثياب بيض فقدموا السفينة إلى جزيرة كانت بالقرب منا فسلمت السفينة وكل من فيها. ثم سرنا بعد ذلك.

وقيل: إن عمر رضى الله تعالى عنه استعمله أى جعله عاملا وأميرا على البحرين، ثم عزله، ثم راوده على العمل فأبى، وتاب عن الإمارة. ولم يزل يسكن المدينة، وبها توفى سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية، وله من العمر ثمان وسبعون سنة، ودفن بالبقيع، وما اشتهر من أن قبره بعسقلان أو بقربها لا أصل له.

---

(١) الشفا للقاضى عياض (١/ ٥٦٩) وعزاه للبيهقى.

(قال) نفعنا الله به (سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما نهيتكم عنه) أى منعتكم منه منع تحريم كقوله: «لا تعذبوا بعذاب الله» [(١)] أى بالنار. أو منع كراهة كقوله: «لا تأكلوا البصل النيء» [(٢)]. وقوله: «لا تأكلوا بالشمال» [(٣)]

(فاجتنبوه) أى اجعلوه فى جانب وتباعدوا عنه. وفى رواية «فدعوه»، أى اتركوه حتما فى الحرام وندبا فى المكروه. والمراد اجتناب كله إذ الامتثال لا يحصل إلا بترك الجميع.

فتارك بعض المنهيات لا يعد ممتثلا بل يكون مرتكب الحرام عاصيا، ومرتكب المكروه مخالفا. نعم يباح المنهى عنه للضرورة كأكل الميتة للمضطر وشرب الخمر عند الإكراه

(وما أمرتكم به) أى طلبته منكم طلب وجوب، كقوله: «اكفلوا - أى التزموا - لى ست خصال أكفل لكم الجنة» قيل: وما هى؟ قال: «الصلاة والزكاة» أى الإتيان بهما «والأمانة» أى توفيتها لمستحقيها «والفرج والبطن واللسان» [(٤)] أى منعهم عن الحرام. أو طلب ندب كقوله: «أكثروا ذكر الموت؛ فإنه يمحص الذنوب» أى يزيلها «ويزهد فى الدنيا. فإن ذكرتموه عند الغنى هدمه، وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم» [(٥)]

(فأتوا) وفى رواية: «فافعلوا» (منه ما استطعتم) أى ما أطقتم وقدرتم عليه وجوبا فى الواجب وندبا فى المندوب.

ومصداق ذلك قول الله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] المبين لقوله تعالى فى الآية الأخرى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] إذ حق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه.

---

(١) رواه أبوداود فى الحدود (٤٣٥١) والترمذى فى الحدود (١٤٥٨) والطبرانى فى الكبير (١١/ ١١٨٥٠) والحاكم (٣/ ٥٣٩) وصححه على شرط البخارى ووافقه الذهبى.

(٢) رواه ابن ماجة فى الأطعمة (٣٣٦٦) وفى الزوائد: فى إسناده عبدالله من لهيعة وهو ضعيف وعثمان والمغيرة لم أر من تكلم فيهما بجرح ولا توثيق، ورواه السيوطى فى الجامع الصغير (٩٧٢٠) وكنز العمال (٤٠٩٠٨).

(٣) رواه مسلم فى الأشربة (٢٠١٩).

(٤) الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد (١/ ٢٩٣) وقال الهيثمى: لا يروى عن أبى هريرة إلا بهذا الإسناد، وإسناده حسن.

(٥) رواه ابن أبى الدنيا كما قال الحافظ العراقى فى تخريج الإحياء (٤/ ٤٥٠) وقال: إسناده ضعيف جدا.

ولم يأمر سبحانه وتعالى إلا بالمستطاع لقوله تعالى: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾. [الحج: ٧٨]

ويستفاد مما ذكر: أن من عجز عن بعض المأمور به؛ لا يسقط عنه المقدور، بل يجب عليه الإتيان به. وهذا هو معنى قول الفقهاء: إن الميسور لا يسقط بالمعسور. فإذا عجز عن صاع الفطرة أتى بما قدر عليه منه، وإذا عجز عن غسل بعض الأعضاء فى الوضوء أو عن مسحها فى التيمم أتى بالممكن وصحت عبادته.

وإذا عجز عن القيام فى الصلاة بأن حصل له به مشقة شديدة تذهب الخشوع أو كماله صلى قاعداً. فإن عجز عن القعود بهذا المعنى؛ اضطجع على جنبه. فإن عجز عن الاضطجاع كذلك استلقى على ظهره. ثم إن قدر على الركوع والسجود؛ فعلهما، وإن عجز عنهما بهذا المعنى أومأ ـ أى أشار إليهما برأسه، وجعل سجوده أخفض من ركوعه ـ فإن عجز عن الإيماء برأسه أومأ بأجفانه. فإن عجز أومأ بقلبه. فإن اعتقل لسانه ـ بضم التاء ـ أى حبس عن الكلام فلم يقدر عليه أجرى أركان الصلاة على قلبه.

ونقل عن أبى حنيفة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: من خاف من الإيماء برأسه حصول مشقة شديدة له؛ جاز له ترك الصلاة، وإن كان عاقلا؛ لأن مجرد العقل لا يكفى فى الخطاب. وعليه عمل الناس سلفا وخلفا. ثم إن كانت خمس صلوات فأقل، وجب عليه قضاؤها إذا برئ، وإن كانت أكثر؛ سقطت عنه ولا قضاء عليه.

ونقل عنه أيضا: أن المريض إذا عجز عن فعل شرائط الصلاة بنفسه وقدر عليها بغيره لا تجب عليه؛ لأن القدرة بالغير لا تعد قدرة عنده، وعليه: لو تيمم العاجز عن الوضوء بنفسه أو صلى بالنجاسة أو إلى غير القبلة مع وجود من يوضئه أو يزيل عنه النجاسة أو يحوله للقبلة، ولم يأمره بذلك؛ صحت صلاته. وعند صاحبيه: لا تصح؛ لأن آلة غيره صارت كآلته.

ولا يخفى ما فى كلام أبى حنيفة من التسهيل على المريض؛ فلا بأس بتقليده عند اشتداد المرض، وخشية ترك الصلاة ، والعياذ بالله تعالى .

(فإنما أهلك الذين من قبلكم) أى من الأمم السابقة **(كثرة مسائلهم)** أى التى لغير حاجة وضـرورة؛ فإنها تشعر بالتعنت؛ كقولهم لـسيدنا عيسى ﷺ : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢] فطلبها عيسى من ربه عز وجل، فنزلت الملائكة بها من السماء، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات[١]، فأكلوا منها حتى شبعوا. قاله ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ فى حديث: **«أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحما فأمروا ألا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير»**[٢].

وكقولهم لسيدنا موسى صلوات الله وسلامه عليه: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أى عيانا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾[النساء: ١٥٣] أى عقب هذا السؤال، وهى نار جاءت من السماء فأحرقتهم. وكقولهم له أيضا ﷺ : ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾[البقرة: ٦٨] لما أمروا بذبح بقرة. ولو أنهم عمدوا إلى أى بقرة فذبحوها لأجزأتهم، ولكنهم شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن حالها وصفتها، فشدد الله تعالى عليهم.

روى أن رجلا فقيرا فى بنى إسرائيل قتل ابن أخيه أو أخاه أو ابن عمه؛ لكى يرثه، ثم رماه فى مجمع الطريق، ثم شكا ذلك إلى موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فاجتهد موسى فى تعرف القاتل، فلما لم يظهر قالوا له: سل لنا ربك حتى يبينه، فسأله. فأوحى الله تعالى إليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] فتعجبوا من ذلك، ثم شددوا على أنفسهم بالاستفهام عن حالها حالاً بعد حال، واستقصوا فى طلب الوصف، أى بلغوا الغاية فيه. فلما تعينت البقرة؛ لم يجدوها بذلك النعت إلا عند إنسان معين، ولم يبعها إلا بأضعاف ثمنها، فاشتروها فذبحوها. وأمرهم موسى أن يأخذوا عضوا منها فيضربوا به القتيل، ففعلوا فصار المقتول حيا، وعين لهم قاتله، وهو الذى ابتدأ بالشكاية، فقتلوه قودا ـ أى قصاصا ـ يعنى قتلوه به.

قيل: كانت هذه البقرة لولد بار بوالديه خلفها له أبوه، وكان هذا الولد يقسم

---

(١) احوات: جمع حوت وهو نوع من السمك.

(٢) رواه الترمذى فى تفسير القرآن (٣٠٦١) وقال: لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث الحسن بن قزعة. قلت والحسن بن قزعة صدوق كما فى التقريب.

الليل أثلاثاً، يصلى ثلثا وينـام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا، فـإذا أصبح انطلق فاحتطب فباعه ثم أكل بثلثه وتصـدق بثلثه وأعطى أمه ثلثه. فأمرته ذات يوم ببيع البقـرة بثلاثة دنانير تحت مـشورتها، وكانـت قيمتـها هذا القدر. فـانطلق بها إلى السوق فـبعث الله إليه ملكا فـقال له: بكم تبيع هذه البـقرة؟ قال: بثـلاثة دنانير بشرط رضا أمي، فـقال له الملك: أعطيك ستة دنانير ولا تشـاورها. فقال له: لو أعطيتنى وزنها ذهبـاً لم آخذه إلا برضاها. فردها إلى أمه فأخبـرها بذلك، فقالت له: ارجع فبـعها بسـتة دنانيـر على رضا منى، فانطلق بـها فأتاه الملك، فـقال له الولد: إنها أمرتنى ألا أنقصـها عن ستة دنانير على أن أستـأمرها. فقال له الملك: إنى أعطيك اثنى عشر ديناراً ولا تستأمـرها، فأبى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك، فقـالت له: إن الذى يأتيك ملك فى صورة آدمـى ليختـبرك، فإذا أتـاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل، فقال له الملك: اذهب إلى أمك وقل لها: أمسكى هذه البقرة فإنك تبيعيها بملء جلدها ذهبا. فأمسكتها حتى وجد هذا القتيل فاشتروها بما ذكر[(١)].

فائـــدة

روى البخارى: أن معاوية كـتب إلى المغيرة بن شعبة: اكتب لى شيئـا سمعته من النبى ﷺ فكتب إليـه: سمعت الـنبى ﷺ يقول: «**إنى أكره لكم ثلاثا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**»[(٢)].

ويروى: أن أبى بن كعب وزيد بن ثابت وغـيرهما من أفاضل الصـحابة كان أحدهم إذا سئل عن مسألة يقول: أوقعت هذه؟ فإن قيل: نعم، قال فيها بعلمه أو أحال على غيره. وإن قيل: لا، قال: فدعها حتى تقع.

وقوله: (**واختـلافهم**) بضم الفاء لا بكسـرها فهـو معطوف على « **كثرة**» لا «**على مسائلهم**». والتقدير: وأهلكهم اختلافهم

(**على أنبيائهم**) أى عصـيانهم عليهم بتـفرقهم فى الدين وتخـاصمهم فـيه؛ كاليـهود أمرهم موسى علـيه السلام أن يتفـرغوا للعبـادة يوم الجمعة، وأخـبرهم بفضلـه، فأبوا إلا طائفة مـنهم، وقالوا: لانريد يوم الجـمعة ونريد يـوم السبت،

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/ ١٦٣، ١٦٤). ط/ مكتبة الإيمان.

(٢) رواه البخارى فى الزكاة (١٤٧٧).

فشدد الله عليهم وحرم عليهم صيد السمك فيه، وابتلاهم بأن ألهم السمك أن يجتمع كله فى هذا اليوم فلا يرى الماء من كثرته، فإذا مضى تفرق السمك ولزم قعر البحر، فوسوس إلى بعضهم الشيطان بأنهم إنما نهوا عن أخذها يوم السبت، ولم ينهوا عن أخذها فى غيره ولو بالحيلة، فحفروا فى جانب البحر حفرة كبيرة وجعلوا لها أنهاراً من البحر، فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فيقبل الموج بالحيتان إلى الحفرة فيقع فيها ولا يقدر على الخروج منها لعمقها، فإذا كان يوم الأحد أخذوها فشووا وأكلوا. فشم جيرانهم، فسألوهم؛ فأخبروهم بالحيلة، فقالوا: إن الله معذبكم. ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة ثم جماعة حتى صاروا قدر الثلث، وتجارؤوا على السبت، وقالوا: ما نرى السبت إلا قد حل لنا، وأمسك قدر الثلث عن الصيد ولم ينهوهم، وأمسك الثلث الثالث ونهوهم، ثم لعنهم داود فى زمنه، وغضب الله عليهم فمسخهم قردة وخنازير. وكذا الثلث الساكت ـ على خلاف فيه ـ ومكثوا كذلك ثلاثة أيام، ثم هلكوا.

وهذا الحديث من جوامع الكلم، وقاعدة عظيمة من قواعد الدين، وفيه إشارة إلى وجوب اتباعه ﷺ، وتسليم ما جاء به من الأحكام من غير معارضة.

(رواه البخارى ومسلم) رحمهما الله تعالى آمين.

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ من أهم سمات الشريعة الإسلامية اليسر والسهولة وهى تتماشى مع قدرات الإنسان وطاقته.

٢ ـ تتدرج التكاليف وفق الاستطاعة.

٣ ـ ليس كل أمر هو على سبيل الوجوب كما أنه ليس كل نهى هو على سبيل التحريم.

٤ ـ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

٥ ـ يجب أن نقف عند حدود الله ونغضب إذا انتهكت من أي شخص أيا كان.

٦ ـ لابد أن نراعى قدرات الناس فلا ننفرهم عن الدين بترك الرخص والاعتماد على العزائم فقط.

الحديث العاشر

سبب إجابة الدعاء

١٠ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾[المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب له؟» رواه مسلم(١).

الشرح والبيان

(عن أبى هريرة) تقدمت ترجمته (رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى طيب) أى منزه عن النقائص ومقدس عن الآفات والعيوب (لا يقبل إلا طيبا) أى لا يقبل شيئا من أقوال العبد وأعماله وأمواله إلا ما كان طيبا، أى حسنا خاليا من المفسدات والمحرمات. قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] أى الحسن، نحو: لا إله إلا الله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر: ١٠] أى يقبله ويثيب عليه. وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾[الكهف: ١١٠] وقال عز وجل: ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[البقرة: ٢٦٧]

ونقل عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه قال: من اكتسب مالا حراما وتصدق به؛ لم يقبل منه. وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ مرفوعا: «من كسب مالا حراما فتصدق به؛ لم يكن له فيه أجر، وكان إثمه عليه»(٢) وقال سفيان الثورى ـ رضى الله تعالى عنه ـ: من أنفق من الحرام فى

---

(١) مسلم فى الزكاة (١٠١٥/ ٦٥) والترمذى فى تفسير القرآن (٢٩٨٩) والدارمى فى الرقاق (٢٧١٧) وأحمد (٢/ ٣٢٨) وعبدالرزاق فى المصنف (٨٨٣٩).

(٢) رواه ابن حبان (٣٣٦٤ ـ إحسان).

طاعة الله؛ كان كمن طهـر الثوب بالبول. ويكره التصدق بما فيه شـبهة، وبالطعام الرديء كالحب القديم والمسـوس إن كان طعامه جيـدا. قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أى الثواب الكامل؛ ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] أى تتصدقوا من أحب أموالكم. ولذا كان عبدالله بن عمـر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ يتصدق بالسكّر ويقول: إنى أحبه.

(**وإن الله تعـالى أمر المؤمنين بما أمـر به المرسلين**) أى سوى بينهم فى الخطاب بوجوب أكل الحلال (**فقال تعالى**: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (أى الحلال) (﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾) [المؤمنون: ٥١] (**وقـال تعالى**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾) [البقـرة: ١٧٢] أى من حلال مـا خلقناه نفعـا لكم. وسمى الحلال طيـبا؛ لأن الشـارع طيبه لآكلـه وإن لـم يستلذه. والحرام وإن التـذ به آكله يُؤدى إلى العقاب؛ فهو مضـر. فقول الشافعى ـ رضى الله تعالى عنه ـ: الطيب: المستلذ. أراد به: المستلذ شرعا، لا حسا. ألا ترى أن لحم الخنزير لذيذ وهو حرام إجماعا، والصبر[1] لا لذة فيه. وهو حلال إجماعا.

وروى: أن عمر بن عبدالعـزيز ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال يوما: إنى أكلت الليلة حمصا وعدسا فنفخنى. فـقال له بعض القوم: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول فى كـتابه: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم﴾[البقـرة: ١٧٢] فقال عمر: هـيهات هيهات ذهبت به إلى غير مذهبه، إنما يريد طيب الكسب ولا يريد طيب الطعام.

وقيل: إن أفـضل ما أكل منه الإنسـان؛ كسبـه من زراعة؛ لأنهـا أقرب إلى التوكل، ثم من صناعة؛ لأن الكسب فيها يحصل بكد اليمين، ثم من تجارة؛ لأن الصحـابة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ كـانوا يكتسبـون بها، ويحرم تناول مـا يضر بالبدن أو العقل كالتراب والزجاج والسم والحشيشة التى يتعاطاها الحرافيش[2] .

ويسن ترك التبسط فى الأطعمة المباحة؛ لأنه ليس من أخلاق السلف، هذا إذا لم تدع إليه حاجة كـقرى الضيف، وأوقات التوسعة على العيـال، كيوم عاشوراء ويومى العـيد. ولم يقـصـد بذلك التفـاخـر والتكاثر بل تطـييب خاطر الضـيف

---

(١) الصبر: بكسر الباء: هو الدواء المر.

(٢) الحرافيش: جمع حرفوش وهم الأشرار.

والعيال، وقضاء وطرهم، أى حاجتهم مما يشتهونه. وقيل: إنه يسن قضاء شهوة النفس والعيال مع التوسط، ويسن أكل الحلو من الطعام، وكثرة الأيدى عليه، والحمد عقب الأكل والشرب.

ونقل عن أبى سليمان الدارانى أنه قال: أكل الطيبات يورث الرضا عن الله، وتتم الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند غسلها. وعن أبى الحسن الشاذلى أنه قال له شيخه: يابنى برد الماء فإن العبد إذا شرب الماء السخن فقال: الحمد لله كانت بكراهة. وقيل: إن الشخص يثاب إذا أكل طيبا قصد به القوة على الطاعة وإحياء نفسه، بخلاف ما إذا أكل تشهيا وتنعما.

قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه: **(ثم ذكر)** أى النبى ﷺ **(الرجل)** يجوز قراءته بالرفع على أنه مبتدأ حكاية للفظه ﷺ، والخبر قوله الآتى: «**فأنى يستجاب له؟**» ويجوز نصبه على أنه مفعول ذكر. فعلى الأول برفع أشعث وأغبر على أنهما صفتان له بعد وصفه بإطالة السفر. وعلى الثانى ينصبان على الوصفية له أيضا، ويجوز نصبهما على أنهما حالان من فاعل يطيل، وخص الرجل بالذكر؛ لأنه الذى يسافر السفر البعيد غالبا، وإلا فالمرأة كذلك.

(يطيل السفر) أى لما هو طاعة كالحج والجهاد وصلة الرحم **(أشعث)** أى وسخ الجسد متلبد الشعر لقلة تعهده بالغسل والتسريح **(أغبر)** أى أصاب الغبار جسده وثوبه حتى غير لونهما **(يمد يديه)** حال من ضمير «**أشعث**» أو صفة لرجل بعد وصفه بما تقدم. ومعنى «**يمد يديه**»: يرفعهما **(إلى)** جهة **(السماء)** داعيا متذللا قائلا: **(يا رب)** أعطنى كذا **(يا رب)** اصرف عنى كذا **(و)** الحال أنه **(مطعمه)** أى مطعومه ومأكوله **(حرام، ومشربه)** أى مشروبه **(حرام، وملبسه)** أى ملبوسه **(حرام، وغذى بالحرام)** بضم الغين المعجمة وكسر الذال المعجمة المخففة. وفى «المصابيح» وردت مشددة. وذكر بعد المطعم والمشرب إما للتأكيد وإما للتنبيه على حال الصغر. والمعنى: وكان غذاؤه حراما حال صغره.

والغذاء بالذال المعجمة ما به نماء الجسد وقوامه من الطعام والشراب، وهو أعم من الغداء بالدال المهملة والعشاء. ووقت الأول من طلوع الفجر إلى الزوال، ووقت الثانى من الزوال إلى نصف الليل، فمن حلف أنه لايتغدى فأكل بعد

الزوال أو أنه لا يتعشى فأكل قبل الزوال لم يحنث .

(فأنى) أى فكيف؟ **(يستجاب له)** وفى بعض النسخ: «**لذلك**» والاستفهام للاستبعاد أى يبعد لمن هذه صفته وهذا حاله؛ أن يجاب دعاؤه.

ونقل عن وهب بن منبه أنه قال: بلغنى أن موسى عليه السلام مر برجل قائم يدعو ويتضرع طويلا وهو ينظر إليه، فقال موسى: يا رب أما استجبت لعبدك؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى إنه لو بكى حتى تلفت نفسه، ورفع يده حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له. قال: يا رب لم ذلك؟ قال: لأن فى بطنه الحرام، وعلى ظهره الحرام، وفى بيته الحرام.

وروى عن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة. فقال له النبى ﷺ : «**أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذى نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من سحت؛ فالنار أولى به**»[1]

وقال بعض السلف: لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طرقها بالمعاصى. ونظم ذلك المعنى بعض الشعراء فقال:

نحن ندعو الإله فى كل كرب ... ثم ننساه عند كشف الكروب

كيف نرجو استجابة لدعاء ... قد سددنا طريقها بالذنوب

وحكى: أن إبراهيم بن أدهم مر بسوق البصرة؛ فاجتمع الناس إليه، وقالوا له: يا أبا إسحاق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء: **الأول:** عرفتم الله فلم تؤدوا حقه. **والثانى:** زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم سنته. **والثالث:** قرأتم القرآن فلم تعملوا به. **والرابع:** أكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها. **والخامس:** قلتم إن الشيطان عدو لكم ولم تخالفوه. **والسادس**: قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها. **والسادس:** قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها. **والثامن:** قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له. **والتاسع:** انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم. **والعاشر:** دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

---

(١) الطبرانى فى الصغير كما فى مجمع الزوائد (١/ ٢٩١) وقال الهيثمى: فيه من لم أعرفهم.

ثم إن هذا الحديث من الأحاديث التى عليها قواعد الإسلام ومبانى الأحكام. وليس فيه تصريح يمنع إجابة العاصى بالكلية، بل يجوز أن الله تعالى يجيبه تكرما منه وتفضلا، بل قد يستجيب دعاء الكافر.

كما حكى: أن مراكب الإفرنج جاءت تطلب الماء بثمن من المسلمين؛ فمنعوهم، فلما أشرفوا على الهلاك فتحوا أناجيلهم وضجوا إلى الله تعالى بالدعاء؛ فأمطروا، فلما رأى المسلمون حالهم؛ فتحوا مصاحفهم ودعوا عليهم فأرسل الله تعالى عليهم ريحا فكسرت مراكبهم وأهلكتهم.

وقيل: إن موسى عليه السلام قال: يا رب إذا دعاك الصائم والمصلى والمجاهد فماذا تجيبهم؟ قال تعالى: أقول لبيك. قال: يا رب فإذا دعاك العاصى؟ قال: أقول لبيك لبيك لبيك - ثلاثا - قال: يا رب تجيبه بالتلبية ثلاث مرات. قال: لأنه اعتمد على كرمى، وغيره اعتمد على عمله.

وأخرج البيهقى فى «شعب الإيمان» عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن جبريل موكل بحاجات العباد، فإذا دعا المؤمن قال الله تعالى: يا جبريل احبس حاجة عبدى؛ فإنى أحبه وأحب صوته، وإذا دعا الكافر** - وفى رواية الفاجر - **قال: يا جبريل اقض حاجة عبدى؛ فإنى أبغضه وأبغض صوته»**[1].

وقال بعضهم: من لم يكن فى دعائه تاركا لاختياره راضيا باختيار الله تعالى؛ فهو مستدرج. وهو ممن قيل له: اقضوا حاجته فإنى أكره أن أسمع صوته. فإن كان مع اختيار الحق - تعالى - لا مع اختيار نفسه؛ كان مجابا وإن لم يعط. والأعمال بخواتيمها.

(رواه) الإمام (مسلم) رحمه الله تعالى، ونفعنا به آمين.

(١) البيهقى فى شعب الإيمان (١٠٠٣٥).

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ أن الله تعالى منزه عن كل النقائص

٢ ـ أن الله لا يقبل من العمل إلا إذا كان خالصا لوجهه تعالى وصوابا. أي: موافق للشريعة الإسلامية.

٣ ـ لا يتقرب العبد لربه بعمل خبيث.

٤ ـ أمر الله للرسل كأمره للمؤمنين يبين لنا أن الناس سواسية أمام الله والكل مسؤول لا فرق بين حاكم ومحكوم.

٥ ـ يجب علينا أن نتعلم فضل الدعاء فى السفر ونحافظ عليه.

الحديث الحادى عشر

الابتعاد عن الشك والشبهة

١١ ـ عن أبى محمد، الحسن بن على بن أبى طالب، سبط رسول الله ﷺ وريحانته ـ رضى الله عنهما ـ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» رواه الترمذى والنسائى، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح[١].

الشرح والبيان

(**عن أبى محمد الحسن بن على بن أبى طالب سبط رسول الله ﷺ**) بكسر السين المهملة وسكون الباء الموحدة، أى ابن بنته فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها، وسبط يقرأ بالجر على أنه بدل من أبى محمد، أو عطف بيان للحسن، ويجوز رفعه بتقدير هو ونصبه بتقدير أعنى.

وقوله: (**وريحانته**) أخذه من قول المصطفى ﷺ فيه وفى أخيه الحسين: «**هما ريحانتاى من الدنيا**»[٢] وفى رواية: «**من الجنة**». شبه ﷺ سروره وفرحه بهما، وارتياحه برؤيتهما، وإقباله عليهما بريحان طيب ترتاح لرؤيته وشمه النفس. ويطلق الريحان على الرزق. ومنه سمى الولد ريحانا لأنه من رزق الله. وقيل: يقال للولد ريحانة إلى سبع، ووزير إلى سبع أخر، وبعد ذلك إما صديق حميم وإما عدو مبين.

(**رضى الله تعالى عنه**) وفى بعض النسخ «**عنهما**»، أى عنه وعن أبيه. ولد بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة. وهو أكبر من أخيه الحسين بعام. وقيل: أقل. وقيل: أكثر. وأذن رسول الله ﷺ فى أذنه[٣]، ولقبه بالنقى والسيد، وكناه

---

(١) الترمذى فى صفة القيامة (٢٥١٨) وقال: حديث حسن صحيح والنسائى فى الأشربة (٨/ ٣٢٧، ٣٢٨) وأحمد (١/ ٢٠٠) وأبو داود الطيالسى (١١٧٨) وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ٢٦٤) والحاكم (٢/ ١٣) وصححه، والطبرانى فى الكبير (٢٢/ ٣٩٩).

(٢) البخارى فى فضائل أصحاب النبى ﷺ (٣٧٥٣) وفى الأدب (٥٩٩٤) والترمذى فى المناقب (٣٧٧٠) وقال: صحيح، وأحمد (٢/ ٨٥، ٩٣).

(٣) أبو داود فى الأدب (٥١٠٥) والترمذى فى الأضاحى (١٥١٤) وقال حديث حسن صحيح، والحاكم (٣/ ١٧٩).

محمد، وسماه الحسن، ولم يكن يعرف هذا الاسم فى الجاهلية، وكذا اسم الحسين.

وروى عن البراء أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ واضعا الحسن على عاتقه وهو يقول: **«اللهم إنى أحبه فأحبه»**[١]. وصح: **«من أحبنى فليحبه، وليعلم الشاهد الغائب، اللهم إنى أحبه، وأحب من يحبه، فأحب من يحبه»**[٢] ثلاث مرات.

وحكى: أن أبا بكر ـ رضى الله تعالى عنه ـ خرج من صلاة الفجر بعد وفاة النبى ﷺ بليال، وعلى يمشى إلى جنبه؛ فمر بالحسن يلعب مع الغلمان؛ فاحتمله على رقبته وهو يقول:

بأبى شبيه بالنبى   ليس شبيها بعلى[٣]

وكان ـ رضى الله تعالى عنه ـ رجلا كريما، سمع شخصا يسأل الله عز وجل أن يرزقه عشرة آلاف، فانصرف فبعث بها إليه.

وحكى: أنه مر هو والحسين ـ رضى الله تعالى عنهما ـ على عجوز، فذبحت لهما شاة، فغضب زوجها، فأرسل الحسن إليها ألف شاة وألف دينار والحسين كذلك. وقيل: إنه خرج عن ماله مرتين، وقاسم الله فى ماله ثلاث مرات.

ومن تواضعه أنه مر بصبيان معهم كسر خبز؛ فاستضافوه فنزل وأكل معهم.

وحكى: أنه مر بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق، وقد نشروا كسرا على الأرض فى الرمل وهم يأكلون، وهو على بغلته، فسلم عليهم، فقالوا له: هلم إلى الغداء يا ابن رسول الله ﷺ فقال: نعم إن الله لا يحب المستكبرين، فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال: قد أجبتكم فأجيبونى. قالوا: نعم، فوعدهم وقتا معلوما فحضروا وقدم عليه فأخر الطعام فجلس وأكل معهم وقيل: إنه كان لا يأكل مع أمه فاطمة ـ

---

(١) البخارى فى اللباس (٥٨٨٤) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٤٢١، ٢٤٢٢) كلاهما عن أبى هريرة، ورواه الترمذى من حديث البراء بن عازب فى المناقب (٣٧٨٣).

(٢) أحمد (٥/ ٣٦٦) والحاكم (٣/ ١٧٣، ١٧٤) وسكت عنه الذهبى فى التلخيص، والهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ١٧٦) وقال: رواه أحمد وفيه من لم أعرفهم.

(٣) البخارى فى فضائل أصحاب النبى ﷺ (٣٧٥٠).

رضى الله تعالى عنها ـ فقالت له فى ذلك، فقال: أخشى أن يقع بصرك على شىء وأسبقك إليه ولا أشعر؛ فأكون عاقا لكَ. فقالت له: كل معي وأنت فى حل من ذلك؛ فامتثل. وروى أنه قال: إنى لأستحى من ربى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فحج خمسا وعشرين مرة من المدينة وهو ماش على رجليه، وكانت النجائب[1] تقاد بين يديه.

وتولى الخلافة بعد أبيه بمبايعة أكثر من أربعين ألفا. واستمر فى الخلافة نحو ستة أشهر بالحجاز واليمن والعراق وخراسان، وغير ذلك، ثم دعاه كرمه وحلمه وورعه أن تركها لمعاوية رفقا بالمسلمين بعد أن سار كل منهما إلى قتال الآخر، وعلم أنه لن تغلب طائفة إلا بعد قتل أكثر الأخرى، فرأى أن المصلحة فى جمع الكلمة، وترك القتال، وطلب صلاح الأمة، وحقن دمائها ـ أى منعها من السفك ـ بإنقاذها من القتل. ولما نزل عنها قال له رجل: السلام عليك يا مذل المؤمنين. فقال: لست بمذلهم بل كرهت أن أقتلكم على الملك.

وبتركه لها ظهرت المعجزة النبوية فى قوله ﷺ فى حقه: «**إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به**» وفى رواية: «**وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[2]

ومن كلامه ـ رضى الله تعالى عنه ـ: «كن فى الدنيا ببدنك، وفى الآخرة بقلبك»

وكان له من الأولاد خمسة عشر ذكرا وثمانى بنات. وروى عن النبى ﷺ ثلاثة عشر حديثا، ومات مسموما من زوجته جعدة بنت الأشعث، أغراها عليه يزيد بن معاوية ووعدها أن يتزوجها، وبذل لها مائة ألف درهم، ففعلت. فمرض أربعين يوما، ومات سنة خمسين ـ على ما عليه الأكثر ـ فبعثت إلى يزيد تسأله فيما وعدها؛ فأبى وقال: إنا لم نرضاك للحسن، أفنرضاك لأنفسنا؟

وروى: أن أخاه الحسين دخل عليه فقال له: يا أخى من نتهم؟ فقال: لتقتله؟ قال: نعم. فقال: إن يكن الذى أظن فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا وإن لم يكن

---

(١) النجائب: جمع نجيبة، ونجائب الأشياء: خالصها.

(٢) البخارى فى الصلح (٢٧٠٤) وفى المناقب (٣٦٢٩) وفى فضائل أصحاب النبى ﷺ (٣٧٤٦) وفى الفتن (٧١٠٩) وأبو داود فى السنة (٤٦٦٢) والترمذى فى المناقب (٣٧٧٣) وأحمد (٥/ ٢٨، ٤٩).

هو؛ فلا أحب أن يقتل بى برىء، وقال له: قد أرسلت إلى عائشة أن أدفن فى بيتها مع رسول الله ﷺ فرضيت، فإذا أنا مت فاطلب ذلك منها، فإن طابت نفسها فادفنى فى بيتها. وما أظن القوم إلا سيمنعونك، فإن كان فلا تزاحمهم، وادفنى فى البقيع؛ فإن لى فيمن فيه أسوة - أى قدوة - فلما مات جاء الحسين إلى عائشة فطلب ذلك منها فأجابت، فلما علم مروان بذلك قال: والله لا يدفن هناك أبدا، فبلغ ذلك الحسين. فلبس هو ومن معه الحديد، وكذلك مروان ومن معه، فبلغ ذلك أبا هريرة فانطلق إلى الحسين وناشده الله وقال له: أليس أخوك قد قال لك ما قال؟ فلم يزل به حتى رضى بدفنه بالبقيع إلى جانب أمه.

ومن كراماته رضى الله تعالى عنه: أن شخصا تغوط على قبره فجن، وجعل ينبح كما ينبح الكلب، ثم مات؛ فسمع من قبره وهو يعوى - نعوذ بالله تعالى من سخطه -

(قال) نفعنا الله به **(حفظت من رسول الله ﷺ)** أى من كلامه **(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)** دع: فعل أمر. معناه: اترك، وما اسم موصول بمعنى الذى، ويريب بفتح أوله وضمه من الريب، وهو الشك والتردد فى الشىء.

وقوله: «**إلى ما لا يريبك**» متعلق بمحذوف وجوبا حال من فاعل دع. والمعنى: اترك الشىء الذى تشك فى كونه حسنا أو قبيحا أو حلالا أو حراما؛ حال كونك متوجها أو صائرا إلى الذى لا تشك فيه، بأن تتيقن حسنه وحله. والأمر للندب؛ لأن توقى الشبهات مندوب، فلو شك فى طلوع الفجر فى رمضان؛ جاز له أن يتسحر؛ لأن الأصل بقاء الليل ولكن الأفضل له ألا يتسحر. ولو رأى شيئا فى يد إنسان ثم رآه فى يد آخر، وزعم أنه اشتراه منه أو وكله فى بيعه؛ جاز لهذا الرائى شراؤه منه، ولكن الأفضل له عدم الشراء حتى يتيقن صدقه. ولو دعاه فاسق لوليمة جازت إجابته، والأفضل عدمها؛ لأنه لا يتقى الحرام.

وقيل: أوحى الله إلى داود - عليه السلام -: قل لبنى إسرائيل إنى لا أنظر إلى صلاتكم ولا صيامكم، ولكن أنظر إلى من شك فى شىء؛ فتركه لأجلى. ذلك الذى أؤيده، أى أقويه بنصرى، وأباهى - أى أفاخر - به - ملائكتى.

ثم إن هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين، وأصل فى الورع الذى عليه مدار اليقين. بل قال بعضهم: الورع كله فى ترك ما يريب إلى ما لا يريب.

وقال العسكرى: لو تأمل الحذاق هذا الحديث لتيقنوا أنه قد استوعب كل ما قيل فى تجنب الشبهات. وقال حسان بن أبى سنان: ما شىء أهون من الورع، إذا رابك شىء - أى شككت فيه - فدعه، وهذا إنما يسهل على من سهله الله عليه. ومن ثم تنزه يزيد بن زريع عن خمسمائة ألف من ميراث أبيه؛ فلم يأخذها، لأن أباه كان يلى الأعمال للسلاطين.

وقيل لإبراهيم بن أدهم: ألا تشرب من ماء زمزم؟ فقال: لو كان لى دلو لشربت، أشار إلى أن الدلو من مال السلطان وهو مشتبه. ورهن أحمد بن حنبل سطلا له عند بقال بمكة، فلما أراد فكاكه أخرج البقال له سطلين، وقال: خذ أيهما لك، فقال أحمد: أشكل علىّ سطلى، هو لك، فقال البقال: سطلك هذا. وإنما أردت أن أجربك، فقال: لا آخذه، وتركه عنده ومضى.

وقيل: إن تناول الشبهات يعمى قلوب المؤمنين، وينشأ منه أعمال مذمومة تخالف أعمال الصالحين.

وحكى عن أحمد بن نصر الدقاق أنه قال: تهت مرة فعطشت مدة طويلة، فلما وافيت الطريق، أى ظهر لى، وأتيته لقينى جندى فسقانى شربة ماء، فعادت قساوتها على قلبى أربعين صباحا.

وحكى أن رجلا قصد زيارة بعض الأولياء، فلما وصل إلى بيته رأى شابا خارجا منه عليه سيما المتكبرين، أى علامتهم، فسلم عليه فلم يرد عليه، فتعجب وسأل عنه فقيل له: إنه ابن الشيخ، فلما جاء، أى الشيخ، رأى عليه سيما المتواضعين وكمال حسن الخلق، فزاد تعجبه، وقال فى نفسه: كيف يكون لمثل هذا الشيخ مثل هذا الولد؟ ثم سأله عن سوء خلق ابنه، فقال: لا تعجب فإنى جعت مدة أيام، فأخبر بذلك جارى فجاءنى بطعام من بيت السلطان؛ لأنه كان من خواصه، فلما أكلته غلبت على شهوة الجماع، فهذا الولد من نطفة ذلك الطعام.

وأخرج الديلمى عن أنس رضى الله تعالى عنه مرفوعا: **«ركعتان من رجل ورع؛ أفضل من ألف ركعة من مخلط»**[1]

---

(١) الديلمى فى فردوس الأخبار (٣٠٥٥) والسيوطى فى الجامع الصغير (٤٤٧٥) وضعفه. قلت: فيه يونس ابن عبيد قال عنه الذهبى: مجهول

وقال الحسن رضى الله تعالى عنه: مثقال ذرة من الورع، خير من ألف مثقال ذرة من الصوم والصلاة. وأخرج الترمذى وابن ماجه والحاكم عن عطية السعدى ـ رضى الله تعالى عنه ـ مرفوعا: **«لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين، حتى يدع ما لابأس به حذرا مما به بأس»**(١)

ولذا قال أبو بكر الصديق ـ رضى الله تعالى عنه ـ: كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام. وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ: كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع فى الحرام. وحكى عنه: أنا لما تولى الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها مخافة أن تشير عليه بشفاعة فى باطل؛ فيطيعها ويطلب رضاها.

وبالجملة فالمقصود من هذا الحديث: هو أن يبنى المكلف أموره فى الدين على اليقين، وفيه دلالة على أن الخروج من اختلاف العلماء أمر محبوب؛ لأنه أبعد عن الشبهة .

(رواه الترمذى) نسبة إلى ترمذ بكسر الفوقية والميم بضمها وبفتح فكسر، وكلها مع إعجام الذال: مدينة قديمة بطرف نهر بلخ وهو جيحون على شاطئه الشرقى .

واسمه محمد بن عيسى بن سورة ـ بفتح السين والراء وسكون الواو ـ كان من الأئمة الذين يقتدى بهم فى علم الحديث، وكان يضرب به المثل فى الحفظ. ولد سنة تسع ومائتين ومات ببلده سنة تسع وسبعين ومائتين.

(والنسائى) نسبة إلى نسا مدينة بخراسان، واسمه أحمد بن شعيب. كان فقيها شافعى المذهب محدثا حافظا متقنا حتى قيل: إنه أحفظ من مسلم. ولد سنة خمس عشرة ومائتين، ومات سنة ثلاث وثلاثمائة، ودفن ببيت المقدس. وقيل: بمكة بين الصفا والمروة.

(وقال الترمذى) هو **(حديث حسن)** أى لوصف جماعة له بالحسن **(صحيح)**

---

(١) الترمذى فى صفة القيامة (٢٤٥١) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجة فى الزهد (٤٢١٥)، والحاكم (٤/ ٣١٩) وصححه ووافقه الذهبى.

أى لوصف آخرين لـه بالصحة، وبهـذا التقـرير يندفع إشكال الجمع بين الصـحة والحسن مع ما بينهما من التضاد؛ إذ راوى الصحـيح يشترط فيه أن يكون موصوفا بالضبط الكامل، وراوى الحسن لا يشترط فيه أن يبلغ تلك الدرجة، وإن كان ليس عاريا عن الضبط فى الجملة.

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ للحسن مقام عند النبى ﷺ عظيم.

٢ ـ يعتبر الحديث قاعدة كبيرة فى المعاملات الاجتماعية.

٣ ـ البعد عن مواطن الشك والشبهة من أصول الدين.

٤ ـ كان الصحابة يتركون كثير من الحلال مخافة الوقوع فى الحرام.

٥ ـ خير الكلام ماقل ودل وهذا مافعله النبى ﷺ للحسن.

الحديث الثانى عشر

الاشتغال بما يفيد

١٢ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه» . حديث حسن رواه الترمذى وغيره هكذا (١).

الشرح والبيان

(**عن أبى هريرة**) تقدمت ترجمته (**رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ من حسن إسلام المرء**) متعلق بمحذوف خبر مقدم، وقوله الآتى:

(**تركه مالا يعنيه**) مبتدأ مؤخر، يعنى من كمال إسلام المرء وتمامه والاستسلام لأحكامه (**تركه مالا يعنيه**) بفتح الياء أي مالا تتعلق عنايته به قولا كان أو فعلا، والذى يعنى الإنسان من الأمور ما يتعلق بضرورة حياته فى معاشه وسلامته فى معاده، وذلك يسير بالنسبة إلى مالا يعنيه. فإذا اقتصر الإنسان على ما يعنيه من الأمور سلم من شر عظيم. والسلامة من الشر خير كثير.

ومن كلام بعض السلف: من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه، ومن سأل عما لا يعنيه سمع مالا يرضيه(٢).

وقيل: إن هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، وهو مما لم يقله أحد قبله. وأما ما روى فى صحف شيث وإبراهيم عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام: من عد كلامه من عمله؛ قل كلامه إلا فيما يعنيه. فهو خاص بالكلام.

وأما قوله فى هذا الحديث؛ فهو أعم من الكلام؛ لأن مما لا يعنيه اللعب والهزل وما يخل بالمروءة والتوسع فى الدنيا، وطلب المناصب والرئاسة، وحب المحمدة والثناء، ونحو ذلك مما لا يعود عليه منه نفع، فإنه ضياع للوقت النفيس الذي لا يمكن أن يعوض فائته فيما لم يخلق لأجله، ومن ثم قال الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه: أدركنا قوما كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم

---

(١) الترمذى فى الزهد (٢٣١٧، ٢٣١٨) وابن ماجة فى الفتن (٣٩٧٦) وأحمد (١/ ٢٠١) والطبرانى فى الكبير (٣/ ٢٨٨٦) ومالك فى الموطأ فى حسن الخلق٢/ ٦٨٩ (٣).

(٢) ابو نعيم فى الحلية (٥/ ٢٩٠)

ودراهمكم، كما لا يحب أحدكم أن يخرج دينارا أو درهما إلا فيما يعود عليه نفعه، كذلك لا يحبون أن تخرج ساعة من أعمارهم إلا فيما يعود عليهم نفعه.

وقال الغزالى رحمه الله تعالى: علاج ترك ما لا يعنى أن يعلم أن الموت بين يديه، وأنه مسؤول عن كل كلمة تكلم بها، وأن أنفاسه رأس ماله، وأن لسانه شبكته يقدر على أن يقتنص - أى يصطاد - بها الحور العين، فإهماله وتضييعه فيما لا يعنيه خسران مبين. وقال أيضا: حد مالا يعنيك فى الكلام أن تتكلم بما لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر حالا ومآلا؛ فإنك به يضيع زمانك، وتحاسب على ما نطق به لسانك، إذ تستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير، ولو صرفته فى الفكر والدعاء ربما ينفح لك من نفحاته، أى يعطيك من عطاياه، ولو سبّحت بنى لك قصر في الجنة.

وقيل: إن كل كلمة فيما لا يعنى يوقف عليها العبد فى الآخرة خمس وقفات يطول بها حسابه وهوله، ويذوب لحمه وقلبه، ويتقطع حسرات.

أولها: أن يقال له: لم قلت كلمة كذا؟، أكانت مما يعنيك؟. **ثانيها:** هل نفعتك إذ قلتها؟. **ثالثها:** هل ضرتك لو لم تقلها؟. **رابعها:** هلا سكت فربحت السلامة من عاقبتها؟. **خامسها:** هلا جعلت مكانها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ فغنمت ثوابها.

وروى أبو عبيدة عن الحسن - رضى الله تعالى عنه - قال: من علامة إعراض الله عن العبد؛ أن يجعل شغله فيما لا يعنيه. وقال معروف الكرخى - نفعنا الله تعالى به -: كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله تعالى. وقال مالك بن دينار - رحمه الله تعالى -: إذا رأيت قساوة فى قلبك، وضعفا فى بدنك، وحرمانا فى رزقك فاعلم أنك قد تكلمت فيما لا يعنيك. وقال أنس - رضى الله تعالى عنه - استشهد منا غلام يوم أحد، فوجد على بطنه حجر من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه، وقالت: هنيئا لك الجنة، فقال رسول الله ﷺ: **«وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما يعنيه»**[1].

---

(١) الترمذى فى الزهد (٢٣١٦) وقال: حسن غريب، وأبو يعلى (٤٠٠٤) وأبو نعيم فى حلية الأولياء (٥/ ٥٥، ٥٦) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ٣٠٣) فيه يحيى بن يعلى الأسلمى ضعيف.

وروى أن حسان بن أبى سنان ـ رحمه الله تعالى ـ مـر على غرفة فقال: متى بنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه وقال: يا نفس تسألين عمـا لا يعنيك؛ لأعاقبنك بصوم سنة فصـامها. ووعظ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجـلا فقال له: لا تتكلم فيما لا يعنيك واعتزل عدوك، واحذر صديقك الأمين ـ ولا أمين إلا من يخشى الله ـ ولا تمش ـ مع الفاجر فيـعلمك من فجوره ، ولا تطلعه على سرك، ولا تشاور فى أمورك إلا الذين يخشون الله عز وجل.

وقيل للقمان عليه السلام: ما بلغ بك ما نرى ؟ يريدون الفضل، قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك مالا يعنينى. وقـال رجل للأحنف بن قيس ـ رحمه الله تعالى ـ: بم سدت على قومك وأنت أعور؟ فـقال له: بتركى من أمرك ما لا يعنينى كما عناك من أمرى ما لا يعنيك. وقال يونس بن عبيد ـ رحمة الله عليه ـ: ترك كلمة فيما لا يعنى أفضل من صوم.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**أول من يدخل عليكم رجل من أهل الجنة**» فدخل عبد الله بن سـلام رضى الله تعالى عنه ـ فقام إليه ناس فـأخبروه، وقالوا: أخبرنا بأوثق عملك فى نفسك، قال: إن عملى لضعيف، أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك مالا يعنينى[1].

وقال الشـافعى ـ رضى الله تعـالى عنه ـ : ثلاثة تزيد فى العـقل: مجـالسة العلماء، ومجالسة الصالحين، وترك الـكلام فيما لا يعنى. وقال أيضا: من أراد أن ينور الله قلبه؛ فليـترك الكلام فيـما لا يعنيـه. وقال بعضهـم: مر إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه علـيه فرأى عبدا فى الهـواء متعبداً، فـقال له: بم نلت هذه المنزلة من الله تعالى؟ قال: بأمر يسير؛ فطمت نفسى ـ أى منعتها عن الدنيا ـ ولم أتكلم فيمـا لا يعنينى، ونظرت فيما أمـرنى ربى؛ فعملت به، وفيـما نهانى عنه؛ فانتهيت، فأنا إن سألته أعطانى، وإن دعوته أجابنى، وإن أقسمت عليه أبر قسمى سألته أن يسكننى الهواء؛ فأسكننى.

---

(١) ابن أبى الدنيا فى الصمت (١١١) والمطالب العـالية (٤١١٩) وعزاه لإسحاق وقال: فـيه ضعف وانقطاع وأصله فى الصحيح.

ويقرب من ذلك ما روى عن وهب بن منبه ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: كان فى بنى إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما أن مشيا على الماء، فبينما هما يمشيان فى البحر إذ هما برجل يمشى فى الهواء، فقالا له: يا عبد الله بأى شىء أدركت هذه المنزلة؟ قال: بيسير من الدنيا؛ فطمت نفسى عن الشهوات، وكففت لسانى ـ أى منعته ـ عما لا يعنينى، ورغبت فيما دعانى الله إليه، ولزمت الصمت؛ فإن أقسمت على الله أبر قسمى، وإن سألته أعطانى.

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم، وهو أصل كبير فى تأديب النفس وتهذيبها عن الرذائل والنقائص، وترك مالا جدوى فيه ولا نفع.

وقد أخذ المصنف منه أنه يكره أن يسأل الرجل فيم ضرب زوجته؟

وقال ابن العربى رحمه الله تعالى: من أمراض النفس التى يجب التداوى منها: أن يفعل رجل خيرا مع بعض بنيه دون بعض؛ فيعترضه آخر ويسأله عن ذلك، فهذا فضول يثمر عداوة الولد لأبيه، فهى كلمة شيطانية لا تقع إلا من جاهل غبى. ولا دواء لها بعد وقوعها، ودواؤها قبله النظر إلى هذا الحديث.

وهو (**حديث حسن رواه الترمذى وغيره**) كابن ماجه (**هكذا**) أى موصولا، ورواه غيرهما مرسلا، والاتصال يقدم على الإرسال، وفى بعض النسخ حذف «هكذا» .

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ إن اشتغال الإنسان بما لا يعنيه يكون سببا فى التخاصم والتشاجر وقطع العلاقات الاجتماعية.

٢ ـ أن الإنسان إذا ترك ما لا يعنيه يكون مطمئنا هادئ البال مستريح بعكس الفضولى الذى يتدخل فى ما لا يعنيه يعيش فى قلق وحيرة دائما .

٣ ـ للوقت أهمية فى حياة المسلم ويجب عدم استخدامه إلا فى الصالح.

٤ ـ من تدخل فيما لا يعنيه سمع مالا يرضيه.

الحديث الثالث عشر

من كمال الإيمان

١٣ـ عن أبى حمزة ـ أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ خادم رسول الله ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ :«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». رواه البخارى ومسلم[1].

الشرح والبيان

(**عن أبى حمزة ـ أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ـ خادم رسول الله ﷺ**) كناه النبى ﷺ بأبى حمزة؛ لأنه كان يجتنى بقلة يقال لها حمزة لكونها كانت حامزة أى فيها حموضة، ويقال: إنها الرجلة. وأمه أم سليم، تزوجها أبو طلحة بعد موت مالك. قيل: إنه خطبها قبل أن يسلم، فقالت له: أما إنى فيك لراغبة، وما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فذلك مهرى لا أسألك غيره، فأسلم أبو طلحة وتزوجها. ولما قدم النبى ﷺ المدينة ذهبت إليه ومعها ولدها أنس، فقالت له: يا رسول الله خذ هذا غلاما يخدمك؛ فقبله، وكان عمره حينئذ عشر سنين، وقيل أقل من ذلك، واستمر فى خدمته إلى أن توفى ﷺ وهو عنه راض.

وروى عنه أنه قال: خدمت النبى ﷺ عشر سنين، ويروى تسع سنين، فما قال لى لشىء فعلته لم فعلته؟ ولا لشىء تركته لم تركته[2]. وكنت واقفاً أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال: **«ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها»**؟ فقلت: بلى بأبى وأمى أنت يا رسول الله، فقال: **«متى لقيت من أمتى أحداً فسلم عليه، يطل عمرك، وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك، وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين الأبرار»**[3] وفى رواية عنه: أنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر

---

(١) البخارى فى الإيمان (١٣) ومسلم فى الإيمان (٤٥/ ٧١، ٧٢) والترمذى فى صفة القيامة (٢٥١٥) وقال: حسن صحيح، والنسائى فى الإيمان (٨/ ١١٥، ١٢٥) وابن ماجة فى المقدمة (٦٦) وأحمد (١/ ٨٩ و ٣/ ١٧٦، ٢٠٦، ٢٥١) والدارمى فى الرقاق (٢٧٤٠).

(٢) البخارى فى الديات (٦٩١١) ومسلم فى الفضائل (٢٣٠٩) وأبو داود فى الأدب (٤٧٧٣، ٤٧٧٤) والترمذى فى البر والصلة (٢٠١٥).

(٣) البيهقى في الشعب (٨٧٥٨).

سنين فما سبنى قط، وما ضربنى ضربة، ولا انتهرنى، ولا عبس فى وجهى، ولا أمرنى بأمر فتوانيتُ فيه فعاتبنى عليه، فإن عاتبنى أحد قال: «**دعوه، ولو قدر الله شيئا كان**» (١).

وقالت أمه يوماً: يا رسول الله خويدمك أنس؛ ادعُ الله له، فقال: «**اللهم أكثر ماله وولده، وأطل عمره، واغفر ذنبه**» ويروى بدل الأخيرة: «**وأدخله الجنة**» قال أنس ـ رضى الله تعالى عنه: فلقد رُزقت من صلبى سوى ولد ولدى مائة وخمسة وعشرين، أى ذكورا، ولم يرزق إلا ابنتين على ما قيل وإن بستانى ليثمر فى السنة مرتين، وفيه: ريحان يجىء منه ريح المسك، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة، وأنا أرجو الرابعة (٢).

وشكا له قيمه، أى القائم بأموره، عطش أرضه؛ فتوضأ وخرج إلى البرية وصلى ركعتين ودعا، فسارت سحابة حتى غشيت أرضه، أى غطتها وسترتها، ومطرت حتى ملأتها، فأرسل غلامه، وقال: انظر أين بلغت هذه؛ فنظر، فإذا هى لم تعد أرضه، أى لم تتجاوزها. وفى رواية: لم تعدها إلا يسيرا، وذلك فى الصيف.

وكان يصلى فيطيل القيام حتى تقطر قدماه دما. وكان إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته ودعا لهم (٣).

وغزا مع النبى ﷺ ثمانى غزوات، وأقام بالمدينة، وشهد الفتوح، ثم قطن البصرة، ومات بها سنة ثلاث وتسعين فى زمن الحجاج. واختلف فى عمره فقيل: إنه تسع وتسعون سنة، وقيل: مائة وستة، وقيل: وثلاثة، وقيل: وعشرة. وقيل: وسبعة. وقيل: وعشرون. وأوصى ثابتاً البنانى أن يجعل تحت لسانه شعرة كانت عنده من شعر رسول الله ﷺ ففعل، وغسله محمد بن سيرين.

---

(١) كنز العمال (٣٠٤٩٣٠) وعزاه للخرائطى فى مكارم الأخلاق.

(٢) مسلم فى فضائل الصحابة (٢٤٨٠، ٢٤٨١) وابن حبان (٧١٨٧ ـ إحسان) بنحوه ورواه أبو نعيم فى حلية الأولياء (٨/ ٢٦٧).

(٣) ابن المبارك فى الزهد (٨٠٩) ومحمد بن نصر المروزى فى قيام الليل ص (١٠٩) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ١٧٢) رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة ودفن فى قصره على نحو فرسخ ونصف منها.

روى له ألفان ومائتا حديث وستة وثمانون حديثا، منها ما ذكره عنه المصنف بقوله (**قال: قال رسول الله ﷺ: لا يؤمن أحدكم**) أى: إيماناً كاملاً (**حتى يحب**) بالنصب؛ لأن «**حتى**» هنا جارة وأن بعدها مضمرة، أى إلى أن يحب (**لأخيه**) أى فى الإسلام (**ما يحب لنفسه**) أى مثل ما يحب لها، يعنى: لا يكمل إيمان كل واحد منكم حتى يأتى بخصلة من خصال الإيمان الواجبة عليه، وهى حبه لأخيه ما يحب لنفسه، أى حبه أن يحصل لأخيه نظير ما يحصل له أو ما يتمنى حصوله من الخير والمنفعة. وليس المراد أنه يحب أن يحصل لأخيه ما حصل له مع سلبه عنه. وفى رواية للنسائى «**حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه**»[1].

والخير: اسم جامع للطاعات والمباحات دنيوية وأخروية. وجاء فى حديث: «**انظر أحب ما تحب أن يأتيه الناس إليك؛ فأته إليهم**» وفى كلام بعضهم: ارض للناس ما لنفسك ترضى.

ولابد أن يكون المعنى فيما يباح؛ فإن الإنسان يحب لنفسه وطء حليلته، ولا يجوز له أن يحبه لأخيه حال كونها فى عصمته؛ لأنه غير مباح له، بل هو محرم عليه. وليس له أن يحب لأخيه فعل محرم عليه.

قال الكرمانى: ومن الإيمان أن يبغض لأخيه؛ ما يبغض لنفسه من الشر. ولم يذكره لأن حب الشىء مستلزم لبغض نقيضه، فترك النص عليه اكتفاء على حد: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] . أى والبرد. وقيل للأحنف وكان أحلم الناس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من نفسى. قيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا كرهت شيئا من غيرى؛ لم أفعل بأحد مثله.

وروى أن رجلا قال: يا رسول الله ائذن لى فى الزنا فهم من كان بقرب النبى ﷺ أن يتناوله، فقال: «**دعوه**» ثم قال له: «**ادن منى**» فدنا، فقال له: «**أتحب أن يفعل ذلك بأختك؟**» قال: لا، قال: «**فابنتك**»، قال: لا، قال: «**فبامرأتك؟**»

---

(١) النسائى فى الإيمان (٨/ ١١٥).

قال: لا، فلم يزل النبى ﷺ يقول فبكذا وبكذا، ويقول الرجل: لا. فقال النبى ﷺ: **«فاكره ما كره الله تعالى وأحب لأخيك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لنفسك»** فقال: يا نبى الله - ادع الله تعالى أن يبغض إلىّ النساء، فقال: **«اللهم بغض إليه النساء»** فانصرف. ثم رجع إليه بعد ليال، فقال: يا رسول الله ما من شىء أبغض إلى من النساء. فأذن لى بالسياحة، فقال ﷺ: **«إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله»**[1]

وفى مسند الإمام أحمد عن زيد بن أسد القرشى قال: قال لى رسول الله ﷺ: **«أتحب الجنة؟»** قلت: نعم، قال: **«فأحب لأخيك ما تحب لنفسك»**[2]

وحكى أن بعضهم شكا كثرة الفأر فى بيته، فقيل له: اقتنى هرة، فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهرة، فيهرب إلى دور الجيران. فأكون قد أحببت لهم ما لا أحبه لنفسى.

ثم إن هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام. والمقصود منه: طلب المساواة التى بها تحصل المحبة، وتدوم الألفة بين الناس، وتنتظم أحوالهم. وأما الإيثار. وهو تقديم الغير على النفس؛ فهو أمر عظيم، مدح الله تعالى أهله فى كتابه العزيز بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] أى حاجة إلى ما يؤثرون به. وسبب نزول هذه الآية: ما روى أن رجلا من أصحاب النبى ﷺ أهدى إليه رأس شاة فقال: إن أخى فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعثه إليه، وبعثه ذاك إلى آخر، فلم يزل يبعث به من واحد إلى آخر؛ حتى تداولته سبعة بيوت، حتى رجع إلى الأول[3].

وقيل سبب نزولها: أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى مجهود، أى بلغ الجوع منى الجهد وغاية المشقة، فبعث إلى نسائه فقلن: ما عندنا إلا الماء،

---

(١) البيهقى فى الشعب (٥٤١٥) بنحوه وروى أبو داود فى الجهاد (٢٤٨٦) والحاكم (٢/ ٧٣) «إن سياحة أمتى الجهاد».

(٢) أحمد (٤/ ٧٠) والحاكم (٤/ ١٦٨) وفيه خالد بن عبدالله القسرى ضعيف.

(٣) رواه الحاكم (٢/ ٤٨٤) وتعقبه الذهبى قائلا: عبدالله بن الوليد ضعفوه، ورواه النيسابورى فى أسباب النزول (٣٥٦، ٣٥٧).

فقال رسول الله ﷺ : «**من يضيف هذا الليلة؟**» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به، فقال لامرأته: هل عندك شيء، فقالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، ونومي الأطفال، وقدمي للضيف ما عندك، ففعلت وأظهرا له أنهما يأكلان معه[1].

وروى أن رجلا أصبح صائما على عهد رسول الله ﷺ ، فلما أمسى لم يجد ما يفطر عليه إلا الماء، فشرب ثم أصبح صائما، فلما كان اليوم الثالث أجهده الجوع، ففطن به رجل من الأنصار فلما أمسى أتى به إلى منزله، وقال لأهله: هل عندكم من طعام؟ فقال أهله: عندنا ما يشبع الواحد، وكانا صائمين ولهما صبية، فقال لزوجته: إذا دخل الضيف فنومي الصبية قبل العشاء، وأطفئي السراج. ونظهر للضيف أنا نأكل معه حتى يشبع، فجاءت بثريد ووضعته، ودنت من السراج كأنها تريد أن تصلحه فأطفأته، فنزلت هذه الآية.

فإن قيل: كيف ساغ لهما تنويم الصبيان بدون أكل؟ فالجواب: أن الصبيان لم تشتد حاجتهم للأكل وإنما خشيا أن الطعام إذا جيء به للضيف وهم مستيقظون لا يتركون الأكل منه ولو كانوا شباعا على عادة الصبيان، فيشوشون على الضيف.

وروى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أخذ أربعمائة دينار فجعلها فى صرة ثم قال للغلام: اذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح، ثم تلكأ ـ بفتح التاء واللام وتشديد الكاف آخره همز ـ أى أبطئ ساعة فى البيت، حتى تنظر ما يصنع بها. فذهب بها الغلام إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالى يا جارية اذهبى بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها. فرجع الغلام إلى عمر. فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل، وقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل، وتلكأ فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها، فذهب بها إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه فى بعض حاجتك. فقال: رحمه الله ووصله، وقال: ياجارية اذهبى إلى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا، فاطلعت امرأة معاذ،

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٨٨٩) ومسلم فى الأشربة (٢٠٥٤) والنيسابورى فى أسباب النزول (٨٦١).

وقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا، ولـم يبق فى الخرقة إلا ديناران، فدفع بهما إليها، فـرجع الغلام إلى عمر فأخـبره بذلك فسر بذلك عمـر، وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض.

وحكى عن حذيفة العدوى أنه قـال: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شيء من الماء، وأنا أقول: إن كان به رمق - أى بقية حـياة - سقيته. فإذا أنا به. فقلت له: أسـقيك؟ فأشار بـرأسه: أن نعم، فإذا برجل يقول: آه آه، فـأشار إلىّ ابن عمى أن انطلق إليه، فانطلقت إليه، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت له: أسقيك؟ فأشـار: أن نعم، فسمع آخر يقول: آه آه، فأشـار هشام أن انطلق إليه، فجـئته، فإذا هو مـات، فرجعت إلى هشـام فإذا هو قد مـات، ورجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات - رحمة الله تعالى عليهم أجمعين -

(**رواه البخارى ومسلم**) فى الصحيحين - رحمهما الله تعالى -.

الدروس المستفادة من الحديث

١- المقصود بنفى الإيمان فى الحديث هو نفى كـمال الإيمان أما أصل الإيمان هو التصديق بالله تعالى فموجود والمنفى هنا بلوغ حقيقته ونهايته فالإيمان درجات متفاوتة.

٢ - حب الخير للإنسانية كلها وهذا بدوره يوصلنا إلى فهم عالمية الإسلام.

٣ - إرساء مفهوم الأخوة لدى الناس جميعا أمر ضرورى.

٤ - المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها أخوة .

٥ - يجب على المسلم أن يحب للمسلمين جمـيعا مايحبه لنفـسه ويرضى لهم مايرضاه لنفسه، ولكن بشرط أن يكون فى المباح والحلال.

الحديث الرابع عشر

متى يهدر دم المسلم

١٤ ـ عن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة» رواه البخارى ومسلم[1].

الشرح والبيان

(عن ابن مسعود) تقدمت ترجمته (رضى الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **لا يحل دم امرئ مسلم**) أى لا يحل إراقة دمه، فالكلام على حذف مضاف. والمراد أنه لا يجوز إزهاق روحه ولو لم يحصل إراقة دمه كما لو خنقه أو سمه، وإنما عبر بذلك نظرا للغالب فى القتل من إراقة الدم.

واعلم: أن الأصل فى الدماء العصمة عقلا ونقلا. أما عقلا: فلأن فى القتل إفساد الصورة الإنسانية المخلوقة فى أحسن تقويم ـ أى تعديل لها ـ والعقل يأبى ذلك وينكره. وأما نقلا فلقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وقوله ﷺ: **«من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة؛ لقى الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله»**[2]

(**إلا بإحدى**) خصال (**ثلاث**) أى بارتكاب واحدة منها؛ فيحل القتل لما فيه من المصلحة العامة. وهى حفظ الأنساب، والنفوس، والأديان.

وقال القسطلانى: حرف الجر متعلق بحال، والتقدير: إلا متلبسا بفعل إحدى ثلاث. ثم إن المستثنى منه يحتمل أن يكون الدم. والتقدير: لا يحل دم امرئ مسلم إلا دمه متلبسا بإحدى الثلاث. ويحتمل أن يكون الاستثناء من امرئ،

---

(١) البخارى فى الديات (٦٨٧٨) ومسلم فى القسامة (١٦٧٦) وأبو داود فى الحدود (٤٣٥٢) والترمذى فى الديات (١٤٠٢) والنسائى فى تحريم الدم(٧/ ٩٠، ٩١) وابن ماجة فى الحدود (٢٥٩٤) والدارمى فى السير (٢٤٤٧) وابن حبان (٤٤١٤ ـ إحسان).

(٢) ابن ماجة فى الديات (٢٦٢٠) وفى الزوائد: فى إسناده يزيد بن أبى زياد بالغوا فى تضعيفه حتى قيل كأنه حديث موضوع، ورواه أبو يعلى (٥٨٧٤) وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات (٣/ ١٠٤).

والتقدير: لا يحل دم امرئ مسلم إلا امرأ متلبسا بإحدى خصال ثلاث.

(**الثيب الزانى**) بالجر بدل مما قبله، ولابد فيه وفيما بعده من مضاف محذوف، تقديره: خصلة الثيب الزانى، وقصاص النفس بالنفس، وترك التارك لدينه. ويجوز رفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ والخبر محذوف، أى: وهى أو منها الثيب الزانى. ويجوز نصبه على أنه مفعول لفعل محذوف تقديره: أعنى.

ونقل عن الكازرونى أن الرفع هو الرواية. هذا، والثيب: اسم جنس يشمل الذكر والأنثى، والمراد به هنا: المحصن، وهو من وطئ أو وطئ فى القبل فى عقد صحيح. وهو حر بالغ عاقل. فهذا إذا زنى يحل دمه بمعنى أنه يرجم بالحجارة إلى أن يموت. والمختار: أن تكون ملء الكف ولا يجوز قتله بغير ذلك إجماعا. وغير المحصن إذا زنى يجلد مائة ويغرب عاما إن كان حرا، والرقيق على النصف من ذلك. هذا هو الأصح من مذهب الشافعى. ونقل عن الثلاثة أنه لا يُغرّب، وهو قول للشافعى. قال العلماء: ومن مات من غير حد ولا توبة عذب فى النار بسياط من نار.

وورد أنه مكتوب فى الزبور: إن الزناة يعلقون بفروجهم، ويضربون عليها بسياط من حديد، فإذا استغاث أحدهم من الضرب نادته الزبانية: أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحى منه؟

وورد فى الحديث الشريف: «**من زنى بامرأة مسلمة أو غير مسلمة حرة أو أمة فتح الله عليه فى قبره ثلاثمائة ألف باب من النار، تخرج عليه منها عقارب وحيات وشهب من النار؛ فهو يعذب إلى يوم القيامة**»[1].

وروى فى الحديث أيضا: «**احذروا الزنا فإن فيه ست خصال ثلاثة فى الدنيا وثلاثة فى الآخرة، فأما التى فى الدنيا: فإنه يذهب البهاء من الوجه، ويورث الفقر، وينقص الرزق والعمر. وأما التى فى الآخرة: فينظر الله تعالى إليه بعين الغضب، فيسود وجهه، والثانية: يكون حسابه حسابا شديدا، والثالثة: يسحب فى سلسلة**

---

(١) لم أقف عليه فيما عندى من مصادر ولكن هذا الحديث ظاهره أنه موضوع.

إلى النار»[1]

ومن قبائح الزنا: أنه يورث القتل والطاعون، لخبر الحاكم عن ابن مسعود: «**إذا كثر الزنا؛ كثر القتل ووقع الطاعون**» وعن بريدة مرفوعا: «**ما ظهرت الفاحشة في قوم قط؛ إلا سلط الله عليهم الموت**»[2].

ومن قبائحه أيضا: أنه يفعل مثله في ذرية الزاني أو زوجته، ولما سمع ذلك بعض الملوك أراد تجربته في بنت له وكانت في غاية الجمال، فأمر امرأة فقيرة أن تطوف بها في الأسواق وهي مكشوفة الوجه ولا تمنع أحداً من التعرض لها بشيء، فما مرت بها على أحد إلا أطرق رأسه ولم يمد نظره إليها حياء منها، فلما رجعت وقربت من دار الملك؛ أمسكها إنسان وقبلها ثم ذهب، فدخلت بها على الملك فسألها عما حصل لها، فأخبرته بالقصة، فسجد شكرا لله ـ تعالى ـ وقال: الحمد لله ما وقع مني في عمري قط إلا قبلة واحدة لامرأة، وقد قوصصت بها. فالسعيد: من حفظ فرجه، وغض بصره، وكف يده.

كما حكي عن بعض الصالحين أن نفسه حدثته بالزنا، وكان عنده فتيلة موقدة بالنار، فقال لنفسه: يا نفس إني أدخل أصبعي في هذه الفتيلة، فإن صبرت على حرها؛ مكنتك مما تريدين، ثم أدخل أصبعه فيها حتى أحس أن روحه كادت تزهق من شدة حرها وهو يتجلد على ذلك، ويقول لنفسه: هل تصبرين؟ وإذا لم تصبري على حر هذه النار اليسيرة التي أطفئت بالماء سبعين مرة حتى قدر أهل الدنيا على مقابلتها؛ فكيف تصبرين على حر نار جهنم المتضاعفة حرارتها على هذه بسبعين ضعفا؟ فرجعت نفسه عن ذلك الخاطر.

وحكي أن بعض قضاة بني إسرائيل سافر حاجا واستخلف أخاه على زوجته، فدخل عليها يوما وراودها عن نفسها، أي طلب منها أن يواقعها، فقالت له: اتق الله ولا تخن أخاك، فجاءه إبليس في صورة رجل، وقال له: أقم عليها البينة

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٥٤، ٢٥٥) رواه الطبراني في الأوسط بلفظ: «إياكم والزنا فإن فيه أربع خصال...» وفيه عمرو بن جميع وهو متروك.

(٢) ابن ماجة في الفتن (٤٠١٩) بنحوه.

بالزنا وارجمها إن لم تطاوعك، فأخبرهـا بذلك، فقالت له: افعل ما تريد، فأقام عليها البينة بالزنا زورا ورجمها. فمر بها رجل جـمال ليلا، وكان فيها بقية حياة؛ فسمع أنينها فأخذها إلى منزله، فدخل عليـها بعض أصحابه فرآها جميلة فراودها عن نفسها. فامتنعت. فدخل عليها ليلا ليذبحها، فغلط فذبح ولد الجمال، وكان هذا قد ألفـها ـ أى أحبـها ـ فلما علم الجـمال بذلك أعطاها دراهم، وقـال لها: اخرجى من منزلى.

فخرجت فرأت شخصا مصلوبا على دين فخلصته بتلك الدراهم. فقال لها: لأكونن عبدا لك؛ فسار معهـا إلى ساحل البحر؛ فراودها فأبت، وقالت له: هذا جزائى منك، فلمـا أيس منها، قال لتـاجر فى مركب: عندي جارية جـميلة أريد بيعها، فلما رآها التاجر دفع له ثمنها ثلاثمائة دينار، فقالت له: أنا حرة، فأخذها كرها.

فلما كان الليل مد يده إليها فقالت: اتق الله فضرب وجهها فعصفت الرياح ـ أى اشتـدت على سفينتـه ـ فغرقت، وحـفظ الله المرأة، حتى طلعت من البـحر، ووصلت إلى ملك عادل؛ فأخبرته بخبرها فبنى لها خلوة تتعبد فيها، فشاع خبرها بالصلاح، فقصدها أصحاب العاهات فدعت لهم فبرؤوا.

فلما جاء زوجهـا من الحج سأل عنها. فقيل له: إنها زنـت فرجمت، فدخل على أخيه فوجده قد عمى بصره ووقعت الأكلة فى أفواه الشهود. فقيل لزوجها: خذ أخاك واذهب به إلى امرأة صالحة بمكان كذا تدعو له.

فلما سـار به تبعه الشـهود؛ فسـاروا معه فرأوا فى طريقـهم الجمال، ومـعه صاحـبه الذى ذبح ولده وقـد أصابتـه عاهة، ثم وجـدوا شابا أعـمى وهو الذى خلصته من الصلب، ثم وجدوا التاجـر الذى اشتراها قد قذفه الموج وهو فى بلاء عظيم، وكلهم ذاهبون إليها لتدعو لهم.

فلما وصلوا إليـها وطلبوا منهـا الدعاء؛ عرفـتهم، وقالت لهم: من اعـترف بذنبه دعوت له. فقال أخو زوجهـا: أنا أستحى من أخى أن أذكر ذنبى بحضوره، فقـال أخوه: لا بأس عليك. فقـال: راودت امرأتك عن نفسـها فأبت، فـأقمت

عليها هؤلاء الشهود بالزنا زورا؛ فرجمت.

وقال صاحب الجمال: أنا وجدت امرأة عند هذا الجمال فراودتها فأبت، فأردت ذبحها فأصابت السكين ولده فانذبح.

وقال الشاب الذى خلصته: خلصتنى امرأة من الصلب فراودتها فأبت، فبعتها لتاجر فى مركب بثلاثمائة دينار.

وقال التاجر الذى اشتراها: أنا راودتها فأبت، وقالت: اتق الله فضربت وجهها، فعصفت الرياح فانكسرت المركب.

فقالت لزوجها: ادن منى فكشفت له عن وجهها، فلما رآها قال لها: إنك زوجتى وإنك بريئة مما ذكر. فقالت له: قد سمعت قولهم. فإن شئت القصاص أو العفو، وأما أنا فقد عفوت عنهم. وقالت: اللهم اكشف عنهم ضرهم؛ فبرؤوا، وأخذها زوجها فبقيت معه ـ رحمة الله تعالى عليها ـ

(والنفس بالنفس) أى يحل قتلها قصاصا بالنفس التى قتلتها عمدا وعدوانا بشروط: **الأول:** أن يكون القاتل بالغا. **الثانى:** أن يكون عاقلا. **الثالث:** ألا يكون أصلا للمقتول. **الرابع:** ألا يكون المقتول أنقص منه برق أو كفر.

فإذا انتفى شرط من ذلك فلا قتل وتجب الدية.

وقال مالك: يقتل الوالد بولده إذا أضجعه وذبحه. وقال أبو حنيفة: يقتل الحر بعبد غيره، ويقتل المسلم بالذمى.

وحكى أنه رفع لأبى يوسف مسلم قتل ذميا؛ فحكم عليه بالقود ـ أى القتل ـ فأتاه رجل برقعة من شاعر فألقاه إليه، فإذا فيها هذه الأبيات:

يا قاتل المسلم بالكافر	جُرت وما العادل كالجائر
يا من ببغداد وأطرافها	من فقهاء الناس أو شاعر
جار على الدين أبو يوسف	قتله المسلم بالكافر
فاسترجعوا وابكوا على	واصبروا فالأجر للصابر

فأخذ أبو يوسف الرقعة، ودخل بها على الرشيد، فأخبره بالحال، وقرأ عليه الرقعة، فقال له الرشيد: تدارك هذا الأمر بحيلة؛ لئلا يكون منه فتنة. فخرج أبو يوسف وطالب أولياء المقتول بالبينة على صحة الذمة، وأداء الجزية؛ فلم يأتوا بها، فأسقط القود وحكم بالدية.

(والتارك لدينه) أى المرتد عن دين الإسلام - والعياذ بالله تعالى - فيحل قتله. لخبر: «**من بدل دينه فاقتلوه**»(١)

وقوله **(المفارق للجماعة)** تفسير للتارك لدينه، فهو صفة مؤكدة؛ لأن المراد بالجماعة جماعة المسلمين. وفراقهم: هو الردة عن الدين، فالمراد: المفارقة بالقلب والاعتقاد، أو بالفعل المكفر كالسجود للصنم، لا المفارقة بالبدن.

واعلم: أن من المكفرات تعمد إلقاء المصحف فى قاذورة، وقذف الرسول أو النبى والاستخفاف به وتكذيبه، وكذا تكذيب الله بالأولى، كأن ينفى صحبة أبى بكر أو يرمى بنته عائشة بما برأها الله منه.

ولا يجوز قتل المرتد حتى يستتاب حالا. ونقل عن مالك أنه يمهل ثلاثة أيام فإن تاب لم يقتل.

ثم إن الردة أفحش أنواع الكفر وأكبر أنواع الكبائر، ويليها القتل ظلما، ثم الزنا، ثم القذف ثم السرقة ثم شرب الخمر ثم الربا والغصب.

تتمة

ذكر صاحب «رحمة الأمة» أن المختار عند جمهور أصحاب الإمام أحمد: أن تارك الصلاة يقتل كالمرتد، ويجرى عليه أحكام المرتدين؛ فلا يصلى عليه ولا يورث، ويكون ماله فيئا.

والمعتمد فى مذهبنا معاشر الشافعية: أنه يقتل بالسيف حدا. وقيل: ينخس بحديدة حتى يصلى أو يموت. وقيل: يضرب بخشبة حتى يصلى أو يموت أيضا؛

---

(١) البخارى فى الجهاد والسير (٣٠١٧) وتعليقا فى الاعتصام باب (٢٨) - قول الله تعالى ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾ (الشورى: ٣٨) وأبو داود فى الحدود (٤٣٥١) والترمذى فى الحدود (١٤٥٨) والنسائى فى تحريم الدم (٧/ ١٠٤) وابن ماجة فى الحدود (٢٥٣٥) وأحمد (١/ ٢٨٢، ٢٨٣).

لأن المقصود حمله على الصلاة. لا قتله. كما قاله الرملى.

وعند أبى حنيفة يحبس أبدا حـتى يصلى هذا، وحكمه بعد القتل أو الموت؛ حكم المسلم فيغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين.

ثم إن هذا الحديث (**رواه البخارى**) فى كتاب الديات (**ومسلم**) فى الحدود.

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ وجوب القصاص على من قتل مسلما أو ارتد عن دين الإسلام.

٢ ـ تطبيق الحدود مصلحة للمجتمع من الانهيار.

٣ ـ تطبيق الحدود من اختصاص الحاكم وليس للأفراد تطبيقها.

٤ ـ الزنا من أكبر الفواحش التى نهانا الإسلام عنها.

الحديث الخامس عشر

إكرم الضيف

١٥ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» رواه البخارى ومسلم [١].

الشرح والبيان

(**عن أبى هريرة**) وتقدم ما يتعلق به (**رضى الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**) أى من كان يريد كمال الإيمان بالله واليوم الآخر، وهو يوم القيامة (**فليقل خيرا أو ليصمت**) بسكون لام الأمر فى الأول لوقوعها بعد الفاء، ويجوز فيها الكسر. وأما فى الثانى فيتعين فيها الكسر. وضبط المصنف «**يصمت**» بفتح الياء وضم الميم، وضبطه غيره بكسرها. والمعنى: فليفعل فعال المؤمنين الكاملين فى إيمانهم من قول الخير. وهو ما فيه ثواب أو الصمت ـ أى السكوت ـ عما لا خير فيه. وهو شامل للصمت عن الحرام والمكروه، بل وعن المباح أيضا؛ لأنه لا خير فيه. وربما جر إلى مكروه أو حرام. وعلى تقدير أنه لا يجر إليهما؛ ففيه ضياع للوقت فيما لا يعني، وقد مر: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[٢] وقيل: إن الإنسان إما أن يتكلم أو يسكت، فإن تكلم فإما بخير فهو ربح، وإما بشر فهو خسران. وإن سكت فإما عن شر فربح، وإما عن خير فخسران. فله فى كلامه وسكوته ربحان ينبغى تحصيلهما، وخسرانان ينبغى التخلص منهما.

وذكر بعضهم أن الكلام أربعة أقسام: ضرر محض، ونفع محض، وضرر ومنفعة، ولا ضرر ولا منفعة. فالضرر المحض: لا بد من السكوت عنه، وكذلك

---

(١) البخارى فى الأدب (٦١٠٨) ومسلم فى الإيمان (٤٧) وأبو داود فى الأدب (٥١٥٤) والترمذى فى صفة القيامة (٢٥٠٠) وأحمد (٢/٢٦٧، ٢٦٩).

(٢) سبق تخريجه.

ما فيه ضرر ومنفعة. وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول، والاشتغال به تضييع للزمان، وهو عين الخسران، فلا يبقى إلا القسم الرابع - أى وهو النفع المحض - وفيه خطر إذ قد يجر ما فيه إثم من الرياء والعجب ونحوهما، فينبغى التفطن لذلك. وفى الحديث: **«ألا أنبئكم بأمرين خفيفين لم يلق الله بمثلهما: الصمت وحسن الخلق»**(١).

وقال لقمان لابنه: لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب. ومعناه كما قال ابن المبارك: لو كان الكلام فى طاعة الله من فضة؛ لكان السكوت عن معصية الله من ذهب.

وما أحسن قول بعضهم:

قالوا: سكوتك حرمان، فقلت لهم   ما قدر الله يأتينى بلا نصب
ولو يكون كلامى حين أنشره   من اللجين، لكان الصمت من ذهب

واللجين - بالضم - الفضة.

وقال ذو النون المصرى - رحمه الله تعالى -: أحسن الناس لنفسه؛ أملكهم للسانه. وقال أيضا: بينا أنا أسير فى نواحى الشام إذ ظهرت لى روضة خضراء، وفى وسطها شاب قائم يصلى تحت شجرة تفاح، فتقدمت إليه وسلمت عليه؛ فلم يرد على السلام، فسلمت عليه ثانيا، فأوجز - أى أسرع فى صلاته - ثم كتب فى الأرض بأصبعه:

منع اللسان من الكلام لأنه   هدف البلاء، وجالب الآفات
فإذا نطقت فكن لربك ذاكر   لا تنسه واحمده فى الحالات

قال ذو النون: فبكيت طويلا، وكتبت بأصبعى فى الأرض:

وما من كاتب إلا سيبلى   ويفنى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شىء   يسرك فى القيامة أن تراه

قال: فصاح الشاب صيحة فارق الدنيا فيها. فقمت لآخذ فى غسله وتكفينه،

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت (٢٧).

وإذا بقائل يقول: خل عنه - أى اتركه - فإن الله عز وجل وعده ألا يتولى أمره إلا الملائكة. قال ذو النون: فملت إلى شجرة فركعت عندها ركعتين، ثم أتيت إلى الموضع الذى مات فيه؛ فلم أجد له أثرا، ولا عرفت له خبرا.

وقيل: إن أدنى نفع الصمت؛ السلامة. وأدنى ضرر النطق الندامة. وقال لقمان عليه السلام لابنه: يا بنى إذا افتخر الناس عليك بحسن كلامهم؛ فافتخر أنت بحسن صمتك. وقد ورد فى الحديث: «**من صمت نجا**»[1]

وقال سفيان - رضى الله تعالى عنه -: الصمت أمان من تحريف اللفظ، وعصمة من زيغ النطق، وسلامة من فضول القول، وهيبة لصاحبه.

وقيل لبعضهم: أوصنى، فقال: إن شئت جمعت لك علم العلماء وحكم الحكماء وطب الأطباء فى ثلاث كلمات: أما علم العلماء: فإذا سئلت عما لا تعلم، فقل: لا أعلم. وأما حكم الحكماء: فإذا كنت جليس قوم فكن أسكتهم، فإن أصابوا كنت من جملتهم، وإن أخطأوا، سلمت من خطئهم. وأما طب الأطباء: فإذا أكلت طعاما؛ فلا تقم إلا ونفسك تشتهيه؛ فإنه لا يلم بجسدك - أى لا ينزل به غير مرض الموت -

وقال الحسن البصرى - رضى الله تعالى عنه -: من كثر كلامه؛ كثر سقطه، ومن كثر ماله؛ كثر إثمه، ومن ساء خلقه؛ عذب نفسه.

ومن وصايا بعض الأكابر: إياك وكثرة الكلام؛ فإنه يظهر من عيوبك ما بطن، ويحرك من عدوك ما سكن. وقيل: إنما جعل لك لسان واحد وأذنان؛ ليكون ما تسمع أكثر مما تقول.

وقال الأصمعى: بلغنى أن رجلا قال لآخر: والله لئن قلت لى كلمة واحدة لتسمعن عشرا. فقال: لكنك لو قلت عشرا لم تسمع واحدة.

وأنشد بعضهم:

---

(١) الترمذى فى صفة القيامة (٢٥٠١) وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، ورواه أحمد (٢/١٥٩، ١٧٧) والدارمى فى الرقاق (٢٧١٣) وابن المبارك فى الزهد (٣٨٥) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥/٣١٨) وفى السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٢، ٦٣)

إذا نطق السفيه فلا تجبه		فخير من إجابته السكوت
سكتّ عن السفيه فظن أنى		عييت عن الجواب وما عييت
ولكنى اكتسيت بثوب حلم		وجنبت السفاهة ما بقيت

وأنشد الأصمعى:

وما شىء أحب إلى لئيم		إذا شتم الكريم من الجواب
متاركة اللئيم بلا جواب		أشد على اللئيم من السباب

وحكى أن زين العابدين ـ رضى الله تعالى عنه ـ خرج يوما من المسجد، فلقيه رجل فسبه، فتبادر إليه العبيد والموالى، فقال لهم زين العابدين: مهلا عن الرجل، ثم أقبل عليه وقال له: ما ستر عليك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول ﷺ.

والخميصة: ثوب خز، أو صوف معلم. وقيل: لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة. وكانت من لباس الناس قديما.

وقال فى «حلية الأولياء»: لا ينبغى للإنسان أن يخرج من كلامه إلا ما يحتاج إليه، كما أنه لا ينفق من كسبه إلا ما يحتاج إليه. وقال أيضا: لو كنتم تشترون الورق للحفظة؛ لأمسكتم عن كثير من الكلام.

وقيل لبعضهم: لم لزمت السكوت؟ فقال: إنى لم أندم على السكوت قط، وقد ندمت على الكلام مرارا. وقال الغزالى ـ رحمه الله تعالى ـ: لا تبسطن لسانك؛ فيفسدن عليك شأنك. وقال على فى وصية لابنه الحسين ـ رضى الله تعالى عنهما ـ: يا بنى أمسك عليك لسانك؛ فإن إتلاف المرء فى منطقه.

وقال بعضهم ـ رحمة الله تعالى عليه ـ:

احفظ لسانك، واستعذ من شره		إن اللسان هو العدو الذابح
وزن الكلام إذا نطقت بمجلس		وزنا يلوح به الصواب اللائح
فالصمت من سعد السعود بمطلع		يحمى الفتى، والنطق سبع ذابح

فينبغي للإنسان أن يقلل كلامه ما استطاع، خصوصا فيما نهى عن الكلام فيه. كبعد فعل صلاة العشاء؛ فإنه يكره إذا لم يتعلق به مصلحة دينية، كتعليم العلوم الشرعية وتلاوة القرآن أو الذكر، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والإصلاح بين الناس، وكلمة حق عند من له شوكة، والكلام مع الحليلة والضيف، أو مصلحة دنيوية مما يتعلق بضرورة الإنسان كقم وخذ وكل. ونحو ذلك.

ومن وصايا بعض العارفين: اترك الكلام إلا فيما لا بد منه، واترك طلب الدنيا إلا فيما لا بد منه، واترك مخالطة الناس إلا فيما لا بد منه.

(ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) أى فليحسن إليه بالبشر وطلاقة الوجه. وقال بعضهم: حسن الجوار أربعة أشياء: أن يواسيه بما عنده، وألا يطمع فيما لجاره، وأن يمنع أذاه عنه، وأن يصبر على أذيته. وقيل: إن من إكرامه: ألا يمنعه من غرز خشبة فى جداره.

وروى عن معاوية بن حيدة - رضى الله تعالى عنه - مرفوعا: «**حق الجار إن مرض عدته، وإن مات شيعته، وإن استقرضك أقرضته، وإن ارتكب أمرا يعيبه سترته، وإن أصابه خير هنئته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا ترفع بناءك فوق بنائه؛ فتسد عليه الريح، ولا تؤذه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها**» وفى بعض الروايات: «**وإن اشتريت فاكهة فأهد له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك؛ فيغيظ بها ولده**»[1]. وفى رواية لمسلم: «**يا أبا ذر إذا طبخت فأكثر المرق وتعاهد جيرانك**»[2].

واعلم أن الجار يطلق على الساكن مع غيره فى بيت، وعلى الملاصق، وعلى أربعين داراً من كل جانب.

وقد وردت أخبار كثيرة فى إكرامه والوصية به وكف الأذى عنه. منها: ما فى

---

(١) الطبرانى فى الكبير (١٩/ ١٠١٤) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٨/ ١٦٥) فيه أبو بكر الهذلى وهو ضعيف والبيهقى فى الشعب (٩٥٦٠، ٩٥٦١) والخرائطى فى المكارم (٢٢٢).

(٢) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٦٢٥).

رواية عن أنس - رضى الله تعالى عنه - أنه ﷺ قال: «**ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[1] ومنها: ما فى رواية عن أنس أيضا مرفوعا: «**ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه. وهو يعلم به**»[2] ومنها: ما روى عن أبى شريح - رضى الله تعالى عنهما - أن النبى ﷺ قال: «**كم من جار يتعلق بجاره يوم القيامةيقول: يا رب هذا أغلق بابه دونى فمنعنى معروفه**»[3]

ومنها: ما روى عن أبى شريح - رضى الله تعالى عنه - عن النبى ﷺ قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قالوا: لقد خاب وخسر، من هو يا رسول الله؟ قال: «**من لا يأمن جاره بوائقه**» [4] أى غوائله وشروره.

ومنها: ما روى عنه ﷺ أنه قال: «**من آذى جاره؛ فقد آذانى، ومن آذانى؛ فقد آذى الله**»[5] ومنها: ما رواه البيهقى أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب أن يحبه الله ورسوله؛ فليصدق الحديث، وليؤد الأمانة، ولا يؤذ جاره**»[6] ومنها: ما روى أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ يشكو جاره، فقال النبى ﷺ: «**كف أذاك عنه، واصبر على أذاه؛ فكفى بالموت مفرقا**»[7]

وحكى: أنه كان لمالك بن دينار جار يهودى فحول مستحمه إلى جدار البيت الذى فيه مالك، وكان الجدار متهدما، فكانت تدخل منه النجاسة. ومالك ينظف البيت فى كل يوم ولم يقل شيئا، وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الأذى، فضاق صدر اليهودى من كثرة صبره على هذه المشقة، فقال له: يا مالك آذيتك وأنت صابر ولم تخبرنى؟ فقال له: قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل**

---

(١) البزار كما فى مجمع الزوائد (٨/ ١٦٥) وقال الهيثمى: فيه محمد بن ثابت بن أسلم وهو ضعيف، ورواه البخاري (٦٠١٤) عن عائشة و(٦٠١٥) عن ابن عمر، ورواه مسلم فى البروالصلة والآداب (٢٦٢٤ عن عائشة و(٢٦٢٥) عن ابن عمر.

(٢) الطبرانى فى الكبير (١/ ٧٥١) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٨/ ١٦٧) رواه الطبرانى والبزار وإسناد البزار حسن.

(٣) الترغيب والترهيب (٨٤٨).

(٤) البخارى فى الأدب (٦٠١٦) وأحمد (٤/ ٣١).

(٥) كنز العمال (٢٤٩٢٧).

(٦) البيهقى فى الشعب (٩٥٥١).

(٧) ابن أبى الدنيا فى المكارم (٣٢٧) وكنز العمال (٢٤٨٩٨).

يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (١) فندم اليهودى وأسلم وحسن إسلامه.

وروى عن سفيان الثورى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: عشرة أشياء من الجفاء:

أولها: رجل يدعو لنفسه، ولا يدعو لوالديه ولا للمؤمنين والمؤمنات.

والثانى: رجل يتعلم القرآن، ولا يقرأ منه كل يوم مائة آية.

والثالث: رجل دخل المسجد، وخرج ولم يصل ركعتين.

والرابع: رجل يمر على المقابر، ولم يسلم على أهلها، ولم يدع لهم.

والخامس: رجل دخل المدينة فى يوم الجمعة، ثم خرج ولم يصل الجمعة.

والسادس: رجل نزل فى محلته رجل عالم، ولم يذهب ليتعلم منه شيئا من العلم.

والسابع: رجلان ترافقا ولم يسأل كل واحد منهما عن اسم صاحبه.

والثامن: رجل دعاه رجل إلى ضيافة، فأجابه ثم لم يذهب إلى الضيافة.

والتاسع: شاب يضيع شبابه، ولم يطلب العلم والأدب.

والعاشر: رجل شبعان وجاره جائع، ولا يعطيه من طعامه شيئا.

ونقل عن الإمام أحمد ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: يجب على الشخص أن يبذل للجار ما يحتاج إليه من فضل ما عنده بما لا يضر به، إذا علم حاجته. ونقل عنه أيضا أنه قال: يبدأ بنفسه وبمن تلزمه مؤونته؛ فإن فضل شىء أعطى الأقرب إليه مسكنا؛ لأنه آكد من غيره لرؤيته ما يدخل بيت جاره، فيتشوق إليه بخلاف الأبعد.

وروى عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ أنها قالت: قلت: يا رسول الله إن لى جارين فإلى أيهما أهدى ـ بضم الهمزة ـ؟ قال: «**إلى أقربهما منك بابا**»(٢)

ويندب تقديم الأحوج فالأحوج خصوصا إذا كان ذا قرابة، أو امرأة أرملة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخارى فى الأدب (٦٠٢٠) وأحمد (٦/ ١٧٥).

ومعها أيتام.

وروى عن جابر - رضى الله تعالى عنه - مرفوعا: «**الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وهو أدنى الجيران، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران؛ فأما الذى له حق واحد: فجار مشرك له حق الجوار، وأما الذى له حقان: فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار. وأما الذى له ثلاثة حقوق: فجار مسلم ذو رحم له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم**»[1] وورد فى الحديث الشريف: «**حسن الجوار عمارة الديار وزيادة الأعمار**»

وليعلم أنه كما يطلب من الشخص إكرام الجار مع الحائل، يطلب منه إكرام الملكين الحافظين اللذين ليس بينه وبينهما حائل، فلا يؤذيهما بإيقاع المخالفات فى مرور الساعات والأوقات، فقد ورد أنهما يسران بوقوع الحسنات، ويحزنان بوقوع السيئات، فينبغى مراعاة حقهما بالإكثار من عمل الطاعات، والتباعد عن المعاصى والمخالفات، فهما أولى بالإكرام والإحسان من كثير من الجيران.

(**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم ضيفه**) واحدا كان أو متعددا، غنيا أو فقيرا وإكرامه إحسان ضيافته بالبشر فى وجهه، وطيب الحديث معه، وبسط فراش له، وإجلاسه فى صدر المجلس، وإطعامه ثلاثة أيام بقدر وسعه، ثم موادعته بلطف. وينبغى خدمته بنفسه تأسيا واقتداء بالمصطفى ﷺ، فقد روى أنه فعل ذلك كإبراهيم - عليهما الصلاة والسلام - واقتدى بهما الخلفاء الأربعة وعمر بن عبدالعزيز - رضوان الله تعالى عليهم - أجمعين.

ويكره التكلف له، لقول سلمان - رضى الله تعالى عنه -: أمرنا رسول الله ﷺ ألا نتكلف للضيف ما ليس عندنا، وأن نقدم ما حضرنا[2].

وورد: «**لا تتكلفوا للضيف؛ فتبغضوه، فإن من أبغض الضيف فقد أبغض الله، ومن أبغض الله أبغضه**»[3] ومن ثم قال بعضهم: ما أبالى من أتانى من

---

(١) أبو نعيم (٥/ ٢٠٧) والبيهقى فى الشعب (٩٥٦٠) والبزار كما فى مجمع الزوائد (٨/ ١٦٤) وقال الهيثمى: رواه البزار عن شيخه عبدالله بن محمد الحارثى وهو وضاع.

(٢) الحاكم (٤/ ١٢٣) وقال الذهبى: سنده لين.

(٣) كنز العمال (٢٥٨٧٥).

إخوانى؛ فإنى لا أتكلف له، إنما أقرب ما عندى، ولـو تكلفت له لكرهت مجيئه وملته، أى سئمته.

وفسـر بعض السلف التكلف: بأن تـطعم أخاك مـا لا تأكله أنت، بأن تزيد عليه فى الجودة والقيمة.

وهذا لا ينافى حديث: «**من لذذ أخاه بما يشتهى كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وأطعمه الله من ثلاث جنات: جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد**»(١)؛ لأنه محمول على مـا إذا كان حاضرا عنده أو لم يكن حاضرا، وكان قادرا على ثمنه، ولم يترتب على الإتيان به مشقة.

وينبغى تعجيل إحضار ما حضر من الطعام إلى الضيف، ويبدأ بتقديم الفاكهة إن كانت، وأفضل ما يقدم بعدها اللحم والثريد، فإن أتى بحلاوة بعد ذلك؛ فقد جمع الطيبات. وكان المتقدمون يقدمون جميع الألوان دفعة، ويصفون الطعام على المائدة ليـأكل كل واحـد مما يشتـهى. وإن لم يكن عنده إلا لون واحـد، ذكـره ليستـوفوا منه، ولا ينتظروا أطيب منه. وينبغى الأكل مـع الضيف وتلقيمـه، فقد روى عن حذيفة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قـال: صنع النبى ﷺ طعاما ودعا أصحابه، فـأطعمهم بيده لقمة لقـمة، وقال: «**سيد القـوم خادمهم**»(٢) وعن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ مـرفوعا: «**إذا أكل أحدكم مع الضيـف؛ فليلقمه بيده، فإذا فعل ذلك كتب له به عمل سنة؛ صيام نهارها وقيام ليلها**»(٣)

وكان السلف الصالح يفرحون بالضيف، ويعدون الليلة التى يجىء فيها كأنها ليلة عيد، وذلك لما يحصل لهم فيها من السرور بقدومه.

وحكى أنه كان لعـبد الله بن المبـارك ـ رضى الله تعالى عنه ـ فرس، فـجاءه ضيف؛ فذبحه له، فخاصمته زوجـته فطلقها. ثم جاءه رجل فقال له: إن لى بنتا جميلة فزوجـه إياها، وأرسل معها عشرة من الخيل، فرأى عـبدالله فى منامه قائلا

---

(١) ابن الجوزى فى الموضوعات (٢/ ١٧٢) وقال: قال أحـمد بن حنبل: هذا باطل هذا كذاب يعنى محمد ابن نعيم.

(٢) العجلونى فى كشف الخفاء (١/ ٥٦١) وقال: الحديث ضعيف

(٣) لم أقف عليه.

يقول له: إنك طلقت لأجلنا عجوزا فقد زوجناك بكرا، وذبحت لنا فرسا؛ فقد أعطيناك عشرا.

وقيل: إن أول من أضاف سيدنا إبراهيم الخليل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ وكان يكنى أبا الضيفان، وكان يمشى الميل والميلين فى طلب الضيف. واتفق له قضيتان متعارضتان، شُكر فى واحدة وعُوتب فى أخرى.

أما الأولى: فإنه نزل به رجل من عبدة الأوثان، فأكرمه فضجت الملائكة فى السماوات وقالوا: يا ربنا خليلك يكرم عدوك؟ فقال لهم: أنا أعلم بخليلى منكم، ثم أمر جبريل فنزل وعرض عليه قول الملائكة، فبكى، وقال: يا جبريل أنا تعلمت من مولاى، رأيته يحسن إلى من يسىء.

وأما الأخرى: فإنه نزل به رجل آخر من عبدة الأوثان أيضا، فاستضافه فأبى عليه إلا أن يترك دينه، فانصرف، فأمر الله جبريل أن ينزل إليه، فنزل إليه وقال له: يقول لك ربك استضافك عبدى فأبيت إلا أن يترك دينه، وأنا أرزقه ثمانين سنة على شركه. فبكى إبراهيم وقام يقفو أثر الوثنى ـ أى يتبعه ـ إلى أن لحق به؛ فعرض عليه الرجوع؛ فأبى إلا أن يخبره بسبب ذلك. فقال له إبراهيم: إن الله عاتبنى فيك، وأخبره، فبكى الوثنى، وقال: يا إبراهيم أسلمت لله رب العالمين.

ثم إن الضيافة سنة عند الجمهور، كالشافعى ومالك وأبى حنيفة، وذهب أحمد والليث إلى وجوبها لمسلم مسافر فى قرية يوما وليلة قدر كفايته ودابته، مع إنزاله فى بيته، إن لم يكن هناك مسجد ونحوه، ومحل الخلاف بينهما وبين الجمهور فى حق من عنده فاضل عن قوته وقوت عياله، كزكاة الفطر، أما غيره فلا ضيافة عليه.

وينبغى للضيف ألا يزيد فى إقامته على ثلاثة أيام، إلا إذا ألح عليه من أضافه عن خلوص قلبه ويعلم ذلك بالقرائن. وينبغى له أن ينصرف طيب النفس وإن جرى فى حقه تقصير؛ لأنه من حسن الخلق والتواضع.

وهذا الحديث حديث عظيم تتفرع منه آداب الخير. وقيل فيه: إنه نصف الإسلام؛ لأن الأحكام إما أن تتعلق بالحق أو الخلق، وهذا أفاد الثانى؛ إذ المقصود

منه أن من كـان كامل الإيمان فـهو مـتصف بالشـفقـة على خلق الله تعالـى قولا بالخير، أو سكوتا عن الشر، أو فعلا لما ينفع أو تركا لما يضر.

(**رواه البـخـارى**) فى الأدب (**ومـسلم**) فى باب الحث على إكـرام الجـار والضيف، من كتاب الإيمان.

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ يجب على الإنسـان أن يضع فى اعتبـاره أن ما يلفظ من قـول إلا لديه رقيب عتيد.

٢ ـ إن الإيمان بالله واليوم الآخر لابد أن يتـرجم إلى عمل فلا يقتـصر على القول فقط.

٣ ـ الضيافة من شيم العرب ومن آداب الإسلام.

٤ ـ الإنسان بطبيعته مدنى ولا تقوم حياته إلا بالتكافل الاجتماعى.

٥ ـ الكلمة الطيبة صدقة.

٦ ـ حقوق الجار من الإسلام.

٧ ـ عدم الخوض فى اللغو يعطى كرامة وعزة للمسلم.

*****

الحديث السادس عشر

النهى عن الغضب

١٦ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رجـلا قال للنبى ﷺ : أوصنى، قال: «لا تغضب» فردد مرارا، قال: «لا تغضب» رواه البخارى[١].

الشرح والبيان

(**عن أبى هريرة**) وتقدم الكلام عليه (**رضى الله تعالى عنه أن رجلا**) قيل: هو أبو الدرداء، وقيل: سفـيان بن عبدالله الثـقفى، وقيل: عبدالله بن عـمر، وقيل: غيـر ذلك. واستظهـر الولى العراقى أن السـائل عما يـأتى تعدد (**قال للنبى ﷺ: أوصنى**) أى دلنى على ما ينفعنى دينا ودنيا، ويقربنى إلى الله عز وجل

(**قال: لا تغضب**) يحتـمل: أن المراد لا تفعل الأسبـاب المقتضيـة للغضب، وافعل الأسبـاب التى تنفيه؛ كالحلم وحسن الخلق والحـياء والتواضع وكف الأذى والعفو وبشاشة الوجه. ويحتمل: أن المراد لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل من ارتكاب ما يترتب عليـه من الانتقام، بل جاهد نفسك علـى ترك تنفيذه بأن تكظم غيظك بالحلم والخوف من الله تعالى.

(**فردد**) أى كرر الرجل طلب الوصية (**مراراً**) بقوله: أوصنى، وكأنه لم يقنع بقوله ﷺ : «**لا تغضب**»، فطلب منه وصيـة أبلغ منها وأنفع؛ فلم يزده ﷺ فى كل مـرة عليهـا بل أعادها له، حـيث (**قال**) وفى بعض النسخ فـقال: (**لا تغضب**) وجاء فى رواية عـثمان بن أبى شيـبة قال: «**لا تغضب**» ثلاث مرات. فأفصح فيهـا ببيان عدد المرار. وفى تكرار هذه الوصية؛ تنبيـه للسائل على عظمها وعموم نفعها؛ لما فيها من جلب المصالح، ودرء المفاسد ـ أى دفعها ـ .

ونظير هذا: ما وقع للعبـاس ـ رضى الله تعالى عنه ـ من قوله للنبى ﷺ : علمنى دعاء أدعو به يا رسول الله، فقال ﷺ : «**سل الله العافية**» فعاوده العباس

---

(١) البخارى فى الأدب (٦١١٦) والترمذى فى البر والصلة (٢٠٢٠) وأحمد (٢/ ٣٦٢، ٤٦٦).

مرارا، فقال له: **«يا عباس يا عم رسول الله سل الله العافية فى الدنيا والآخرة فإنك إذا أعطيت العافية فى الدنيا والآخرة أعطيت كل خير»**[1].

وفى رواية: قال رجل: يا رسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة، قال: **«لا تغضب»** فأعاد عليه القول فقال: **«لا تغضب»** ثم قال له: **«استغفر الله تعالى قبل صلاة العصر سبعين مرة يكفر عنك ذنوبك سبعين عاما»** قال: فإن لم تأت على ذنوب سبعين عاما، قال: **«يغفر لأمك»** قال: ما لها ذلك. قال: **«لأبيك»** قال: ما له ذلك، قال: **«لإخوانك»** قال: نعم.

وروى عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله فما أشد من كل شيء؟ قال: **«غضب الله»** قال: فما ينجى من غضب الله؟ قال: **«لا تغضب»**

والغضب فى حق الله تعالى: إرادة الانتقام، وأما فى حق الآدمى فهو ثوران دم القلب وغليانه عند توجه مكروه إلى الشخص، وقيل: تغير يتبعه غليان دم القلب لإرادة الانتقام. وله دواء مانع ودواء رافع، فالمانع كأن يتذكر ما يترتب عليه من المفاسد وما جاء فى فضل الحلم وكظم الغيظ، والرافع كأن يتذكر ذلك وينتقل من موضعه ويستعيذ بالله من الشيطان ويغتسل أو يتوضأ، وإن غضب وهو قائم جلس أو اضطجع. وأقوى الأشياء فى منعه ورفعه؛ التوحيد الحقيقى. وهو اعتقاد: أنه لا فاعل حقيقة فى الوجود إلا الله، وأن الخلق آلات ووسائط. فمن توجه إليه مكروه من غيره ولاحظ أنه لا فاعل، ولا معطى، ولا مانع، ولا نافع، ولا ضار إلا الله تعالى، اندفعت عنه آثار الغضب. وقيل: إنه ينشأ عن الغضب تغير الظاهر والباطن والرعدة فى الأطراف وقبح الصورة، حتى لو رأى الغضبان نفسه؛ لسكن غضبه حياء من قبح صورته.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: **«من دفع غيظه؛ دفع الله عنه عذابه، ومن حفظ لسانه؛ ستر الله عورته»**[2] وعنه ﷺ أنه قال: **«من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه؛ دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره فى أي الحور شاء»**[3] وفى رواية: **«من كظم غيظا وهو قادر على إمضائه؛ ملأ الله قلبه**

---

(١) البخارى فى الأدب المفرد (٧٤٧) والترمذى فى الدعوات (٣٥١٤).

(٢) الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد (٨/ ٦٨) وقال الهيثمى: فيه عبدالسلام بن هاشم ضعيف.

(٣) أبو داود فى الأدب (٤٧٧٧) والترمذى فى البر والصلة (٢٠٢١) وابن ماجة فى الزهد (٤١٨٦) وأحمد (٣/ ٤٣٨، ٤٤٠).

نورا وأمنا وإيمانا وزوجه من الحور العين ما شاء»[1] وعنه ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان أجره على الله؛ فليدخل الجنة. فيقال: من ذا الذى أجره على الله؟ فيقوم العافون عن الناس يدخلون الجنة بغير حساب»[2] وعنه ﷺ أنه قال: «ليس الشديد بالصرعة» بضم الصاد وفتح الراء. أى الذى يصرع الناس كثيرا بقوته «إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»[3]

وحكى عن بعضهم: أنه قدم له خادم طعاما حارا فى صحفة؛ فعثر. فوقع ما معه على سيده؛ فامتلأ وجهه غيظا، فقال له الخادم: يا مولاى خذ بقول الله تعالى فقال: وما قال الله تعالى؟ قال الخادم: قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ فقال السيد: كظمت غيظى. قال الخادم: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ فقال: عفوت عنك. قال الخادم: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فقال: أنت حر لوجه الله. ولك هذه الألف دينار.

ونظير ذلك: ما حكى أن جارية كانت تصب الماء لعلى بن الحسين؛ فسقط الإبريق من يدها على وجهه؛ فشجه - أى جرحه - فرفع رأسه إليها، فقالت له: إن الله عز وجل يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ فقال لها: قد كظمت غيظى. قالت: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ قال لها: قد عفا الله عنك. قالت: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال: اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى.

وروى أن رجلا قال لسيدنا عمر - رضى الله تعالى عنه -: إنك لا تقضى بالعدل، ولا تعطى الحق؛ فغضب واحمر وجهه، فقيل له: يا أمير المؤمنين ألم تسمع أن الله تعالى يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وهذا جاهل؟ قال: صدقت، فكأنما كان نارا فأطفئت.

وروى عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنه - أنه قال: ثلاث من كن فيه فقد استحق ولاية الله: حلم يدفع به سفه السفيه، وورع يمنعه عن المعاصى، وخلق حسن يدارى به الناس.

---

(١) كنز العمال (٥٨٢٢) وعزاة لابن أبى الدنيا.

(٢) كنز العمال (٧٠٠٩) وعزاه لابن أبى الدنيا.

(٣) البخارى فى الأدب (٦١١٤) ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٦٠٩).

وحكى أن الفضيل بن عياض كان إذا قيل له: أن فلانا يقع فى عرضك يقول: والله لأغيظن من أمره ـ يعنى إبليس ـ ثم يقول: اللهم إن كان صادقا فاغفر لى، وإن كان كاذبا فاغفر له.

وقيل: إن معاوية ـ رضى الله تعالى عنه ـ كان من أحلم العرب. وكان يقول: ما غضبت على من أقدر عليه ولا على من لا أقدر عليه. فادعى واحد أنه يغضبه، فدخل عليه وقال له: أطلب منك أن تزوجنى والدتك. فلها دبر كبير، فقال: ذلك سبب حب أبى لها. ثم قال للخازن: أعطه ألف دينار ليشترى جارية.

واعلم: أن الغضب إنما يذم حيث لم يكن لله تعالى، أما إذا كان له تعالى فهو محمود. ومن ثم كان رسول الله ﷺ يغضب إذا انتهكت حرمات الله ـ عز وجل ـ.

وكان موسى عليه السلام شديد الحدة والغضب لله تعالى ولدينه، ولذا لما رجع من مناجاة ربه ـ عز وجل ـ ووجد قومه يعبدون العجل أخذ شعر رأس أخيه هارون ـ عليه السلام ـ بيمينه ولحيته بشماله، وجره إليه، توهما أنه قصر فى كفهم عن عبادة العجل. ولما خرق الخضر ـ عليه السلام ـ السفينة غضب موسى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وأخذ برجله ليلقيه فى البحر فذكره يوشع عهده معه فخلاه.

وحكى أن بنى إسرائيل كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده حياء من أن يرى عريانا، فحلفوا بالله أنه ما يمنعه من الاغتسال معهم إلا كبر أنثييه أو أن به برصا، فانطلق ذات يوم يغتسل فى عين وجعل ثوبه على حجر فقرّبه، فتبعه موسى عليه السلام وهو يقول: ثوبى حجر ـ أى اترك ثوبى يا حجر ـ فمر على ملأ ـ أى جماعة من بنى إسرائيل ـ فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله، وبرأه الله مما يقولون. ولما انتهى إلى الحجر ضربه بعصاه تأديبا له وزجرا؛ لأن الله تعالى خلق فيه حياة حتى صدر منه فعل من يعقل.

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم، وهو من جوامع الكلم؛ لأنه جمع بين

خيرى الدنيا والآخرة.

(رواه البخارى) فى كتاب الأدب من صحيحه.

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ لكل داء فى الإسلام دواء وتشخيص الداء نصف العلاج.

٢ ـ الغضب هو فوران دم القلب لإرادة الانتقام.

٣ ـ عدم الحكم بين اثنين فى حالة الغضب.

٤ ـ الغضب غريزة قد جبل الإنسان عليها فليس فى مقدوره دفعها.

٥ ـ الغضب له ضرر على الجهاز الدورى والعصبى لأن به تزداد دقات القلب ويرتفع ضغط الدم.

٦ ـ لابد من الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند الغضب.

٧ ـ كظم الغيظ له فضيلة فى الإسلام.

٨ ـ أثر الغضب السيئ يعود بضرره على الدعوة وليس على الفرد فقط.



الحديث السابع عشر

الرفق بالحيوان

١٧ ـ عن أبى يعلى ـ شداد بن أوس ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» رواه مسلم [١].

الشرح والبيان

(عن أبى يعلى) ويكنى أيضا بأبى عبدالرحمن (شداد) بالتشديد (ابن أوس) بفتح فسكون فمهملة (رضى الله تعالى عنه) هو ابن أخى حسان بن ثابت، وكان جامعا بين العلم والحكمة. وهى العمل بالعلم. وقال أبو الدرداء: إن لكل أمة فقيها، وإن فقيه هذه الأمة شداد بن أوس، وإن من الناس من يؤتى علما ولا يؤتى حلما، وإن أبا يعلى قد أوتى علما وحلما. وقيل: إنه فضل على الأنصار بخصلتين: ببيان إذا نطق، وبكظم إذا غضب. وكان إذا دخل الفراش يتقلب عليه ولا يأتيه النوم. فيقول: اللهم إن النار قد أسهرتنى، وأذهبت عنى النوم. ثم يقوم فيصلى حتى يصبح[٢] وكان يقول: إنكم لم تروا من الخير إلا أسبابه، ولم تروا من الشر إلا أسبابه، الخير كله بحذافيره ـ أى بجملته ـ فى الجنة، والشر كله بحذافيره فى النار، وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البار والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، ولكل بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا[٣].

وروى عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا كنز الناس الذهب والفضة؛ فاكنز هؤلاء الكلمات: اللهم إنى أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم؛ إنك أنت علام الغيوب»**[٤]

---

(١) مسلم فى الصيد والذبائح (١٩٥٥/ ٥٧) وأبو داود فى الضحايا (٢٨١٥) والترمذى فى الديات (١٤٠٩) والنسائى فى الضحايا (٧/ ٢٢٧) وابن ماجة فى الذبائح (٣١٧٠) وأحمد (٤/ ١٢٣).

(٢، ٣) أبو نعيم فى حلية الأولياء (١/ ٢٦٤).

(٤) أحمد (٤/ ١٢٣، ١٢٥) والترمذى فى الدعوات (٣٤٠٧) والنسائى فى السهو (٣/ ٥٤) وأبو نعيم فى الحلية (١/ ٢٦٦).

ولما حضرته الوفاة قال: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة: الرياء والشهوة الخفية[1].

وأبوه أوس، كان صحابيا فكان ينبغي للمصنف ـ رحمه الله تعالى ـ أن يقول: رضى الله تعالى عنهما، للقاعدة الحديثية: إن كل من كان صحابيا وأبوه صحابى يقال فيه ذلك.

ثم إن شدادا سكن بيت المقدس، وولد له به، وتوفى فيه سنة ثمان وخمسين، عن خمس وسبعين سنة، وقبره بظاهر باب الرحمة.

روى له خمسون حديثا، منها: ما خرجه البخارى عنه، وهو سيد الاستغفار أن تقول: **«اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء** ـ أى أعترف ـ **لك بنعمتك على، وأبوء بذنبى، فاغفر لى؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها من النهار موقنا** ـ أى مصدقا ـ **بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح؛ فهو من أهل الجنة»**[2].

ومنها: ما رواه مسلم وهو ما ذكره المصنف عنه **(عن النبى)** وفى نسخة (عن رسول الله ﷺ **قال: إن الله كتب)** أى أوجب وفرض **(الإحسان)** أى تحسين الأعمال المشروعة **(على كل شىء)** يعنى: على كل مكلف، بأن يأتى بها على الوجه المرضى. وقيل: إن «كتب» هنا بمعنى طلب؛ لأنه أعم فائدة لشموله الإحسان الواحب والمندوب، وعلى فى قوله: **«على كل شىء»** يحتمل أن تكون على بابها، والمعنى: أن الله تعالى طلب من عبده الإحسان حال كونه مستعليا منه على كل شىء والمراد باستعلائه على كل شىء؛ شموله وعمومه وكونه على حال حسن. ويحتمل: أن تكون بمعنى فى أو اللام أو إلى.

والمعنى: أن الله تعالى طلب منكم الإحسان فى كل شىء، أو لأجل كل شىء، أو إلى كل شىء. فالاحتمالات أربعة. وكل شىء يشمل النفس وغيرها

---

(١) أبو نعيم فى الحلية (١/ ٢٦٨).

(٢) البخارى فى الدعوات (٦٣٠٦).

من الأهل والخدم وسائر الناس حتى الأنبيـاء - عليهم الصلاة والسلام - والعلماء، وكذا الملائكة والجن والبهائم والسماء والأرض والنبات والشجر.

فأمـا الإحسان إلى النفس: فـهو أن يحملهـا على فعل الطاعـات واجتناب المخالفات، وألا يوردها موارد السوء، ولا يظلمها بمعـصية، ولا يطيعها فى كل ما تريد، ولا يهنيها بشفاء غيظ.

وأما الإحسان إلى الأهل والخدم: فـهو أن يعاشرهم باللطف وحسن الخلق، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويعلمهم مـا يحتاجون إليه، ولا يكلفهم ما لا يطيـقون، ولا يضيـعهم، فقـد قال ﷺ: «**كفى بالمرء إثمـا أن يضيع من يعول**»[1].

وأما الإحـسان إلى سائر الناس: فـهو ألا يغشهم بـل ينصح لهم، ويحسن صحبـتهم، ويتحمـل أذاهم، ويكرم مثواهم، ويعلمهم مـا ينفعهم فى معـاشهم ومعـادهم، ويرشـدهم إلى سبـيل الخيـرات واجتناب المنكرات، ويسـأل الله لهم الهداية والتوفيق ويتصدق عن موتاهم، ويدعو لهم بالمغفرة والرحمة.

وأما الإحسان إلى الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فهو: أن يؤمن بهم، وبما جاؤوا به عن ربهم، وأنهم صفوة الله تعالى من خلقه.

وأما الإحسان إلى العلماء: فهو بتوقيرهم، وقبول ما يروونه، وعدم إذاعة عوراتهم.

وأما الإحسان إلى الملائكة: فهو أن يؤمن بهم، ويعتقد أنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمـرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأن يحسن عـشرة الحفظة منهم؛ بأن لا يفعل بحضرتهم ما يكرهون، ولا يأكل ما يتأذون بريحه كثوم وبصل وكراث.

وأما الإحـسان إلى الجن: فـهو أن يدعـوهم إلى الخير وترك الـشر إن اتفق ظهورهم له، وأن ينويهم بالسلام من الصلاة. فـقد ذكر العلماء أن يسن للمصلى أن ينوى به من على يمينه ويساره من ملائكة ومؤمنى إنس وجن.

---

(١) أحمـد (٢/ ١٦٠، ١٩٤، ١٩٥) وأبو داود فى الزكاة (١٦٩٢) والطـبرانى فى الكبـير (١٢/ ١٣٤١٤) وأبو نعـيم فى الحليـة (٧/ ١٣٥) والطيالسى (٢٢٨١) والحـاكم (١/ ٤١٥) والبـيهـقى (٧/ ٤٦٧) بلفظ «**. . . أن يضيع من يقوت**»

وأما الإحسان إلى البهائم؛ فهو أن لا يجيعهم ولا يعطشهم، ولا يضربهم بغير موجب، ولا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون، ولا يستمر راكبا على الدابة وهى واقفة إلا لحاجة.

وقد ورد أنه ﷺ رأي فى النار امرأة سوداء طويلة تعذب بسبب هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تسقيها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ـ أى حشراتها ـ حتى ماتت. وأن تلك الهرة تنهشها فى قبلها ودبرها، إذا أقبلت تنهشها وإذا أدبرت تنهشها [١].

ونقل عن أبى سليمان الدارانى أنه قال: ركبت مرة حماراً فضربته مرتين أو ثلاثا، فرفع رأسه ونظر إلىّ وقال: يا أبا سليمان القصاص يوم القيامة، فإن شئت فأقلل وإن شئت فأكثر، قال: فقلت: لا أضرب شيئا بعده.

وأما الإحسان إلى السماء والأرض: فيكون بالتفكر فى خلقهما وما فيهما من البدائع، وبترك المعاصى؛ لأنه إذا تركها؛ فقد أدخل السرور عليهما وأراحهما من الشهادة عليه يوم القيامة.

وأما الإحسان إلى النبات والشجر: فيكون بتعهدهما بالسقى، وحفظهما من المتلفات.

(فإذا قتلتم) أى أردتم قتل من يجوز قتله **(فأحسنوا القتلة)** بكسر القاف كما هو الرواية، وهى هيئة القتل. وإحسانها: اختيار أسهل الطرق وأخفها إيلاما وأسرعها إزهاقا، أى إخراجا للروح؛ وذلك يحصل بضرب العنق بالسيف، ويستثنى الزانى المحصن فإنه يقتل بالرجم ـ لورود النص فيه بذلك ـ وقيل: لا استثناء؛ لأن المراد بالإحسان تحسين الأعمال المشروعة، أى إيقاعها على وجه الشرع؛ بأن يأتى بما طلبه فيها إيجابا وندبا سواء وصل للغير نفع أو لم يصل. وكره بعض العلماء قتل القمل والبق والبراغيث وسائر الحشرات بالنار؛ لأنه من التعذيب. وقد جاء فى الحديث: «**لا يعذب بالنار إلا رب النار**»[٢] وقال الجزولى

---

(١) قال ﷺ: «**دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**» رواه البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٤٨٢) ومسلم فى السلام (٢٢٤٢، ٢٢٤٣).

(٢) البخارى فى الجهاد (٣٠١٦) وأبو داود فى الجهاد (٢٦٧٣) وفى الأدب (٥٢٦٨) والترمذى فى السير (١٥٧١) والدارمى فى السير (٢٤٦١).

وابن ناجى: وهذا ما لم يضطر لكثرتها؛ **فيجوز** حرقها بالنار، أى عند الاضطرار؛ لأن فى تتبعها بغير النار حرجا ومشقة، ويجوز نشرها فى الشمس.

وقال الأقفهسى: قتلها بغير النار بالفعص والعرك؛ جائز لأنه ﷺ سئل عن حشرات الأرض تؤذى أحدا فقال: «**ما يؤذيك فلك أذيته قبل أن يؤذيك**» وما خلق للإذاية فابتداؤه بالإذاية جائز.

هذا، ومذهبنا أنه لا يجوز تعذيب ما ذكر بالنار والشمس، إلا إذا تعين طريقا.

(**وإذا ذبحتم**) أى أردتم ذبح ما يحل ذبحه من الحيوانات (**فأحسنوا الذبحة**) بكسر الذال، أى هيئة الذبح. وجاء فى بعض الروايات: «**فأحسنوا الذبح**» بفتح الذال وبكسرها. وإحسانه: أن يكون بسكين ماضية وأن يعجل إمرارها على مذبح البهيمة ليسرع إزهاق روحها، وأن يرفق بها ويريحها ـ كما سيأتى ـ.

واعلم أن الذبح المعتبر شرعا يكون بقطع الحلقوم ـ وهو مجرى النفس ـ وقطع المرىء ـ وهو مجرى الطعام والشراب ـ أما قطع الودجين وهما عرقان فى صفحتى العنق محيطان بالحلقوم؛ فهو مندوب. ويُسن نحر إبل ونحوها مما طال عنقه فى أسفل العنق؛ لأنه أسهل لخروج روحه. وأما غير ذلك كبقر وغنم؛ فيذبح من أعلى العنق.

ويشترط لحل المذبوح أن يكون مأكولا، وأن يكون فيه حياة مستقرة أول ذبحه، وعلامتها انفجار الدم أو وجود الحركة الشديدة بعد الذبح. هذا إذا تقدم سبب يحال عليه الهلاك كأن أكلت الشاة مثلا نباتا سُمِّيا، أو جرحها ذئب، أو انهدم عليها بناء. فإن لم يتقدم السبب المذكور؛ فلا تشترط تلك الحياة بل يكفى وجود النفس فيه؛ كمريض صار بآخر رمق.

(**وليحد**) بسكون اللام لوقوعها بعد الواو ويجوز كسرها، ويحد بضم الياء وكسر الحاء وتشديد الدال من أحد كما ضبطه المصنف. ويقال فيه: يحد بفتح الياء، من حد ثلاثيا. والمعنى: وليسن .

(**أحدكم شفرته**) بفتح الشين وتضم أى سكينته. وإحدادها واجب إن كانت

كالة، وإلا فمندوب **(وليرح ذبيحته)** بسكون اللام وتكسر وبضم الياء وكسر الراء وسكون الحاء، أى وليوصل الراحة إليها بأن يعرض عليها الماء قبل ذبحها لتشرب، وأن يسوقهـا إلى موضع الذبح برفق، وأن يضجـعها بمكان سهل غـير وعر، وأن يعجل إمرار السكين على مذبحها بقوة؛ ليسرع موتها ـ كما مر ـ ولا يسلخها حتى تبرد، ولا يحد السكين بحضرتها، بل يواريها، أى يسترها عنها، ولا يذبح بهيمة وغيرها تنظر إليها سيما أمها أو بنتها.

روى أنه ﷺ مر برجل واضع رجله على صفحـة شاة، وهو يحد شفرته. وهى تلحظ ـ أى تنظر ـ إليـها ببصرها، فـقال: **«أفلا قـبل هذا؟ أتريد أن تميتـها موتتين؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها»**[1]

ومن غريب ما وقع: ما حكى عن بعضهم أنه دخل على أمير، وقد أمر بذبح جملة من الـغنم، فذبح بعضـها، ثم اشـتغل الذابح عن الذبح، ثم عـاد إليه فى الحـال، فلم يجـد المدية ـ أى السكين ـ التى كـان يذبح بهـا، فـاتهم بهـا بعض الحاضـرين، فأنكر، وحـصل بسبب ذلك لغط. فـجاء رجل كان ينظـر إليهم من بعد. وقال: السكين التى تتخاصمون عليهـا أخذتها هذه الشاة بفمها، ومشت بها إلى هذا البئر وألقتها فيها. فأمـر الأمير شخصا بالنزول إلى هذه البئر؛ ليتبين هذا الأمر، فنزل فوجد الأمر كما أخبر الرجل.

وقيل: إن سـبب ابتلاء سيـدنا يعقوب بفـرقة ولده سـيدنا يوسف ـ عليهـما السلام ـ أنه ذبح عجلا بين يدى أمه، وهى تخور ـ أى تصيح ـ.

وحكى: أن رجلا ذبح عجلا بحضرة أمه؛ فـفسد عقله. وقيل: يبست يده. فبينما هو ذات يوم تحت شـجرة فيها وكر ـ أى عش ـ فيـه فرخ، فوقع الفرخ منه إلى الأرض وأبواه ينظران إليه، فرحمه وأخذه؛ فـرده لو كره؛ فرحمه الله فرد إليه عقله أو يده.

ثم إن هذا الحديث حـديث عظيم، وهو من قواعـد الدين. من عمل به نال كل خير، وسلم من كل ضير.

(رواه مسلم) رحمه الله تعالى.

---

(١) رواه الطبـرانى فى الكبيـر (١١/ ١١٩١٦) وقـال الهيـثمى فى مـجمع الزوائد (٤/ ٣٣) رجاله رجـال الصحيح.

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ الإحسان فى كل شىء بدءًا بالعبادة وعلاقة الناس بعضهم ببعض وعلاقتهم بالخالق.

٢ ـ وجوب الإحسان حتى إلى الجانى أثناء تطبيق الحد عليه.

٣ ـ الدين الإسلامى دين تسامح يحث على الإحسان إلى كل مخلوق مسلما أو غير مسلم.

٤ ـ أول من تكلم عن الرأفة والرحمة هو التشريع الإسلامى فلقد سبق القوانين الوضعية بعصور.

٥ ـ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة من الإحسان.

٦ ـ هناك فارق بين القصاص فى الإسلام وأحكام الإعدام فى القوانين الوضعية.

*****

الحديث الثامن عشر

الخلق الحسن

١٨ ـ عن أبى ذر جندب بن جنادة، وأبى عبدالرحمن معاذ بن جبل ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله ﷺ قال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»

رواه الترمذى، وقال: حديث حسن، وفى بعض النسخ: حسن صحيح[١].

الشرح والبيان

(عن أبى ذر) بالذال المعجمة المفتوحة وتشديد الراء (جندب بن جنادة) بضم الجيمين وتثليث الدال الأولى. زاد فى بعض النسخ «الغفارى». وكان له رضى الله تعالى عنه ولد اسمه ذر، فكنى به. ولما مات مر على قبره، وقال: يا ذر قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك، ليت شعرى ما قلت وما قيل لك.

وقيل سبب تكنيته بذلك: أنه وزن رغيفا مخبوزا ووضعه. فعلاه الذر وستره ـ وهو النمل الصغير ـ ثم وزنه فلم يزد شيئا. فقال: انظروا إلى هذا لم يظهر فى ميزان الدنيا وإن ميزان الآخرة ليطيش بواحدة منها. فقيل له: أبو ذر.

وسبب إسلامه ـ رضى الله تعالى عنه ـ: أنه لما بلغه ظهور النبى ﷺ بمكة وأنه يدعى النبوة، أرسل إليه أخاه أنيسا ليأتيه بخبره، فلما رجع إليه سأله عما رأى، فقال: رأيته يزعم أن الله أرسله، ورأيته يأمر بمكارم الأخلاق، قال: فماذا يقول الناس فيه؟ قال: يقولون إنه شاعر وكاهن وساحر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون. فلما سمع ذلك انطلق حتى أتى مكة، فلقى رجلا فقال له: أين الذى تدعونه الصابئ؟ فأغرى عليه من عنده. فمالوا عليه بكل مدرة[٢] وعظم حتى أدموه، وخر ـ أى سقط ـ مغشيا عليه، فلما أفاق؛ أتى زمزم فشرب من مائها وغسل عنه الدم، ومكث فى المسجد ثلاثين يوما. وماله طعام إلا ماء زمزم، ومع

---

(١) الترمذى فى البر والصلة (١٩٨٧) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٥/ ١٧٧، ٢٣٦) والدارمى فى الرقاق (٢٧٩١) والحاكم (١/ ٥٤) والطبرانى فى الكبير (٢٠/ ٢٩٦) وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١/ ٨٦).

(٢) المدر : قطع الطين اليابس كما فى القاموس.

ذلك حصل له سمن عظيم.

ثم اتفق خلو المطاف ليلة، فجاء النبى ﷺ فاستلم الحجر وطاف بالبيت ثم صلى، فأتاه وقال له: السلام عليك يا رسول الله، فقال: «**وعليك السلام ورحمة الله**» فهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فقال له: «**فمن أنت؟**» قال: من غفار. وأخبره بمكثه تلك المدة وبطعامه، فأمر بالرجوع إلى قومه ليخبرهم. فقال: والذى نفسى بيده لأصرخن بهذا بين ظهرانيهم - يعنى أهل مكة - فنادى بأعلى صوته فى المسجد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فقاموا إليه وضربوه حتى أضجعوه، فجاء العباس فمنعهم عنه، وقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليها؟ فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد لمثل ذلك، فضربوه فمنعهم العباس وخلصه منهم، ثم انطلق حتى أتى أخاه أنيسا فأخبره فأسلم، ثم أتيا أمهما فأسلمت، ثم أتوا قومهم غفارا فأسلم بعضهم[1] ولما قدم النبى ﷺ المدينة أسلم بقيتهم، فقال رسول الله: «**غفار غفر الله لها**»[2]

وكان رضى الله تعالى عنه أزهد الناس؛ حتى كان يرى أن ما زاد على حاجة اليوم والليلة؛ لا يجوز ادخاره، فأرسل له معاوية - رضى الله تعالى عنه - ألف دينار مع رجل ليختبره، فجاء إليه وقال له: معاوية أرسل لك هذه، فأخذها وفرقها جميعها ولم يبق منها شيئا، ثم حضر له ذلك الرجل بأمر معاوية، وقال له: إنى غلطت فى إعطائى لك الألف دينار، وإنما أرسلنى لغيرك وأنا أخشى أن يعاقبنى معاوية على ذلك. فقال له: يا هذا والله ما أمسى عندنا منه شيء، ولكن اصبر حتى يأتينا عطاؤنا؛ ندفع ذلك إليك.

وكان - رضي الله تعالى عنه - من أوعية العلم، وشهد له المصطفى ﷺ بأنه أصدق الناس لهجة[3] - أى كلاما -.

---

(١) البخارى فى مناقب الأنصار (٣٨٦١) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٤٧٤).

(٢) البخارى فى المناقب (٣٥١٣، ٣٥١٤) ومسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٦٧٩).

(٣) قال ﷺ «**ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبى ذر**» رواه الترمذى فى المناقب (٣٨٠١) وابن ماجة فى المقدمة (١٥٦).

وروى: أنه قام يوما عند الكعبة فقال: يا أيها الناس أنا جندب الغفارى، هلموا إلى الأخ الناصح الشفوق؛ فاكتنفه الناس - أى أحاطوا به - فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلى. قال: فسفر القيامة أبعد مما تريدون، فخذوا ما يصلحكم، قالوا: وما يصلحنا؟ قال: حجوا حجة لعظائم الأمور، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور، وصلوا ركعتين فى سواد الليل لوحشة القبور[1].

ونزل - رضى الله تعالى عنه - بالربذة - براء مشددة مفتوحة بعدها موحدة مفتوحة ثم ذال معجمة مفتوحة أيضا - منزل الحاج العراقى على ثلاث مراحل من المدينة. وحضرته الوفاة بها فبكت زوجته، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: وما لى لا أبكى وأنت تموت بفلاة من الأرض وليس معنا ثوب يسعك كفنا، فقال: لا تبكى وأبشرى فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر كنت أنا فيهم: «**ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين**»[2] وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات فى قرية وإنى أنا الذى أموت بفلاة من الأرض، والله ما كذبت. فأبصرى الطريق. قالت: فكنت أسنده إلى الكثيب[3] فأقوم لأنظر، ثم أرجع إليه فأمرضه.

فبينما أنا كذلك إذا أنا برجال على رواحلهم، فأشرت إليهم فحضروا فأخبرتهم به، فدخلوا عليه وسلموا فرحب بهم، وذكر لهم ما سمعه من رسول الله ﷺ. ثم قال: لو كان عندى ثوب يسعنى كفنا أو لامرأتى ثوب يسعنى لم أكفن إلا فى ثوب هو لى أو لها، وإنى أنشدكم الله لا يكفننى رجل منكم؛ كان أميرا أو عريفا أو صبيا أو نقيبا. ولم يكن فى القوم أحد إلا وقد أصاب من ذلك شيئا إلا فتى من الأنصار، قال: أنا أكفنك فى ردائى هذا، أو فى ثوبين من ثيابى من غزل أمى، قال: فكفنى أنت، فكفنه الأنصارى، ودفنه هو والنفر الذين كانوا معه.

وقيل: إنه أوصى زوجته وغلامه أن يغسلاه ويكفناه ويجعلاه على قارعة

---

(١) أبو نعيم فى الحلية (١/ ١٦٥).

(٢) أبو نعيم فى الحلية (١/ ١٧٠).

(٣) الكثيب: التل من الرمل كما فى القاموس.

الطريق، وأول ركب يمر يقولان له: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه، فأقبل عبدالله بن مسعود فى رهط من أهل الكوفة؛ فوجده، وأخبر بما قاله، فنزل هو وأصحابه فصلوا عليه وواروه[1].

وكان موته سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين. وروى له مائتا حديث وأحد وثمانون حديثا.

(وأبى عبدالرحمن معاذ بن جبل) أسلم وعمره ثمانى عشرة سنة. وكان من أكابر الصحابة وصلحائهم. أردفه، أى أركبه، رسول الله ﷺ وراءه، وبعثه إلى اليمن فى جماعة من المهاجرين والأنصار، وخرج معه ليشيعه ويوصيه وهو راكب ورسول الله ﷺ يمشى.

وروى أنه ﷺ قال له لما ودعه: **«حفظك الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك، ودرأ ـ أى دفع ـ عنك شرور الإنس والجن»**[2]

ومن فضائله: ما روى أن النبى ﷺ قال له: **«يا معاذ إنى لا أحبك»** فقال: وأنا أحبك والله يا رسول الله، قال: **«فلا تدع ـ أى فلا تترك ـ أن تقول فى دبر كل صلاة: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»**[3]

وروى: أن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ، لولا معاذ لهلك عمر.

وروى عن أبى مسلم الخولانى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: أتيت مسجد دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب رسول الله ﷺ، وإذا فيهم شاب أكحل العينين براق الثنايا، كلما اختلفوا فى شىء؛ ردوه إليه، قال: فقلت لجليس لى: من هذا؟ قال: معاذ بن جبل[4].

---

(١) أبو نعيم فى الحلية (١/ ١٦٩).

(٢) ذكره ابن حجر فى الإصابة (٣/ ٤٢٧).

(٣) أحمد (٥/ ٢٤٤، ٢٤٧) وأبو داود فى الصلاة (١٥٢٢) والنسائى فى السهو (٣/ ٥٣) والطبرانى فى الكبير (٢٠/ ١١٠) والحاكم (١/ ٢٧٣) وابن حبان (٢٣٤٥).

(٤) أبو نعيم فى الحلية (١/ ٢٣٠).

وروى عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن معاذا دخل على رسول الله ﷺ فقال: **«كيف أصبحت؟»** قال: أصبحت بالله مؤمنا، قال: **«إن لكل قول مصداقا، ولكل حق حقيقة، فما مصداق ما تقول؟»** قال: يا رسول الله ما أصبحت صباحا قط إلا ظننت أنى لا أمسى، وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أنى لا أصبح، ولا خطوت خطوة إلا ظننت أنى لا أتبعها أخرى، وكأنى أنظر إلى كل أمة جاثية، كل أمة تدعى إلى كتابها ومعها نبيها وأوثانها التى كانت تعبد من دون الله تعالى، وكأنى أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة قال: **«قد عرفت فالزم»**(١)

ونقل عن كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال: كان معاذ شابا جميلا سمحا، من خير شبان قومه، لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه.

وروى أن يهوديا كان له دين عليه، وكان يلح عليه فى التقاضى، وكان يوم جمعة. فاختفى فى بيته ولم يخرج إلى الجمعة، فلما فرغ النبى ﷺ منها لم ير معاذا، فلما كان من الغد جاء معاذ فقال له المصطفى ﷺ: **«يا معاذ تخلفت عن الجمعة؟»** فقال: يا رسول الله علىّ دين لفلان اليهودى ولم يكن بيدى شىء؛ فخفته، فقال: **«ألا أعلمك دعاء إن كان عليك مثل أحد ذهبا؛ يقضيه الله عنك؟»** فقال: بلى يا رسول الله، فقال: **«قل: اللهم يا فارج الهم، وكاشف الضر، ومجيب دعوة المضطر، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما؛ ارحمنى فى قضاء دينى رحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك»** قال معاذ رضى الله تعالى عنه: فواظبت على الدعاء؛ فقضى عنى ذلك(٢).

روى له مائة حديث وسبعة وخمسون حديثا. ومات بالطاعون سنة ثمانى عشرة. وهو ابن ثلاث أو أربع أو ثمان وثلاثين سنة.

(رضى الله تعالى عنهما) أى عن جندب ومعاذ **(عن رسول الله ﷺ)** أنه **(قال: اتق الله)** يحتمل أن يكون هذا الأمر لأبى ذر، وسمعه معاذ. أو لمعاذ، وسمعه

---

(١) أبو نعيم فى الحلية (١/ ٢٤٢).

(٢) الطبرانى فى الكبير (٢٠/ ٣٢٣) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ١٨٦) فيه نصر بن مرزوق لم أعرفه وبقية رجاله ثقات إلا أن سعيد بن المسيب لم يسمع من معاذ.

أبوذر، أو لغيرهما، وسمعاه، أو لهما، وأفرد الضمير على تقدير كل أو لكل من يتأتى توجيه الأمر إليه؛ ليعم كل مأمور، حتى لا يختص به مخاطب دون آخر. والمعنى: خف الله أيها المكلف واخش عقابه.

(حيثما كنت) أى فى مكان وأى زمان كنت فيه؛ فإن الله تعالى مطلع عليك، وناظر إليك فى جميع الأحوال، لا تخفى عليه خافية. وهذا من جوامع كلمه ﷺ فإن التقوى ـ وإن قل لفظها ـ كلمة جامعة لكل خير، إذ هى تجنب كل منهى عنه، وفعل كل مأمور به. وسئل على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه عن التقوى. فقال: هى الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل. وقال بعضهم: تقوى الله تعالى: ألا يراك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك. وقال بعض العارفين لشيخه: أوصنى. قال: أوصيك بوصية رب العالمين للأولين والآخرين، وهى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وقال رجل ليونس بن عبيد رحمة الله تعالى عليه: أوصنى، فقال: أوصيك بتقوى الله تعالى والإحسان؛ فـ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وقال الغزالى ـ رحمه الله تعالى ـ: التقوى كنز عزيز. فإن ظفرت به؛ فكم تجد فيه من جوهر ورزق كريم وملك عظيم؛ لأن خيرات الدنيا والآخرة جمعت فيها. وقيل: إن لتقوى الله ـ تعالى ـ فوائد كثيرة:

منها: الحفظ والحراسة من الأعداء؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

ومنها: إصلاح العمل وغفران الذنوب؛ لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

ومنها: المحبة؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

ومنها: الإكرام؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ومنها: البشارة عند الموت؛ لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٣، ٦٤]

ومنها: النجاة من النار؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [مريم: ٧٢].

ومنها: الخلود فى الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣].

ومنها: النجاة من الشدائد وحصول الرزق الحلال؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] أى: من يتق الله، فيقف عند حدوده ويجتنب معاصيه؛ يجعل له مخرجا بخروجه من الحرام إلى الحلال، ومن الضيق إلى السعة، ومن النار إلى الجنة ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣] أى من حيث لا يرجو.

وقيل: ومن يتق الله بالصبر؛ يجعل له مخرجا من الشدائد. وقال ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ: يجعل له مخرجا من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة.

وقال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية فى عوف بن مالك الأشجعى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أسر المشركون ابنا له يسمى سالما. فأتى رسول الله ﷺ وشكا الفاقة إليه، وقال: إن العدو أسر ابنى وجزعت الأم فما تأمرنا؟ فقال ﷺ: **«اتق الله واصبر، وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»** فعاد لبيته وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرنى وإياك أن نستكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. فقالت: نعم ما أمرنا به. فجعلا يقولان ذلك، فغفل العدو عن ابنه، فساق غنمهم، وجاء بها إلى أبيه، وهى أربعة آلاف شاة. فنزلت الآية(١).

وحكى: أن قوما ركبوا سفينة؛ فظهر لهم شخص على وجه الماء، وقال لهم:

---

(١) الحاكم فى المستدرك (٢/ ٤٩٢) وتعقبه الذهبى بقوله: منكر وعباد رافضى وعبيد متروك ورواه النيسابوى فى أسباب النزول ص (٣٧٠).

معى كلمة أبيعها بألف دينار، فـقال أحدهم: هذه ألف دينار، فقال: اطرحها فى البحـر، فطرحها فـقال: قل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ ثم قال له: احـفظها حفظا جيـدا. فلما حفظهـا؛ انكسر المركب وبقى الرجل على لوح يقرأ هذه الآية، فرماه الموج فى جزيرة فيهـا امرأة جميلة؛ فسألها عن أمرها، فـقالت: أنا من بلد كذا، فـاختطفت حتى جـعلت فى هذه الجزيرة، وكل يوم يطلع من البحر جنى، فيراودنى فى وقت كـذا عن نفسى؛ فيحفظنى الله منه. فقال لـها: اجعلينى فى مكان أراه ولا يرانى. ففـعلت. فلما طلع الجنى من البحـر وراه؛ قرأ الآية فالتـهب نارا. ففرحت المرأة بذلك، ثم أخـذت بيد الرجل إلى كهف فـيه من الجواهر واللؤلؤ شىء كـثير، فمـرت بهما سـفينة فأشار إليـهما فقصدهما أهلها، وأخذ كل واحد من الجواهر واللؤلؤ ما لا يعلمه إلا الله، وسارا حتى وصلا بلد المرأة وتزوج بها، وصار أيسر ـ أى أغنى ـ أهل تلك البلدة.

(وأتبع) بفتح الهـمزة وسكون الفوقـية وكسـر الموحدة؛ أى ألحق **(السيـئة)** الصادرة منك **(الحسنة)** كصـدقة وصـلاة وصوم واستـغفـار وذكر، وغـير ذلك **(تمحها)** أى تمحو الحسنة السيئة، أى تزيلها وتذهبـها من صحف الملائكة حقيقة. وقيـل: هو كناية عن عدم المؤاخـذة بها وإن كـانت ثابتة فى الصـحف. وهذا فى سيئة مضى من فعلها ست سـاعات فلكية؛ لأنها لا تكتب قبل ذلك، حتى يقال: تزال حقـيقة أو كناية. فقـد جاء: أنه إذا فعل العبـد سيئة وأراد ملك الشـمال أن يكتبها. قال له ملك اليمين: اصبر لعلـه يستغفر أو يتوب، فينتظره هذه المدة، فإن تاب فيها؛ كتبها صاحب اليمين حسنة، وإلا قال لصاحب الشمال: اكتب، أراحنا الله منه.

والسيـئة شاملة لـلصغيـرة والكبيرة ـ كـما هو ظاهر الحديـث ـ لكن الحسنة بالنسبة إلى الكبيـرة؛ التوبة منها؛ فلا يكفرها غيرها من الأعـمال الصالحة. نعم. قد تخففهـا، وأما الصغيرة فتكفرها التوبة وحدها، واجـتناب الكبائر امتثالا، وإن لم تحصل توبة، والعبادات وإن لم تحصل توبة أيضا.

روى أن رجلا يسمى نبـهان التمار ـ رضى الله تعـالى عنه ـ كان له حانوت ـ

أى دكان - يبيع فيه تمرا؛ فجاءته امرأة أجنبية حسناء تشترى منه تمرا. فقال لها: إن داخل الحانوت ما هو خير من هذا. فلما دخلت أصاب منها ما يصيب الرجل من امرأته من الضم والتقبيل، غير أنه لم يجامعها. ثم جاء إلى النبى ﷺ وقال: يا رسول الله إنى أصبت حدا؛ فأقمه علىّ، فأعرض عنه. فقال له عمر - رضى الله تعالى عنه -: لقد سترت نفسك. ثم كرر له ذلك نبهان مرارا. وهو يعرض عنه. حتى ذكر له القصة. فقال له ﷺ: **«توضأ وضوءا حسنا»**، فتوضأ وصلى مع النبى ﷺ، فنزل قوله تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ**﴾ أى الغداة والعشى، يعنى الصبح والظهر والعصر؛ لأن ما بعد الزوال عشى ﴿**وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ**﴾ أى ساعات منه. قريبة من النهار يعنى المغرب والعشاء﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ**﴾ أى: كالصلوات الخمس ﴿**يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود: ١١٤] أى الذنوب الصغائر. فقال الرجل: ألى هذا؟ قال: **«لجميع أمتى»**(١)

وورد: أن رسول الله ﷺ توضأ ثم قال: **«مَن توضأ وضوئى هذا، ثم صلى الظهر؛ غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة الصبح، ثم صلى العصر؛ غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة الظهر، ثم صلى المغرب؛ غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة العصر، ثم صلى العشاء؛ غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة المغرب، ثم لعله إن يبيت ليلته يتمرغ، ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح؛ غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء»**(٢)

وروى: أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى ألممت - أى أتيت بذنب عظيم - فماذا يكفره عنى؟ فقال: **«ذنبك أعظم أم السموات؟»** فقال: ذنبى أعظم، فقال: **«ذنبك أعظم أم الكرسى؟»** فقال: ذنبى أعظم، فقال: **«ذنبك أعظم أم العرش؟»** فقال: ذنبى أعظم، فقال: **«ذنبك أعظم أم الله؟»** أى عفوه. قال: بل عفو الله أعظم. فقال عليه الصلاة والسلام: **«عليك بالجهاد فى سبيل الله»** فقال: يا رسول الله إنى لمن أجبن الناس - أى أضعفهم قلبا - ولولا أن أهلى

---

(١) البخارى فى مواقيت الصلاة (٥٢٦) وفى التفسير (٤٦٨٧) ومسلم فى التوبة (٢٧٦٣) والنسائى فى التفسير (٢٦٨) والترمذى فى التفسير (٣١١٥).

(٢) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/ ٢٩٧) رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجاله رجال صحيح غير الحارث بن عبدالله مولى عثمان بن عفان وهو ثقة.

تؤنسنى إذا خرجت ليلا مـا كنت أفعله قط، فقال: **«عليك بالصيام»** فقال: والله يارسول الله مـا أشبع من خبز قط، فـقال له: **«عليك بالصـلاة فى جوف الليل»** فقال: يـا رسول الله لولا أن أهلى يوقظونى لصلاة الصبح مـا قمت لها، فتـبسم ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: **«عليك بكلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين فى الميزان، حبيبتين إلى الرحمن؛ سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»**[1] ففعل.

ويروى: أن العبد إذا قـال: لا إله إلا الله؛ أتت على صحيفـته؛ فلا تمر على خطيئة إلا مـحتها، حتى تجد حـسنة مثلها؛ فتجلس إلى جانبـها. وفى الحديث: **«من قال لا إله إلا الله ثلاث مـرات فى يومه؛ كانت له كفـارة لكل ذنب أصابه فى ذلك اليوم»**. وورد عن النبى ﷺ أنه قال: **«ما من رجل يتطهر فيحسن الطهر، ثم يعمـد إلى مسجد من هذه المسـاجد، إلا كتب الله له بكل خطوة حسنة، ويـرفعه بها درجـة، ويحط عنه بها خطيـئة»** وورد عنه أيضا: أنه قال: **«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات»** أى المنازل فى الجنة، **«إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة»**[2].

واعلم أن الحـسنات منها مـا يكفر الذنب السـابق دون اللاحق، كصـوم يوم عـاشوراء؛ فـإنه مكفـر لذنوب السنة الماضـيـة، ومنهـا ما يكفـر الذنب السـابق واللاحق، كصـوم يوم عرفة؛ فإنه مكفـر لذنوب السنة الماضية والسنة المستـقبلة، حتى لو فعل ذنبا لم تكتبه الملائكة عليه.

وظاهر الحـديث: أن الحسنة وإن كـانت بعشـر أمثـالها لا تمحـو إلا سيـئة، والتضعيف لا يمحو شيئا، وليس مرادا، بل هى تمحو عشر سيئات. فقد روى: أنه إذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان: أعطنى صحيفـتك، فيعطيه إياها فما وجد فى صحيفته من حسنة؛ محا بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان، وكتبهن حسنات.

---

(١) رواه البخارى فى الأيمان والنذور (٦٦٨٢) وفى الدعوات (٦٤٠٦) وفى التوحيد (٧٥٦٣) ومسلم فى الذكر (٢٦٩٤/ ٣١) بنحوه.

(٢) مسلم فى الطهارة (٢٥١) والترمذى فى الطهارة (٥١) والنسائى فى الطهارة (١/ ٨٩، ٩٠) وابن ماجة فى الطهارة (٤٢٨).

وروى: «**خصلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة، ألا وهما يسير، ومن يعمل بهما قليل؛ يسبح الله فى دبر كل صلاة عشرا، ويحمده عشرا، ويكبره عشرا. فذلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة فى الميزان**» - أى من حيث الأجر - **ويكبر أربعا وثلاثين إذا أخذ مضجعه ويحمد ثلاثا وثلاثين، ويسبح ثلاثا وثلاثين فتلك مائة باللسان وألف فى الميزان، فأيكم يعمل فى اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة**»[1] أى هذا قليل، وربما لا يتأتى من مسلم ذلك. وبفرضه؛ تكفر ذنوبه، إذ كل حسنة تذهب سيئة، فيأتى يوم القيامة مطهرا.

ونقل عن ابن مسعود - رضى الله تعالى عنه - أنه قال: وددت - أى تمنيت - أنى صولحت على أن أعمل كل يوم تسع خطيئات وحسنة. فأشار إلى الحسنة يمحى بها تسع خطيئات، ويفضل له ضعف واحد من ثواب الحسنة؛ فيكتفى به.

ثم إن هذا يخص من عمومه السيئة المتعلقة بالآدمى؛ فلا يمحوها إلا الاستحلال مع بيان جهة الظلامة إن أمكن ولم يترتب عليه مفسدة، وإلا فالمرجو كفاية الاستغفار والدعاء له.

(وخالق الناس) أى عاملهم وعاشرهم **(بخلق)** بضمتين، أى بسجية وطبع **(حسن)** أى جميل محبوب؛ كملاطفة وطلاقة وجه وبذل معروف وكف أذي؛ فإن فاعل ذلك يرجى له فى الدنيا الفلاح، وفى الآخرة الفوز بالنجاة والنجاح.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**ما من شيء يوضع فى الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصلاة والصوم**»[2] وسئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**»[3]

وقال ﷺ: «**خياركم أحسنكم أخلاقا**»[4] وقال ﷺ: «**أفضل ما أعطى**

---

(١) البخارى فى الدعوات (٦٣٢٩) وأبو داود فى الأدب (٥٠٦٥) والترمذى فى الدعوات (٣٤١٠) والنسائى فى السهو (٣/ ٧٤، ٧٥) وأحمد (٢/ ١٦٠، ٢٠٥) وابن ماجة فى إقامة الصلاة (٩٢٦) ورواه البخارى فى الأدب المفرد (١٢٥٢).

(٢)رواه الترمذى فى البر والصلة (٢٠٠٣) وقال: غريب.

(٣) رواه أحمد (٢/ ٤٤٢) والترمذى فى البر والصلة (٢٠٠٤) وابن ماجة فى الزهد (٤٢٤٦) ورواه البخارى فى الأدب المفرد (٢٩٢).

(٤) البخارى فى المناقب (٣٥٥٩) ومسلم فى الفضائل (٢٣٢١).

المرء الخلق الحسن»[1] وعن الحسن ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: من أعطى حسن صورة وخلقا حسنا وزوجة صالحة؛ فقد أعطى خيرى الدنيا والآخرة. وروى بسند حسن عن الحسن، عن الحسن، عن الحسن، عن الحسن، عن جد الحسن: «إن أحسن الحسن الخلق الحسن»[2] والحسن الأول ابن سهل، والثانى ابن دينار، والثالث البصرى، والرابع ابن على ـ رضى الله تعالى عنهم أجمعين ـ وفى الحديث: «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا**»[3]

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: أربع ترفع العبد إلى أعالى الدرجات وإن قل عمله وعلمه: الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق. وفى الحديث: «**خصلتان لا يكونان فى مؤمن: سوء الخلق والبخل**»[4]

وقال الفضيل بن عياض ـ نفعنا الله تعالى به ـ: لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلىّ من أن يصحبنى عابد سيئ الخلق. وقال أبو حازم رحمة الله تعالى عليه: من سوء الخلق فى الرجل أن يدخل على أهله وهم فى سرور يضحكون؛ فيتفرقوا خوفا منه. وكذلك من سوء خلقه؛ هروب القطة منه وصعود الكلبة الحائط؛ خوفا منه. وقيل لذى النون المصرى رحمه الله تعالى: من أكثر الناس هما؟ قال: أسوؤهم خُلُقاً.

وحُكى أنه كان لشقيق البلخى رحمه الله تعالى امرأة سيئة الخلق، فقيل له: ألا تفارقها وهى تؤذيك بسوء خلقها؟ فقال: إن كانت سيئة الخلق؛ فأنا حسن الخلق، ولو فارقتها صرت مثلها، ومع هذا أخاف ألا يمسكها أحد غيرى لسوء خلقها.

وحكى أن رجلا جاء إلى سيدنا عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ يشكو إليه خلق زوجته، فوقف ببابه ينتظره فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها. وهو ساكت لا يرد

---

(١) كنز العمال (٥٢٠٨) وعزاه للطبرانى.

(٢) السيوطى فى الجامع الصغير (٢١٨٣) وعزاه للمستغفرى فى مسلسلاته وابن عساكر عن الحسن بن على وقال: ضعيف.

(٣) أبو داود فى السنة (٤٦٨٢) والترمذى فى الرضاع (١١٦٢) والحاكم (١/ ٣) وابن حبان (٤١٧٩ ـ إحسان).

(٤) البخارى فى الأدب المفرد (٢٨٥) والترمذى فى البر والصلة (١٩٦٢) قلت. فيه صدقة بن موسى ضعيف.

عليها، فانصرف الرجل قائلا: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالى؟ فخرج عمر - رضى الله تعالى عنه - فرآه موليا فناداه: ما حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك خلق زوجتى واستطالتها علىّ فسمعت زوجتك كذلك، فرجعت، وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته؛ فكيف حالى؟ فقال عمر - رضى الله تعالى عنه: إنى أحتملها لحقوق لها علىّ إنها طباخة لطعامى، خبازة لخبزى، غساله لثيابى، مرضعة لولدى، - وليس ذلك بواجب عليها - ويسكن قلبى بها عن الحرام، فأنا أحتملها لذلك، فقال الرجل: يا أمير المومنين وكذلك زوجتى، فقال له سيدنا عمر: فاحتملها يا أخى، فإنما هى مدة يسيرة.

وما أحسن ما قيل:

خذ العفو عن جاهل قد بغى عليك تفز بالمقام الأمين
وبالعرف فأمر وكن محسنا وواصل وأعرض عن الجاهلين

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم، وقاعدة من قواعد الدين. وقد اشتمل على ثلاثة أشياء: حق الله وحق المكلف، وحق العباد، فأما حق الله تعالى: فحيثما كنت فاتقه، وأما حق المكلف: فهو اتباع السيئة بالحسنة، وأما حق العباد: فهو معاشرتهم بالأخلاق الحسنة.

(رواه الترمذى وقال) هو **(حديث حسن)** فقط **(وفى بعض النسخ)** أى نسخ جامع الترمذى **(حسن صحيح)** وتقدم بيان الجمع بينهما، وهو أن يقال: إنه حسن لوصف جماعة له بالحسن، صحيح لوصف آخرين له بالصحة.

ونقل عن شرح الكازرونى أنه قال هنا: حسن من حديث معاذ، صحيح من حديث أبى ذر.

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ تقوى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أمر عام يشمل جميع المسلمين وليس لسيدنا أبى ذر وحده.

٢ـ لا تتقيد التقوى بمكان دون آخر أو بزمان دون آخر.

٣ ـ التقوى هى امتـثال الأوامر واجتناب النواهى واتخاذ الطاعـات وقاية وحاجزا من النار.

٤ ـ الولى هو من حدده الله فى القرآن فقال تعالى : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]

٥ ـ الحسنات يذهبن السيئات وتمحوها وتعالج النفس البشرية.

٦ ـ يجب التخلق بالأخلاق الحسنة.

٧ ـ تكون الدعوة بالموعظة الحسنة.

الحديث التاسع عشر

اللجوء إلى الله فى كل وقت

١٩ ـ عن أبى العباس ـ عبد الله بن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: كنت خلف النبى ﷺ يوما فقال: «يا غلام، إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف» رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح [1].

وفى رواية غير الترمذى: «احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا» [2].

الشرح والبيان

(**عن أبى العباس ـ عبد الله بن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما**) ولد عبد الله قبل الهجرة بثلاث سنين، ولما وضعته أمه؛ أتت به إلى النبى ﷺ فأذن فى أذنه اليمنى، وأقام فى اليسرى وقال: «**اذهبى بأبى الخلفاء**» [3].

وقال: ملأ عقبه الأرض، حتى قيل: إنهم بلغوا فى زمن المأمون ستمائة ألف. وكنى باسم أبيه؛ لكونه أكبر أولاده. ولقب بترجمان القرآن لكثرة معرفته بمعانيه. وكان يسمى البحر لغزارة علمه [4]. وصح أنه ﷺ دعا له بقوله: «**اللهم فقهه فى الدين؛ وعلمه التأويل**» [5].

---

(١) الترمذى فى صفة القيامة (٢٥١٦) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (١/٣٠٧) وأبو يعلى (٢٥٤٩) وابن السنى (٤٢٥).

(٢) أحمد (١/٣٠٧) والطبرانى فى الكبير (١١/١١٢٤٣).

(٣) كنز العمال (٣٣٥٨٧) وعزاه للخطيب البغدادى.

(٤) أبو نعيم فى الحلية (١/٣١٦).

(٥) البخارى فى الوضوء (١٤٣) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٤٧٧) وأحمد (١/٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥) والطبرانى فى الكبير (١٠/١٠٦١٤و١١/١١٢٠٤و١٢/١٢٥٠٦).

وعن أبى صالح قال: لقد رأيت لابن عباس مجلسا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً، رأيت الناس قد اجتمعوا على بابه حتى ضاق لهم الطريق، فما كان أحد يقدر على أن يجىء ولا أن يذهب، قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال: ضع لى وضوءا، قال: فتوضأ وجلس، وقال: اخرج إليهم، وقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه؛ فليدخل؛ قال: فخرجت فآذنتهم - أى أعلمتهم - فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شىء إلا أخبرهم به، وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثر؛ ثم قال: إخوانكم. فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل، فخرجت فآذنتهم؛ فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شىء إلا أخبرهم به، وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم. فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل فخرجت فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شىء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ثم قال: إخوانكم فخرجوا.

ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام؛ فليدخل، فآذنتهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شىء إلا أخبرهم به، وزادهم عليه مثله.

قال أبو صالح: فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس [1].

وروى له ألف وستمائة حديث وستون حديثا. وتوفى بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة. وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال: مات والله اليوم خير هذه الأمة. ولما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل فى أكفانه؛ فالتمس فلم يوجد؛ فلما أهيل عليه التراب سمع من يقول: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾[الفجر: ٢٧ - ٣٠] [2]. ولما بلغ جابر بن عبد الله وفاته ضرب بإحدى يديه

(١) رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء (١/ ٣٢٠، ٣٢١).
(٢) أبو نعيم فى الحلية (١/ ٣٢٩).

على الأخرى وقال: مات أعلم الناس، وأحلم الناس.

وأبوه العباس رضى الله تعالى عنه ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين، وأسلم قبل الهجرة، وكان يكتم إسلامه وهو مقيم بمكة، ويكتب أخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ واستأذنه فى الهجرة فكتب إليه: «**يا عم أقم مكانك الذى أنت فيه - يعنى مكة - فإن الله عز وجل يختم بك الهجرة كما يختم بى النبوة**» [(١)].

وكان رضى الله تعالى عنه أصغر أعمامه ﷺ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يعرفون قدره فيبالغون فى تعظيمه ويشاورونه ويأخذون برأيه، واستسقى عمر به غير مرة، ولم يمر قط بعمر وعثمان راكبين إلا نزلا حتى يجوز إجلالا له.

وقال فيه رسول الله ﷺ: «**من آذى العباس فقد آذانى، إنما عم الرجل صنو أبيه**» [(٢)].

وكان رضى الله تعالى عنه طويلا جميلا أبيض. روى له خمسة وثلاثون حديثا، ومات بالمدينة سنة اثنين أو أربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة، ودفن بالبقيع. وجلس ولده عبد الله للناس يعزونه فجاءه أعرابى فوضع يده على يده، وقال:

اصبر نكن بك صابرين فإنما ... صبر الرعية بعد صبر الراس

خير من العباس أجرك بعده ... والله خير منك للعباس

(قال) أى عبد الله **(كنت)** راكبا **(خلف النبى ﷺ)** أى وراءه على بغلته **(يوماً)** أى فى يوم **(فقال)** لى **(يا غلام)** بضم الميم لأنه نكرة مقصودة، وخاطبه بذلك؛ لأنه إذ ذاك كان صغيرا عمره نحو عشر سنين **(إنى أعلمك)** أى أفهمك **(كلمات)** وفى رواية: «**ألا أعلمك كلمات يحفظك الله بهن**» وفى أخرى: «**ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن**» فقلت: بلى يا رسول الله، فقال: **(احفظ الله)** أى راع أوامره وحافظ عليها، ولا تغفل عنها، وأمسك عن نواهيه ولا ترتكبها، فإنك

---

(١) الطبرانى فى الكبير (٦/ ٥٨٢٨) وأبو يعلى (٢٦٣٨) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ٢٦٨، ٢٦٩) فيه أبو مصعب إسماعيل بن قيس وهو متروك.

(٢) كنز العمال (٣٧٣٣٦) وعزاه لابن عساكر.

إذا فعلت ذلك (**يحفظك**) برعايته إياك فى نفسك وولدك وأهلك ودنياك ودينك.
وقد قال الله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً** ﴾ [النحل: ٩٧]

وقال بعضهم: من حفظ الله فى صباه وصغره حفظه فى كبره ومتعه بسمعه وبصره.

كما حكى أن بعض العلماء جاوز مائة سنة وهو ممتع بعقله وقوته، فسئل عن سبب ذلك؛ فقال: هذه جوارح حفظناها من المعاصى فى الصغر، فحفظها الله علينا فى الكبر.

ونقل عن القاضى أبى الطيب رحمه الله تعالى أنه عاش مائة وستين سنة، ولم يختل عضو من أعضائه، فقيل له فى ذلك، فقال: لم أعص الله بعضو منها.

وقال بعض السلف: من اتقى الله فقد حفظ نفسه، ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه، والله الغنى عنه. وكان سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنه يقول لابنه: لأزيدن فى صلاتى من أجلك رجاء أن أحفظ فيك. ثم يتلو: ﴿ **وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا** ﴾ [الكهف: ٨٢]. أى فحفظا بصلاحه فى أنفسهما، وما لهما.

وكان عمر بن عبد العزيز - رضى الله تعالى عنه - يقول: ما من مؤمن صالح يموت إلا حفظه الله عز وجل - فى عقبه وعقب عقبه. وقال بعض الأكابر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التى حوله. وقال بعضهم: رأيت راعيا يصلى والذئب يحفظ غنمه فلما فرغ من صلاته؛ قلت له: متى اصطلح الذئب مع الغنم؟ فقال: لما اصطلح رب الغنم مع رب الذئب.

وحكى أن لصا دخل حجرة رابعة العدوية - رضى الله تعالى عنها - وهى نائمة، فحمل الثياب، وطلب الباب؛ فلم يجده، فوضعها؛ فوجده، فحملها؛ فخفى عليه فأعاد ذلك مراراً كثيرة، فهتف به هاتف: إن كان المحب نائما؛ فإن المحبوب يقظان، ضع الثياب واخرج من الباب، فإنا نحفظها ولا ندعها لك وإن كانت نائمة، فوضعها، ثم خرج وتاب.

وبالجملة فتقوى الله سبب لحفظ الله للعبد فى دنياه، ولحفظه فى دينه بأن يحفظ عليه إيمانه حتى يتوفاه الله.

(احفظ الله) أى راع حقوقه وراقبه **(تجده)** أى تجد عنايته ورأفته بك **(تجاهك)** بضم التاء وفتح الهاء، أى أمامك بفتح الهمزة كما فى الرواية الآتية، وهذا توكيد لما قبله.

وخص الإمام بالذكر من بين الجهات الست إشعاراً بشرف المقصد، وبأن الإنسان مسافر إلى الآخرة، والمسافر إنما يطلب أمامه. والمعنى تجده مراعيا لك حيثما كنت وقصدت من أمر الدنيا والآخرة؛ فينقذك من الهلكات، ويسعدك بأصناف البركات.

روى أن النبى ﷺ أرسل «سفينة» مولاه فى أمر، فنزل فى سفينة فانكسرت فخرج إلى البر، فجاءه أسد، فقال: أنا مولى رسول الله ﷺ ومعى كتابه وأنا تائه، فجعل الأسد يمشى معه حتى دله على الطريق؛ فلما أوقفه عليها جعل يهمهم كأنه يودعه، ثم رجع عنه.

وقيل: إذا خاف العبد من الله؛ أخاف الله منه كل شىء، وإذا لم يخف العبد من الله؛ أخافه الله من كل شىء.

والمراد بالخوف: كف جوارحه عن المعصية، وتقييدها بالطاعة.

وحكى عن المزنى أنه قال: قصدت السلام على أبى الخير النيسابورى، فلما صلينا المغرب خرجت لأتطهر، فقصدنى السبع، فعدت إليه فأخبرته، فخرج وصاح على الأسد، وقال له: ألم أقل لك لا تتعرض لأضيافى فتنحى عنى، وتطهرت، فلما رجعت قال لى الشيخ: اشتغلتم بتقويم الظاهر، فخفتم الأسد، واشتغلنا بتقويم الباطن؛ فخافنا الأسد.

(إذا سألت) أى أردت أن تسأل شيئا **(فاسأل الله)** أن يعطيك إياه من فضله؛ فإنه الغنى المالك لجميع الأشياء، لامعطى ولا مانع سواه. وقد جاء فى الحديث: «**ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله إذا انقطع**» (١) وهو

---

(١) ابن السنى فى عمل اليوم والليلة (٣٥٤) وابن حبان (٨٦٣، ٨٩١، ٨٩٢ ـ إحسان) وذكره ابن رجب الحنبلى فى شرح علل الترمذى ص (٣٥٩) ولم أجده فى الترمذى.

بكسر الشين المعجمة: سيره الذى بين الأصابع. وقال طاووس لعطاء ـ نفعنا الله بهما ـ: إياك أن تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة؛ أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك.

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ: أحب الناس إلى الناس من استغنى عن الناس، وأبغض الناس إلى الناس من احتاج إلى الناس وسألهم، وأحب الناس إلى الله عز وجل من سأله واستغنى به عن غيره، وأبغض الناس إليه من استغنى عنه وسأل غيره.

وما أحسن قول القائل:

لا تقصد المخلوق ربك أقرب ... ومن قصد المخلوق لاشك يتعب

لا تسألن بنى آدم حاجة ... وسل الذى أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وابن آدم حين يسأل يغضب

واعلم أن السؤال قسمان:

أحدهما: ما لم تجر العادة بجريانه على أيدى الخلق؛ كالهدى، والتوفيق، والفهم فى العلوم، وشفاء المريض، وحصول العافية من بلايا الدنيا والآخرة، والعفو، والرضا، ودخول الجنة؛ فلا يجوز أن يسأل إلا من الله.

وثانيهما: ما جرت عادة الله بجريانه على أيدى خلقه كالدراهم والدنانير، وحمل الشىء الثقيل، والزرع، والخياطة، والطبخ؛ فيسأل الله تعالى أن ييسره له، وأن يعطف عليه قلوب خلقه، ثم يسأل الخلق.

ويجوز للفقير أن يسأل من غيره بشروط ثلاثة: أن يكون عاجزاً عن الكسب، وألا يؤذى المسؤول، وألا يلح عليه، أى لايكرر سؤاله. وهو لمن يجد كفاية يوم وليلة؛ حرام؛ لخبر: «**من سأل شيئا وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم**». قالوا: وما يغنيه؟ قال: «**قدر يغديه ويعشيه**» (١).

وحكى أن سائلا أتى عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ فقال: أعطوه، ثم نظر فإذا

---

(١) أحمد (١/ ٤٤١) وأبو داود فى الزكاة (١٦٢٩).

تحت إبطه مخلاة مملوءة خبزاً، فقال: لست بسائل بل تاجر، ثم علاه بالدرة ضربا.

ويكره للغنى قبول الصدقة، وكذا سؤالها ولو بلسان الحال إن علم الدافع حاله، ولم يظهر الفاقة لأخذها، ولم يلح، ولم يؤذ نفسه ولا المسؤول، ولم يلجئه إلى الإعطاء، لحياء منه أو من غيره، وإلا حرم عليه، ووجب رد ما أخذه لخبر: «**من سأل أموال الناس تكثرا فإنما يسأل جمر جهنم، فليستقل منه أو ليستكثر**» (١).

وورد: «**لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة**» بكسر الميم وتشديد الراء، أى قوة «**سوى**» (٢) أى صحيح بحيث يقدر على الكسب.

وينبغى لمن سأل المخلوقين أن يراهم كالأرض التى جرى الماء عليها، فإنها لا تأثير لها فى إجرائه، فلا يميل بقلبه إليهم بل إلى الله عز وجل ـ ولا ينبغى للشخص أن يسأل الله تعالى أن يغنيه عن خلقه؛ لأن النبى ﷺ سمع عليا يقول: اللهم أغننا عن خلقك، فقال: «**لا تقل هكذا؛ فإن الخلق يحتاج بعضهم إلى بعض، ولكن قل: اللهم أغننا عن شرار خلقك**» قال: من هم؟ قال: «**الذين إذا أعطوا منوا، وإذا منعوا عابوا**»

وسمع عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ رجلا يقول: اللهم أغننى عن الناس، فقال: إياك أن تسأل الموت، قل: اللهم أغننى عن شرار الناس.

(**وإذا استعنت**) أى طلبت الإعانة طلبا نفسانيا بأن أردتها على أمر دنيوى أو أخروى (**فاستعن بالله**) أى اطلب الإعانة منه على ما تطلب؛ لأنه القادر على كل شىء، وغيره عاجز عن كل شىء، حتى عن جلب مصالح نفسه ودفع مضارها، فمن استعان بغير الله واستند إليه فهو مخذول، ولا يزال نازلا عن منازل العز والشرف، متباعدا عن مولاه. نعم إن كان مشهده أن إعانة الخلق له من الله؛ فاستعان بالله فى الباطن وبالخلق فى الظاهر؛ فلا يضره ذلك؛ لأن الله تعالى أجرى عادته بأنه يعين عبده بواسطة وغير واسطة.

---

(١) رواه مسلم فى الزكاة(١٠٤١) وأحمد (٢/ ٢٣١) وابن ماجة فى الزكاة (١٨٣٨).

(٢) أحمد (٢/ ١٩٢، ٣٨٩) وأبو داود فى الزكاة (١٦٣٤) والترمذى فى الزكاة (٦٥٢) وابن ماجة فى الزكاة (١٨٣٩).

فـعليك يا أخى بالذل والافـتقـار إلى الله؛ فـإنه الذى يغيـثك وينجـيك من الشدائد وإن أجمع كل الخلق على ضرك.

حكى عن ذى النون المصرى ـ رحمه الله تعـالى ـ أنه قال: كنت شابا فى لهو ولعب، فخرجت إلى بيت الله الحـرام، فركبت سفينة، وركب معنا أمـرد جميل، ففقد صـاحب المركب كيساً فيه جوهر فـفتش كل من فى المركب، فلما وصل إلى الأمرد ليفتشه وثب من المركب على أمـواج البحر وصارت له كالسرير، وقال: يا مولاى هؤلاء اتهمونى وإنى أقسم عليـك أن تأمر كل دابة فى هذا البحر أن تخرج رأسها وفى فـمها جوهرة، فمـا تم كلامه حتى رأينا دواب البحـر أمام المركب قد أخرجت رؤوسـها، وفي فم كل منها جـوهرة تلمع، ثم صار يتـبختـر على وجه الماء، ويقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحـة: ٥] حتى غـاب عن بصرى، فحملنى هذا على السياحة.

(واعلم أن) وفى نسخة «**بأن**» **(الأمة)** بضم الهمزة، والمراد بها: جميع الخلق ـ كما فى رواية أحمد ـ **(لو اجتمعت)** بالتأنيث مراعاة للفظ، والتذكير الآتى فى قوله: «**وإن اجتمـعوا**» لمراعاة المعنى. ولفظة «**لو**» بمعنى إن، أى إن اجتمعت أى اتفقت **(على أن ينفعوك بشىء)** من خيرى الدنيا والآخرة **(لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك)** أى أثبته فى اللوح المحفوظ، أو أراده وقدره فى الأزل **(وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضـروك إلا بشىء قد كتـبه الله عليك)** بالمعنى المتقدم. ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقوله تـعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ﴾ [الحديد: ٢٢] فإذا أراد أحد أن يضر غيره بما لم يكتب عليه؛ دفعه الله تعالى عنه.

كمـا حكى عن ذى النون المصرى ـ رحـمه الله تعالى ـ أنه قـال: كنت على شاطئ النيل فـرأيت عقربـا فأردت قتلهـا، فهربت وركـبت على ظهر ضفـدعة، فعامت بهـا حتى وصلت إلى الجانب الآخر، فنزلت عن ظهرها، فـوجدت رجلا نائما غريـقا فى سكره وقد أقبل إليـه ثعبان ليلدغه فـأسرعت إلى الثعبـان فلدغته

فتقطع، فأيقظت الرجل، فقام مرعوباً فأخبرته بذلك، فأطرق ثم قال: يا رب هكذا تفعل بمن عصاك فكيف بمن أطاعك! فوعزتك لا أعصيك أبدا.

وما أحسن ما قيل:

أفوض أمرى إلى خالقى   فحسبى إلهى، ونعم الوكيل
ولا أرجعن إلى غيره   فإن الإله لكل كفيل

ولا ينافى هذا قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام:
﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾[الشعراء: ١٤] ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾[طه: ٤٥] لأن الإنسان مأمور بالفرار من أسباب العطب والأذى إلى أسباب السلامة وإن لم يسلم بدليل قوله تعالى: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقول عمر - رضى الله تعالى عنه: «إنما نفر من قدر الله إلى قدر الله» وسبب قوله ذلك: أنه خرج إلى الشام ليتفقد أحوال الرعية، حتى إذا كان قريبا منه؛ لقيه أمراؤه أبو عبيدة وأصحابه، فأخبروه أن الطاعون قد وقع به، فأمر عمر - رضى الله تعالى عنه - من معه بالرجوع فقال له أبو عبيدة - رضى الله تعالى عنه -: أترجع فراراً من قدر الله؟ فقال له عمر رضى الله تعالى عنه: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة لأدنته، إنما نفر من قدر الله إلى قدر الله [1].

وقيل فى هذا المعنى:

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه   وليس عليه أن يساعده الدهر
فإن نال بالسعى المنى تم أمره   وإن عافه المقدور كان له أجر

(رفعت الأقلام) يعنى انتهت الكتابة بها فى اللوح المحفوظ. وجمع القلم للتعظيم، وإلا فهو واحد.

روى أن الله تعالى قال له: اكتب، قال: يارب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير

(١) البخارى فى الطب (٥٧٢٩) ومسلم فى السلام (٢٢١٩).

كل شيء، ما كان وما هو كائن إلى الأبد. وقيل: إن أول شيء كتبه القلم في اللوح المحفوظ: «بسم الله الرحمن الرحيم إنني أنا الله لا إله إلا أنا، محمد رسولي، من استسلم لقضائي وصبر على بلائي، وشكر نعمائي، ورضى بحكمي؛ كتبته صديقا، وحشرته يوم القيامة مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي، ولم يصبر على بلائي، ولم يشكر نعمائي، ولم يرض بحكمي؛ فليخرج من تحت سمائي، وليلتمس إلها سوائي».

(**وجفت**) بفتح الجيم وتشديد الفاء، أي يبست (**الصحف**) أي كتابتها، والمراد بها: اللوح المحفوظ، وجمع للتعظيم. والصحيح: وقوع المحو والإثبات فيه. وما أفاده قوله ﷺ: «**رفعت الأقلام وجفت الصحف**» من عدم التغيير والتبديل؛ محمول على أكثر الأمور، وهي الأمور المبرمة. وأما المعلقة فتمحى منه، ويكتب القلم بدلها على حسب ما في علم الله عز وجل ـ قال الله تعالى: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[الرعد: ٣٩] أي أصله، وهو علم الله القديم الأزلي الذي لا يغير منه شيء.

وأفاد الشعراني: أن اللوح المحفوظ لا يحصل فيه محو، وإن ألواح المحو والإثبات ثلاثمائة وستون لوحا، وهي في المرتبة دون اللوح المحفوظ. قال الله تعالى: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[الرعد: ٣٩] أي يذهب الحكم المعلق على شيء، ويُكتب بدله الحكم المبرم ﴿**وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[الرعد: ٣٩] أي أصله الذي لا يغير منه شيء، وهو اللوح المحفوظ.

(**رواه الترمذي**) في جامعه (**وقال:حسن صحيح**) وتقدم إيضاح ما يتعلق بالجمع بين اللفظين. وهو حديث عظيم وأصل كبير في رعاية حقوق الله، والتفويض لأمره، والتوكل عليه.

(**وفي رواية غير الترمذي**) وهو عبد بن حميد والإمام أحمد (**احفظ الله تجده أمامك**) بفتح الهمزة، وهو بالمعنى المتقدم في تجاهك (**تعرف إلى الله تعالى**) بتشديد الراء المفتوحة، أي تحبب إليه وتقرب من رحمته ورضاه بلزوم الطاعات، واجتناب المنهيات، والإنفاق في القربات، والشكر على ما أولاك وأعطاك (**في الرخاء**) بالمد. أي في زمن سعة الرزق وصحة البدن (**يعرفك**) بفتح المثناة التحتية

وكسر الراء وسكون الفاء، أى يجازيك (فى الشدة) أى فى زمن نزول المصائب والمكروهات بك، فيفرج عنك الهموم، ويكشف عنك الغموم، ويجعل لك من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا. كما وقع للثلاثة الذين أصابهم المطر؛ فآووا إلى غار فى جبل فانحدرت، أى سقطت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار. فقالوا: انظروا ماذا عملتم من الأعمال الصالحة فاسألوا الله بها فإنه ينجيكم فذكر كل واحد منهم سابقة عمل صالح سبق له مع ربه، فتوسل أحدهم ببره والديه، وقال: إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله عنهم فرجة حتى رأوا السماء. وتوسل الثانى بترك الزنا مع بنت عمه مع تمكنه وقال: إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ فافرج عنا فرجة، ففرج الله عنهم فرجة أخرى. وتوسل الثالث بكونه حفظ أجرة أجير كان غضب عليها، وهى مدّان من الأرز، فلم يزل يزرعهما حتى اشترى له منهما إبلا وبقراً وغنما، فمر به بعد مدة فدفعها له وقال: إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ فافرج عنا ما بقى. ففرج الله عنهم وخرجوا يمشون [١].

وأفرج بالوصل وضم الراء من الثلاثى، وضبطه بعضهم بهمزة وكسر الراء من الرباعى.

وروى عن أنس مرفوعاً: «**إن يونس عليه السلام لما دعا فى بطن الحوت قالت الملائكة: يارب هذا صوت معروف من بلاد غريبة، فقال الله عزوجل: أما تعرفون ذلك؟ قالوا: ومن هو؟ قال: عبدى يونس، قالوا: عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة؟ قال: نعم، قالوا: ياربنا أفلا ترحم من كان يصنع** - أى الأعمال الصالحة - **فى حال الرخاء فتنجيه من البلاء؟ قال: بلى. فأمر الله عز وجل الحوت فطرحه**» [٢].

وروى الشيخان أنه ﷺ قال: «**دعوة ذى النون إذ دعا بها وهو فى بطن الحوت: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** [الأنبياء: ٨٧] **لم يضرع بها رجل مسلم فى شىء قط إلا استجاب الله له**» [٣].

---

(١) البخارى فى البيوع (٢٢١٥) وفى الإجارة (٢٢٧٢) وفى الحرث والمزارعة (٢٣٣٣) ومسلم فى الذكر والدعاء (٢٧٤٣).

(٢) كنز العمال (٣٥٥٧٦) وعزاه لابن أبى الدنيا.

(٣) أحمد (١/ ١٧٠) والترمذى فى الدعوات (٣٥٠٥) ولم أقف عليه عند الشيخين.

وفى رواية للحاكم: «**إن من دعا بهـا فى مرضه أربعين مـرة فمات فى مـرضه ذلك؛ أعطى أجر شهيد وإن برأ برأ مغفورا له**» [(١)].

وفى رواية لابن عباس رضى الله تعالى عنهما: « **ما دعا بها مهموم ولا مغموم ولا مكروب ولا مديون ثلاث مرات إلا استجيب له**» [(٢)].

فائدة: يعرف بها رخاء العام من غيـره: نقلت عن سيدى أحمد زروق ـ نفعنا الله به ـ وقيل: إنها جربت فلم تخطئ، وهى منظومة فى قول بعضهم:

انظر لرابـع شـوال فـإن أحـداً أو سابـقيه فـرخص زائد وسـعه

أو أربعا أو خـميسـا فاللطيف لنا وبين بين باثـنين ومـا تـبعـه

(واعلم) أى تيقن وتحقق **(أن ما أخطأك)** أى جاوزك من نعمة ورخاء أو شدة وبلاء فلم يصل إليك **(لم يكن ليـصيـبك)** اللام لام الجحـود متعلقـة بمحذوف، والتقـدير: لم يكن مـقدرا عليك ليـصيـبك، أى لأن يصل إليك؛ لأنه بان بكونه أخطأك أنه غير مقدر عليك **(وما أصابك)** أى لحقك ووصل إليك من خير أو شر **(لم يكن ليخطئك)** أى يجاوزك ويفوتك؛ لأن بوصـوله إليك بان أنه مقدر عليك إذ لا يصيب الإنسـان إلا ما قدر له أو عليه. قـال الله تعالى: ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾ [التوبة: ٥١] فإذا علم الشخص ذلك؛ اسـتراحت نفسه وذهب حزنه على ما وقع من المكروه الماضى، ولم يهـتم لما يتوقعه فى المستقـبل. وقد قيل فى هذا المعنى:

سـيكون الـذى قـضى سـخط العـبـد أو رضى

فـدع الـهم يا فـتى كل هـم سـينقـضى

ويسن لمن أصيب بمصيـبة أن يقول: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾[البقرة: ١٥٦] اللهم احتسبت مصيبتى فأجرنى فيها وأبدلنى بها خيرا منها .

(واعلم أن النصر) من الله للعبد إنما يكون **(مع الصبر)** أى التأنى، والتسليم

---

(١) الحاكم (٢/ ٣٨٢، ٣٨٣) وصححه على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) كنز العمال (٣٤٢٨).

لقضاء الله تعالى، والانكسار. فمن صبر ولم يتسخط، بل رضى بحكم القضاء، واستعان بالله نصره الله تعالى، وأعانه، وبلغه مرامه.

وروى عن على ـ كرم الله تعالى وجهه ـ أنه قال: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. وقيل: إن الصبر على الطلب؛ عنوان الظفر، والصبر فى المحن؛ عنوان الفرج.

وحُكى أن الشبلى ـ رحمه الله تعالى ـ حبس فى المارستان [1] فدخل عليه جماعة، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: أحبابك جئنا زائرين لك، فأخذ يرميهم بالحجارة وهم يهربون، فقال لهم: لو كنتم أحبابى؛ لصبرتم على بلائى.

واعلم أنه لا يضر فى الصبر تمنى زوال الألم ولا مجرد الشكوى إذا صحت النية، كقول المريض: إنى وجع، أو: وارأساه. إذا اشتد به الألم، أو كان يصف حاله للطبيب، أو لغيره ليدعو له، أو ليعلمه الصبر، أو ليظهر بذلك عجزه وافتقاره إلى ربه، ومع ذلك فالسنة فى حقه ترك التضجر من المرض، ولا يكره له الأنين، لكن اشتغاله بذكر أو قرآن أولى منه.

وقال وهب بن منبه ـ رضى الله تعالى عنه ـ : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: أسرع الناس مروراً على الصراط الذين يرضون بحكمى وألسنتهم رطبة من ذكرى. وقال بعض السلف: الحياة الطيبة: هى الرضا والقناعة. وفى الخبر: « **إذا أحب الله عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه، وإن رضى اصطفاه**» [2].

وحكى: أن رجلا طلب من زوجته ماء؛ فجاءته به، فوجدته قد نام، فقامت عند رأسه إلى طلوع الفجر، فلما استيقظ ورآها عند رأسه أعجبه ذلك منها، فأراد إكرامها، فقالت له: طلقنى، فكره ذلك منها، فقالت له: إن أردت مكافأتى فطلقنى، فتركها، وانطلق فعثر فى الطريق فانكسرت رجله، فقالت له: ارجع فلا سبيل إلى طلاقك؛ لأنك حدثتنى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من يرد الله به خيرا يصب منه**» [3] ولك عندى كذا وكذا سنة لم يصبك ألم، فعلمت أن الله تعالى لا يحبك، فلما أصابك هذا علمت أن الله يحبك.

---

(١) المارستان: دار المرضى كما فى القاموس.

(٢) الديلمى (٩٧٦).

(٣) البخارى فى المرضى (٥٦٤٥) وأحمد (٢/ ٢٣٧) ومالك فى الموطأ فى العين ٢/ ٧١٨(٧).

وقيل: إن عمار بن ياسر ـ رحمه الله تعالى تزوج امرأة فلم تمرض ؛ فطلقها.

وقال القرطبي ـ رحـمة الله تعالى عليه ـ: أحب الله تعالى أن يبتلـى أصفياءه تكمـلا لفضـائلهم ورفـعة لدرجـاتهم. ولذا قـيل: من ظن أن شدة البـلاء هوان بالعـبد؛ فقـد ذهب لبه، أى عـقله، وعمي قلـبه، فقـد ابتلى من الأكـابر ما لا يحصى. ألا ترى إلى ذبح نبى الله يحيى بن زكريا ـ عليهـما السلام ـ وقتل عمر وعثمان وعلـى وابنه الحسين ـ رضى الله تعالى عنهم ـ وضرب أبى حنيفـة وحبسه وموته بالسجن، وضرب مالك وجذب يده حتى انخلعت من كتفه، وضرب أحمد حتى أغمى عليـه وقطع من لحمه وهو حى، وموت البويطى مسـجونا فى قيوده، ونفى البخارى من بلده.

وقال بعضهم:

بنى الله للأحـباب بيـتـا سمـاؤه همـوم وأحزان وحـيطانه الضـر

وأدخلـهم فـيـــه وأغلق بـابه وقال لهم: مـفتاح بابكم الصـبر

فائدة: اختلف العلماء: هل يثاب الشخص على نفس المصائب أو على الصبر عليها؟ فذهب الـشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمـه الله تعالى إلى أنه إنما يثاب على الصبر عليـها؛ لأن الثواب إنما يكون على فعل العـبد، والمصائب لا صنع له فيها.

وذهب الجمهور: إلى أنه يثـاب عليها. وهو المعتمد فى حـديث الصحيحين: **«والذى نفسى بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه؛ إلا حط الله عنه به خطاياه كما تحط الشجرة اليابسة ورقها»** [(١)].

وفى كلام سيدى أبى الحسن الشـاذلى ـ نفعنا الله تعالى به ـ :إن من أصيب وصبـر حصل له ثوابان: ثواب بنفس المصيـبة، وثواب بالصبـر عليها، فـإن انتفى صبره. فإن كان لعذر كجنون؛ فهو كذلك، أو لجزع؛ لم يحصل له ثواب الصبر.

(وإن الفـرج) بفتحتين وهو كشف الغم والهم **(مع الكرب)** بمعنى: أنه يعقبه

(١) البخارى فى المرضى (٥٦٤٨) ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٧١).

لا محالة لعدم دوامه لا سيما إذا اشتد، كما قيل:

إذا تم أمر بدا نقصه　　توقع زوالا إذا قيل: تم

فينبغى لمن أصابته شدة أن يصبر ويتوقع زوالها كما قال الشاعر:

توقع صنع ربك سوف يأتى　　بما تهواه من فرج قريب
ولا تيأس إذا ما ناب خطب [1]　　فكم فى الغيب من عجب عجيب

وقال غيره:

لا تجزعن إذا ما الأمر ضقت به　　ولا تبيتن إلا خالى البال
ما بين طرفة عين وانتباهتها　　يغير الله من حال إلى حال

وحكى أن رجلا ركب البحر فكسرت سفينته، فوقع فى جزيرة، فمكث ثلاثة أيام لم يأكل ولم يشرب، فتمثل وقال:

إذا شاب الغراب أتيت أهلى　　وصار القار [2] كاللبن الحليب.

فأجابه مجيب لم يره، فقال:

عسى الكرب الذى أمسيت فيه　　يكون وراءه فرج قريب

فجاءت سفينة فحملته وأصاب خيرا كثيرا.

وحكى أن الحجاج أمر بإحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه، فقال: أيها الأمير أخرنى إلى غد، قال: ويحك. وأى فرج فى تأخير يوم؟ ثم أمر برده إلى السجن، فسمعه يقول:

عسى فرج يأتى به الله إنه　　له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج: والله ما أخذه إلا من القرآن: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

وروى: أن مفتاح بيت المقدس كان عند سليمان بن داود عليهما السلام فقام ليلة ليفتح فتعسر عليه، فاستعان بالإنس فتعسر عليهم، فاستعان بالجن فتعسر

---

(١) ناب أى أصاب والخطب: الأمر الشديد.
(٢) القار: الزفت.

عليهم، فجلس حزينا كـئيبا ـ أى شديد الحزن فظن أن ربه قد منعه فتـحه، فبينما هو كذلـك إذ أقبل شيخ مـتكئ على عصـا له، وقد طعن فى السـن، وكان من جلساء داود عليـه الصلاة والسـلام، فقال: يا نبى الله مـا لى أراك حزينا؟ فـقال: قمت لهذا الباب أفتـحه ؛ فتعسر على، فاستـعنت بالإنس والجن فلم يُفتح، فقال الشيخ: ألا أعلمك كلمات كان أبوك يقولهن عند كربه، فيكشف عنه؟ قال: بلى، قال: قل« اللهم بنورك اهتـديت، وبفضلك استـغنيت، وبك أصبحت وأمـسيت، ذنوبى بين يديك، أستغفرك وأتوب إليك» فلما قالها فتح الباب.

وحكى: أن عاصم بن إسحاق قال: أصابتنى خـصاصة ـ أى فقر ـ فجئت إلى بعض إخوانى فأخبرته بأمرى، فـرأيت فى وجهه الكراهة، فخرجت من منزله إلى الجبانة، وصليت ما شاء الله، ثم وضعت وجهى على الأرض، وقلت: «يا مسبب الأسباب، يا فـاتح الأبواب، يا سامع الأصوات، يا مجـيب الدعوات، يا قاضى الحاجات، اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك» قال: فوالله ما رفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربـى، فرفعت رأسى، فإذا بحدأة طرحت كيسا أحمر، فإذا فيه ثمانون ديناراً وجوهرا ملفوفا فى قطنة، فبعت الجوهر بمال عظيم، واشتريت عقاراً، وحمدت الله تعالى على ذلك.

(وإن مع العـسر) أى الضيـق والشدة **(يسرا)** أى غنى وسـهولة. قـال الله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧] وعن أنس ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ قال: « **لو جاء العـسر فدخل هذا الجحـر لجاءه اليسـر حتى يدخل عليه؛ فيخرجه**»[١].

والتنوين فى (يسراً) للتـعظيم. كأنه قـال: وإن مع العـسر يسـرا عظيمـا. والمقصـود من المعية فى هذا كـاللذين قبله؛ المبالغـة فى معاقـبة أحدهمـا الآخر، واتصاله به حتى جعله كالمقارن.

وروى أن المصطفى ﷺ قال: «**لن يغلب عسر يسرين**» [٢] أى كما دل عليه

---

(١) الحاكم (٢/ ٢٥٥) وقـال: حديث عجيب غـير أن الشيـخين لم يحتجا بعـائذ بن شريح، وتعقـبه الذهبى بقوله: تفرد به حميد بن حماد عن عائذ وحميد منكر الحديث كعائذ.

(٢) ابن جرير (٣٠/ ١٥١) والحاكم (٢/ ٥٢٨) وقال الذهبى: مرسل والـبيهقى فى الشعب (١٠٠١٣) وانظر كشف الخـفاء (٢/ ١٩٥) فقـال العجلونى: رواه الحاكم والـبيهقـى فى الشعب مرسـلا عن الحسن ورواه الطبرانى عن معمر والعسكرى فى الأمثال وابن مردويه عن جابر بسند ضعيف.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] لأن النكرة المعادة غير الأولى، والمعرفة المعادة عين الأولى، غالبا فيهما. وما أحسن قول القائل - رحمه الله تعالى - :

لا تجزعن لعسرة من بعدها ... يسران وعدا ليس فيه خلاف

كم عسرة ضاق الفتى لنزولها ... لله في أعطافها ألطاف .

وقال آخر:

إذا لاح عسر فارج يسرا مسلسلا ... ولا تجزعن الدهر تزكو مفضلا

فإن المعز العدل قدما قد قضى ... بيسرين بعد العسر فينا تفضلا

وما ألطف قول غيره:

إذا اشتدت بك البلوى ... ففكر في ﴿ألم نشرح﴾

فعسر بين يسرين ... إذا فكرته فافرح

وحكى عن بعضهم أنه قال: كنت ذات يوم في بادية وأنا بحالة من الغم، فألقى في روعي - بضم الراء - أي قلبي، بيت من الشعر:

أرى الموت لمن أصبح ... مغموما؛ له أروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا في الهواء يقول:

ألا يا أيها المرء ... الذي الهم به برح

وقد أنشد بيتا لم ... يزل في فكره يسنح

إذا اشتدت بك البلوى ... ففكر في ﴿ألم نشرح﴾

فعسر بين يسرين ... ذا فكرته فافرح

فإن العسر مقرون ... بيسرين. فلا تترح

فحفظتها ففرج الهم عني، اللهم فرج همومنا يا كريم.

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ حفظ الله يعنى تطبيق شرعه وتطبيق كتابه واجتناب نواهيه.

٢ ـ عـدم السؤال والاسـتعـانة إلا إلى الله تعالى فـسؤال الله والاسـتعـانة به من التوحيد.

٣ ـ التقرب إلى الله بعمل الطاعات وترك المحرمات.

٤ ـ الحرص على تعليم الأبناء وتثقيفهم مع مـراعاة كل مرحلة من مراحل حياتهم التى يمرون بها وقدرة استيعابهم فيها.

٥ ـ تعويد الأبناء على روح المراقبة منذ نعومة أظافرهم.

٦ ـ تعليم الأولاد أن القادر والغنى هو الله وحده وبيده الخير كله.

٧ ـ تعويد الأبناء على عدم الخوف إلا من الله تعالى.

٨ ـ الأمل فى نصر الله وأن النصر قريب وأن مع العسر يسرا.

٩ ـ عدم الرياء ولابد من الإنفاق فى أوجه الخير.

الحديث العشرون

الحياء من الإيمان

٢٠ ـ عن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت» رواه البخارى (١).

الشرح والبيان

وفى نسخة: الحديث الموفى عشرين (**عن ابن مسعود عقبة**) بضم العين وسكون القاف (**ابن عمرو الأنصارى**) نسبة إلى الأنصار ـ وهم الأوس والخزرج ـ سموا أنصاراً؛ لأنهم نصروا رسول الله ﷺ (**البدرى**) نسبة إلى بدر. محل الوقعة المشهورة التى هى أول وقعة، قاتل النبى ﷺ فيها المشركين. وقد حضرها عقبة كما ذهب إليه البخارى ومسلم. وكان عدد أهلها ـ رضى الله تعالى عنهم ـ ثلاثمائة وثلاثة عشر ـ على الصحيح ـ بشرهم المصطفى ﷺ بالجنة، وقاتلت معهم الملائكة، ودعت لم بالمغفرة. وذكر العلماء: أن الدعاء عند ذكرهم مستجاب، وقد جرب ذلك.

حكى عن بعضهم أنه قال: كتبت أسماءهم وحفظتها، وكنت أسأل الله بهم الفتح عقب كل صلاة، فلم يمض علىّ إلا أيام قلائل حتى رزقنى الله الفتح، فما كنت أسمع شيئاً إلا حفظته، ولا نظرت شيئاً إلا فهمته، ولا جعلت يدى على رأس مريض وتلوت أسماءهم بنية خالصة إلا شفاه الله تعالى، وإن حضر أجله خفف عنه.

وذهب الجمهورُ إلى أن عقبة المذكور لم يشهد هذه الوقعة، وإنما نُسب إلى بدر؛ لأنه سكنها، ونزل الكوفة وابتنى بها داراً، واستُخْلف عليها، وكان يقول: بينما أنا أضربُ غلاماً لى فسمعت صوتاً من خلفى: «**اعلم أبا مسعود**» مرتين،

---

(١) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٤٨٣، ٣٤٨٤) وفى الأدب (٦١٢٠) وفى الأدب المفرد (٦١٠) وأبو داود فى الأدب (٤٧٩٧) وابن ماجة فى الزهد (٤١٨٣) وأحمد (٤/ ١٢١، ١٢٢) وأبو داود الطيالسى (٦٢١) وأبو نعيم فى الحلية (٤/ ٣٧٠).

فالتفتُّ فإذا رسول الله ﷺ فألقيتُ السوط، فقال: « **والله لله أقدر عليك منك على هذا**» وفى رواية: فالتفتُ فإذا رسولُ الله ﷺ فقال: « **اعلم يا أبا مسعود إن الله أقدرُ عليك منك على هذا الغلام**»

فقلت: هو حرّ لوجه الله، قال: «**أما لم تفعل للفحتك النار**»[1]. أى أحرقتك.

توفى بالمدينة، وقيل بالكوفة، سنة إحدى أو اثنين وأربعين. وروى له مائة حديث وحديثان.

(**رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن مما أدرك الناس**) الجار والمجرور خبر إن، واسمها قوله الآتى: «**إذا لم تستح**» إلخ. على تقدير القول، أى قولهم: إذا لم تستح، أو على إرادة اللفظ أى هذا اللفظ. ويصح أن تجعل من تبعيضية وتكون اسم إن، أى إن بعض ما أدرك، وجملة «**إذا لم تستح**» إلخ هى الخبر . والناس بالرفع كما هو الرواية فاعل أدرك والعائد على«ما» محذوف، والتقدير: إن مما أدركه الناس، أى بلغهم وأحاطوا به، وبين ذلك بقوله (**من كلام النبوة الأولى**) أى من كلام أصحابها، فهو على حذف مضاف. والمراد بالنبوة الأولى النبوة السالفة قبل نبينا ﷺ، لأنه جاء فى شريعة آدم واتفقت عليه الأنبياء بعده إلى أن أدركناه فى شريعتنا فلم ينسخ فى شريعة من الشرائع لأنه أمر قد علم صوابه وظهر فضله واتفقت على حسنه العقول، وتلقته جميع الأمم بالقبول.

(**إذا لم تستح**) بحذف الياء للجازم مع كسر الحاء مخففة وبإثبات الساء مكسورة مع سكون الحاء، ويكون الجازم حذف الياء الثانية؛ لأنه من استحيا وهو الرواية كما قيل، فالأول من استحى.

(**فاصنع**) وفى رواية «فافعل» (**ما شئت**) أى أردت. وقد اختلف العلماء في معنى ذلك، فقال بعضهم: إن هذا الأمر للتهديد والتوبيخ، والمعنى: إذا نزع منك الحياء وكنت لا تستحى من الله ولا تراقبه؛ فاصنع ما تهواه نفسك من الرذائل؛

---

(١) رواه مسلم فى الأيمان (١٦٥٩).

فإن الله تعالى يجازيك عليه. وقيل: إنه أمر ومعناه الخبر، فكأنه قال: إذا لم تستح فعلت ما شئت حتى تقع فى كل فحش ومنكر؛ لأن عدم الحياء يُوجب الاستهتار والانهماك في هتك الأستار.

قال بعضهم:

إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستح فافعل ما تشاء

فلا والله ما فى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء.

وقال آخر:

إذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقا وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

وقيل: إن هذا الأمر للجواز، والمعنى: انظر إلى ما تريد أن تفعله. فإن كان مما لا يستحى من الله ومن الناس فى فعله لكونه من أفعال الطاعات، أو من جميل الأخلاق والآداب المستحسنة؛ فاصنع منه ما شئت. وإن كان مما يستحى من الله ومن الناس فعله فدعه.

قيل: وعلى هذا مدار الأحكام من حيث إن الفعل إما أن يستحى منه - وهو الحرام والمكروه وخلاف الأولى - وفعل ذلك مذموم. أو لا يستحى منه - وهو الواجب والمندوب والمباح - وفعل الأولين مشروع، والثالث سائغ، أى جائز.

والحياء لغة: انقباض وخشية يجهدها الإنسان من نفسه عندما يطلع منه على قبيح.

واصطلاحا: خلق يبعث على ترك القبيح وفعل المليح، وهذا هو الممدوح الآتى فى كلامه ﷺ كقوله: «**الحياء خير كله**»[1]. «**الحياء لا يأتى إلا بخير**»[2]. وأما الخجل والعجز الذى يوجب التقصير فى شىء من حقوق الله تعالى أو حقوق عباده؛ فهو مذموم، وليس من الحياء فى الحقيقة، بل هو جبن ومهانة، وإطلاق الحياء عليه مجاز لمشابهته له. ولذلك قيل فى حديث: «**إن ديننا**

(١) مسلم فى الإيمان (٣٧) وأبو داود فى الأدب (٤٧٩٦).
(٢) البخارى فى الأدب (٦١١٧) ومسلم فى الإيمان (٣٧).

هذا لا يصلح لمستحى» أى حياء مذموما يضره فى دينه، كأن يؤدى إلى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أو فى دنياه كأنه يأتيه من يطلب منه قرضا وهو يعلم سوء معاملتـه، أو من يستعير منه وهو يعلم أنه لا يرفق بها، فيـحمله الحياء على الإعطاء وعدم المنع؛ فيندم بعد ذلك.

ومثل ما ذكر الحياء فى العلم المانع مـن سؤاله عن مهمات المسائل فى الدين، إذا أشكلت عليه فهو مذموم، ولذا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء عن أمر دينهن[1].

وجاء فى الصحيحين أن أم سليم رضـى الله تعالى عنها جاءت إلى رسول الله ﷺ فقـالت: إن الله لا يستحى من الحق، هل على المرأة من غـسل إذا هى احتلمت؟ قال: «**نعم إذا رأت الماء**»[2]. يعنى: المنى. فلم تستح من السؤال عن دينها.

واعلم أن أقل الحـياء من الله هـو ألا يراك حيث نهـاك، ولا يفـقدك حـيث أمرك. وكماله: ألا تريد بقلبك سواه. وروى أنه ﷺ قال لأصحابه: «**استحيوا من الله حق الحياء**» وردد ذلك مرارا، قـالوا: إنا لنستحيى يا نبى الله والحـمد لله، فقال: «**ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حـوى، وأن تذكر الموت والبلى فمن فـعل ذلك؛ فقد استـحيى من الله حق الحياء**» وما زال يكرر ذلك حتى أبكاهم.[3].

وفى الحـديث: «**أربع مـن سنن المرسلـين: التـعطر والنـكاح والسـواك والحياء**»[4].

وقال الفـضيل رحمه الله تعـالى: خمسة من عـلامات الشقاء: القـسوة فى القلب، وجمود العين ـ أى قلة دمعها من خشـية الله تعالى ـ وقلة الحياء، والرغبة فى الدنيا، وطول الأمل.

---

(١) مسلم فى الحيض (٣٣٢).

(٢) البخارى فى العلم (١٣٠) وفى الغسل (٢٨٢) ومسلم فى الحيض (٣١٣).

(٣) أحمـد (١/ ٣٨٧) والترمذى فى صفـة القيامة (٢٤٥٨) والحـاكم (٤/ ٣٢٣) وصححه ووافـقه الذهبى، والبيهقى فى الشعب (٧٧٣٠، ١٠٥٦١)

(٤) أحمد (٥/ ٤٢١) والترمذى فى النكاح (١٠٨٠) وقال: حديث حسن غريب.

وروى عن عمـر - رضى الله تعالى عنه - أنه دخل على رسـول الله ﷺ فوجـده يبكى، فقـال: ما يبكيك يا رسـول الله ؟ قال: «**أخبـرنى جبـريل أن الله يستحى من عبد يشيب فى الإسلام أن يعـذبه، أفلا يستحى الشيخ من الله تعالى أن يذنب وقد شاب فى الإسلام**»؟[1].

وروى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: خـرج رسول الله ﷺ يوما إلى غنم له وفيـها أجير له يرعاها، وإذا بالأجـير متجـرد فيها، أى من ثيـابه، فدعاه رسول الله ﷺ فقال له: « **كم لك عندنا من أجرك؟** » فقـال: يا رسول الله ألم أحسن الرعاية والولاية؟ قال: «**إنى لا أحب أن يكون فيها من لا يستحى من الله عز وجل إذا خلا**».

وقيل: إن من علامات الحياء أن لا يخاف الشخص غير الله، كما حكى: أن إنسانا خرج ليلة، فمر برجل نائم وفرسه عند رأسه ترعى؛ فحركه، وقال له: ألا تخاف أن تنام فى هذا الموضع المخوف؟ فرفع رأسه، وقال: أستحى منه أن أخاف غيره، ووضع رأسه ونام.

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم عليه مدار الإسلام.

(رواه البخارى) رحمـه الله تعالى فى ذكر بنى إسـرائيل، إلا اللفظة الأولى فإنها ليست فى روايته، وإن كان ظاهر كلام المصنف خلافه، حيث نسبه كله لها، وهذه اللفظة ثابتـة فى رواية أحمد وأبى داود وابن مـاجة عن الصحـابى المذكور، وكذا فى رواية شعبة رحمه الله تعالى.

حكى: أن بعضهم سافر إليه ليسمع منه وكـان فى البصرة فصادفه قد انصرف من مجلسه، فـسأل عن منزله؛ فدل عليه فوجـده مفتوحا، فـدخله من غير إذن، فوجد شـعبة جالسا يبـول فقال له: السلام عليكم رجل غـريب، قدمت من بلدة بعيـدة لتحدثنى بحـديث رسول الله ﷺ ، فاستـعظم ذلك شعبـة وقال: يا هذا دخلت منزلى بغير إذنى، وتكلمنى على مثل هذا الحـال؟ فقال إنى خشيت الفوت - أى الموت - فقال: تأخـر عنى حتى أصلح من شأنى، فلم يفعل ، واسـتمر فى

---

(١) أبو نعيم فى الحلية (٢/ ٣٨٦، ٣٨٧) عن أنس بن مالك.

الإلحاح، وشعبة يخاطبه وذكره فى يده يستبرئ، فلما أكثر قال: اكتب: حدثنا منصور بن المعتمر، عن ربعى بن حراش - بكسر الراء والحاء وسكون الباء - عن أبى مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح؛ فاصنع ما شئت**» ثم قال: والله لا أحدثك بعد هذا الحديث، ولا أحدث قوما تكون فيهم.

الدروس المستفادة من الحديث

١- شرع ما قبلنا شرع لنا إلا إذا وجد فى شرعنا ما يخالفه.

٢ - الشريعة الإسلامية ليست هي أولى الشرائع ولم تخالف الشرائع فى المصدر لأن المشرع واحد وهو الله تعالى.

٣ - الحياء من الإيمان.

٤ - ليس من الحياء أن يقر المسلم بالمنكر ويتغاضى عنه.

٥ - ليس الحياء هو الإحجام عن الكلام لو كان الكلام لإظهار الحق وإبطال الباطل فهذا مفهوم خاطئ حيث إن رسول الله كان أشد حياء من العذراء فى خدرها وما ترك النهى عن المنكر طوال حياته.

الحديث الحادى والعشرون

الاستقامة لب الإسلام

٢١ ـ عن أبى عمرو، وقيـل: أبى عمرة، سفيان بن عبـد الله الثقفى ـ رضى الله تعالى عنـه ـ قال: قلت: يا رسول الله؛ قل لى فى الإسـلام قولا لا أسـأل عنه أحدا غيرك، قال: « قل آمنت بالله ثم استقم» رواه مسلم[١].

الشرح والبيان

(**عن أبى عـمرو**) بالواو (**وقيل أبى عـمرة**) بالهاء (**سفـيان**) بتثليث السين والضم أشهر، وهو الرواية (**ابن عبد الله الثقفى**) نسبة لثقيف قبيلة مشهورة، ويقال له: الطائفى؛ لأنه مـعدود من أهل الطائف بـلدة معـروفة (**رضى الله تعالى عنه**) استعمله عمر رضى الله تعالى عنه على صدقات الطائف.

ومروياته خمسة أحاديث، روى مـسلم منها حديثا واحدا، وهو قول المصنف (**قال:قلت: يا رسول الله قل لى فى الإسلام**) أى فى دينه وشريعته (**قولا**) أى لفظا جامعا لأموره كافـيا واضحا، بحيث (**لا أسأل عنه أحدا غيرك**) أى لا أحتاج فيه إلى سؤال أحد غيرك، لما اشتمل عليه من بدائع الإحاطة والشمول ونهاية الإيضاح والظهور.

(**قال**) رسول الله ﷺ (**قل**) أى يا سفيان (**آمنت بالله**) أى جدد إيمانك به حال كونك ذاكرا بلسانك، ومـتذكرا بجنابك أى قلبك. وقيل: إن المعنى: دم على إيمانك بالله. وقيل معناه: زد فى إيمانك بالله بالتفكر فى مصنوعاته.

(**ثم استـقم**) على فـعل المأمورات واجـتناب المنهـيات. وغـاية الاستـقامـة ونهايتها: أن لا يلتفت العبد إلى غير الله تعالى ـ ولذا قيل: لا يطيق الاستقامة إلا الأكابر؛ لأنها لا تحصل إلا بالخروج عن المألوفات، ومـفارقة العادات، والقيام بين يدى الله تعالى على حقيقة الصدق. وقيل: هى توبة بلا إصرار، وعمل بلا فتور، وإخلاص بـلا التفات، ويـقين بلا تردد، وتفويض بلا تدبيـر، وتوكل بلا وهم. وقيل: هى المتابعة لـلسنة المحمدية مع التخلق بالأخلاق المرضيـة. وقيل إنها درجة

---

(١) مـسلم فى الإيمان (٣٨/ ٦٢) والتـرمـذى فى الزهد (٢٤١٠) وابن مـاجـة فى الفتن (٣٩٧٢) وأحـمـد (٣/ ٤١٣) وأبو داود الطيالسى (١٢٣١) والطبرانى فى الكبير (٧/ ٦٣٩٨) والحاكم(٤/ ٣١٣).

بها كمال الأمور وتمامها. وبوجودها حصول الخيرات ونظامها. ومن لم يكن مستقيما ضاع سعيه وخاب جده. ومن ثم قيل: الاستقامة خير من ألف كرامة وما أكرم الله تعالى عبدا بكرامة خير من الاستقامة، فكن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة، إذ ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة. ألا ترى أنه لم ينقل عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم إلا القليل من الكرامات، ونقل عن غيرهم من المتأخرين أكثر من ذلك، مع أن الصحابة كانوا فى أعلى درجات الاستقامة، فعلم من ذلك أن ظهور الكرامة وإن دل على الاستقامة لا يدل على كمالها.

قال سيدى أبو العباس المرسى ـ نفعنا الله تعالى به ـ: ليس الشأن فيمن تطوى له الأرض فإذا هو بمكة وغيرها من البلدان، إنما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه، فإنما هو عبد عند ربه. وذكر عند سهل بن عبد الله الكرامات فقال: وما الكرامات؟ هى أشياء تنقضى لوقتها، ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك بخلق محمود. وقيل: إن ظهور الكرامة لا يدل على أفضلية صاحبها بل على فضله، وإنما الأفضلية تكون بقوة الإيمان، وكمال العرفان، وتسليم الأمور للملك الديان، واستعمال الجوارح فى خدمته، مع الأدب معه ولزوم خشيته.

وممن كان على هذه الحالة سيدنا سعيد بن جبير ـ رضى الله تعالى عنه ونفعنا به ـ حكى: أن الحجاج بن يوسف ـ عامله الله بما يستحقه ـ لما بلغه أمر هذا السيد أرسل إليه قائدا يسمى المتلمس بن الأحوص، ومعه عشرون رجلا من أهل الشام من خاصة أصحابه، فبينما هم يطلبونه إذا هم براهب فى صومعة له فسألوه عنه، فقال لهم: صفوه لى فوصفوه له فدلهم عليه، فانطلقوا فوجدوه ساجدا يناجى بأعلى صوته، فدنوا منه، فسلموا عليه، فرفع رأسه فأتم بقية صلاته، ثم رد عليهم السلام. فقالوا له: أرسلنا الحجاج إليك؛ فأجبه. قال: ولا بد من الإجابة؟ قالوا: لابد، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قام فمشى معهم حتى انتهى إلى دير الراهب، فقال الراهب: يا معشر الفرسان أصبتم صاحبكم. قالوا: نعم، فقال لهم: اصعدوا الدير. فإن اللبوة[1] والأسد يأويان

---

(١) اللبوة: أنثى الأسد.

حول الدير، فعجلوا الدخول قبل المساء، ففعلوا ذلك، وأبى سعيد أن يدخل الدير، فقالوا له: ما نراك إلا تريد الهرب منا، قال: لا ولكن لا أدخل منزل مشرك أبدا، قالوا: فإنا لا ندعك، أى نتركك، فإن السباع تقتلك، قال سعيد: إن معى ربى يصرفها عنى ويجعلها حرسا حولى تحرسنى من كل سوء - إن شاء الله تعالى - قالوا: أفأنت من الأنبياء ؟ قال: ما أنا من الأنبياء، ولكنى عبد من عبيد الله خاطئ مذنب، فقالوا: احلف لنا أنك لا تبرح - أى لا تفارق - هذا المكان، فحلف لهم وعند ذلك قال لهم الراهب: اصعدوا الدير وأوتروا القسى لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح؛ فإنه كره الدخول على فى الصومعة، فدخلوا وأوتروا القسى، فإذا هم باللبوة قد أقبلت، فلما دنت من سعيد تمسحت به، ثم ربضت، أى بركت، قريبا منه، وأقبل الأسد؛ فصنع مثل ذلك فلما رأى الراهب ذلك وأصبحوا نزل إليه فسأله عن شرائع دينه وسنن رسوله ﷺ، ففسر له سعيد ذلك كله. فأسلم الراهب، وحسن إسلامه. وأقبل القوم إلى سعيد يعتذرون ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب الذى وطئه بالليل - أى داسه برجله - ويصلون عليه، ويقولون: يا سعيد حلفنا الحجاج بالطلاق والعتاق إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك - أى نذهب بك إليه - فمرنا بما شئت، فقال: امضوا لشأنكم، فإنى لائذ بخالقى أى ملتجئ إليه - ولا راد لقضائه.

فساروا حتى وصلوا إلى "واسط"، بلدة اختطها الحجاج، فلما انتهوا إليها قال لهم سعيد: يا معشر القوم قد تحرمت، أى تمتعت بكم وصحبتكم، ولست أشك أن أجلى قد حضر، وإن المدة قد انقضت، فدعونى الليلة آخذ أهبة الموت، وأستعد لمنكر ونكير، وأذكر عذاب القبر وما يحثى على من التراب، فإذا أصبحتم فالميعاد بينى وبينكم؛ المكان الذى تريدون، فقال بعضهم: ما نريد أثرا بعد عين، وقال بعضهم: قد بلغتم أملكم فلا تعجزوا عنه، وقال بعضهم هو على أدفعه إليكم إن شاء الله تعالى.

فنظروا إلى سعيد وقد دمعت عيناه وتغير لونه ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه وصحبوه فقالوا بأجمعهم: يا خير أهل الأرض ليتنا لم نعرفك ولم نرسل إليك. الويل لنا، كيف أتينا بك اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر؛

فإنه القاضى الأكبر والعدل الذى لا يجور، وقال كفيله: أسألك بالله يا سعيد إلاما زودتنا من دعائك وكلامك؛ فإنا لم نلق مثلك أبدا ، فدعا لهم سعيد فخلوا سبيله، فلما أصبح جاءهم فقرع الباب، فقالوا: من بالباب؟ فقال: صاحبكم ورب الكعبة، فنزلوا إليه وبكوا معه طويلا.

ثم ذهبوا به إلى الحجاج، فدخل عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد ابن جبير، فلما انتصب قائما بين يديه قال له: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير. قال: أنت شقى بن كسير. قال: أمى كانت أعلم باسمى منك. قال: شقيت أنت وشقيت أمك. قال: الغيب يعلمه غيرك. ثم قال له الحجاج: لأبدلنك بالدنيا نار لظى. قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها. قال: فما قولك فى محمد ؟ قال: نبى الرحمة. قال: فما قولك فى على هل هو فى الجنة أم فى النار؟ قال: لو دخلتهما وعرفت أهلهما عرفت من فيهما. قال: فما قولك فى الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: فأيهم أعجب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقى. قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم. قال: فما بالك لا تضحك؟ قال: أيضحك مخلوق خلق من الطين، والطين تأكله النار؟ قال: فمابالنا نضحك؟ قال: لم تستو القلوب. ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضع بين يدى سعيد، فقال له سعيد: إن كنت جمعت هذا لتفتدى به من فزع يوم القيامة؛ فصالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير فى شىء جمع من الدنيا إلا ما طاب وزكا.

ثم دعا الحجاج بآلات اللهو، فبكى سعيد، فقال الحجاج: ويلك يا سعيد أى قتلة تريد أن أقتلك؟ قال: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله لا تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة.

قال: أفتريد أن أعفو عنك؟ قال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا. قال: اذهبوا به؛ فاقتلوه.

فلما خرج من الباب؛ ضحك، فأُخبر الحجاج بذلك؛ فأمر بردّه، فقال: ما أضحكك؟ قال: عجبتُ من جراءتك على الله، وحلم الله عليك.

فأمر بالنّطع فبُسط بين يديه، وقال: اقتلوه، فقال سعيد: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

قال: وجِّهوه لغير القبلة. قال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. فقال: كبّوه لوجهه. فقال سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] فقال الحجاج: اذبحوه. فقال سعيد: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. ثم قال: اللهم لا تُسلّطه على أحد يقتله بعدى. فَذُبح على النّطع، وهو بساطٌ من جِلْد، فكانت رأسه بعد قطعها تقول: لا إله إلا الله!. وعاش الحجاجُ بعد قَتْله خمسة عشر يوماً، وذلك فى سنة خمس وتسعين. وكان عمر سعيد؛ تسعاً وأربعين سنة - رحمه الله تعالى ورضى عنه -.

ثم إنَّ هذا الحديث موقعه عظيم، وهو من بديع جوامع كلمه ﷺ، فإنه جَمَع لهذا السائل فى هاتين الجملتين جميع معانى الإسلام؛ لأنّه توحيدٌ وطاعةٌ، فالتوحيدُ حاصل بالجملة الأولى، والطاعة بجميع أنواعها فى ضمن الجملة الثانية. فيصحّ أن يقال فيه: إنه كلّ الإسلام.

(رواه مسلم) - رحمه الله تعالى - وزاد الترمذى فيه زيادة مهمة، وهى: قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخافُ علىّ؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هذا»

وفيه تنبيهٌ على أنَّ أعظمَ ما يراعى استقامته بعد القلب؛ اللسان؛ فإنه ترجمان القلب.

ورُوى عن أبى سعيد الخدرى مرفوعاً: «**إذا أصبحَ ابنُ آدم قالت الأعضاء لِلّسان: اتّق الله فينا؛ فإنك إن استقمتَ استقمنا، وإن اعوججتَ اعوججنا**»(١).

---

(١) أحمد (٣/٩٥، ٩٦) والترمذى فى الزهد (٢٤٠٧) وأبو نعيم فى الحلية (٤/٣٠٨).

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ الإيمان الصحيح يقتضى الاستقامة فى توحيد الله واعتقاد النفع والضر فيه.

٢ ـ سلامة التفكير تكمن فى اتباع المنهج الربانى .

٣ ـ خير الكلام ما قَلَّ ودَلَّ.

٤ ـ كثرة الكلام قد تجعل الحديث عقيما ويستعصى على الأذهان فهمه.

٥ ـ الاستقامة متوقفـة على ما أمر به الله كما قال تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

الحديث الثانى والعشرون

الطريق إلى الجنة

٢٢ ـ عن أبى عبد الله جابر بن عبد الله الأنصارى ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أن رجلا سأل رسول الله ﷺ فقال: أرأيت إذا صليت الصلوات المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك أأدخل الجنة؟ قال: «نعم». رواه مسلم[١].

ومعنى: حرمت الحرام: اجتنبته. ومعنى: أحللت الحلال: فعلته معتقدا حله.

الشرح والبيان

(عن أبى عبد الله) وقيل: أبى عبد الرحمن، وقيل أبى محمد **(جابر بن عبدالله الأنصارى رضى الله تعالى عنهما)** وقد كانا من أكابر الصحابة، واستشهد عبد الله هذا بأحد، وقال النبى ﷺ لابنه جابر: **«أى بنى ألا أبشرك أن الله عز وجل أحيا أباك فقال: تمن، فقال: أتمنى يارب أن تعيد روحى وتردنى إلى الدنيا حتى أقتل مرة أخرى، قال: إنى قضيت أنهم إليها لا يرجعون»**[٢].

وكان عليه دين وترك حائطا ـ أى بستانا ـ فبذل جابر لغرمائه جميع ثماره فلم يقبلوه ولا رضوا بالإمهال، ولم يكن فى ثماره كفاية دينهم فذكر ذلك للنبى ﷺ، فأمر بجذها ـ أى قطعها ـ وجعل كل صنف على حدة ـ أى وحده ـ ثم طاف ﷺ بها وأمره أن يكيل من واحد منها؛ فوفى الدين وفضل بعده آصع كثيرة.

وفى رواية: وفضل مثل ما كانوا يجذون كل سنة. وفى أخرى: مثل ما أعطاهم ـ وكانوا من اليهود ـ فعجبوا من ذلك، واستغفر النبى ﷺ لجابر ـ رضى الله عنه ـ فى ليلة واحدة سبعا وعشرين مرة فى قضاء دين أبيه. فقال: **«يا جابر قضيت دين أبيك غفر الله لك»**[٣]. وهكذا.

---

(١) مسلم فى الإيمان (١٥/١٦ ـ ١٨) وأحمد (٣٤٨/٣) وأبو يعلى (١٩٣٦).

(٢) رواه بنحوه أحمد (٣٦١/٣) والترمذى فى التفسير (٣٠١٠) وأبو يعلى (١٩٩٨) وابن ماجة فى المقدمة (١٩٠) وفى الجهاد (٢٨٠٠) والحاكم (٢٠٤/٣) والبيهقى فى الدلائل (٢٩٨/٣، ٢٩٩) وابن هشام فى السيرة (٥٧/٣) والإسماعيلى فى معجم شيوخه (٢٩٧).

(٣) البخارى فى المناقب (٣٥٨٠) بنحوه.

وعمـى آخر عمـره، وتوفى بالمدينة سنة ثلاث أو ثمـان وسبـعين، عن أربع وتسعين سنة، وصلى عليه أبان بن عـثمان بن عفان. وكان من الحـفاظ المكثرين فى الرواية.

روى له ألف وخمسمائة حديث وأربعون حديثا، منها ما ذكره المصنف عنه، وهو **(أن رجلا)** اسمه النعمان بن قوقل بقافين مفـتوحتين بينهما واو ساكنة وآخره لام ـ وكان له صحـبة وشهد بدراً وقـتل بأحد شهيـدا رضى **الله** تعالى عنه، وهو القـائل فى هذه الوقعـة: أقسـمت عليك رب العزة لا تغـيب الشمس حـتى أطأ بعرجـتى هذه خضراء الجنة، فـقال النبى ﷺ: «**إن النعمـان ظن بالله عز وجل خيراً فوجده عند ظنه، فلقد رأيته يطأ فى خضرائها ما به عرج**»[1].

(سأل رسول الله) وفى نسخة **(النبى ﷺ فقال)** له **(أرأيت)** الاستفـهام هنا بمعنى الاستخبار، ورأيت بمعنى علمت، أى أخبرنى بما تعلمه وتتيقنه من أمرى **(إذا صليت المكتـوبات)** أى المفـروضات، وهى الصلوات الخـمس **(وصمت)** شهـر **(رمضـان وأحللت الحلال)** أى اعتقـدت حله وفعلت الواجب منه بقرينة الـسياق **(وحرمت الحرام)** أى اعتقدت حـرمته وامتنعت منه **(ولم أزد على ذلك)** المذكور **(شيئا)** من الطاعات ولم يذكر الزكاة والحج إما لعدم فرضـهما حينئذ، وإما لعدم مخـاطبتـه بهما بسـبب فقـد النصاب والاستطـاعة، وإما لدخـولهمـا تحت قوله: «**وحرمت الحرام**»، لأن ترك الفرائض من جملة المحـرمات، وعلى هذا يقال: إنما ذكر الصلاة والصوم وإن كانا داخلين أيضا اهتماما بهما.

وقوله: **(أدخل الجنة)**؟ همزة الاستفهام فيه مقدرة، أى: أأدخل الجنة؟ والمراد من غير سبق عذاب **(قال: نعم)** أى تدخلها كذلك، أعنى من غـير سبق عذاب. كمـا هو ظاهر السيـاق؛ لأن مطلق دخولهـا إنما يتوقف على الإيمان، فـمن مات مؤمنا قطع له بـدخولها، ثم إنه إن كـان سالما من المعاصى كطفـل ومجنون اتصل جنونه بالبلوغ، وتائب توبة صحيحة، وموفق ما ألم بمعصية قط ـ أى ما فعلها أبدا ـ فلا يدخل النار أصلا، لكنه يردها، بمعنى أنه يمر على الصراط وهو منصوب على

---

(١) الإصابة (٣/ ٥٦٤).

ظهرها. وإن كان عمل كبيرة ومات بغير توبة فهو تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عفا عنه فلا يدخل النار أصلا كالأول، وإن شاء عذبه فى النار، ثم أخرجه منها وأدخله الجنة، فلا يخلد فى النار أحد مات مؤمنا ولو عمل جميع المعاصى، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات كافرا بل يدخل النار ويخلد فيها ولو عمل من أعمال البر ما عمل. هذا مذهب أهل الحق.

وأما ما ثبت فى الأحاديث الصحيحة من أن بعض الكبائر يمنع دخول الجنة؛ كقطع الرحم والكبر، فمعناه عدم دخولها مع السابقين، أو هو محمول على المستحل.

فإن قيل: إن هذا الحديث يفيد أن العمل الصالح يكون سببا لدخول الجنة، مع أنه ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «**لن يدخل أحدا عمله الجنة**» قالوا: ولاأنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضله ورحمته**»[1]

أجيب بأن العمل الذى يكون سببا لدخول الجنة إنما هو المقبول لا غيره، ولا شك أن القبول رحمة من الله تعالى، فآل الأمر إلى أن الدخول لم يقع إلا برحمته تعالى.

قال ابن القيم: العمل بمجرده ولو تناهى ـ لا يوجب دخول الجنة ، ولا أن تكون عوضا له؛ لأنه لو وقع على الوجه الذى يحبه الله تعالى ـ لا يقاوم، أى لا يعادل ، نعمة بل جميع الأعمال لا يوازى، أى لا يقابل، نعمة واحدة من نعم الله سبحانه وتعالى ـ .

وقد جاء أن بعض عباد بنى إسرائيل كان يتعبد فى جزيرة لا يعرفها أحد، وأنبت الله له شجرة رمان يأكل منها وعين ماء ترويه، فبقى كذلك خمسمائة عام، ثم سأل ربه عز وجل أن يقبضه ساجدا ففعل، فأخبر عنه عليه الصلاة والسلام أنه يؤتى به يوم القيامة، فيقول الله تعالى: اذهبوا به إلى الجنة برحمتى، فيقول: يارب بل بعملى، فيقول : حاسبوه على شكر نعمة حاسة البصر، فيحاسب، فلاتبقى عبادته بها، فيقول: يا رب أدخلنى برحمتك، فيقول: اذهبوا به إليها برحمتى.

---

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤٦٣) ومسلم فى صفات المنافقين وأحكامهم (٢٨١٦).

واعلم أن الجنة موجـودة الآن، خلقها الله عـز وجل لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وحصـباؤها الدر والياقوت، وترابها الزعفران، ليس فـيها نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبدا، وإنما يعرف أهلهـا الليل بإرخاء الستور والنهار برفعـها، ويعرفون أوقات الصلاة بالتهلـيل والتكبير ويوم الجمعة بالزيارة لله تعالـى، والشهر بالهدايا والتحف؛ تأتيهم الملائكة بهـا من الله سبحانه وتعالى فى رأس كل شـهر ويعرفون العام بقول الملائكة لهم: إن الله تعـالى يدعوكم لطعام فهو لكم عـيد من العام إلى العام. ولما خلقـها الله عز وجل قال لها: تكلـمى، فقالت: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾** [المؤمنون: ١] أى فازوا، فقال: طوبى لك منزل الملوك(١).

وورد أن الرجل من أهلها يعطى قـوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجـماع والشـهوة، ولما سـمع ذلك بعض اليهـود قال: إن الذى يأكل ويشـرب تكون منه الحاجـة فقـال ﷺ: **«حـاجـتهم عـرق يفـيض»** أى يرشح من جلودهم **«مثل المسك»**(٢). أى لأن الجنة لا قـذر فيهـا، حتى إن أهلـها لا يمتـخطون فيـها ولا يتفلون.

وقيل: إن الرجل من أهل الجنة ليعانق الحـوراء سبعين سنة لا يملها ولا تمله، وكلما أتاها وجدها بكرا، وإنه ليجامعها بقوة سبعين رجلا، ولا يكون بينهما منى لا منه ولا منها.

وورد **«إن أدنى أهل الجنة منزلة من يعطى قدر الدنيا ومـثلها معها»** وفى رواية **«وعشرة أمثالها معها»**(٣).

وقال بعضهم: يكون فى ملكه ألف حوراء.

وروى: أن فى الجنة غـرفـا من أصناف الجـواهر، يرى ظـاهرها من باطنهـا وباطنها من ظاهرها، وفيهـا من النعيم واللذات والسرور مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خـطر على قلب بشر. قيل: يا رسول الله ولمن هذه الغـرف؟ قيل:

---

(١) قال الهيـثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٧، ٣٩٨) رواه البزار مـرفوعا وموقوفا ورجـال الموقوف رجال الصحيح، ورواه الحاكم (٢/ ٣٩٢) بنحوه، وقال الذهبى ضعيف وذكره ابن كثير فى تفسيره (٣/ ٢٩٠).

(٢) أحمد (٤/ ٣٦٧).

(٣) البخارى فى الرقاق (٦٥٧١) ومسلم فى الإيمان (١٨٦).

«**لمن أفشى السلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**» قيل: يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال: «**أمتى تطيق ذلك،من لقى أخاه فسلم عليه أو رد عليه السلام؛ فقد أفشى السلام، ومن أطعم عياله وأهله من الطعام حتى أشبعهم؛ فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام؛ فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الأخيرة وصلى الغداة فى جماعة؛ فقد صلى بالليل والناس نيام**»(1). يعنى اليهود والنصارى والمجوس.

وقال القرطبى ـ رحمه الله تعالى ـ : من أطاع مولاه وخالف هواه كانت الجنة مأواه، ومن تمادى فى عصيانه وأرخى زمام طغيانه واتبع هوى نفسه وشيطانه؛ كانت النار أولى به.

وقال يحيى بن معاذ ـ رحمة الله تعالى عليه ـ ترك الدنيا شديد، وفوات الجنة أشد، وترك الدنيا مهر الآخرة، وفى طلب الدنيا ذل النفوس وفى طلب الآخرة عز النفوس، فيا عجبا لمن يختار المذلة فى طلب ما يفنى، ويترك العز فى طلب ما يبقى.

وفى الحديث الشريف: «**من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره منى**»(2). وفى الحديث أيضا: «**يقول الله تعالى: انظروا فى ديوان عبدى فمن رأيتموه سألنى الجنة؛ فأدخلوه الجنة، ومن استعاذ من النار، فاصرفوه عنها**»(3).

فنسأل الله تعالى الكريم المنان أن يجيرنا من النار دار الهوان، وأن يدخلنا الجنة محل الرضوان بجاه نبينا محمد سيد ولد عدنان ﷺ .

ثم إن هذا الحديث (**رواه مسلم**) رحمه الله تعالى فى كتاب الإيمان، وهو حديث عظيم الموقع، وعليه مدار الإسلام لجمعه له؛ وذلك لأن الأفعال إما قلبية

---

(1) أبو نعيم فى الحلية (٢/ ٣٥٦).

(2) الترمذى فى صفة الجنة (٢٥٧٢) وابن ماجة فى الزهد (٤٣٤٠) والحاكم (١/ ٥٣٥) وصححه ووافقه الذهبى، وابن حبان (٢٤٣٣ ـ موارد).

(3) أبو نعيم فى الحلية (٦/ ١٧٥).

أو بدنية، وكل منهما إما مأذون فيه وهو الحلال، أو ممنوع منه وهو الحرام، فإذا أحل الشخص الحلال وحرم الحرام؛ فقد أتى بجميع وظائف الدين ودخل الجنة آمنا.

ومعنى قول النعمان (**حرمت الحرام**) اجتنبته، أى تركته كله، معتقدا حرمته.

قوله (**أحللت الحلال**) فعلته معتقدا حله، والمراد: فعلت الواجب منه بقرينة السياق - كما مر - فأل فيه ليست للاستغراق بخلافها فى الحرام، وإنما احتاج المصنف لهذا التأويل؛ لأن المحلل والمحرم هو الله ، وليس للنعمان شىء منهما.

الدروس المستفادة من الحديث

١- ترك النوافل جائز ولا يعاقب صاحبه على ذلك إن لم يقصد تاركها الاستخفاف.

٢ - الحلال ما أحله الله والحرام ما حرم الله فلا يتكلم أى شخص بأن يحرم حرامًا ويحلل حلالاً ليس من عند الله.

٣ - يجب الاشتغال بالفرائض أولا فيجب الاهتمام بها والمحافظة عليها.

٤ - تأدية النوافل أمر ضرورى لتكملة مانقص من الفريضة.

٥ - لا نكفر أحدا أقر بالشهادتين وأدى الفرائض المكتوبة.

الحديث الثالث والعشرون

من شعب الإيمان

٢٣ ـ عن أبى مالك ـ الحارث بن عاصم الأشعرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : « الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها» رواه مسلم[١].

الشرح والبيان

(**عن أبى مالك الحارث**) وقيل: كعب، وهو المشهور(**ابن عاصم**) وفى نسخة «**عامر**» (**الأشعرى**) نسبة إلى قبيلة باليمن يقال لهم الأشعريون. والصحيح أنه غير أبى موسى الأشعرى المشهور؛ لأن ذاك معروف بكنيته وهذا معروف باسمه لا بكنيته. سكن مصر ومات بالطاعون فى خلافة عمر بن الخطاب سنة ثمان عشرة.

(**رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ :الطهور**) بضم الطاء، وهو لغة: التنزه والتطهر من الأحداث والأنجاس والمذام. وشرعا: فعل ما يترتب عليه إباحة ولو من بعض الوجوه كالتيمم، أو ثواب مجرد كالغسلة الثانية فى الوضوء. والمراد هنا المعنى اللغوى.

وقوله (**شطر الإيمان**) أى نصفه،والمراد الإيمان الكامل، وهو ذو خصال كثيرة وأحكام متعددة، إلا أنها منحصرة فيما ينبغى التنزه والتطهر عنه، وهو كل منهى عنه وما ينبغى التلبس به وهو كل مأمور به، فهو شطران.

والطهور بالمعنى اللغوى شامل لجميع الشطر الأول؛ فصح أن يكون نصفه. ويحتمل أن المراد بالطهور الوضوء الشرعى، وبالشطر: الجزء. والمعنى أن الوضوء الشرعى لكثرة ثوابه جزء من أجزاء الإيمان، ويؤيد هذا الاحتمال حديث ابن ماجة: «**إسباغ الوضوء**» أى إكماله «**شطر الإيمان**»[٢]. وحديث

---

(١) مسلم فى الطهارة (٢٢٣) والترمذى فى الدعوات (٣٥١٧) والنسائى فى الزكاة (٥/ ٥ ـ ٨) وابن ماجة فى الطهارة (٢٨٠) وأحمد (٥/ ٣٤٢، ٣٤٣).

(٢) ابن ماجة فى الطهارة (٢٨٠) .

(٣) الترمذى فى الدعوات (٣٥١٧) وقال حسن صحيح.

الترمذى: «**الوضوء شطر الإيمان**»[3]. ويحتمل، أن يكون المراد بـالطهور الطهارة عن الحدث والخبث، وبالإيمان الصلاة. كما فى قـوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**﴾ [البقرة:١٤٣]. أى صلاتكم يا معـاشر الصحابة إلى بيت المقدس. ويكون الشطر حينئذ بمعنى الشرط.

واعلم أن الطهارة تنقسم إلى واجبة ومستحبـة، فالمستحبة كالأغسال المسنونة وتجديد الوضـوء. والواجبة تنقـسم إلى قلبية كـالتنزه عن الحسد والكبـر والعجب والرياء، وبدنية كإزالة النجاسة ووضوء المحدث أو تيممه.

وقد جاء فى فضل الوضوء أحاديث كثيرة منها:

قوله ﷺ: «**لا يسبغ الوضوء**» أى لا يأتى به تاما كاملا «**إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»[1]. ومنها قوله ﷺ: «**إن العبد إذا توضأ فـتمضمض أذهب الله بكل ذنب أصابه بفيه، فإذا استنشق أذهب الله بكل ذنب أصابه بأنفه، فإذا غـسل وجهـه أذهب الله بكل ذنب أصابه بـوجهـه، فإذا غـسل يديه أذهب الله بكل ذنب أصابه بيـديه، فإذا مسح رأسـه أذهب الله بكل ذنب أصابه برأسه، فـإذا غسل رجليه أذهب الله بكل ذنب أصابه برجليه**»[2]. ومنها قوله ﷺ: «**من وضأ هذه الأعضاء فأحسن وضوءها؛ استوجب من الله الرضوان الأكبر**».

وتسن المحافظة عليـه لقوله ﷺ: «**يا أنس إن استطعت أن تكون أبدا على وضـوء فافـعل؛ فإن ملك الموت إذا قـبض روح عـبد وهو على وضـوء كتـبت له شهادة**»[3].

وقال بعض العارفين: من داوم على الوضوء؛ أكرمه الله تعالى بسبع خصال: ترغب الملائكة فى صحبته، ولا يزال القلم رطبـا من كتب ثوابه، وتسبح أعضاؤه وجوارحه، ولا تفوته التكبيرة الأولى، أى مع الإمام، وإذا نام بعث الله تعالى إليه ملائكة يحفظونه من شر الثـقلين، ويسهل الله تعالى عليه سكرات الموت، ويكون

---

(١) رواه البزار (٢٦٢ ـ كشف) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/ ٢٣٦، ٢٣٧) رواه البزار ورجاله موثقون والحديث حسن إن شاء الله.

(٢) الحاكم (١/ ١٢٩، ١٣٠) وقال الذهبى غير صحيح، والبيهقى فى الشعب (٢٧٣٤).

(٣) كنز العمال (٢٦٠٦٥) وعزاه للبيهقى.

في أمان الله عز وجل ـ ما دام على الوضوء.

وحكى أن سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أرسل رسولا إلى الشام، فمر على دير راهب؛ فطرق بابه؛ فلم يفتح له إلا بعد ساعة، فسأله عن ذلك، فقال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إذا خفت سلطانا فتوضأ، وأمر أهلك به فإن من توضأ كان فى أمان مما يخاف. فلم أفتح لك حتى توضأنا جميعا.

وفى "طبقات" ابن السبكى: قال الله تعالى: يا موسى توضأ، فإن أصابك شيء وأنت على غير وضوء فلا تلومن إلا نفسك.

(والحمد لله) أى هذه الكلمة وحدها. أو هذا اللفظ وحده **(تملأ الميزان)** بالفوقية على الأول، وهو الراجح، وبالتحتية على الثانى. ويحتمل أن تكون (ال) فى الحمد جنسية، فيكون المراد هذا اللفظ وما اشتق منه. وعلى كل فالمعنى أن ثواب التلفظ بما ذكر مع استحضار المعنى والإذعان له يملأ كفة الحسنات من ميزان الآخرة. وفى هذا دليل على ثبوت الميزان ووزن الأعمال. واختلف فى كيفية الوزن، فقيل: تجسم وتصور الحسنات بصور حسنة نورانية وتطرح فى الكفة اليمنى، وتصور السيئات بصور قبيحة مظلمة وتطرح فى الكفة اليسرى.

وقيل: إن الذى يوزن الصحائف المشتملة عليها، ويدل لذلك حديث البطاقة، وهوما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة؛ فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل منها مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول: لا، يارب. فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا، يارب. فيقول: ألك حسنة فيقول: لا، يارب. فيقول: بلى، إن لك عندنا لحسنة، وإنه لا ظلم عليك، فيخرج له بطاقة** ـ بكسر الباء ـ أى ورقة صغيرة ـ **كالأنملة، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم؛ فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء**»[1].

(١) رواه الترمذى فى الإيمان (٢٦٣٩) وقال: حسن غريب وابن ماجة فى الزهد (٤٣٠٠) وأحمد (٢/ ٢١٣).

وقيل: وهذا ليس لكل عبد بل هو فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. والأصح أنه ميزان واحد لجميع الأمم. وقيل: لكل أمة ميزان. وقيل: لكل إنسان ميزان. ولا يرد على الأصح قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾[الأنبياء:٤٧] لأن جمعه فى هذه الآية للتعظيم أو لكثرة ما يوزن فيه، أو أنه جمع موزون، فالجمع للأعمال لا للميزان. والقائم بهذا الوزن جبريل عليه السلام، وهناك ملك قائم ينادى بما يقع، فإن رجحت الحسنات، قال بصوت يسمعه الخلائق كلهم: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا. وضد ذلك بضده.

فائدة: قيل: إن سيدنا داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان، فأراه كل كفة تملأ ما بين السموات والأرض، أو ما بين المشرق والمغرب، فلما رآه غشى عليه من هوله، ثم أفاق، فقال: إلهى من ذا الذى يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ فقال الله عز وجل: يا داود إنى إذا رضيت عن عبدى ملأته له بتمرة واحدة، يا داود أملؤها بشهادة أن لا إله إلا الله.

(وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض) وفى نسخة صحيحة: «**ما بين السموات والأرض**» وأو للشك من الراوى فى سماع لفظ الحديث، هل هو بالتثنية أو الإفراد؟ لا للشك من النبى ﷺ لأنه لا يجوز أن ينسب إليه. والفعلان بالفوقية على إرادة الجملتين فى الأول، وإرادة الكلمة فى الثانى، وبالتحتية على إرادة اللفظين أو الذكرين أو النوعين فى الأول وإرادة اللفظ أو الذكر فى الثانى، كذا قيل.

ونقل عن الكازرونى: أن الرواية فيهما بالفوقية على التأنيث، والضمير فى اللفظة الأولى راجع إلى كلمتى: «**سبحان الله والحمد لله**»، وفى الثانية راجع إليهما أيضا باعتبار أنهما يطلق عليهما كلمة فى اللغة.

والمعنى: أن كلا من سبحان الله والحمد لله يملأ ما بين السماء والأرض، ويحتمل أنهما يملآن ذلك معا، لكن مشاركة الحمدلة للتسبيح بعدما يحصل بها ملء الميزان؛ فهى خصت بملء الميزان، ثم شاركت سبحان الله فى ملء ما بين السماء والأرض أيضا. والمراد: أن الثواب المرتب على قول ذلك؛ كثير جدا.

بحيث لو كان جسما لملأ ما ذكره، لكبره.

وروى أن التسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملؤه، أى ثوابه ضعف ثواب التسبيح. وروى أن من قال سبحان الله، فله عشر حسنات، ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون حسنة، ومن قال الحمد لله كتب له ثلاثون حسنة. وظاهر هذا أن ثواب التسبيح ثلث ثواب الحمد.

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال سبحان الله وبحمده فى كل يوم مائة مرة، حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»(١). وعنه أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال حين يصبح وحين يمسى: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه**»(٢). وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة**»؟ فسأله سائل: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «**يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة، وتحط عنه ألف خطيئة**»(٣).

(والصلاة) أى الجامعة للأركان والشروط المصححة والمندوبات والآداب المكملة (نور) أى تنور وجه صاحبها وقلبه، وتكون له نورا فى قبره وحشره.

قال بعض السلف: من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار، وقيل: إن المصلى تشرق فى قلبه أنوار المعارف والمكاشفات، لخلوه فيها عن الشواغل وإقباله على رب الأرض والسموات، وفى الحديث: «**الصلاة مرضاة للرب، وحب الملائكة، وسنة الأنبياء، ونور المعرفة، وأصل الإيمان، وإجابة الدعاء، وقبول الأعمال، وبركة فى الرزق، وسلاح على الأعداء، وكراهية للشيطان، وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت، وسراج فى قبره إلى يوم القيامة، فإذا كانت القيامة كانت الصلاة ظلا فوقه، وتاجا على رأسه، ولباسا على بدنه، ونورا يسعى بين يديه، وسترا بينه وبين**

---

(١) البخارى فى الدعوات (٦٤٠٥) ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩١).

(٢) مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩١) وأبو داود فى الأدب (٥٠٩١) والترمذى فى الدعوات (٣٤٦٩) والحاكم (١/ ٥١٨).

(٣) مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٨) والترمذى فى الدعوات (٣٤٦٣) وقال: حديث حسن صحيح.

النار، وحجة للمؤمنين بين يدى رب العالمين، وثقلا فى الميزان، وجوازا على الصراط، ومفتاحا للجنة» لأن الصلاة تسبيح وتحميد وتقديس وتمجيد وقراءة ودعاء، ولأن أفضل الأعمال كلها؛ الصلاة فى وقتها.

وروى أنه ﷺ ذكر الصلاة، وقال: **« من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة»** [1]. وروى مرفوعا: **« إذا حافظ العبد على صلاته فأتم وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها، قالت له: حفظك الله كما حفظتنى، فيصعد بها إلى السماء ولها نور حتى تنتهى إلى الله عز وجل إلى محل قربه ورضاه فتشفع لصاحبها»** [2]. وروى: **« من صلى الصلوات الخمس فى جماعة جاز على الصراط كالبرق اللامع فى أول زمرة السابقين، وجاء يوم القيامة كالقمر ليلة البدر»** وروى: **« بشر المشائين فى ظلم الليل إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»**[3] .

(والصدقة) والمراد بها الزكاة كما فى رواية ابن حبان، وقيل: المراد المعنى الأعم، وهو ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة واجبا كان أو تطوعا.

(برهان) أى حجة ودليل على كمال إيمان باذلها ـ أى معطيها ـ وتصديقه بيوم الحساب، حيث إنه أخرجها رجاء الثواب وهو لا يكون إلا يوم المآب. وقيل: إن المتصدق يوسم يوم القيامة بسيماء يعرف بها فتكون برهانا له على حاله فلا يسأل عن مصرف ماله.

وقد جاء فى فضل الصدقة أخبار كثيرة منها ما أخرجه الديلمى عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ مرفوعا: **« تداركوا الغموم والهموم بالصدقات؛ يكشف الله تعالى ضركم وينصركم على عدوكم»** [4]. وفى الحديث: **« عليك بالصدقة. فإن فيها ست خصال: ثلاثا فى الدنيا وثلاثا فى الآخرة؛ أما التى فى الدنيا: فتزيد فى الرزق، وتكثر المال، وتعمر الديار، وأما التى فى الآخرة: فتستر العورة، وتصير**

---

(١) أحمد (٢/ ١٢٩) والدارمى (٢٧٢١) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/ ٢٩٣) رواه أحمد والطبرانى ورجال أحمد ثقات.

(٢) الطبرانى فى الأوسط بنحوه كما فى مجمع الزوائد (١/ ٣٠٢) وذكره صاحب كنز العمال (١٩٠٥٣) وعزاه لسعيد بن منصور .

(٣) أبو داود فى الصلاة (٥٦١) والترمذى فى أبواب الصلاة (٢٢٣) وقال: حديث غريب.

(٤) الديلمى (٢٠٨٥) عن أبى هريرة، والسيوطى فى الجامع الصغير (٣٢٧٤) وقال ضعيف.

ظلا فوق الرأس، وتستر من النار». وورد : ما من رجل يتصدق يوما أو ليلة إلا حفظ أن يموت من لدغة أو هدمة أو موت بغتة. وقال مكحول التابعى ـ رضى الله تعالى عنه ـ إذا تصدق المؤمن استأذنت جهنم أن تسجد لله شكرا على خلاص واحد منها من أمة محمد ﷺ .

فينبغى للإنسان أن يكثر من الصدقة، ولا يخاف الفقر؛ لأن الله تعالى لا بد أن يخلف عليه. فقد ورد: « **ما من يوم طلعت فيه الشمس إلا وبجنبيها ملكان يناديان يقولان: اللهم عجل لمنفق خلفا، ولممسك تلفا»** [(١)].

وحكى أن بعضهم كان له أمة قد عجنت عجينا وذهبت تجىء بنار لتخبزه، فأتاه سائل فأعطاه العجين كله؛ فجاءت الأمة فلم تجده، فقالت: أين العجين؟ فقال لها: ذهبوا به يخبزونه، فأكثرت عليه، فأخبرها بما فعل، فقالت: لابد لنا من شىء نأكله، فبينما هما كذلك وإذا برجل لا يعرفونه جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزا ولحما، فقالت: ما أسرع ما رد عليك، خبزوه وجعلوا معه لحما.

وقيل: إن إبليس وجنوده لم يفرحوا بشىء كفرحهم بثلاثة: مؤمن قتل مؤمنا، ورجل يموت كافرا، وإنسان فى قلبه خوف الفقر.

وحكى أن بعض الوعاظ كان يقول: إذا أراد الرجل أن يتصدق أتاه سبعون شيطانا، فيتعلقون بيديه ورجليه وقلبه ويمنعونه من الصدقة، فقال له بعض الحاضرين: إنى أقاتل هؤلاء السبعين، وخرج من المسجد وأتى منزله وملأ ذيله من الحنطة، وأراد أن يخرج ويتصدق بما معه، فوثبت إليه زوجته، وجعلت تنازعه وتحاربه حتى خر وسقط ذلك من ذيله، فرجع خائبا إلى المسجد، فقال له الواعظ: ماذا عملت؟ فقال: صرفت السبعين؛ فجاءت أمهم فهزمتنى.

فائدة: يسن للإنسان أن يخص بصدقته المحتاجين وأهل الخير، كالعلماء وطلبة العلم. ودفعها سرا أفضل من دفعها جهرا لحديث: **«صدقة السر تطفئ غضب الرب»**[(٢)].

---

(١) رواه بنحوه: البخارى فى الزكاة (١٤٤٢) ومسلم فى الزكاة (١٠١٠) ورواه أحمد (٢/ ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٤٧ و ٥/ ١٩٧) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣/ ١٢٢) رجاله رجال الصحيح

(٢) البيهقى فى الشعب (٣٤٤٢) عن أبى سعيد الخدرى و(٨٠٦١) عن أنس، والطبرانى فى الصغير (٢/ ٩٥)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣/ ١١٥) رواه الطبرانى فى الأوسط.

وقد بالغ جماعة فى الإخفاء حتى إن بعضهم كان يلقى صدقته فى يد أعمى، وبعضهم كان يلقيها فى طريق الفقير أو فى موضع جلوسه بحيث لا يراه، وبعضهم كان يصرها فى ثوبه وهو نائم، وبعضهم كان يوصلها على يد غيره ويستكتم المتوسط، كل ذلك لأجل التوسل إلى إطفاء غضب الرب الوارد فى الحديث المتقدم، واحترازا من الرياء والسمعة. ومن أقوى وجوه إخفائها أن يبيع لفقير شيئا بخمسة مثلا وهو يعلم أن قيمته أكثر من ذلك، أو يشترى منه شيئا بعشرة. وهو يعلم أن قيمته أقل من ذلك.

(والصبر) أى المحبوب شرعا، وهو الثبات على الكتاب والسنة. وقيل: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب. وقيل: هو عدم النفور من المقدور. وقيل: هو حبس النفس على العبادات ومشاقها، وعلى المصائب وحرارتها، وعن المنهيات والشهوات ولذاتها.

(ضياء) بمعنى أن صاحبه لا يزال مستضيئا بنور الحق على سلوك سبيل الهدى وتجنب طريق الردى. وقيل: المعنى أن ثوابه يكون ضياء ونورا لصاحبه في الآخرة. وقيل: إن الصبر على الطاعة حتى يؤديها، وعن المعصية فلا يرتكبها، يؤثر فى القلب نورا، كما أن فعل المعصية يؤثر فيه ظلمة.

وقد ورد أن من صبر على المصيبة يكتب له ثلاثمائة درجة، ومن صبر على الطاعة يكتب له ستمائة درجة، ومن صبر على المعصية؛ يكتب له تسعمائة درجة.

ونقل عن الضحاك بن مزاحم ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: من مر فى السوق فرأى ما يشتهيه ولا يقدر عليه فصبر واحتسب؛ كان خيرا له من ألف دينار ينفقها كلها فى سبيل الله.

وعن أبى سليمان الدارانى ـ نفعنا الله تعالى به ـ أنه قال: تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى ألف عام. وجاء: أن موسى عليه السلام قال: إلهى، أى منازل الجنة أحب إليك؟ قال: حظيرة القدس. قال: من يسكنها؟ قال: أصحاب المصائب. قال: يا رب من هم؟ قال: الذين إذا ابتليتهم صبروا، وإذا أنعمت عليهم شكروا، وإذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وعن عكرمة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: طفئ سراج رسول الله ﷺ فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] فقيل له: يا رسول الله أمصيبة هى؟ قال: **«نعم كل شىء يؤذى المؤمن فهو مصيبة»**.

ومن ذلك سوء خلق المرأة، فينبغى الصبر عليه. وقد ورد فى الحديث: **«أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه، وأيما امرأة صبرت على خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون»**

وحكى: أنه كان لبعض الصالحين أخ صالح يزوره فى كل سنة مرة، فجاء يوما لزيارته، فطرق بابه، فقالت زوجته: من؟ فقال: أخو زوجك فى الله تعالى جاء لزيارته. فقالت إنه ذهب ليحتطب ـ لا رده الله ـ وبالغت فى شتمه وسبه، فبينما هو كذلك إذ رأى أخاه مقبلا ومعه أسد حامل حزمة حطب. فلما وصل، سلم على أخيه، ورحب به، ثم أنزل الحطب عن ظهر الأسد، وقال له: اذهب بارك الله فيك، ثم أدخل أخاه وامرأته تسبه فلا يجيبها فأطعمه ثم ودعه، فانصرف وهو متعجب غاية العجب من صبره على سب امرأته.

ثم جاء فى العام الثانى، فدق الباب فقالت امرأته: من؟ قال: أخو زوجك فى الله جاء يزوره. قالت: مرحبا، وبالغت فى الثناء عليه، وأمرته بانتظاره، فجاء وهو حامل على ظهره الحطب، فأدخله وأطعمه وزوجته تبالغ فى الثناء، فلما أراد مفارقته سأله عما رأى من تلك المرأة ومن هذه. ومن حمل الأسد أول مرة، وحمله فى الثانية، فقال: يا أخى توفيت تلك الشريرة وكنت صابرا على أذيتها وبغيها ـ أى تعديها ، واستطالتها ـ فسخر الله لى الأسد الذى رأيته يحمل الحطب بصبرى عليها. وصرت الآن أحمل الحطب على ظهرى لراحتى مع هذه.

(والقرآن حجة لك) أى يحاجج عنك ويشهد لك بالخير فى المواضع التى تسأل فيها؛ كالقبر والموقف، ويشفع عند الله تعالى فى إكرامك. هذا إن عملت به، بأن امتثلت أوامره، واجتنبت نواهيه، واتعظت بمواعظه، واهتديت بأنواره **(أو)** حجة **(عليك)** فى تلك المواضع إن أعرضت عنه، ولم تعمل به؛ فيخاصمك ويشهد

عليك؛ بأنك مخالف له، ومضيع حقوقه.

وقد روى عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبى ﷺ أنه قال: «**يمثل القرآن يوم القيامة رجلا فيؤتى بالرجل قد حمله، فخالف أمره فيمثل له خصما، فيقول: يا رب قد حملته إياى فبئس حامل تعدى حدودى وضيع فرائضى وركب معصيتى وترك طاعتى، فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال له: شأنك به، فيأخذه بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره فى النار. قال: ويؤتى بالرجل الصالح قد كان حمله وحفظ أمره، فيمثل له خصما دونه أى ليمنع عنه، فيقول: يا رب حملته إياى فخير حامل، حفظ حدودى، وعمل فرائضى، واجتنب معصيتى، واتبع طاعتى، فما يزال يقذف له بالحجج، حتى يقال له شأنك به، فيأخذه بيده، فما يرسله؛ حتى يلبسه حلة الإستبرق، ويعقد عليه تاج الملك، ويسقيه كأس الخمر**»[1].

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: يجىء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه، فيكون قائدا لصاحبه إلى الجنة، أو يشهد عليه فيكون سائقا له إلى النار[2].

وورد عن النبى ﷺ أنه قال: «**اقرؤوا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه**» أى لا تتركوا تلاوته «**ولا تغلوا فيه**» أى لا تتعدوا حدوده من حيث لفظه؛ كترك تجويد حروفه أو من حيث معناه كترك أوامره «**ولا تأكلوا به**» أى لا تجعلوه سببا للأكل «**ولا تستكثروا به**» [3] أى لا تجعلوه سببا للاستكثار من الدنيا.

ولذا قال سهل ـ رحمه الله تعالى ـ: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن: حب النبى ﷺ وعلامة حب النبى ﷺ حب السنة، وعلامة حبها: حب الآخرة، وعلامة حبها: بغض الدنيا، وعلامة بغضها: أن لا يتناول منها إلا البلغة ـ أى ما يكفيه فقط، فأخذ المقابل على القرآن مذموم حيث كان آخذه غنيا غنى ظاهرا أو غنى قلبيا، أما لو كان محتاجا فلا بأس بأخذه.

---

(١) البزار كما فى مجمع الزوائد (٧/ ١٦٠، ١٦١) وقال الهيثمى: فيه إسحاق فهو مدلس ولكنه ثقة وبقية رجاله ثقات.

(٢) الدارمى (٣٣٢٥).

(٣) أحمد (٣/ ٤٢٨) وعزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ١٦٧، ١٦٨) للبزار وأحمد وقال رجال أحمد ثقات.

وحكى عن بعض المتصدرين للقراءة فى الجامع العتيق بمصر أنه حلف بالطلاق الثلاث أنه لا يجيز أحدا يقرأ عليه القرآن، فيستحق الإجازة إلا بعشرة دنانير، فاتفق أنه قرأ عليه رجل فقير، فلما أكمل القراءة سأله الإجازة، فأخبره بيمينه فتألم خاطره، فأخبر به أصحابه فجمعوا له خمسة دنانير؛ فأتى بها إلى الشيخ، فلم يأخذها، فخرج من عنده فرأى المحمل يدار به، فقال: والله لا أنفقت هذه إلا فى الحج، فاشترى ما يحتاجه وسار حتى وصل إلى مكة، فلما قضى مناسكه رحل إلى المدينة الشريفة، فلما وصل إلى قبر رسول الله ﷺ، قال: السلام عليك يا رسول الله، ثم قرأ عشرا جمع فيه الأئمة السبعة، وقال: هذه قراءتى على فلان عن فلان عنك عن جبريل عليكما الصلاة والسلام - عن الله سبحانه وتعالى - وقد سألت شيخى الإجازة؛ فأبى على، وقد استعنت بك يا رسول الله فى تحصيلها، ثم نام فرأى النبى ﷺ فقال له: سلم على شيخك وقل له: رسول الله ﷺ يقول لك أجزنى بلا شىء، فإن لم يصدقك فقل له: بأمارة زمرا. زمرا.

فلما وصل الفقير إلى مصر أخبر شيخه وبلغه الرسالة بغير أمارة؛ فلم يصدقه، فقال: بأمارة: زمرا زمرا، فصاح الشيخ وخر مغشيا عليه، فلما أفاق سأله أصحابه عن ذلك، فقال: كنت كثيرا ما أتلو القرآن، فمررت يوما على قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨] فحلفت لا أقرأ القرآن إلا متدبرا فهما، فأقمت لا أتجاوز من القرآن إلا اليسير مدة طويلة، حتى نسيته فكفرت عن يمينى، وشرعت فى حفظه فحفظته، فبينما أنا أتلو ذات يوم فمررت على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] فقلت: ليت شعرى من أى الأقسام أنا؟ ثم قلت: لست من الثانى ولا من الثالث بيقين فيتعين أن أكون من القسم الأول، فنمت تلك الليلة حزينا، فرأيت رسول الله ﷺ فقال لى: بشر قراء القرآن أنهم يدخلون الجنة زمرا زمرا. ثم أقبل على ذلك الفقير يقبل وجهه، وقال: أشهدكم على أنى أجزته ليقرأ ويقرئ من شاء، وكل ذلك ببركة رسول الله ﷺ .

(كل الناس) أى كل إنسان **(يغدو)** أى يصبح ساعيا فى أموره، متصرفا فى أغراضه **(فبائع)** أى فهو بائع، أى باذل **(نفسه فمعتقها)** أى مخلصها من عذاب الله تعالى إن بذلها فى طاعته **(أو موبقها)** أى مهلكها وموقعها فى عذابه إن بذلها فى معصيته.

خاتمة: روى عن النبى ﷺ أنه قال: **«من قال حين يصبح: اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمدا عبدك ورسولك؛ مرة، أعتق الله ربعه من النار، أو مرتين فنصفه، أو ثلاثا فثلاثة أرباعه، أو أربعا فكله»** وكذا إن أمسى، ويقال حينئذ: **«اللهم إنى أمسيت»** [1] بدل **«أصبحت»** وورد أن **«من قال حين يصبح: سبحان الله وبحمده ألف مرة؛ فقد اشترى نفسه من الله، وكان من آخر يومه عتيقا من النار»**

وذكر السادة الصوفية أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة؛ أعتق الله بها رقبته أو رقبة من قالها له من النار. وكانوا يحافظون على فعلها لأنفسهم ولمن مات من أهاليهم وإخوانهم. فينبغى للإنسان أن يفعلها اقتداء بهم وتبركا بأفعالهم.

وقد حكى أن شابا صالحا كان من أهل الكشف ماتت أمه، فصاح وبكى وخر - أى سقط، مغشيا عليه - فسئل عن سبب ذلك، فذكر أنه رأى أمه فى النار، وكان بعض المشايخ من السادة حاضرا، وكان قد قال هذه السبعين ألفا وأراد أن يعدها ويدخرها لنفسه، فقال فى نفسه عندما سمع قول الشاب المذكور: اللهم إنك تعلم أنى هللت هذه السبعين ألف تهليلة، وأريد أن أدخرها لنفسى وأشهد أنى قد اشتريت بها أم هذا الشاب من النار، فما استتم كلامه إلا وتبسم الشاب وسر سرورا عظيما. وقال: الحمد لله الذى أرانى أمى قد خرجت من النار وأمر بها إلى الجنة.

---

(١) البخارى فى الأدب المفرد (١٢٣٦) وأبو داود فى الأدب (٥٠٦٩) والترمذى فى الدعوات (٣٥٠١) وضعفه الألبانى فى ضعيف أبى داود (١٠٧٧، ١٠٨٢) وفى ضعيف الترمذى (٧٩٣) وفى السلسلة الضعيفة (١٠٤١).

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم، قد اشتمل على مهمات قواعد الدين (رواه) وفى نسخة «أخرجه» (مسلم) فى صحيحه ـ رحمه الله تعالى ـ

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ فاتحة دخول هذا الدين هى شهادة أن لا إله إلا الله.

٢ ـ الشرك نجاسة وعبادة الأوثان رجس وعبّادها فى حكم المتنجسين.

٣ ـ الطهور شطر الإيمان ولاتجوز الصلاة بغير طهور.

٤ ـ المؤمن الصابر يستضىء بنور الحق.

٥ ـ الصلاة نور تنير على صاحبها سبل الرشاد.

٦ ـ الزكاة لها دور كبير فى تحقيق مبدأ العدالة فى المجتمع.

٧ ـ الذكر من أفضل الأعمال؛ وأفضل الذكر سبحان الله والحمد لله.

٨ ـ القرآن يحاج عن الناس يوم القيامة

٩ ـ عدم التفريط فى تطبيق أحكام القرآن.

١٠ ـ القرآن هو الدستور الذى يجب علينا أن نأخذه دستورا فى أحكامنا كلها.

الحديث الرابع والعشرون

جوامع الخير

٢٤ ـ عن أبى ذر الغـفارى ـ رضى الله تعالى عنـه ـ عن النبى ﷺ، فيـما يرويه عن الله تبارك وتعـالى أنه قال: « يا عـبادى إنى حـرمت الظلم على نفسى وجـعلته بينكم محرما، فلا تظالموا. يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدونى أهدكم. ياعبادى كلكم جائع إلا من أطعمته، فاسـتطعمونى أطعمكم. يا عبادى كلكم عار إلا من كسـوته فاستكسونى أكـسكم. يا عبادى إنكم تخطـئـون بالليل والنهار وأنا أغفـر الذنوب جميعـا، فاستـغفرونى أغفـر لكم. يا عبادى إنكم لن تبلغـوا ضرى فتضـرونى، ولن تبلغوا نفعى فـتنفعونى. يا عبـادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كـانوا على أتقى قلـب رجل واحد منـكم، ما زاد ذلك فى مـلكى شيـئـا. ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كـانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقـص ذلك من ملكى شيـئا. يا عـبادى لو أن أولكم وآخـركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى، فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياهـا، فمن وجد خـيرا فليـحمد الله، ومن وجـد غير ذلـك فلا يلومن إلا نفسه» رواه مسلم[1].

الشرح والبيان

(عن أبى ذر الغفارى) وتقدم الكلام عليه (رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ فيما يرويه) أى ينقله (عن ربه عز وجل) أى الرب جل جلاله، فهو حديث قدسى.

(يا عبادى) المراد بهم هنا جميع الثقلين. بدليل قوله الآتى «إنسكم وجنكم» (إنى حرمت الظلـم على نفسى) أى تقدست وتنزهت عـنه، وحكمت باستحـالته على نفسى، لأن معناه لغة: وضع الشىء فى غير مـحله، ومعناه شرعا: التصرف فى ملك الغير بغيـر حق، وكلا المعنيين مستحيل عليـه تعالى، إذ لا ملك لغيره،

---

(١) مسـلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٧٧/ ٥٥) والبـخارى فى الأدب المفـرد (٤٩٧) وأحمـد (٥/ ١٦٠) وعبدالرزاق (٢٠٢٧٢) وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ١٢٥، ١٢٦) والحاكم (٤/ ٢٤١).

بل هو مالك كل شيء، وما في الدنيا إعارة بفضله ولا حق لأحد معه، فهو الذي خلق المالكين وأملاكهم، وتفضل عليهم بها، وحدد لهم الحدود، وحرم وأحل؛ فلاحاكم يتعقبه، ولا حق يترتب عليه - تعالى عن ذلك علوا كبيرا - وما ألطف قول ابن العربي رحمه الله تعالى: من لم يخرج شيء عن ملكه لم يتصف بالظلم في حكمه. وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] أي لا يمكن ظلمه ولا يقع.

(وجعلته) أي الظلم **(بينكم محرما)** أي حكمت بتحريمه عليكم ومنعتكم منه لقبحه وأذية النفس والخلق به. وقد اتفقت الملل كلها على وجوب حفظ الأنفس والأنساب والأعراض والعقول والأموال. والظلم يقع في هذه أو بعضها، وأعلاه الشرك. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وروى الشيخان: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**» (١). وروى أيضا: «**إن الله ليملي للظالم**» أي يمهله ويطول له «**حتى إذا أخذه لم يفلته**» (٢) وروى مسلم: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: «**المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**» (٣).

(فلا تظالموا) بفتح التاء وتخفيف الظاء المعجمة، وأصله تتظالموا، فحذفت إحدى التاءين تخفيفا، ويجوز تشديد الظاء بإبدال التاء الثانية ظاء وإدغامها في الظاء، وزعم بعضهم أنه الرواية أي لا يظلم بعضكم بعضا، فإن الله تعالى يقتص للمظلوم من الظالم بقدر ظلامته. ومن جملة الظلم: إعانة الظالم والدعاء له. وقد ورد: «**من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه**»(٤).

---

(١) البخاري في المظالم (٢٤٤٧) ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٧٩).

(٢) البخاري في التفسير (٤٦٨٦) ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٣).

(٣) مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨١).

(٤) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص (٢١١) وقال الشوكاني: قال في اللآلئ: هو من قول الحسن البصري، وقال في المختصر: لم نجده إلا من قول الحسن.

وورد: «**الظلمة وأعوانهم فى النار**» [1].

وورد: «**ينادى مناد يوم القيامة: أين الظلمة وأشياع الظلمة؟**» أى أتباعهم وأنصارهم ومن يعينهم حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلما «**فيجمعون فى تابوت من حديد فيرمى بهم فى جهنم**».

وورد أن «**من مشى مع مظلوم يعينه على مظلمته؛ ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام. ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه؛ أزل الله قدميه على الصراط يوم تدحض ـ** أى تزلق ـ **فيه الأقدام**» [2]

وحكى أنه لما ظلم أحمد بن طولون، استغاث الناس من ظلمه، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وشكوا ذلك إليها ، فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: فى غد، فكتبت رقعة ووقفت فى طريقه، وقالت: يا أحمد بن طولون. فلما رآها عرفها، فنزل عن فرسه، وأخذ منها الرقعة، وقرأها فإذا فيها: ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم ـ أى أعطيتم ـ نعما وخدما ففسقتم، ووردت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها ، وأكباد أجعتموها، وأجساد عريتموها، اعلموا ماشئتم فإنا صابرون، وجوروا فإنا بالله مستجيرون واظلموا فإنا لله متظلمون: ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٢٧] فعدل لوقته.

وحكى: أن بعض الملوك أغار على قرية ـ أى هجم عليها ـ فنهبها، وأخذ أموال أهلها ومواشيهم ودوابهم، وفتك ـ أى بطش فيهم بالقتل وغيره ـ فخرجت عجوز من بعض الدور فنظرت إليه، وقالت: يا ويلك من ديان ـ أى قهار ـ يوم الدين، إذا انشقت السماء وبرز الرب لفصل القضاء، فقال لها: يا عجوز أما سمعت فى القرآن ﴿**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً**﴾ [النمل: ٣٤] فقالت له: يا هذا أنسيت الآية الأخرى التى بعدها فى السورة: ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً**﴾ أى خالية ﴿**بِمَا ظَلَمُوا**﴾ [النمل: ٥٢].

---

(١) الديلمى (٣٨١٣) والسيوطى فى الجامع الصغير (٥٣٥٦) قلت: ابن عنبسة بن عبدالرحمن، قال أبو حاتم: كان يضع الحديث.

(٢) كنز العمال (٥٦٠٤) وعزاه لأبى الشيخ. عن ابن عمر.

فقال الملك: ردوا عليهم جميع أموالهم، فردوه، ثم قال: يا عجوز كيف الخلاص؟ قالت: لا تقنط ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥].

(**يا عبادى كلكم ضال**) أى غافل عن الشرائع لا يعرف كيف يذكرنى ويعبدنى (**إلا من هديته**) أى دللته ووفقته للإيمان بما جاءت به الرسل (**فاستهدونى**) السين والتاء فيه وفيما بعده للطلب، أى اطلبوا منى الهداية، أى الدلالة الموصلة إلى طريق الحق، معتقدين أنها لا تكون إلا من فضلى (**أهدكم**) بفتح الهمزة وكسر الدال، أى أدلكم على طرق النجاة فى الدنيا والآخرة. والحكمة فى طلب سؤال الهداية إظهار الافتقار إليه عز وجل والإشعار بأنه لو هداهم قبل السؤال لربما قالوا إنما أوتيناه على علم عندنا؛ فيضلوا بذلك. فإن قيل: كل مؤمن تثبت له الهداية، فكيف يطلبها؟ أجيب بأن المراد من طلبها الثبات عليها والمزيد فيها؛ لأن الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى، ولا شك أن كل مؤمن محتاج لذلك.

(**يا عبادى كلكم جائع**) بالهمز (**إلا من أطعمته**) وذلك لأن الخلق كلهم عبيد لا ملك لهم فى الحقيقة، وخزائن الرزق بيده سبحانه وتعالى فمن لا يطعمه بفضله بقى جائعا بعدله، إذ ليس عليه إطعام أحد. وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] فعلى فيه بمعنى من، أو هو التزام منه تفضلا، لا أنه واجب عليه.

(**فاستطعمونى**) أى سلونى واطلبوا منى الإطعام (**أطعمكم**) بضم الهمزة، أى أيسر لكم أسباب تحصيل الطعام وأشبعكم به. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

فهو جل جلاله يسخر السحاب، ويسقى البلاد، ويحرك القلوب للإعطاء، ويحوج بعضهم إلى بعض. وتصرفه فى خلقه عجيب، يعجز عنه الفطن اللبيب.

قال بعضهم: ولا يمنع من نسبة الإطعام إلى الله تعالى ما يشاهد من ترتب الأرزاق على الأسباب الظاهرة، كالحرف والصنائع وأنواع الاكتساب؛ لأنه عز وجل هو الذى قدرها وسهلها بحكمته الباطنة.

وقد يرزق بعض عبيده بلا سبب معلوم، كما روى أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يضرب صخرة بعصاه، فانشقت وخرجت منها صخرة ثانية، ثم ضرب فانشقت فخرجت ثالثة، ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفى فمها شىء يجرى مجرى الغذاء، ومن ثم كان أهل الله لا ينظرون إلى الوسائط فى الرزق وغيره، وإنما ينظرون إلى الله عز وجل، فالجاهل محجوب بالظاهر عن الباطن، والعارف محجوب بالباطن عن الظاهر.

وقال بعضهم: من جرى مع الله تعالى على عادة الناس من ملاحظة أسباب الرزق؛ جرى الله تعالى معه على عادتهم من تحصيله بالأسباب، ومن خالفهم بقطع ملاحظة الأسباب من القلب، وثقته بوعد الله تعالى بالرزق جرى الله تعالى معه على مخالفة عادتهم؛ بأن يجعل رزقه من حيث لا يحتسب من غير تعب الكسب.

وقد قيل لبعضهم: من أين تأكل؟ فأشار إلى فمه. فقيل له: يا هذا إن كل أحد يعرف ذلك، فقال: يا هذا إن الذى خلق الرحى يرسل لها الدقيق.

وحكى: أن عابدا اعتكف فى مسجد ولم يكن له معلوم، فقال له إمامه: لو اكتسبت كان خيرا لك وأفضل، فلم يجبه حتى أعاد عليه القول ثلاثا، فقال له فى الرابعة: بجوار المسجد يهودى قد ضمن لى فى كل يوم رغيفين. قال: إن كان صادقا فى ضمانه فقعودك فى المسجد خير لك. فقال: يا هذا لو لم تكن إماما لكان خيرا لك، أتفضل ضمان يهودى على ضمان الله عز وجل؟.

وقيل: إن أبا يزيد صلى خلف إمام فى بعض المساجد، فلما سلم الإمام، قال: يا أبا يزيد إنى أراك لا كسب لك، فمن أين تأكل؟ قال أبو يزيد: اصبر حتى أعيد الصلاة التى صليتها خلفك حيث شككت فى رزق المخلوقين؛ فإنه لا تجوز الصلاة خلف من لا يعرف الرازق. وقيل لبعضهم: من أين تأكل؟ فقال: من حيث يرزق الله الذبابة والبعوضة، أيطعمها وينسانى؟.

وحكى أن رجلا كثير العيال. فضاقت يده، فهم أن يهرب ويترك عياله، فاستقبله شخص وقال له: تؤجرنى نفسك على أن تسقى لى طيرا حتى يروى

وتأخذ منى دينارا؟ فـفرح بذلك، فدله على بئـر وأعطاه دلوا، وقال له: انزح من هذه البـئر واسـق هذا الطائر حتى يـروى، فنزح طول نهاره والـطير يشـرب ولا يروى، فعجز وضاق صدره حيث لم يستحق الدينار، فقال له ذلك الشخص: إنى لست ببشـر، وإنما أنا ملك بعثنى الله إليك ليـريك ضعفك، حـيث إنك لم تقدر أنت تروى طيرا، فكـيف تقدر أن ترزق عيـالك؟ ارجع إليهم فـإن الله تعالى هو الرزاق لهم، ففوض أمرك وأمرهم إليه، وانتظر الرزق من عنده.

فائدة: ورد فى الحديث الشريف أن: « **من قال إذا أصبح وإذا أمسى: اللهم أنت خلقتنى، وأنت تهدينى ، وأنت تطعـمنى، وأنت تسقينى، وأنت تميتنى، وأنت تحيينى، لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه** » (١).

(**يا عبادى كلـكم عار إلا من كسوته فاسـتكسونى**) أى اطلبوا منى الكسوة، وهى ما يستر الجسد (**أكسكم**) بفتح الهمزة وكسـر السين وضمها، أى أيسر لكم الأسباب المحصلة لها. وذهب بعض الصوفية إلى أن المراد بالكسوة لباس التقوى، وكذا المراد بالـطعام فيـما تقـدم قوت الروح. والمعنى: كلكم جـاهل غيـر متق؛ فاطلبوا منى العلم والتقوى. وعلى هذا المعنى قول بعضهم:

إذا المرء لم يلبس ثيـابا من التقى ... تقلب عـريانا ولو كـان كـاسيـا

وخـيـر لبـاس المرء طاعـة ربه ... ولا خيـر فيمـن كان لله عاصـيا

ولا مانع من إرادة المعنيين هنا وفيما تقدم، فيكون المراد بالطعام الطعام الظاهر والباطن، والمراد بالكسوة: الكسوة الظاهرة والباطنة.

فائدة: ورد فى الحديث الحسن: « **أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله تعالى من خـضر الجنة** - أى من ثيابهـا الخضر - **وأيما مسلم أطعم مـسلما على جوع؛ أطعمـه الله يوم القيامة من ثمـار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلمـا على ظمأ؛ سقـاه الله تعالى يوم القيـامة من الرحيق المخـتوم** » (٢). أى من خمر الجـنة المختوم عليـه بالمسك. والمراد أنه يخـتص بنوع ممـا ذكر أعلـى، وإلا فكل من دخل الجنة كساه الله من ثيابها، وأطعمه من ثمارها، وسقاه من شرابها.

---

(١) الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد (١٠/ ١١٨) وقال الهيثمى: إسناده حسن.
(٢) أحمد (٣/ ١٤) وأبو داود فى الزكاة (١٦٨٢) والترمذى فى صفة القيامة (٢٤٤٩).

(يا عبادى إنكم تخطئون) بضم التاء وكسر الطاء على المشهور. وروى بفتحهما على وزن تعلمون، والمعنى أنكم تفعلون الخطيئة أى الذنب **(بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا)** أى أسترها وأعفو عنها. وهذا كقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾** [الزمر: ٥٣] وهو عام مخصوص بغير الشرك وما لا يشاء الله تعالى مغفرته، لقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾** [النساء: ٤٨]

وسبب نزول هاتين الآيتين ما روى عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قال: أتى وحشى إلى النبى ﷺ فقال: يا محمد أتيتك مستجيرا فأجرنى حتى أسمع كلام الله، فقال رسول الله ﷺ: **«قد كنت أحب أن أراك على غير جوارى، فلما أن أتيتنى مستجيرا فأنت فى جوارى حتى تسمع كلام الله»** فأنزل الله: **﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾**[الفرقان: ٦٨] إلى قوله: **﴿مُهَانًا﴾** [الفرقان: ٦٩] فقال: قد فعلت هذا كله أنا فى جوارك حتى أسمع كلام الله، فأنزل الله تعالى: **﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ﴾** [الفرقان: ٧٠] فقال: أرى شرطا فلعلى لا أعمل صالحا أنا فى جوارك حتى أسمع كلام الله، فأنزل الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾** [النساء: ٤٨] قال: فلعلى ممن لا يشاء، أنا فى جوارك حتى أسمع كلام الله؛ فأنزل الله عز وجل: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾** [الزمر: ٥٣] فقال: نعم الآن لا أرى شرطا. فأسلم[١].

(فاستغفرونى) أى سلونى واطلبوا منى المغفرة **(أغفر لكم)** أى أستر ذنوبكم وأمحو أثرها ولا أؤاخذكم بها. وروى عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتى وجلالى وارتفاعى فى مكانى، لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى»**[٢].

---

(١) الواحدى فى أسباب النزول ص (٢٨١، ٢٨٢) والطبرانى فى الكبير من طريق آخر (١١٤٨٠) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/١٠١) فيه أبين بن سفيان ضعفه الذهبى.

(٢) أبو نعيم فى حلية الأولياء (٨/ ٣٣٢).

وعن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب**» (١) أى من جهة لا يظن مجىء الرزق منها.

وفى الحديث: «**من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم، ويرزق بهم أهل الأرض**» (٢).

وذكر ابن حجر أن من خصائص هذه الأمة أنهم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب؛ لاستغفار المؤمنين لهم. وقيل إن من لازم على هذه الأشياء السبعة؛ عاش سعيدا ومات شهيدا، وهى: أن يقول عند ابتداء كل شىء بسم الله. وعند الفراغ منه الحمد لله. وإذا رأى ما يكره يقول لا حول ولا قوة إلا بالله. وإذا رأى ما يستعظم يقول: لا إله إلا الله، وإذا أصابته مصيبة يقول: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٦] وإذا أراد أن يفعل فعلا يقول إن شاء الله، وإذا أذنب ذنبا يقول: أستغفر الله. فينبغى للإنسان أن يعود لسانه عليها.

(**يا عبادى إنكم لن تبلغُوا ضرى**) بضم الضاد وفتحها وهو منصوب بنزع الخافض، أى لن تصلوا إلى ضرى.

وقوله: (**فتضرونى**) منصوب بحذف النون جوابا للنفى (**ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى**) منصوب أيضا بحذف النون كالذى قبله. والمعنى: لا تقدروا أن توصلوا إلىّ ضرا ولا نفعا لاتصافكم بالعجز والفقر، واتصافى بالقدرة والغنى. وقد قام الإجماع على تنزيه البارئ وتقديسه، وأنه غنى بذاته لا يلحقه ضر ولا نفع، فالطاعة لا تنفعه، والمعصية لا تضره وإنما نفع الأولى وضرر الثانية راجع للعبد، كما قال الله تعالى: ﴿**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾ [الإسراء: ٧].

(**يا عبادى لو أن أولكم وآخركم**) يعنى أن الأموات الذين سبقوكم والأحياء الموجودين فيكم ومن يوجد بعدكم. وقوله: (**وإنسكم وجنكم**) عطف تفسير أو تفصيل بعد إجمال (**كانوا**) كلهم أتقياء بررة مشتملين (**على أتقى**) أى على مثل

---

(١) أحمد (١/ ٢٤٨) وأبو داود فى الصلاة (١٥١٨) والنسائى فى عمل اليوم والليلة (٤٥٦) وابن ماجة فى الأدب (٣٨١٩) والحاكم (٤/ ٢٦٢).

(٢) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ٢١٠) رواه الطبرانى وفيه عثمان بن أبى العاتكة.

تقوى أتقى **(قلب رجل واحد منكم)**، والمراد به سيدنا محمد ﷺ ، والمعنى: إنكم لو كنتم فى غاية من التقوى وأطعتمونى كطاعة محمد ﷺ **(ما زاد ذلك)** الذى فعلتموه **(فى ملكى)** بضم الميم أى عظمى شيئا .

(يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا) كلهم عصاة فجرة مشتملين **(على أفجر)** أى على مثل فجور أفجر **(قلب رجل واحد)** وهو إبليس اللعين، ولم يقل منكم هنا لئلا يخاطبهم بالأفجرية، تفضلا منه وإحسانا. وقيل: إن منكم وقع فى بعض النسخ، ولكن الرواية على الأول أى على حذفه، والمعنى: إنكم لو اتفقتم على الفجور وعصيتمونى كمعصية إبليس **(ما نقص ذلك من ملكى شيئا)** فسبحان من ملكه فى غاية الكمال، لا يزيد بطاعة الطائعين ولا ينقص بمعصية العاصين.

(يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا) أى اجتمعوا **(فى صعيد واحد)**أى فى بعض واحدة ومحل واحد **(فسألونى)** أى طلبوا منى حوائجهم فى آن واحد **(فأعطيت كل إنسان)** وفى رواية «كل واحد» **(مسألته)** أى مطلوبه وحاجته **(ما نقص ذلك)** أى الإعطاء المفهوم من أعطيت، وهو بمعنى المعطى أى لا ينقص ما أعطيته لكل واحد منكم شيئا **(مما عندى)** أى فى قبضة قدرتى **(إلا كما)** أى إلا نقصا مماثلا للذى **(ينقص المخيط)** بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الياء، أى الإبرة التى يخاط بها. ونقص يستعمل لازما كنقص المال، ومتعديا كما هنا، والمفعول محذوف أى إلا كما ينقصه المخيط **(إذا أدخل)** بصيغة المجهول، وفى نسخة «**إذا دخل**» **(البحر)** أى المحيط بالدنيا.

وهذا مثل قصد به التقريب للأفهام؛ فإن ماء هذا البحر من أعظم المرئيات وأكبرها، وغمس الإبرة فيه مع كونها صغيرة صقيلة لا يؤثر فيه نقصا، يعنى: إن إعطاء الله تعالى من الخزائن الإلهية لا ينقصها شيئا، كما أن غمس الإبرة فى البحر لا ينقصه، أى بالنسبة إلى رأى العين، وإن كان في نفس الأمر ينقص شيئا قليلا ، لكنه لقلته جدا لا يرى ولا يعد شيئا، فكأنه لم ينقص. وأما الخزائن الإلهية فإنها لا تنقص شيئا أصلا البتة، إذ لا نهاية لها، والنقص مما لا يتناهى محال بخلاف ما يتناهى؛ فإنه يدخله النقص. وقد يؤخذ منه مع عدم نقصه كالنار

والعلم يقتبس منهـما ما شاء الله ـ تعالى ـ ولا ينقص منهمـا شىء أصلا، بل قد يزيد العلم بالإنفاق منه، كمـا قال على ـ كرم الله تعالى وجهـه ـ: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصـه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق ـ أى يزيد بالتعليم ـ.

(**يا عبادى إنما هى**) أى الأعمال الصالحـة والقبيحة المستـفادة من قوله «**أتقى**» و «**أفجر**» أو هى ضمـير الشأن يفسـره قوله (**أعمـالكم أحـصيـها**) أى أضبطها وأحفظها (**لكم**) بعلمى وملائكتى الحفظة (**ثم أوفيكم إياها**) بضم الهمـزة وفتح الواو وتشديد الفاء، من التوفية؛ وهى: إعطاء الحق على التمام والكمال.

والمعنى: ثم أعطيكم جزاءها وافيا تاما خيرا كان أو شرا. وهذه التوفية تكون فى الآخرة لقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥] أو وفى الدنيا أيضا، لما روى أن المؤمنين يجازون بسـيئاتهم فى الدنيا، ويدخلون الجنة بحـسناتهم، والكافـر يجازى بحـسناته فى الدنيـا ويدخل النار بسـيئـاته. والمراد بالحسـنات التى يجازى عليـها: الطاعـات التى لا تتوقف صـحتهـا على الإيمان. كصلة الرحم، وإعتاق الرقبة.

(**فمن وجد خيرا**) أى فمن رأى نفسه تفعل ما يتعلق به المدح عاجلا والثواب آجلا (**فليحمد الله**) تعالى، أى فليثن عليه بخير لتوفـيقه لذلك؛ فإنه نعمة عظيمة يجب الشكر عليهـا. وقد قيل: إن الشكر على النعم يحفظـها عن الزوال. وقال وهب: قرأت فى بعض كتب الله تـعالى: أن إبليس ما قال فى عبـادته قط الحمد لله، ولو قالها ما مكر الله تعالى به.

وقال بعض العـارفين: من لم يشكر النعم فقد تعـرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها. وفى الحديث: «**من أعطى فشكر، وابتلى فصبر، وظُلم فغفر، وظَلم فاستغفر**» ثم سكت ﷺ، فقالوا: ماذا يا رسول الله؟ فقال: ﴿**أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٢] [(١)] أى لهم الأمن فى الآخرة وهم مهتدون فى الدنيا.

(**ومن وجد غير ذلك**) أى غير الخير وهو الشر (**فلا يلومن إلا نفسه**) لأن الله تعالى أوضح الطريق وحذر وأنذر. واللوم: الاعـتراض، والمعنى: ومن رأى نفسه

---

(١) ابن أبى الدنيـا فى الشكر (١٦٤) والطبرانى فى الكبـير (٧/ ٦٦١٣) وقـال الهيـثمى فى مجـمع الزوائد (١٠/ ٢٨٤) فيه أبو داود الأعمى وهو متروك.

تفعل شرا فلا يعترض إلا عليها، حيث إنهـا آثرت شهواتها ومستلذاتها على رضا خالقـها ورازقهـا فكفرت بنعمـه، ولم تذعن لأحكامه وحكمـه، فاستـحقت أن يعاملها بظهور عدله، وأن يحرمها مزايا جوده وفضله.

خاتمة: قال سهل بن عـبدالله التستـرى ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا عـمل العبد حسنة، وقال: يا رب أنت بفضلك استعملت، وأنت أعنت، وأنت سهلت، شكر الله تعالى له ذلك، وقـال: يا عبدى أنت عـملت، وأنت أطعت، وأنت تقربت. وإذا نظر إلى نفسه وقـال: أنا عملت، وأنا أطعمت، وأنا تقربـت أعرض الله تعالى عنه. وقال: أنا وفقت، وأنا أعنت، وأنـا سهلت. وإذا عمل سيئـة وقال: أنت قدرت، وأنت قضـيت، وأنت حكمت غضب الله تعـالى عليه، وقـال: بل أنت أسأت، وأنت جهلـت، وأنت عصيت. وإذا قـال: أنا ظلمت، وأنا أسأت، وأنـا جهلت أقبل الله تعالى عليه، وقال: أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وحملت وسترت.

ثم إن هذا الحديث (رواه مسلم) فى كتاب الأدب من صحيحه، وهو حديث عظيم عليـه مدار الإسـلام. وقـد كان أبو إدريس الخـولانى راويه عن أبى ذر إذا حدث به، جثا على ركبتيه تعظيما له وإجلالا.

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ الحديث القدسى من عند الله الغفار لفظا ومعنى .وأما الحديث النبوى:فهو من عند الرسول ﷺ لفظاومعناه من اللّه.

٢ ـ الظلم محرم من الله عزَّ وجلَّ وهو ظلمات يوم القيامة.

٣ ـ الإطعام والكسوة أهم شىء للإنسان فى هذه الحياة.

٤ ـ عدم سؤال غير اللّه عزَّ وجلَّ.

٥ ـ أعمال العبادة تحصى ولاتنسى والمحصى هو الله عزَّ وجلَّ.

٦ ـ أعمال العبادة مراقبة من اللّه.

٧ ـ حث الحديث على عالمية الإسلام فالحديث بدأ بـ ياعبادى وهو توجيه عام.

٨ ـ كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

٩ ـ يحث الحديث على روح التسامح والصفح فى قلب المؤمن.

١٠ ـ لوم الإنسان نفسه على الذنب عقاب فطرى رادع.

الحديث الخامس والعشرون

فضل الذكر

٢٥ ـ عن أبى ذر ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن ناسا من أصحاب النبى ﷺ قالوا للنبى ﷺ : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: «أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن منكر صدقة، وفى بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر» رواه مسلم[1].

الشرح والبيان

(**عن أبى ذر**) تقدمت ترجمته (**رضى الله تعالى عنه أنا ناسا**) وفى نسخة «**أناسا**» أى جماعة (**من أصحاب رسول الله ﷺ**) وفى رواية للبخارى أنهم من فقراء المهاجرين[2]

(**قالوا للنبى ﷺ : يا رسول الله ذهب**) أى سار ومضى (**أهل**) أى أصحاب (**الدثور**) بضم الدال المهملة والثاء المثلثة أى الأموال الكثيرة (**بالأجور**) أى الزائدة على أجورنا، وذلك لأنهم (**يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم**) من إضافة الصفة للموصوف، أى بأموالهم الفاضلة أى الزائدة عن كفايتهم.

وقولهم ذلك ليس حسدا بل هو غبطة وتحزن على ما فاتهم من ثواب الصدقات، وعتق الرقاب والمبرات التى لا يقدرون عليها؛ لشدة حرصهم على الأعمال الصالحة، وقوة رغبتهم في فعل الخير. فأرشدهم المصطفى ﷺ إلى أن بكل نوع من الأذكار صدقة حيث (**قال**) لهم (**أو ليس**) الهمزة للإنكار بمعنى

---

(١) البخارى فى الأذان (٨٤٣) وفى الدعوات (٦٣٢٩) ومسلم فى المساجد (٥٩٥) وفى الزكاة (١٠٠٦).

(٢) رواية فقراء المهاجرين وجدتها عند مسلم ولم أجدها عند البخارى.

النفى، والواو للعطف على مقدر، أى يكون ذلك؟ وليس للنفى، ونفى النفى إثبات، أى لا تقولوا ذلك؛ فإنه **(قد جعل الله)** تعالى **(لكم ما تصدقون)** بتشديد الصاد والدال ـ وأصله: تتصدقون به، فقلبت التاء الثانية صادا، وأدغمت فى الصاد وحذفت الصلة وهى الجار والمجرور للعلم بها.

والمعنى: لا تعتقدوا أن الصدقة خاصة بالأموال؛ فإن الله تعالى قد صير لكم ما تفعلونه ويحصل لكم عليه ثواب كثواب الصدقة، وبين لهم ذلك بقوله **(إن)** لكم **(بكل)** أى بسبب كل **(تسبيحة)** أى قول سبحان الله **(صدقة)** أى أجرا كأجر الصدقة **(و)** إن لكم بسبب **(كل تكبيرة)** أى قول الله أكبر **(صدقة)** وإن لكم بسبب **(كل تحميدة)** أى قول الحمد لله **(صدقة)** وإن لكم بسبب **(كل تهليلة)** أى قول لا إله إلا الله **(صدقة)** أى أجرا كأجر الصدقة كما تقرر، وعلم من ذلك أن لفظ كل فى المواضع الثلاثة بالجر عطفا على مدخول الباء فى **(بكل تسبيحة)**. وصدقة منصوب على كونه اسم إن، هذا هو المختار. وفى بعض النسخ «**كل**» بالرفع على الابتداء فى المواضع الثلاثة. وصدقة: خير، ويكون المعنى على ذلك: كل قول من هذه الأقوال صدقة ـ أى حسنة ـ.

وروى عن أم هانئ بنت أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنها ـ أنها قالت: يا رسول الله علمنى شيئا أقوله وأنا جالسة، فقال: «**قولى: الله أكبر مائة مرة خير لك من مائة بدنة مجللة**[1] **متقبلة، وقولى سبحان الله مائة مرة خير لك من مائة فرس فى سبيل الله، وقولى الحمد لله مائة مرة خير لك من مائة رقبة من ولد إسماعيل تعتقيهم، وقولى لا إله إلا الله مائة مرة لا يدركها شىء ولا يسبقها**»[2]

وفى رواية أنه ﷺ قال لها: «**سبحى الله مائة تسبيحة؛ فإنها تعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل، واحمدى الله مائة تحميدة فإنها تعدل مائة فرس ملجمة مسرجة تحملين عليها فى سبيل الله، وكبرى الله مائة تكبيرة فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة**

---

(١) مجللة: جمع جل وهو ما يلبس للدابة، ومجللة: مستورة بالجلال.

(٢) رواه أحمد (٦/ ٤٢٥).

متقبلة، وهللى الله مائة تهليلة - ولا أحسبه إلا قال: - **تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ لأحد مثل عملك، إلا أن يأتى بمثل ما أتيت به»**[(١)] وفى الحديث: «**من كبر مائة، وسبح مائة، وهلل مائة؛ كان له خيرا من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها**»[(٢)]...

وروى مرفوعا: «**من ضن**» أى بخل «**بالمال أن ينفقه**» أى فى وجوه الخير «**وبالليل أن يكابده**» أى يقاسى شدته فى قيامه للتجهد «**فعليه بسبحان الله وبحمده**»[(٣)] أى فليلزم قول ذلك بقلب حاضر؛ فإنه يقوم له مقام الإنفاق والصلاة.

وعن شريح العابد - رحمة الله تعالى عليه - قال: بلغني أن لو قسّم ثواب تسبيحة على جميع هذا الخلق؛ لأصاب كل واحد منهم خير.

وحكى: أن سيدنا سليمان - عليه السلام - كان فى موكبه والطير تظله والإنس والجن حوله، فمر بعابد من بنى إسرائيل، فقال: قد أوتيت ملكا عظيما، فقال: تسبيحة فى صحيفة أفضل، ما أوتيت يذهب وتسبيحة تبقى، أى يبقى ثوابها مدخرا عند الله تعالى.

وعن أبى الحسن الشاذلى - نفعنا الله تعالى به - أنه قال: إن أردت ألا يصدأ لك قلب، ولا يلقاك هم ولا كرب، ولا يبقى عليك ذنب؛ فأكثر من قول الباقيات الصالحات، أى وهى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وورد فى الحديث الشريف: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**ذكر الله عز وجل**»[(٤)]

---

(١) أحمد (٦/ ٣٤٤) والطبرانى فى الكبير (٢٤/ ١٠٠٨) ورواه ابن ماجة فى الأدب (٣٨١٠) بنحوه وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ٩٢) إسناده حسن.

(٢) البخارى فى الأدب المفرد (٦٥١).

(٣)السيوطى فى الجامع الصغير (٨٨٣٢) وعزاه لأبى نعيم فى المعرفة عن عبدالله بن حبيب وقال: حسن.

(٤) أحمد (٥/ ١٩٥و٦/ ٤٤٧) والترمذى فى الدعاء (٣٣٧٧) وابن ماجة فى الأدب (٣٧٩٠) ومالك فى الموطأ فى القرآن ١/ ١٨٥ (٢٤) والحاكم (١/ ٤٩٦) وأبو نعيم (٢/ ١٢) والبيهقى فى الشعب (٥١٨، ٥١٩).

وفى الصحيحين: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت، وهو على شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحى عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك**»(١)

(**وأمر بالمعروف**) أى وإن لكم بسبب كل أمر بالمعروف (**صدقة**) سبب كل (**ونهى عن منكر صدقة**) وفى بعض النسخ رفع أمر ونهى على الابتداء، وصدقة خبر، والذى جوز الابتداء بهما مع كونهما نكرتين عملهما فى الجار والمجرور، وحكمة تنكيرهما الإشعار بأن كل فرد من أفرادهما صدقة، وعرف المعروف ونكر المنكر لمناسبة لفظ كل منهما وإشارة لتعظيم الأول وتحقير الثانى. ويدخل فى الأمر بالمعروف الأمر بالإيمان وباتباع السنة، ويدخل فى النهى عن المنكر النهى عن الكفر وعن البدعة، وأخرهما عما قبلهما رعاية للترقى من الأدنى إلى الأعلى؛ لأنهما واجبان بخلاف ما قبلهما فنافلة، والواجب أفضل من النافلة، وقد نقل إمام الحرمين أن ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل بسبعين ضعفا.

فائدة: روى الترمذى ـ رحمه الله تعالى ـ عن حذيفة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم**»(٢).

وروى الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن المصطفى ﷺ قال: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر**»(٣)

(**وفى**) أى وبسبب (**بضع**) حليلة (**أحدكم صدقة**) بالنصب عطفا على اسم إن، وبالرفع على الابتداء، والبضع بضم فسكون: يطلق على الفرج وعلى الجماع، ويصح إرادة كل منهما هنا، لكن على الأول يكون على حذف مضاف

(١) البخارى فى بدء الخلق (٣٢٩٣) ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩١).
(٢) الترمذى فى الفتن (٢١٦٩) وقال: حسن.
(٣) رواه أحمد (١/٢٥٧).

تقديره: وفى وطء بضع.... إلخ، وإنما يكـون له فى ذلك صدقة إذا قارنتـه نية صالحة كان قصد إعفاف نفسه أو زوجته عن الزنى، أو مقدماته، أو قصد حصول ولد يوحد الله تعـالى، أو يكثر به المسلمون، أو يكون له سـابقا مهيّأ لمـصالحه إذا مات، فصبر على فقده.

وقد قيل: إن سيدنا عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ كان يتزوج المرأة لا قصد له فيها إلا إرادة الولد للمكاثرة أو ليموت؛ فيكون له أجره.

(قالوا: يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجرا؟ قال) لهم رسول الله ﷺ **(أرأيتم)** أى أخبرونـى عما **(لو وضعـها)** أى شهوته **(فى حرام)** وهو فرج غيـر حليلته **(أكان)** أى أثبت **(عليه وزر)** أى إثم. فكأنهم قالوا نعم، فقال لهم **(فكذلك إذا وضعـها فى الحلال)** وهو فرج حليلته **(كان له أجر)** أى فمثل حصول الوزر والإثم عليه بوضـعها فى الحرام حصول الأجر والثـواب له بوضعها فى الحلال. ولفظ «**أجر**» روى بالرفع على أنه اسم كان وله خـبرها، وبالنصب على أن الخبر والاسم ضمير يعود على الوضع المفهوم من وضعها. وله حال من أجر.

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم ونفعه عميم **(رواه)** الإمام **(مسلم)** ـ رحمه الله تعالى ـ

وفى رواية له: فرجع الفقراء إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا؛ ففعلوا. فقال رسول الله ﷺ: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**»(١).

وهذا مشعر بتفضيل الغنى الشاكر، وهو الذى يصرف فى الخيرات ما زاد عن حاجته على الفقير الصابر، وهو الذى لا يشتكى فقره. وبه قال الجمهور، واختاره العسقلانى والسيوطى وهو الأصح. وقيل: إن الفقير الصابر؛ أفضل. وإليه ذهبت الصوفية.

وقد ورد عن أنس بن مـالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: بعث الفـقراء إلى رسول الله ﷺ رسـولا فقـال: يا رسول الله إنى رسول الفـقراء إليك، فـقال:

---

(١) هو نفس الحديث عند البخارى ومسلم.

«مرحبا بك وبمن جئت من عندهم، جئت من عند قوم أحبهم الله» فقال: يا رسول الله إن الفقراء يقولون لك إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله.

وفي رواية: ذهبوا بالجنة، هم يحجون ولا نقدر عليه، ويتصدقون ولا نقدر عليه، ويضيفون ولا نقدر عليه، فإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخرا لهم، فقال رسول الله ﷺ: **«بلغ الفقراء عني أن لمن صبر منهم واحتسب ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء، أما الخصلة الأولى: فإن في الجنة غرفا من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم لا يدخلها إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير. والخصلة الثانية: يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام. والخصلة الثالثة: إذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصا، وقال الغني مثل ذلك، لم يلحق الغني بالفقير في فضله وتضاعف الثواب، وإن أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم، وكذلك أعمال البر كلها»**. فرجع إليهم الرسول وأخبرهم بذلك، فقالوا: رضينا.

ثم إن محل الخلاف في أفضلية الغني الشاكر على الفقير الصابر إنما هو فيمن يصلح حاله بالغنى والفقر، بأن كان إذا استغنى قام بجميع وظائف الغنى، من البذل والإحسان والمواساة وأداء حقوق المال وشكر الديان، وإذا افتقر قام بجميع وظائف الفقر كالرضا والصبر والقناعة.

وأما من يصلح حاله بالغنى فقط بأن يؤدي حق الله تعالى في حالة الغنى ولا يؤديه في حالة الفقر؛ فالغنى أفضل، اتفاقا. ومن يصلح حاله بالفقر فقط بأن يؤدي حق الله تعالى في حالة الفقر ولا يؤديه في حالة الغنى؛ فالفقر أفضل اتفاقا.

وورد مرفوعا: **«أتاني جبريل فقال: يا محمد ربك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالسقم ولو صححته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالصحة ولو أسقمته لكفر»**(١)

نسأل الله تعالى السلامة بمنه وكرمه، آمين.

(١) كنز العمال (٤٣٤٣٣) وعزاه للخطيب البغدادي عن ابن عمر.

الدروس المستفادة من الحديث

١ـ هذا الحديث جوابا يبين أنواع الصدقات.

٢ ـ التنافس فى أعمال الخير من صفات الصحابة فقراء وأغنياء.

٣ ـ التحميد، والتسبيح، والتهليل صدقة الفقراء يتصدقون بها.

٤ ـ نعم المال الصالح إذا كان فى يد الرجل الصالح.

٥ ـ فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء.

الحديث السادس والعشرون

كل معروف صدقة

٢٦ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة» رواه البخارى ومسلم[١].

الشرح والبيان

(**عن أبى هريرة**) وتقدمت ترجمته (**رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كل سلامى**) مبتدأ، وقوله الآتى «**من الناس**» صفته، وجملة «**عليه صدقة**» خبر. والسلامى بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم مع قصر الألف: اسم للواحد والجمع، فهو مما استوى واحده وجمعه. وقيل: جمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء وهى عظام الأصابع، والمراد بها هنا المفاصل. والمعنى: كل مفصل.

(**من الناس**) أى من كل واحد من الناس (**عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس**) شكرا لله تعالى على جعله هذه المفاصل للعظام ليتمكن بها من التحرك.

وقد ورد أنها ثلاثمائة وستون مفصلا[٢]؛ فيطلب من كل أحد فى كل يوم ثلاثمائة وستون صدقة، أى حسنة، بعدد تلك المفاصل؛ شكرا لله تعالى ـ كما علمت ـ ورجاء اندفاع البلاء عنها. فقد ورد: «**الصدقة على وجهها، واصطناع المعروف، وبر الوالدين، وصلة الرحم؛ تحول الشقاء سعادة، وتزيد فى العمر، وتقى مصارع السوء**»[٣] أى تحفظ من كل أمر مكروه دينى أو دنيوى.

وحكى: أنه كان فى قوم صالح ـ عليه السلام ـ رجل يؤذيهم، فقالوا: يا نبى الله ادع الله تعالى عليه، فقال: اذهبوا فقد كفيتموه. وكان يخرج كل يوم يحتطب

---

(١) البخارى فى الجهاد والسير (٢٩٨٩) ومسلم فى الزكاة (١٠٠٩) وأحمد(٢/ ٣١٦).

(٢) روى ذلك مسلم فى الزكاة (١٠٠٧).

(٣) أبو نعيم فى الحلية (٦/ ١٤٥) وقال: غريب، تفرد به إسماعيل بن أبى الزناد وإبراهيم بن أبى سفيان وذكره السيوطى فى الجامع الصغير (٥١٤٦) وقال: ضعيف.

فخرج فى هذا اليوم ومعه رغيفان، فأكل أحدهما وتصدق بالآخر، واحتطب. ثم جاء بحطبه سالما فلم يصبه شىء، فدعاه صالح عليه السلام وقال له: أى شىء صنعت اليوم؟ قال: خرجت ومعى رغيفان فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر. فقال صالح ـ عليه الصلاة والسلام ـ: حل حطبك، فحله. فإذا فيه أسود ـ أى ثعبان عظيم مثل الجذع عاض على جذر من حطب ـ فقال: بهذا دفع عنك. يعنى بالصدقة(١).

ونظير ذلك ما حكى: أن قصارا فى زمن عيسى ـ عليه السلام ـ كان يفسد على الناس أقمشتهم، فسألوا عيسى ـ عليه السلام ـ أن يدعو عليه بالهلاك، فأقبل القصار عند غروب الشمس ورزمته على رأسه، فعجبوا من ذلك، وأخبروا عيسى ـ عليه السلام ـ فطلبه فحضر برزمته، فقال له: افتح رزمتك. ففتحها فإذا فيها ثعبان عظيم قد ألجم بلجام من حديد، فقال له عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ما صنعت اليوم من الخير؟ فقال: ما صنعت شيئا إلا أن رجلا نزل إلىّ من صومعته فشكا إلىّ جوعا، فدفعت له رغيفا كان معى، فقال له عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: إن الله تعالى قد بعث لك هذا العدو، فلما تصدقت أمر الله تعالى ملكا فألجمه بهذا اللجام.

(تعدل) روى بالفوقية والتحتية فيه وفى الأفعال بعده، وأن مقدرة. أى أن تعدل، أو أن يعدل أى الإنسان المفهوم من الناس، فحذفت أن فارتفع الفعل، وهو فى تأويل مصدر مبتدأ خبره قوله «**صدقة**» الآتى، والمعنى: عدلك أى صلحك **(بين اثنين)** متحاكمين أو متخاصمين أو متهاجرين **(صدقة)** أى منك عليهما لوقايتهما ـ أى حفظهما ـ مما يترتب على المنافرة والمنازعة بينهما من قبيح الأقوال والأفعال.

وقد ثبت بالآيات والأحاديث النبويات: أن الإصلاح بين الناس من أفضل القربات. وما أحسن قول القائل:

إن الفضائل كلها لو جمعت رجعت بأجمعها إلى شيئين

تعظيم أمر الله جل جلاله والسعى فى إصلاح ذات البين .

---

(١) كنز العمال (١٦١١٥) وعزاه للبيهقى بنحوه.

أى العدواة والبغضاء.

وعن الحسن ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: **«أفضل الناس عند الله يوم القيامة المصلحون بين الناس»** وقيل: إن جبريل عليه السلام تمنى أن يكون فى الأرض يسقى الماء ويصلح بين المسلمين.

وحكى: أنه كان فى بنى إسرائيل رجل صالح، وله امرأة صالحة تغزل قطنا، كان يأخذه منها ويبيعه كل يوم بدرهم، فينفق نصفه عليهما، ويشترى بنصفه الآخر قطنا؛ فرأى يوما رجلين يقتتلان فى السوق ويتشاتمان، فقال: ما شأنكما؟ فقال أحدهما: لى على هذا درهم ولا يعطينيه، فقال: لا تقتتلا، ودفع الدرهم الذى باع به القطن إلى صاحب الحق، ورجع الى امرأته، فقالت له: لم لم تجئ بالطعام والقطن؟ فحكى لها ما جرى، فدعت له بالبركة، وأثنت عليه، وجمعت القطن الذى تطاير وتفرق فى الدار واسود فغزلته، وأخذه منها ليبيعه فلم يشتره أحد فرجع حزينا، فمر على سماك عنده سمكة منتنة لم يقبلها أحد، فقال له: مالى أراك حزينا؟ فحكى له ما حصل، فقال: بعتك هذه السمكة بهذا الغزل، فجاء بها إلى امرأته فشقت بطنها فإذا فيها لؤلؤة فى صدف، فذهب بها إلى رجل فقومها بأربعين ألف درهم، وقال له: أنت ضعيف من أين لك هذه؟ فقال: رزقنى الله تعالى بها، فرق له وبعثه إلى آخر فقومها بثمانين ألف درهم، وقال له: من أين لك هذه وأنت ضعيف؟ فقال: رزقنى الله تعالى بها، فرحمه وبعثه إلى آخر، فباعها له بمائة وعشرين ألف درهم، فذهب بها إلى امرأته، فأتاهما سائل فقالا: ما لنا كثير؛ نعطيه نصف. فدفعا له نصفه. فذهب السائل، ورجع بالمال، وقال: لست سائلا وإنما أنا ملك من ملائكة السماء السابعة، بعثنى الله تعالى إليكما، وهو يقول: شكرتمانى فى الشدة والرخاء جميعا، وأعطيتكما ذلك جزاء لصلحكما للرجل الذى يقاتل صاحبه بالدرهم، ولكما جزاؤه الجنة.

(وتعين الرجل) أى وإعانتك الرجل **(فى دابته)** أى فيما يتعلق بها **(فتحمله عليها)** وفى نسخة **«فيحمل عليها»** وهو أعم من أن يحمل عليها الراكب أو

المتاع، وحمل الراكب أعم من أن يحمل كما هو، أو يعينه فى الركوب (**أو ترفع له عليها متاعه صدقة**) والإتيان بأو إما للشك من الراوى وإما للتنويع.

(**والكلمة الطيبة صدقة**) كقولك لأخيك المسلم: كيف أصبحت؟ كيف أمسيت؟ حياك الله، لقد أحسنت جوارنا أو ضيافتنا، وكالسلام عليه، وتشميته إذا عطس، والشفاعة له، ونحو ذلك مما فيه سرور وتآلف للقلوب.

وقد ورد مرفوعا: «**أفضل الصدقة صدقة اللسان**» قيل: يا رسول الله وما صدقة اللسان؟ قال: «**الشفاعة تفك بها الأسير، وتحقن بها الدم، وتجر بها المعروف إلى أخيك، وتدفع عنه كربته**»[1] ويحتمل أن المراد بالكلمة الطيبة: الباقيات الصالحات ويحتمل أن يراد بها: كل ثناء على الخالق أو المخلوق.

(**وبكل خطوة تمشيها**) وفى رواية «**تخطوها**» (**إلى الصلاة صدقة**) كل مبتدأ والباء فيه زائدة وخبره صدقة، والخطوة بفتح الخاء: النقلةُ الواحدة من المشى، والمعنى: وكل نقلة قدم فى الذهاب إلى الصلاة فى موضع الجماعات صدقة.

وفى الحديث «**إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء، ثم خرج عامدا إلى المسجد**» أى محل الجماعة «**لا ينزعه**» أى لا يخرجه «**إلا الصلاة لم تزل رجله اليسرى تمحو عنه سيئة، وتكتب له اليمنى حسنة حتى يدخل المسجد**»[2] أى محل الجماعة.

«**ولو يعلم الناس ما فى العتمة والصبح**» أى ما فى صلاة العشاء والصبح فى جماعة من جزيل الثواب «**لأتوهما**» أى لسعوا إلى فعليهما «**ولو حبوا**»[3] أى زاحفين على الركب

وفى الحديث أيضا: «**إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة - أى ينتظرها - كتب له كاتباه أو كاتبه بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات**»[4].

---

(١) الطبرانى فى الكبير (٧/ ٦٩٦٢) والبيهقى فى الشعب (٧٦٨٢) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٨/ ١٩٤) رواه الطبرانى وفيه أبو بكر الهذلى وهو ضعيف.

(٢) الطبرانى فى الكبير (١٢/ ١٣٣٢٨) وقال الهيثمى فى المجمع (٢/ ٢٩) رجال موثقون.

(٣) البخارى فى الأذان (٦١٥، ٦٥٤، ٦٥٧، ٧٢١) ومسلم فى الصلاة (٤٣٧) وابن ماجة فى المساجد (٧٩٦).

(٤) أحمد (٤/ ١٥٧) وابن حبان (٢٠٤٣ - إحسان) والحاكم (١/ ٢١١).

والظاهر أن مثل المشى إلى الصلاة المشى إلى الاعتكاف. والطواف وتدريس العلم واستماعه وعيادة المريض وغير ذلك من وجوه الطاعات.

(**وتميط**) بضم أوله أى تنحى وتزيل (**الأذى**) أى ما يؤذى المارة كقذر وشوك وحجر وحيوان مخوف. وقوله: (**عن الطريق**) متعلق بتميط. وقوله: (**صدقة**) أى منك على المخلوقات؛ لأنه نفع عام.

وقد روى : أن رجلا رأى غصن شوك فى الطريق فنحاه، أى أزاله فشكر الله له ذلك فغفر له[1] وعن أبي برزة ـ رضى الله تعالى عنه - قال: قلت: يا نبى الله علمنى شيئا أنتفع به، قال: «**اعزل الأذى عن طريق المسلمين**»[2]. واستحب بعضهم الإتيان بكلمة التوحيد عند إزالة الأذى، وهو ظاهر إن كان غير نجاسة، وإلا فلا يستحب بل يكره.

واعلم أنه كما يطلب إزالة الأذى عن الطريق يطلب ترك إلقائه فيها. ويصح أن يكون ذلك داخلا فى الحديث بأن يقال معنى «**تميط الأذى**» تزيله حقيقة أو حكما بأن تترك إلقاءه.

وروى البيهقى ـ رحمه الله تعالى عن أنس ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رجلا رأى فى النوم قائلا يقول له: بشر عائذ بن عمرو المزنى بالجنة، فلم يفعل. فأتاه فى الثانية فلم يفعل فأتاه فى الثالثة فلم يفعل. فأتاه فى الرابعة ، فقال له: لم ذلك؟ قال: إنه لا يلقى أذاه فى طريق المسلمين[3]. وكان عائذ رضى الله تعالى عنه ممن بايع تحت الشجرة وكان لا يخرج من داره ماء إلى الطريق لا من مطر ولا من غيره. وكان إذا مات له سنور أى قط دفنه فى داره ولا يخرجه اتقاء أذى الناس.

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم، وقاعدة من قواعد الدين (**رواه البخارى ومسلم**) فى صحيحيهما ـ رحمة الله تعالى عليهما -

وفى بعض طرق مسلم: «**يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر**

---

(١) مسلم فى البر والصلة والآداب (١٩١٤/١٢٧) وابن ماجة فى الأدب (٣٦٨٢).

(٢) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٦١٨/ ١٣١) وابن ماجة فى الأدب (٣٦٨١).

(٣) البيهقى فى الشعب (١١١٨٧).

بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة، ويجزى عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى» [1] أى يكفى عن هذه الصدقات كلها، عن هذه الأعضاء كلها، ركعتان من الضحى، لخصوصية فيها وسر لا يعلمه إلا الله تعالى ـ ورسوله ﷺ .

ومما جاء فى فضلها أنها تجلب الرزق، وتنفى الفقر، وأنها تعدل عند الله تعالى ـ حجة وعمرة متقبلتين، وأن من قرأ فى الركعة الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسى عشر مرات، وفى الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد، عشر مرات؛ استوجب رضوان الله تعالى الأكبر.

وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه مرفوعا: « **إن فى الجنة بابا يقال له الضحى، فإذا جاء يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضحى، هذا بابكم فادخلوه برحمة الله»** [2]. فينبغى المحافظة عليها.

وما اشتهر بين العوام من أن من صلاها ثم قطعها يعمى أو يموت أولاده؛ لا أصل له، بل هو مما ألقاه الشيطان فى أذهانهم ؛ ليحرمهم من الخير الكثير. وأقلها: ركعتان وأكثرها ثمان، ووقتها من ارتفاع الشمس كرمح إلى الزوال.

خاتمة: ورد فى الحديث أن « **من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك، لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر؛ فقد أدى شكر ذلك اليوم، ومن قالها حين يمسى؛ فقد أدى شكر ليلته»** [3].

الدروس المستفادة من الحديث

١ ـ على الإنسان أن يتصدق على نفسه يوميا بأى نوع من الصدقات.

٢ ـ العدل قوام الحياة وأساس الكون.

٣ ـ إزالة مايؤذى المارة - من نجاسة وأشواك وقاذورات ـ من الصدقات.

٤ ـ الكلمة الطيبة صدقة.

٥ ـ الخطى إلى المساجد يؤجر عليها الإنسان بخلاف أجر الصلاة.

٦ ـ يجب التكامل والتعاون والتراحم بين أفراد المجتمع.

---

(١) مسلم فى صلاة المسافرين وقصرها (٧٢٠).

(٢) الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد (٢/ ٢٣٩) وقال الهيثمى فيه سليمان بن داود اليمامى أبو أحمد وهو متروك.

(٣) أبو داود فى الأدب (٥٠٧٣) والنسائى فى عمل اليوم والليلة (٧) وابن السنى (٤١).

الحديث السابع العشرون

معرفة البر والإثم

٢٧ ـ عن النواس بن سمعان ـ رضى الله تعالى عنه - عن النبى ﷺ قال: « البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس» رواه مسلم[١].

وعن وابصة بن معبد ـ رضى الله عنه ـ قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: «جئت تسأل عن البر؟» قلت: نعم؛ فقال: «استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك» حديث حسن رويناه فى مسندى الإمامين أحمد بن حنبل والدارمى، بإسناد حسن[٢].

الشرح والبيان

وهو فى الحقيقة حديثان لكنهما لما تواردا على أمر واحد؛ كانا كالحديث الواحد، فجعل الثانى بمنزلة الموضح للأول

(عن النواس) بفتح النون وتشديد الواو آخره سين مهملة **(ابن سمعان)** بكسر السين أشهر من فتحها **(رضى الله تعالى عنه)** كان ينبغى للمصنف أن يقول « **عنهما**» لأن سمعان له صحبة، ولما وفد عليه ﷺ دعا له بالبركة ومسح ناصيته. وكان ابنه النواس هذا من أصحاب الصفة، وسكن الشام، وكان يقول: أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنة ما يمنعنى من الهجرة أى العود إلى الوطن إلا الأسئلة التى كانت ترد على المصطفى ﷺ من بعض أصحابه، فإقامته تلك السنة كانت لأجل أن يتفقه فى الدين بسماع تلك الأسئلة وأجوبتها.

وروى له سبعة عشر حديثا. وقد تزوج النبى ﷺ أخته من أمه وهى أسماء بنت النعمان التى تعوذت من رسول الله ﷺ .

وحاصل القصة أن أباها قدم على النبى ﷺ مسلما فقال: يا رسول الله

---

(١) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٥٣) والبخارى فى الأدب المفرد (٢٩٨، ٣٠٥) والترمذى فى الزهد(٢٣٨٩) والدارمى (٢٧٨٩) وأحمد (٤/ ١٨٢) والطبرانى فى الكبير (٢٢/ ٥٨٥).

(٢) أحمد (٤/ ٢٢٧، ٢٢٨) والدارمى (٢٥٣٣) وابويعلى (١٥٨٣، ١٥٨٤).

ألا أزوجك أجمل أيم [1] فى العرب؟ كانت تحت ابن عم لها فتوفى عنها، وقد رغبت فيك وخطبت إليك، فتزوجها رسول الله ﷺ وأرسل مع أبيها مالك بن ربيعة الساعدى؛ ليحضرها له، ولما قدمت المدينة دخل عليها نساء فرحين بها وخرجن من عندها، فذكرن جمالها وشاع ذلك بالمدينة، وقيل لها من بعض النساء: إن كنت تريدين أن تحظى عند رسول الله ﷺ فاستعيذى منه فإنه يرغب فيك فلما دخلت عليه أغلق الباب وأرخى الستر، ومد يده إليها، فقالت: أعوذ بالله منك؛ فقال رسول الله ﷺ : **«عذت بمعاذ»** [2] بفتح الميم أى بالذى يستعاذ به ويلتجأ إليه، ثم خرج فأرسلها إلى أهلها، ولما وصلت إليهم تصايحوا، وقالوا: إنك لغير مباركة فما دهاك؟ أى أصابك، فقالت: خدعت فقامت فى أهلها محتجبة حتى ماتت فى خلافة عثمان رضى الله عنه. وقيل: إنها ذهب عقلها، وقيل: إنها ماتت كمدا.

(**عن النبى ﷺ**) أنه (**قال: البر**) بكسر الباء اسم جامع لأنواع الخير وكل فعل مرضى (**حسن الخلق**) أى التخلق بالأخلاق الحسنة الشريفة، والتأدب بآداب الله تعالى التى شرعها لعباده، من امتثال أمره وتجنب نهيه. وما أحسن ما قيل:

البــــــــــــر شىء هــين فعــل جميل وكــلام لين.

وهو تزكية النفس كالبر بالضم فى تغذية البدن.

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من لم يكن فيه ثلاث خصال لم يجد طعم الإيمان: علم يرد به جهل الجاهل، وورع يحجزه عن المحارم، وخلق يدارى به الناس»** [3].

وحكى عن عاصم بن المصطلق أنه قال: دخلت المدينة فرأيت الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ فأعجبنى سمته وحسن رؤيته، فأثار ، أى هيج وأظهر، منى

---

(1) الأيم: التى لا زوج لها.

(2) ابن ماجة فى الطلاق (٢٠٣٧) وفى الزوائد: فى إسناده عبيد بن القاسم قال عنه ابن معين كان كذابا خبيثا وقال ابن حبان كان ممن يروى الموضوعات ورواه الحاكم (٤/ ٣٦، ٣٧) وقال الذهبى: سنده واه.

(3) الطبرانى فى الكبيير(٢٣/ ٦٩٥، ٩٤٤) بنحوه وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٨٣) فيه عبدالله بن مسلم قال أبو حاتم يكتب حديثه وليس بالقوى.

الحسد ما كـان يجنه، أى يخفيه، صدرى لأبيـه من البغض فقلت: أنت ابن على بن أبى طالب؟ قال: نعم، فبـالغت فى شتمه وشتم أبيـه، فنظر إلىّ نظر عاطف رؤوف، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فقرأ إلى قوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] ثم قـال: خفض عليـك أى هون الأمر عليك، أسـتـغفـر الله لى ولك، إنك لو استعنتنا لأعناك، ولو استرشدتنا لأرشدناك. قال: فندمت على ما فرط منى - أى سبق ـ فقال: لا تثريب ـ أى لا عـتب عليك ـ يغفر الله لك وهو أرحم الراحمين أمن أهل الشام أنت؟ قلت: نعم، قـال: حياك الله وبياك وعافـاك، تبسط لنا فى حوائجك وما يعرض لك تجد عندنا أفضل ظنك إن شاء الله تعالى.

قال عاصم: فضاقت علىّ الأرض بما رحبت، ووجدت أنها قد ساخت بى ثم انسللت منه لواذا أى مختبأ مستترا بشىء وما على الأرض أحب إلى من أبيه ومنه.

(والإثم) أى الذنب **(ما حاك)** بالحاء المهملة وتخفيف الكاف، أى تردد، وأثر واضطرابا قلقـا ونفـورا **(فى النفس)** وفى رواية: «**فى نفـسك**» وفى أخـرى «**فى صدرك**» وهذا فى حق من نوّر الله قلبه وألهمه الصواب **(وكرهت أن يطلع عليه الناس)** أى عظماؤهم الذين يستحيـا منهم كالعلماء والصلحاء؛ وذلك لأن النفس بطبعـها تحب الاطلاع على خيـرها، وتكره الاطلاع على شرها، ولها شـعور من أصل الفطرة بما تحمد عاقبته أو تذم، ولكن غلبت عليـها الشهوة حتى أوجبت لها الإقدام على ما يضرها، كالسارق تغلبه الشهوة على السرقة وهو خائف من الوالى أن يقطع يده. والمراد بالكراهة هنا الكـراهة الدينية، فـلا عبرة بالكراهـة العادية، كمن يكره أن يرى وهو يأكل حياء أو بخلا.

ثم إن هذا الحديث **(رواه مسلم)** فى كتـاب البر والصلة من صحيـحه، وهو من جوامع كلمه ﷺ وعليه مدار الإسلام.

(وعن وابصة) بكسر الموحـدة وفتح الصـاد المهملة **(ابن معـبد)** بفتح الميم والموحدة **(رضى الله تعالى عنه)** قدم علـى رسول الله ﷺ سنة تسع مع عـشرة من قومه فأسلموا.

وكان ـ رضى الله تعالى عنه ـ قارئا بكاء، عمّر إلى قرب التسعين، وكان ساكنا فى الرقة، بفتح الراء، قرية بالشام ومات بها، ودفن عند منارة جامعها.

(قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقال: جئت) هذا استفهام تقريرى حذفت همزته تخفيفا أى أجئت **(تسأل عن البر)** أى والإثم؟ ففى الكلام اكتفاء **(قلت: نعم)** وفى هذا معجزة كبرى للنبى ﷺ حيث أخبره عما فى نفسه قبل أن يتكلم به.

وفى بعض الروايات: أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد ألا أدع شيئا من البر والإثم إلا سألته عنه، وإذا عنده جمع، فذهبت أتخطى الناس، فقالوا: إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ أى تنح عنه، فقلت: دعونى أدنو منه، فقال لى: «**ادن يا وابصة**» فدنوت حتى مست ركبتاى ركبتيه، فقال: «**يا وابصة أخبرك بما جئت تسأل عنه ـ أو تسألنى؟**» أى أخبرك بذلك ابتداء أو بعد أن تسألنى عنه، قلت: بل أنت تحدثنى، أى ابتداء، يا رسول الله؛ فهو أحب إلىّ. قال: «**جئت تسأل عن البر والإثم**» قلت: نعم.

(قال) رسول الله ﷺ **(استفت قلبك)** وفى رواية: «**نفسك**»، أى اطلب الفتوى من قلبك أو من نفسك، فإن للنفس شعورا بما تحمد عاقبته أو تذم ـ كما تقدم ـ وذلك فى حق الملهم للصواب ـ كما مر ـ.

حكى أن العارف بالله تعالى أبا الحسين النورى ـ بضم النون، سئل عن مسائل، فالتفت يمينا وشمالا، ثم أطرق ساعة، ثم رفع رأسه وأجاب بجواب صحيح، فسئل عن التفاته، فقال: سألت ملك اليمين فلم يجبنى، ثم ملك الشمال فلم يجبنى، فسألت قلبى فأخبرنى بما أجبت به.

(البر ما اطمأنت) أى سكنت **(إليه)** وفى نسخة «**عليه**» **(النفس واطمأن إليه القلب)** ذكر ذلك بعد «ما» قبله للتأكيد؛ لأن طمأنينة القلب من طمأنينة النفس. **(والإثم ما حاك فى النفس)** أى أثر فيها اضطرابا **(وتردد فى الصدر)** أى القلب. والجمع بين هذا وما قبله للتأكيد أيضا **(وإن)** وفى رواية: «**ولو**» وهو غاية لمحذوف، والتقدير: فالتزم العمل بما فى قلبك، وإن **(أفتاك الناس)** أى بخلافه. وللقصد بذلك المبالغة؛ ولذا أكده بقوله **(وأفتوك)** لأن الفتوى غير التقوى

والورع، ولأن المفتى ينظر للظاهر فربما يعلم الإنسان من نفسه مالا يعلمه المفتى.

وفى رواية عن واثلة بن الأسقع أنه قال: رأيت النبى ﷺ بمسجد الخيف، فقال لى أصحابه: إليك يا واثلة، يعنون تنح عن وجه رسول الله ﷺ، فقال النبى عليه أفضل الصلاة والسلام: **«دعوه فإنما جاء ليسأل»** قال: قلت يا رسول الله عليك السلام بأبى أنت وأمى لتفتينا بأمر نأخذه عنك بعد موتك يعنى من الحلال والحرام، فقال: **«لتفتينك نفسك»** قال: قلت: وكيف ذلك؟ قال: **«أن تدع ما يريبك إلى مالا يريبك وإن أفتاك المفتون»** قال: قلت: وكيف لى بذلك؟ قال: **«أن تضع يدك على قلبك فإن الفؤاد يسكن على الحلال ولا يسكن على الحرام»**[1]

وتقدم غير مرة أن ذلك فى حق من تنور قلبه وألهم للصواب.

ومن ثم قيل: إن على قلب المؤمن الكامل نورا يتقد، فإذا ورد عليه الحق التقى هو ونور القلب؛ فامتزجا، فاطمأن القلب ونعش، وإذا ورد عليه الباطل نفر نور القلب، ولم يمازجه؛ فاضطرب القلب.

ونقل عن الغزالى ـ رحمه الله ـ أنه قال: لم يرد المصطفى ﷺ أن كل أحد يستفتى نفسه، وإنما ذلك لوابصة فى واقعة تخصه؛ لأن الله تعالى وهب له نورا يفرق به بين الحق والباطل، فوثق ﷺ بذلك النور وخاطبه بذلك، وهذا من جميل عوائده ﷺ مع صحبه؛ فإنه كان يخاطب كلا منهم على حسب حاله ويلحق به كل من شرح الله تعالى صدره بنور اليقين، بحيث جعل له ملكة الإدراك القلبى، وقوى على التفرقة بين الوارد الرحمانى والوسواس الشيطانى.

وحكى عن بعض العارفين: أنه أتاه رجل يريد السلوك؛ فأدخله الخلوة، وتركه أياما ثم دخل عليه فقال له: كيف ترى صورتى؟ قال: صورة خنزير، فقال: صدقت، ثم تركه فى الخلوة مدة، ودخل عليه فسأله كذلك، فقال: صورة كلب، ثم كذلك إلى أن قال: أراك صورة القمر ليلة كماله، فقال: صدقت الآن

---

(١) أبو يعلى (٧٤٥٤) والطبرانى فى الكبير (٢٢/ ١٩٣) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ٢٩٤) فيه عبيد بن القاسم وهو متروك.

كمل حالك وصلحت أن ترجع إلى قلبك وأن تستفتى نفسك وإن أفتاك المفتون، وأخرجه من الخلوة.

وقال بعضهم: من غض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بالمراقبة، وتعود أكل الحلال؛ لم تخطئ فراسته ـ أى ظنه ـ .

وأخرج الطبرانى بإسناد حسن وابن عدى عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه مرفوعا: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل**»[(١)] والفراسة، بكسر الفاء وفتحها: الاطلاع على ما فى الضمائر. وقيل: هى سواطع أنوار تلمع فى القلب تدرك بها المعانى.

وهى قسمان: قسم يحصل للإنسان عن خاطر لا يعرف سببه،

ومن ذلك ما قيل: أن امرأة حاكمت زوجها إلى بعض العارفين؛ فوجدته مشغولا بالعبادة، فلما فرغ قال: يا جاهلة بمقدار ما جنيتيه؛ اعترفى بذنبك وأعلمى زوجك بجنايتك؛ فإن السكران الذى واقعك فى ليلة كذا وزوجك قائم يدعوك قد أحبلك وستلدين بعد شهرين خلقا مشوها فكان كذلك.

ونقل عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال: دخلت على عثمان بن عفان ـ رضى الله تعالى عنه ـ وكنت لقيت امرأة فى الطريق نظرت إليها نظرا شديدا وتأملت محاسنها، فقال: يدخل علىّ أحدكم وآثار الزنا ظاهرة فى عينيه أما علمت أن زنى العين النظر، لتتوبن وإلا عزرتك، فقلت له: أوحى بعد رسول الله ﷺ ؟ فقال: لا، ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة، ألم تسمع قول رسول الله ﷺ :«**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»؟ وعندما دخلت رأيت ذلك فى عينك.

والقسم الثانى: يحصل بالاستدلال بهيئات الإنسان وألوانه وأقواله وأفعاله.

ومن ذلك :ما حكى أن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان جالسا فى

---

(١) الطبرانى فى الكبير (٧/٧٤٩٧) وأبو نعيم فى الحلية (٦/١١٨) وابن عدى فى الكامل (٤/٢٠٧و٦/٤٠٦) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٦٨) إسناده حسن. قلت: فى سنده رشدين بن سعد قال عنه ابن حجر فى التقريب: كثير الإسال، وعبدالله بن صالح كاتب الليث كثير الغلط.

المسجد، فدخل رجل يدور على النائمين، فقال الشافعى للربيع: قم فقل لهذا ذهب لك عبد أسود مصاب بإحدى عينيه، قال: فقمت فأخبرته، فقال: أين هو؟ فقلت له: اسأل الشافعى عنه، فذهب إليه، وقال له: يا سيدى أين عبدى؟ فقال له: تجده فى الحبس، فذهب الرجل فوجده، فقلت للشافعى: أخبرنا عن هذا الأمر فقد حيرتنا، فقال: رأيت رجلا داخلا من باب المسجد يدور بين النائمين، فقلت: إنه يطلب هاربا ورأيته يجىء إلى السودان دون البيض، فقلت: هرب له عبد أسود، ورأيته يجىء إلى ما يلى العين اليسرى، فقلت: إنه مصاب بإحدى عينيه. قلنا: فما يدلك أنه فى الحبس. قال: ذكرت أن العبيد إذا جاعوا سرقوا، وإذا شبعوا فسقوا.

ثم إن هذا الحديث **(حديث حسن)** وفى نسخة **«صحيح»** **(رويناه)** أى نقلناه **(فى)** هى بمعنى من أو عن، ويجوز أن تكون باقية بحالها متعلقة بمحذوف حال من هاء رويناه، والتقدير: رويناه حال كونه مندرجا فى جملة الأحاديث المذكورة فى **(مسندى)** بفتح النون تثنية مسند **(الإمامين أحمد بن حنبل والدارمى)** - رحمهما الله تعالى - .

أما أحمد بن حنبل فهو أحد الأئمة الأربعة المجتهدين المتبوعين الآن، وهو مجمع على جلالته، وأمانته، وورعه، وزهادته، وحفظه، ووفور عقله، وسيادته. قدمت به أمه وهى حاملة به من «مروز» بعد وفاة أبيه إلى «بغداد» فولدته بها سنة مائة وأربعة وستين، وكان تلميذا للإمام الشافعى - رضى الله تعالى عنه - وقال فيه: خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم من الإمام أحمد.

وكان يكثر الدعاء للشافعى، ويمشى بجانب حماره، ويذاكره وهو راكب، وكان يحيى الليل كله من وقت كونه غلاما. وكان له فى كل يوم وليلة ختم. وكان إذا جاع أخذ كسرة يابسة فنفضها من الغبار وبلها بماء وأكلها بملح، وإذا اشتهى طعاما طبخ له عدس بشحم فى فخارة. وجاءته زكاة يوما فردها، فقيل له: إن أولادك عراة! فقال: العرى خير لهم من أوساخ الناس، وإنها أيام قلائل

ثم نرحل من هذه الدار. وحمل إليه ثلاثة أكياس، فى كل كيس ألف دينار، وقيل له: استعن بذلك على عائلتك، فقال: لا حاجة لى فيها، أنا فى كفاية، ولم يقبل منها شيئا.

وكان ـ رضى الله تعالى عنه ـ يحفظ ألف ألف حديث. وأخذ عنه رجال كثيرون منهم البخارى ومسلم وأبو داود ـ رحمهم الله تعالى ـ وقد جمع فى مسنده أربعين ألف حديث..

ومات ببغداد سنة إحدى وأربعين ومائتين عن سبع وسبعين سنة. ولما مات صاح الناس، وارتفعت أصواتهم بالبكاء، وأغلقت «بغداد» لمشهده، وأسلم يوم موته من اليهود والنصارى والمجوس نحو عشرة آلاف ـ نفعنا الله تعالى به ـ .

وأما الدارمى فهو بكسر الراء نسبة إلى دارم بن مالك من تميم، واسمه عبدالله ابن عبدالرحمن. ولد سنة إحدى وثمانين ومائة، ومات سنة خمس وخمسين ومائتين. وكان إمام أهل زمانه فى العلم والورع. وكان حافظا. روى عنه مسلم وأبو داود والترمذى وأبو زرعة. وكان من أصحاب الكرامات. ومسنده لطيف، وغالبه صحيح

وقول المصنف (**بإسناد حسن**) أى ليس فى رجاله من يوصف بالضعف، وفى نسخه: «**بإسناد جيد**» أى صحيح.

الدروس المستفادة من الحديث

١ ـ موضوع الحلال والحرام أو البر والإثم كان يشغل بال الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

٢ ـ كل ما اطمأنت له نفس الإنسان واطمأن له قلبه فهو من البر.

٣ ـ حسن الخلق من البر.

٤ ـ الذنب يجعل قلب المؤمن قلقا ومضطربا.

الحديث الثامن والعشرون

السمع والطاعة

٢٨ ـ عن أبى نجيح ـ العرباض بن سارية ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشى، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». رواه أبو داود والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح[١].

الشرح والبيان

(**عن أبى نجيح**) بفتح النون وكسر الجيم وآخره حاء مهملة (**العرباض**) بكسر العين المهملة وسكون الراء بعدها موحدة وآخره معجمة (**ابن سارية**) بسين مهملة ومثناة تحتية، وفى نسخة زيادة «**السلمى**» بضم ففتح من بنى سليم (**رضى الله تعالى عنه**) أسلم قديما، وكان يقول: أنا رابع الإسلام أى رابع من أسلم. وكان من أهل الصفة، وهم زهاد من الصحابة فقراء غرباء، كانوا يأوون إلى صفة فى آخر مسجد النبى ﷺ، وهى ـ كما تقدم ـ مكان مظلل يبيتون فيه، وكانوا يقلون ويكثرون.

نزل الشام وسكن حمص، وكان من العابدين البكائين الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿**وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ**﴾ أى معك إلى الغزو ﴿**قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا**﴾ أى انصرفوا ﴿**وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ**﴾ [التوبة: ٢]

وكان من المشتاقين إلى الله ـ تعالى ـ يحب أن يقبض إليه، فكان يقول فى دعائه: اللهم كبر سنى، ووهن عظمى ـ أى ضعف ـ فاقبضنى إليك.

---

(١) أبو داود فى السنة(٤٦٠٧) والترمذى فى العلم (٢٦٧٦) وابن ماجة فى المقدمة (٤٢ ـ ٤٤) وأحمد (١٢٦/٤، ١٢٧) والدارمى (٩٥) والحاكم (٩٦/١، ٩٧) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٦/٢).

مات فى الشام سنة خمس وسبعين فى خلافة عبدالملك بن مروان. ومروياته أحد وثلاثون حديثا، منها ما ذكره عنه المصنف أنه **(قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة)** من الوعظ، وهو النصح والتذكير بالعواقب، أى أتى لنا بكلام دال على التخويف بطريق النصيحة والتذكير بالعواقب لأجل ترقيق القلوب. والتنوين فى موعظة للتعظيم والتفخيم، أى موعظة عظيمة بليغة.

(وجلت) بكسر الجيم، أى خافت **(منها القلوب وذرفت)** بفتح الذال المعجمة والراء، أى سالت **(منها العيون)** أى دموعها. وفى ذلك إشارة إلى أن تلك الموعظة أثرت في نفوسهم، وأخذت بمجامعهم ظاهرا وباطنا. وهذا دليل على كمال معرفتهم ومراعاتهم لربهم.

وقد ورد فى الحديث: «**لا يلج النار**» أى لا يدخلها «**من بكى من خشية الله ـ عز وجل ـ حتى يعود اللبن فى الضرع**»[1] وورد أيضا: «**ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله، أو قطرة دم أهرقت فى سبيل الله**»[2] وقال كعب الأحبار ـ رضى الله تعالى عنه ـ: والذى نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعى على وجهى؛ أحب إلىّ من أن أتصدق بجبل من ذهب.

ثم إن هذه الموعظة كانت بعد صلاة الصبح. لما فى رواية الترمذى: «**وعظنا رسول الله ﷺ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة**» أى بالغ فيها الإنذار والتخويف لأجل ترقيق القلوب. وكان ﷺ يقع ذلك منه أحيانا لا دائما مخافة سآمتهم ومللهم، فتندب الموعظة والمبالغة فيها؛ لأن لها وقعا في النفس، وتأثيرا فى القلب خصوصا إذا صدرت من قلب ناصح سليم من الأدناس والقبائح. فقد قيل: إن الواعظ إذا لم يكن مقاله كفعله لا ينتفع بوعظه.

وقال مالك بن دينار ـ رحمه الله تعالى ـ: قرأت فى التوراة إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب ـ أى زلفت ولم تثبت ـ كما يزل، أى يزلق، القطر، أي المطر، عن الصفا، أى الحجارة الملس. وقيل: من وعظ بقوله؛ ضاع كلامه، ومن وعظ بفعله؛ نفذت سهامه.

---

(١) أحمد (٢/ ٥٠٥) والترمذى فى الزهد (٢٣١١) وقال حديث حسن صحيح، والنسائى فى الجهاد (٦/ ١٢) والحاكم (٤/ ٢٦٠).

(٢) الترمذى فى فضائل الجهاد (١٦٦٩) وقال: حسن غريب.

وحكى أنه لما جاء أبو حفص الكبير من العراق إلى بخارى، اجتمع عليه أهلها وطلبوا منه أن يقرأ درسا؛ فأجابهم، فزينوا له المسجد، ووضعوا له سريرا، فلبس لبس القضاة، فقالت له امرأته: إلى أين تذهب؟ فقال: لأعظ الناس، فقالت: هل عملت بما علمت حتى تخرج إلى الناس فتعظهم؟ فقال: رميتينى بسهم نافذ، وخرج إلى الناس فصاح فيهم: انصرفوا؛ فإنى وجدت فى الدار معلما أحتاج إلى علمه، ومكث يعبد الله تعالى ويستعمل العلم ثلاث سنين، فلما تمت اجتمع الناس إليه وسألوه أن يجلس لهم، فشاور امرأته فقالت: هل عملت بما علمت؟ قال: عملت أكثره. فقالت: هل تعرف لنفسك خصما؟ فتفكر. فقال: كنت أطوف فى المزارع فوجدت بقعة كراث فأخذت حزمة منها فأكلتها فلا أعرف لنفسى غير هذا. فقالت: ارض خصمك، فطلب صاحب البقعة فوجده مجوسيا، فأخبره واستحله فلم يجعله فى حل. فقال له: لك على عشرة دراهم، فلم يرض، فقال له: على عشرة آلاف درهم واجعلنى فى حل. فقال: حتى أستأذن أهل بيتى. فقال له أهله: إن هذا الدين حق، حتى يعطيك الرجل عشرة آلاف درهم لأجل حزمة كراث؛ فادخل فى دينه، فأخبر المجوسى بعض المجوس؛ فتبعه سبعون منهم. وجاؤوا حتى وقفوا على باب أبى حفص، فخاف من كثرتهم، فقالوا له: اعرض علينا الإسلام؛ فأسلموا كلهم، ثم جلس للناس وتكلم أولا بهذه الحكاية ـ رحمة الله تعالى عليه ـ.

وقيل لأبى القاسم الحكيم ـ رحمه الله تعالى ـ: ما بال علماء زماننا لا تتعظ الناس بمواعظهم كما كان السلف؟ فقال: إن علماء السلف كانوا أيقاظا والناس نيام، فينبه الأيقاظ النيام، وعلماء زماننا نيام والخلق موتى، فكيف ينبه النائم الميت؟.

(قلنا) وفى نسخ: **(فقلنا يا رسول الله كأنها)** أى تلك الموعظة **(موعظة مودع)** بكسر الدال المهملة المشددة، أى شخص يودع أصحابه وأحبابه. ولعلهم فهموا ذلك من مبالغته فى الموعظة واستقصائه فيها فوق العادة؛ فاستزادوه أن يرشدهم إلى ما فيه صلاح الحال والمآل، حيث قالوا له: **(فأوصنا)** بفتح الهمزة أى وصية كافية جامعة لمهمات الدين والدنيا.

(قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل) بدأ بها؛ لأنها زاد الآخرة وكافلة لمن تمسك بها بسعادة الدارين. إذ هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي. وتكاليف الشرع لا تخرج عن ذلك. وقد أوصى الله تعالى بها الأولين والآخرين حيث قال: **﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾** [النساء: ١٣١]

وأنشد بعضهم:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

(والسمع والطاعة) أي وأوصيكم بالسمع والطاعة، أي لولاة الأمور في غير ما فيه إثم، لحديث: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[1] .

(وإن تأمر عليكم عبد) أي على سبيل الفرض والتقدير. إذ العبد لا تجوز ولايته. فالمراد: المبالغة في السمع والطاعة له. وإن كان ممن لا تجوز ولايته؛ لأن في مخالفته إثارة فتنة، ويصح أن يكون هذا من قبيل الإخبار بالغيب. يعني أن نظام الشريعة يختل حتى يتولى على الناس العبيد ذكورا كانوا أو إناثا. وقد حصل ذلك فتولى السلطنة بمصر كافور الإخشيدي، وكان عبدا حبشيا خصيا، اشتراه سيده بثمانية عشر دينارا، وقال فيه بعض الوعاظ: من هوان الدنيا على الله تعالى أنه أعطاها لخصي، فرفع إلى كافور ليعاقبه فرسم له بخلعة ومائة دينار. ووقعت زلزلة عظيمة في أيامه ففزع الناس منها، وقال بعض الشعراء:

ما زلزلت مصر من خوف يراد بها ... لكنها رقصت من عدلكم طربا

فأجازه كافور بألف دينار.

وتولت ملك مصر أيضا جارية يقال لها شجرة الدر، ولم يل مصر في الإسلام امرأة قبلها، وأقامت في المملكة ثلاثة أشهر؛ فوقع في سلطنتها اضطراب، وأرسل الخليفة المعتصم يعاتب أهل مصر في توليتها؛ فتزوجها الأمير عز الدين أيبك التركماني، ونزلت له عن السلطنة.

(فإنه) وفي بعض النسخ «**وإنه**» أي الشأن **(من يعش)** بالجزم فمن شرطية.

---

(١) رواه أحمد (٤/٤٢٦، ٤٣٢، ٤٣٦ و ٥/٦٦، ٦٧) والطبراني في الكبير (١٨/٣٨١)، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٩٩٠٣).

وفى بعض النسخ «**يعيش**» بالياء، فمن موصولة أى الذى يعيش (**منكم**) أى بعدى (**فسيرى**) أى يعلم (**اختلافا كثيرا**) وفى رواية ابن ماجه: «**اختلافا شديدا**» أى بين الناس من ظهور الفتن والبدع. وقد وجد ذلك. فهو من معجزاته ﷺ، فقد صح أنه كشف له عما يكون إلى أن يدخل أهل الجنة والنار منازلهم

(**فعليكم بسنتى**) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر، أى فإذا رأيتم هذا الاختلاف فعليكم بسنتى، أى الزموا التمسك بطريقتى وسيرتى، وهى ما بيّنه ﷺ من الأحكام الاعتقادية والعملية.

قال عبدالرحمن بن زيد: لقى ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ رجلا محرما وعليه ثيابه، فقال: انزع عنك هذا، فقال الرجل: اقرأ على بهذا آية من كتاب الله ـ تعالى ـ قال: نعم ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧] فامتثل ونزع ثيابه.

(**وسنة الخلفاء**) أى وعليكم بطريقة الخلفاء، جمع خليفة، وهو من قام مقام غيره (**الراشدين**) جمع راشد، وهو من عرف الحق واتبعه (**المهديين**) بتشديد الياء الأولى، جمع مهدى، وهو من هداه الله إلى الصواب. والمراد بهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن ـ رضى الله تعالى عنهم ـ فقد ورد: «**الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم تصير ملكا عضوضا**»(١) أى شديدا فيه عسف وظلم. وقد تمت بولاية الحسن ـ رضى الله تعالى عنه ـ وإنما قرن سنتهم بسنته؛ لعلمه أن سنتهم ـ أى طريقتهم ـ التى يستخرجونها من الكتاب والسنة مأمونة من الخطأ.

وقد ورد: أن رجلا حلف أنه لا يطأ زوجته حينا، فأفتاه أبو بكر بأن الحين؛ الأبد. وعمر: بأنه أربعون سنة، وعثمان: بأنه سنة واحدة، وعلى: بأنه يوم وليلة. فعرض الرجل ذلك على رسول الله ﷺ فدعاهم، فقال لأبى بكر: «**ما دليلك على أن الحين؛ الأبد؟**» قال: قوله تعالى فى حق قوم يونس: ﴿**فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ**﴾[الصافات:١٤٨] أى أبقيناهم متمتعين بما لهم إلى يوم القيامة. وقال لعمر: «**ما دليلك على أن الحين أربعون سنة؟**» قال: قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ**

(١) الترمذى فى الفتن (٢٢٢٦) وأحمد (٥/ ٢٢١) والطبرانى فى الكبير (١/ ١٣، ١٣٦ و ٧/ ٦٤٤٢، ٦٤٤٣) وابن حبان (٦٩٥٢ ـ إحسان).

حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١] الإنسان: آدم ألقيت طينته على باب الجنة أربعين عاما. وقال لعثمان: «**ما دليلك على أنه عام؟**» قال: قوله تعالى: ﴿**تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ**﴾ أى تعطى النخلة ثمرها كل عام. وقال لعلى: «**ما دليلك على أنه يوم وليلة؟**» قال: قوله تعالى: ﴿**فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ**﴾[الروم: ١٧] أى سبحوه بمعنى صلوا له حين تدخلون فى المساء، وحين تدخلون فى الصباح. فقال ﷺ: «**أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[1] ، وأمر الرجل أن يأخذ بقول على تخفيفا عليه.

هذا، ومذهب مالك موافق لما أفتى به عثمان، ومذهب أبى حنيفة وأحمد ستة أشهر، ومذهب الشافعى حمل الحين على مضى لحظة من الزمن. فإذا حلف لا يكلمه حينا؛ بر بمضى أقل زمان. ومحل ما ذكر: إذا لم ينو شيئا معينا فإن نوى شيئا معينا حمل عليه باتفاق الأربعة. وإنما حث ﷺ على التمسك بطريقة هؤلاء الخلفاء؛ لأن ما عرف عنهم أو عن بعضهم أولى بالاتباع مما عرف عن بقية الصحابة إذا وقع الخلاف فيه، وهذا إنما هو فى حق المقلد فى تلك الأزمنة القريبة من زمن الصحابة، أما فى زماننا؛ فلا يجوز تقليد غير الأربعة المشهورين ولو من أكابر الصحابة؛ لأن مذاهب الأربعة قد حررت، وعرفت قواعدها، واستقرت أحكامها؛ بخلاف غيرهم. وحمل ذلك «السبكى» على الإفتاء والقضاء، أما فى عمل الإنسان لنفسه؛ فيجوز.

ولذا قال بعضهم:

وجاز تقليد لغير الأربعة ... فى حق نفسه ففى هذا سعة
لا فى قضاء مع إفتاء ذكر ... هذا عن السبكى الإمام المشتهر

(**عضوا**) بفتح العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة (**عليها بالنواجذ**) بالذال المعجمة، قيل: هى الأنياب، وقيل: آخر الأضراس، والقصد: المبالغة فى شدة التمسك بسنته وسنة الخلفاء من بعده. ولم يقل عليهما. بل وحد الضمير إشارة إلى أنهما شيء واحد؛ لأن سنتهم كسنته فى وجوب الاتباع.

(١) البيهقى كما فى كشف الخفاء (١/ ١٤٧)

(وإياكم ومحدثات) كلاهما منصوب بفعل مضمر، والتقدير: باعدوا أنفسكم واحذروا محدثات **(الأمور)** بفتح الدال، أى الأمور المحدثة أى المخترعة فى الدين المخالفة للشريعة **(فإن)** ذلك بدعة. وإن **(كل بدعة ضلالة)** أى خلاف الحق. أى باطل.

وجاء فى بعض روايات هذا الحديث: **«فإن كل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»** يعنى: صاحبها، من فاعل ومتبع. وهذا فى غير البدعة الحسنة التى ترجع إلى أصل شرعى.

وقد قيل: إن البدعة تنقسم إلى الأحكام الخمسة الأولى.

واجبة: كتدوين القرآن والشرائع إذا خيف عليها الضياع، وكالاشتغال بالعلوم العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة. كالنحو والصرف واللغة، وكتمييز صحيح الأحاديث من سقيمها، والرد على نحو المعتزلة.

الثانية: محرمة: كالمكوس، والمظالم، وتولية المناصب الشرعية من لا يصلح لها، والاشتغال بمذاهب أهل الضلال المخالفين لما عليه أهل السنة.

الثالثة: المندوبة: كبناء الربُط ومدارس العلم الشرعى، وتدوين المذاهب، وتصنيف العلوم المستحسنة شرعا، وتقرير القواعد، وكثرة التفريع، وتتبع كلام العرب، وأوراد أهل الطريق، واصطناع مولد المصطفى ﷺ وإظهار الزينة والسرور به.

الرابعة: المكروهة: كزخرفة المساجد، وتزويق المصاحف، والتبليغ حيث بلغ المأمومين صوت الإمام.

الخامسة: المباحة: كاتخاذ المناخل والملاعق، والتوسعة فى لذيذ المآكل والمشارب والمساكن.

وقيل: إن أول من تنافس فى الأطعمة الكثيرة والخبز الحوارى - بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء مقصورا، أى الأبيض - والملابس الفاخرة، معاوية لما ولى الشام من قبل عمر رضى الله تعالى عنهما - وكانوا قبل ذلك لا ينخلون الدقيق ولا يتنافسون فى شىء من المآكل وغيرها.

فلما بلغ ذلك عمر توجه إلى الشام حتى صار منها على مرحلتين لقيه معاوية

وترجل له، وقبل رجله فى الركاب، ولم يزل فى ركابه ماشيا وهو يخلع من ملبوسه شيئا بعد شيء، حتى لم يبق إلا شعاره وسراويله، وأجهده العرق، وكان جسيما كبير البطن، فقال بعض الصحابة: رفقا يا أمير المؤمنين بمعاوية، فقال له منكرا: وأين معاوية؟ فقبّل ركابه ثانيا، وقال له: ها أنا ذاك، قال: ما ظننت إلا أنك علج[1] من علوج الشام، فبكى. وقال: يا أمير المؤمنين أنت من الصحابة الذين يعرفون مواقع الوحى، ويتبعون آثار الهدى، وإن أهل الشام لا يرضيهم إلا ما شهدت لقرب عهدهم بالإسلام. أى فأنا محتاج إلى هذا، فعفا عنه. وقال له: لا آمرك ولا أنهاك. أى أنت أعلم بحالك.

ثم إن هذا الحديث حديث جليل، وفيه علوم كثيرة **(رواه أبو داود والترمذى وقال)** أى الترمذى **(حديث)** أى هذا حديث **(حسن صحيح)** وفى بعض النسخ الاقتصار على حسن. وتقدم الكلام على الترمذى.

وأما أبو داود: فاسمه سليمان بن الأشعت، وكان شافعيا، ومن فرسان الحديث. قال بعضهم: كان يفى بمذاكرة مائة ألف حديث، فلما صنف كتاب السنن، وقرأه على الناس صار كتابه لأصحاب الحديث كالمصحف يتبعونه ولا يخالفونه.

قال شارحه الخطابى: لم يصنف فى علم الحديث مثله، وهو أحسن وضعا وأكثر فقها من الصحيحين، فينبغى الاعتناء به وبمعرفته التامة؛ فإن معظم أحاديث الأحكام التى يحتج بها فيه، مع سهولة تناوله.

ونقل عنه أنه قال: كتبت خمسمائة ألف حديث، انتخبت منها السنن: أربعة آلاف وثمانمائة.

ومناقبه ـ رضى الله تعالى عنه ـ كثيرة، وقد اتفق العلماء على الثناء عليه، ووصفه بالحفظ التام، والعلم الوافر، والإتقان، والورع، والدين، والفهم الثاقب ـ أى الذكى ـ فى الحديث وغيره.

وقال بعض الحفاظ: خلق أبو داود فى الدنيا للحديث، وفي الآخرة للجنة.

وروى: أنه كان فى سفينة فسمع عاطسا على الشط حمد، فاكترى قاربا بدرهم، فذهب فيه حتى جاء إليه؛ فشمته ثم رجع فسئل عن ذلك، فقال: لعله أن يكون مجاب الدعوة، فلما رقدوا سمعوا قائلا يقول: يا أهل السفينة إن أبا

---

(١) العلج: الرجل القوى الضخم كما فى القاموس.

داود اشترى الجنة من الله بدرهم.

ولد سنة اثنتين ومائتين. وتوفى بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين - رحمه الله تعالى -.

الدروس المستفادة من الحديث

١ - كان رسول الله ﷺ يتخول صحابته بالموعظة والتذكرة.

٢ - خشوع القلب دليل على صحة الإيمان.

٣ - السنة النبوية هى المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن.

٤ - تقوى الله مقدمة على أى عمل.

٥ - أوجب الإسلام طاعة ولاة الأمر وجعلها فى المرتبة الثالثة بعد طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ.

٦ - نظام الحكم فى الإسلام قائم على الشورى.

٧ - كانت مواعظ النبى ﷺ تتسم بالاختصار.

٨ - الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة من عوامل نجاحها.

الحديث التاسع والعشرون

المنجيات من النار

٢٩ ـ عن معاذ بن جبل ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار، قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت» ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؛ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل» ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾[السجدة :١٦ ، ١٧] ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟». قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد». ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت: بلى يا نبى الله، فأخذ بلسانه وقال: «كف عليك هذا». قلت: يا رسول الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟». رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

الشرح والبيان

(عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه) وتقدم الكلام عليه (قال: قلت: يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة) أى يكون سببا فى دخولى إياها لا من حيث ذاته، بل من حيث قبوله بمحض فضل الله تعالى. الذى به دخول الجنة، وبذا يجمع بين هذا وبين حديث البخارى: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته»[(٢)] كما تقدم. ولا يبعد أن يكون المعنى هنا: يدخلنى الله به الجنة ـ أى بسبب قبوله ـ والمراد دخولها من غير سابقة عذاب، بدليل قوله (ويباعدنى من النار) وفى رواية الإمام أحمد: إنى أريد أن أسألك عن كلمة قد أمرضتنى وأسقمتنى وأحزنتنى، قال:

---

(١) الترمذى فى الإيمان (٢٦١٦) وابن ماجة فى الفتن (٣٩٧٣) وأحمد (٥/ ٢٣١).

(٢) البخارى فى الرقاق (٦٤٦٣، ٦٤٦٤) ومسلم فى صفات المنافقين (٢٨١٦).

«سل عما شئت» قال: أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة لا أسألك غيره. وفى رواية: إنى أريد أن أسألك عن أمر، ويمنعنى عنه مكان هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[المائدة: ١٠١] قال: «ما هو يا معاذ؟» قلت: ما العمل الذى يدخلني الجنة، وينجينى من النار؟

وفيه دليل على طلب الإيجاز مع حصول الفائدة، وعلى شدة اعتنائه بالعمل الصالح وعظيم فصاحته؛ فإنه أوجز وأبلغ.

ولهذا حمد النبي ﷺ مسألته واستعظمها حيث (قال) له (لقد سألت) اللام واقعة فى جواب قسم محذوف، والتقدير: والله لقد سألت. وفى نسخة: «لقد سألتنى» (عن عظيم) أى عن عمل عظيم، أى متعسر لصعوبته على النفوس وعدم وفائها غالبا بما يطلب له، وفيه من الوسائل والمقاصد الواجبة والمندوبة وأجلها الإخلاص (وإنه) أى العمل المذكور (ليسير) أى هين (على من يسره الله تعالى عليه) أى سهله لديه بتوفيقه وتهيئة أسبابه له، وشرح صدره إليه، وإعانته عليه.

ثم بين هذا العمل بقوله: (تعبد الله) أى هو أن تعبد الله، فحذفت أن، ورجع الفعل إلى رفعه، ومعنى تعبدالله: توحده بدليل قوله: (لا تشرك به شيئا) فإنه تأكيد له. ويحتمل أن يكون المعنى: تأتى بأنواع العبادة حال كونك مخلصا لله.

وقيل: إن للعبادة ثلاث درجات:

الأولى: أن يأتى بها طمعا فى الثواب وهربا من العقاب.

الثانية: أن يأتى بها ليتشرف بعبادة خالقه، ويتلذذ بطاعته.

الثالثة: أن يأتى بها حياء من الله وامتثالا لأمره وتأدية لشكره، ويرى نفسه مقصرا، ويكون قلبه مع ذلك خائفا. وهذه أعلى المراتب.

(وتقيم الصلاة) هو وما بعده من عطف المغاير على المعنى الأول لتعبد، ومن عطف الخاص على العام على المعنى الثانى. والمراد بالصلاة: الصلاة المكتوبة، ومعنى إقامتها: الإتيان بها فى أوقاتها كاملة الواجبات والآداب.

(وتؤتى الزكاة) أى المفروضة ـ كما فى رواية ـ أى تدفعها لمستحقيها أو للإمام ليوصلها لهم.

(وتصوم) شهر (رمضان) أى تمسك عن المفطرات فى أيامه.

(**وتحج البيت**) أى تقصده لأداء النسك، وتأتى به إن استطعت إليه سبيلا.

(**ثم قال**) ﷺ (**ألا أدلك**) أى أرشدك (**على أبواب الخير**) أى طرقه وأسبابه الموصلة إليه. وألا: للعرض. وهو الطلب بلين ورفق، والمعنى: عرضت ذلك عليك فهل تحبه، وفيه غاية التشويق إلى ما سيذكره له، وهو قوله (**الصوم جنة**) بضم الجيم وتشديد النون، أى وقاية لصاحبه من استيلاء الشهوة والغفلة عليه فى الدنيا، ومن عذاب النار فى الآخرة، فينبغى للإنسان الإكثار منه ما استطاع، خصوصا فى الأيام المؤكد صومها؛ كيوم الإثنين والخميس وعرفة وعاشوراء وستة من شوال والأشهر الحرم.

وورد فى الحديث: «**أفضل الصوم صوم أخى داود كان يصوم يوما ويفطر يوما**»[1] وأدنى درجات الصوم: الكف عن المفطرات، وأوسطها: أن يضم إليه كف الجوارح عن المحرمات، وأعلاها: أن يضم إليهما كف القلب عما سوى الله الذى أبدع المخلوقات.

(**والصدقة تطفئ الخطيئة**) أى تمحو أثرها إن كانت من الصغائر المتعلقة بحق الله عز وجل، أما الكبيرة فلا يمحوها إلا التوبة، وأما حق الآدمى فلا يمحوه إلا رضا صاحبه.

وعبر بالإطفاء لمقابلته بقوله (**كما يطفئ الماء النار**) ولأن الخطيئة يترتب عليها العقاب الذى هو أثر الغضب، والغضب يستعمل فيه الإطفاء. يقال: طفئ غضب فلان وانطفأ غضبه. وخصت الصدقة بذلك لتعدى نفعها، ولأن الخلق عيال الله، وهى إحسان إليهم. والعادة: أن الإحسان إلى عيال شخص يطفئ غضبه.

وقد ورد: أن «**صدقة السر تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء**»[2]. ولذا كان بعضهم يحمل الخبز على ظهره بالليل ويتبع به المساكين.

والصدقة تشمل إعطاء النقد وغيره. وقد سئل ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أى الصدقة أفضل؟ قال: الماء. وورد عن النبى ﷺ أنه قال: «من سقى

---

(١) البخارى فى الصوم (١٩٧٩) ومسلم فى الصيام (١١٥٩) وأبو داود فى الصوم (٢٤٤٨) والنسائى فى الصوم (٤/ ١٩٨) وابن ماجة فى الصوم (١٧١٢).

(٢) سبق تخريجه.

مسلما شربة من مـاء، حيث يوجد الماء؛ فكأنما أعتق رقبة. ومن سـقى مسلما شربة من ماء، حيث لا يوجد الماء؛ فكأنما أحياها»[1] وورد أيضا: «كل معروف صدقة، وما أنفق الرجل على أهل بيتـه كتب له صدقة، وما وقى به المرء عـرضه كتب له به صدقـة، وما أنفق المؤمن من نفـقة؛ فإن خلفـها على الله والله ضامن إلا مـا كان فى بنيان أو معصية»[2].

وفسرت وقاية العرض بما يعطى للشـاعر وذى اللسان المنقى. والمراد بالبنيان: الزائد عن الحاجـة. وروى أنه ﷺ ذبح شاة فتصـدق بلحمها غـير الذراع، ثم دخل البيت فـقال «هل بقى منها شىء» يريد أن يتصـدق به فقـالوا: والله ما بقى منها إلا الذراع. فقال: «والله كلها بقيت إلا الذراع»

(وصلاة الرجل) خص بالذكر لأن السـائل رجل، وإلا فمـثله المرأة. وقوله (من جـوف الليل) أى فى أثنائه، فـمن بمعنى فى، وبهـا عبـر فى بعض النسخ. وحذف الخبر هنا إشعارا بأن لها فضـلا كثيرا وأجرا غزيرا لا يدرك كنهه ولا يمكن التعبير عنه. أى وصلاة الرجل فى جوف الليل؛ لا تعلم نفس ما أخفى لصاحبها. ولذا استـشهد بالآية كمـا قال الراوى (ثم تلا) أى قرأ النبى ﷺ قـوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾. حتى بلغ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾. ومعنى تتـجافى: تتنحى وترتفع جنوبهم عن المضاجع. أى مواضع الاضطجاع للنوم ﴿يَدْعُونَ﴾ أى يعبدون ﴿رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من سخطه ﴿وَطَمَعًا﴾ فى رحـمتـه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من المال ﴿يُنفِقُونَ﴾ أى يتصدقون ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ لا ملك مقرب ولا نبى مرسل ﴿مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أى ما تقر وتفرح به عـيونهم سرورا من الثواب ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧] وجمهـور المفسرين على أن ما فى هذه الآية؛ كناية عن كثـرة النفل بالليل؛ فإنـهم أخفوا أعـمالهم؛ فـجوزوا بما أخفى لـهم من قرة أعين. وإنما يتم إخفاؤها بالصلاة فى جوف الليل. المصرح به فى هذا الحديث.

وجاء فى الخبر: «إن الله تعالى يباهى الملائكة بـقوام الليل فى الظلام، يقول:

---

(١) ابن عدى فى الكامل للضعفاء (١/ ٢٠٥و٢/ ٣٠٧) وفيه الحسن بن أبى جعفر متروك. انظر تنزيه الشريعة (٢/ ١٣٦).

(٢) الدارقطنى (٢٨٧٢) والحاكم (٢/ ٥٠).

انظروا إلى عبادى قد قاموا فى ظل الليل، حيث لا يراهم أحد غيرى، اشهدوا أنى أبحتهم دار كرامتى»

وعن أسماء بنت يزيد مرفوعا: «**يحشر الله الناس فى صعيد واحد يوم القيامة، فينادى مناد: أين الذين كانوا تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون - وهم قليل - فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يؤمر بالناس إلى الحساب**»[1].

وعن عكرمة، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - مرفوعا: «**من انتبه من نومه فقال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، نظر الله إليه، فإن توضأ؛ غفر له. فإن صلى أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى؛ مرة، و﴿قل هوا الله أحد﴾ أحد عشرة مرة؛ غفر الله له ألبتة**» قال عكرمة: والله الذى لا إله إلا هو لقد سمعته من ابن عباس، وقال ابن عباس: والله الذى لا إله إلا هو لقد سمعته من رسول الله ﷺ، وقال النبى ﷺ: «**والله الذى لا إله إلا هو لقد سمعته من جبريل**» وقال جبريل: والله الذى لا إله إلا هو لقد قال الله ذلك[2].

وفى الحديث: «**إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها؛ أعدها الله لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**»[3].

واعلم: أنه يحصل فضل قيام الليل بصلاة ركعتين؛ لخبر: «**من قام من الليل ولو قدر حلب شاة، كتب من قوام الليل**». وورد: «**من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته، فصليا ركعتين جميعا؛ كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات**»[4] أى وقد ﴿**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾[الأحزاب: ٣٥].

واختلف فى أفضل أجزاء الليل، والصحيح الذى دلت عليه الأحاديث: أنه إن جزأه نصفين. فالنصف الثانى أفضل، أو أثلاثا. فالثالث أفضل، أو أسداسا.

---

(١) ابن كثير (٣/ ٥٥٦) وعزاه لابن أبى حاتم.

(٢) لم أقف عليه فيما عندى من مصادر.

(٣) الترمذى فى صفة الجنة (٢٥٢٧) وقال: حديث غريب وقد تكلم بعض أهل العلم فى عبدالرحمن بن إسحاق من قبل حفظه، ورواه أحمد (٢/ ١٧٢).

(٤) أبو داود فى الصلاة (١٤٥١) وابن ماجة فى إقامة الصلاة (١٣٣٥).

فالرابع والخامس أفضل. وهذا هو الأكمل على الإطلاق؛ لأنه الذى واظب عليه النبى ﷺ وقال فيه: «**أفضل الصلاة صلاة أخى داود؛ كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه**»(١).

ثم إن المتنفل بعد النوم يقال له: متهجد، ويشفع فى أهل بيته، كما نقل عن أبى الوليد النيسابورى ـ رحمه الله تعالى ـ

(**ثم قال**) ﷺ (**ألا أخبرك برأس الأمر**) أى أعلى الدين (**وعموده**) أى ما هو له بمنزلة العمود للبيت (**وذروة سنامه**) بتثليث الذال المعجمة وفتح السين ـ أى أعلاه ـ

والجمع بينهما للمبالغة، إذ الذروة من كل شىء أعلاه، وسنام الشىء أعلاه (**قلت: بلى**) أى أخبرنى (**يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام**) أى النطق بالشهادتين، كما جاء فى رواية لأحمد: أن رأس الأمر: « **أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله**» وإنما كان ذلك هو الرأس؛ لأنه لا أثر للدين بدونه، كما أنه لا أثر لحياة الحيوان بدون رأسه. يعنى: أن الشخص إذا لم يقر بالشهادتين لم يكن له من الدين شىء أصلا، وإذا أقر بهما؛ حصل له أصل الدين

(**وعموده الصلاة**) أى المفروضة؛ لأنها المقيمة لمنار الإسلام، فإذا أتى بها العبد؛ قوى دينه كما يقوى البيت بالعمود. (**وذروة سنامه الجهاد**) أى من حيث أن به يظهر الإسلام، ويعلو على سائر الأديان. ويطلق الجهاد على مجاهدة النفس وكفها عن الشهوات، ومنعها عن الاسترسال فى اللذات. ويلزم من ذلك فعل الأوامر واجتناب المناهى، وهذا هو الجهاد الأكبر. وقيل: إنه المراد هنا؛ لأنه جعل الجهاد أعلى شىء فى الدين، وهو بهذا المعنى أفضل من جهاد الكفار؛ لأنه فرض كفاية، ومجاهدة النفس فرض عين، وبها تتفجر ينابيع الحكمة من القلب.

(**ثم قال**) ﷺ (**ألا أخبرك بملاك ذلك**) الأمر (**كله**) بكسر الميم كما هو الرواية، أى بما يملكه ويضبطه، أو بما يقوم به، بمعنى: أنه إذا وجد كانت تلك الأعمال كلها على غاية الكمال. إذ هى غنيمة، وكف اللسان عن المحارم سلامة.

---

(١) البخارى فى التهجد (١١٣١) والنسائى فى الصيام (٤/ ١٩٨) وابن ماجة فى الصيام(١٧١٢).

والسلامة فى نظر العقلاء مقدمة على الغنيـمة. والمقصود: بيان فضيلة كف اللسان عن الأمور التى توجب غضب الملك الديان أى القهار.

(قلت: بلى يا رسول الله) أخبرنى **(فأخذ)** النبى ﷺ **(بلسانه)** الباء زائدة، والمعنى: أمسك لسان نفسه بيده، والحكمة فى ذلك: المبالغة فى الزجر

(وقال) وفى نسخة «**فقال**» وفى أخرى: «**ثم قال**» **(كف عليك هذا)** بضم الكاف وتشـديد الفـاء المفـتوحـة، أى امنعـه من التكلم بما لا يعنيـك؛ لأن آفتـه عظيمة. وقـد قيل: إنه صغر جرمـه ـ بكسر الجيم ـ وعظم جرمه ـ بضـمها ـ أى ذنبه.

وقيـل فى الحكمة: لسـانك أسدك، إن أطلقـته فـرسك ـ أى أهلكك ـ وإن أمسكته حرسك.

وفى المثل: يقول اللسـان كل يوم للعين: كيـف أصبـحت؟ فتقول: بخـير إن سلمت منك.

ثم إن فى الكلام حـذف مـضـاف، والمعنى: كف عـليك جنس هذا؛ لأن إشارته عليه الصلاة والسلام للسانه. ومـعاذ لا يكفه، وإنما يكف جنسه من حيث تحققه فى لسانه هو. وقيل: إن النبى ﷺ أخـذ بلسان معاذ، وعليه فلا حذف؛ لأن اسم الإشارة عائد عليه.

قال معاذ رضى الله تعالى عنه: **(قلت يا رسول الله)** وفى نسخة: «**يا نبى الله**» **(وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟)** هذا استفهام تعجب واستغراب.

(فقال) له رسول الله ﷺ: **(ثكلتك أمك)** بمثلثة أوله وكاف مكسورة ولام مفـتوحـة، أى فقـدتك، وهذا معناه الأصلى، وليس مـرادا؛ وإنما القصـد منه: التعجب وتـعظيم الأمر. وقيل: إنه من الألفاظ التى تجـرى على ألسنة العرب في المخاطبات للتـأديب والتنبيه من الغفلة، كتربت يداك أى لصـقت بالتراب من شدة الفقر، أو يقال: إن الموت لما كان لا بد منه لكل أحد؛ كان الدعاء به كلا دعاء.

(وهل) استفهام إنكارى، بمعنى النفى، أى ما **(يكب)** بفتح الياء وضم الكاف أى يلقى **(الناس)** يوم القيـامة **(فى النار على وجـوههم، أو قال على مناخـرهم)** شك من الراوى **(إلا حصـائد ألسنتهم)** أى ما تكلمت به من الإثم. وهذا الحكم

وارد على الأغلب والأكثر؛ لأنك إذا اختبرت الناس لم تجد أحدا حفظ لسانه عما يوجب دخوله النار إلا النادر من الأبرار. والمعنى: معظم ما يلقى الناس فى نار جهنم؛ حصائد ألسنتهم، جمع حصيدة بمعنى محصودة، من حصد الزرع إذا قطعه. والمراد: ما تلفظه الألسن وتقطعه من الكلام القبيح؛ كالكفر والكذب والشتم والغيبة والنميمة. وغير ذلك.

وروى عن أبى وائل قال: ارتقى ابن مسعود الصفا. فأخذ بلسانه، فقال: يا لسانى قل خيرا تغنم، واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أكثر خطايا ابن آدم من لسانه**»[١] وروى عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ مرفوعا: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى لها بأسا يهوى بها سبعين خريفا فى النار**»[٢].

وفى الحديث: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ـ تعالى ـ لا يلقى لها بالا، يكتب له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله ـ تعالى ـ لا يعلم أنها تقع حيث تقع؛ فيكتب له بها سخطه إلى يوم القيامة**»[٣] أو قال: «**يهوى بها فى النار سبعين خريفا**» أى عاما.

فينبغى لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما تظهر المصلحة فيه. فقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**»[٤].

وكان السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم على غاية من حفظ اللسان، حكى عن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه كان يجعل فى فيه حجرا ليمنعه من الكلام فيما لا يعنيه. وحكى عن أبى بكر ـ رضى الله تعالى أنه ـ أنه فعل ذلك اثنتى عشرة سنة، حتى تعود قلة الكلام. وكان لا يخرج الحجر من فمه إلا عند

---

(١) الطبرانى فى الكبير (١٠/١٠٤٤٦) وأبو نعيم فى الحلية (٤/١٠٧) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/٣٠٠) رجاله رجال الصحيح، وقال الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢/٦٠) إسناده جيد على شرط مسلم.

(٢) الترمذى فى الزهد (٢٣١٤) وقال: حديث حسن غريب، والحاكم (٤/٥٩٧) وصححه.

(٣) الترمذى فى الزهد (٢٣١٩) وقال حديث حسن صحيح، وأحمد (٣/٤٦٩) وابن ماجة فى الفتن (٣٩٦٩) وابن المبارك فى الزهد (١٣٩٤) والحاكم (١/٤٦) وابن حبان فى صحيحه (٢٨٠، ٢٨١ ـ إحسان).

(٤) سبق تخريجه وهو الحديث الخامس عشر.

الصلاة والأكل والنوم. وكان يقول: ليتنى كنت أخرس إلا عن ذكر الله - تعالى -.

وحكى عن بعض الأكابر أنه كان قاعدا مع أحد أصحابه؛ فأتاه ابنه من المكتب، فقال: حفظت لوحى، أقعد أو أمشى ألعب؟ فلم يجبه، فكرره، فقال له صاحبه: ألا تقول له يلعب؟ أليس اللعب يصلح الصبيان؟ قال: ما أريد أن يكون فى صحيفتى: اذهب فالعب، فإن فعل لا أمنعه.

وقال بعضهم: ثلاثة أشياء تقسى القلب: الضحك من غير عجب، والأكل من غير جوع، والكلام من غير حاجة.

ثم إن الحديث أصل عظيم متين، وقاعدة من قواعد الدين **(رواه الترمذى)** فى جامعه **(وقال: حديث حسن صحيح)**.

الدروس المستفادة من الحديث

١ - تعرض الحديث للقواعد الأساسية للإسلام - أركانه - وهى الصلاة، والزكاة، والصوم والحج ثم تبع ذلك بالنوافل المستحبة.

٢ - الإنسان بلسانه يرقى إلى عليين أو يهوى إلى أسفل سافلين.

٣ - أفضل الصلاة بعد المكتوبة هى قيام الليل.

٤ - بلاغة النبى ﷺ فى تنويع الكلمات وإيجاد المترادفات. فقال: «ألا أدلك؟» ثم قال: «ألا أخبرك؟».

٥ - عماد الدين الصلاة.

٦ - ذروة سنام الدين هو الجهاد.

الحديث الثلاثون

الوقوف عند حدود الشرع

٣٠ ـ عن أبي ثعلبة الخشني ـ جرثوم بن ناشر ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها». حديث حسن رواه الدارقطني وغيره [١].

الشرح والبيان

(**عن أبي ثعلبة**) بفتح المثلثة (**الخشنى**) بضم المعجمة الأولى وفتح الثانية وكسر النون نسبة إلى خشينة بالتصغير، قبيلة معروفة (**جرثوم**) بضم الجيم والمثلثة وإسكان الراء بينهما (**ابن ناشر**) بنون وشين معجمة مكسورة ثم راء، وفى اسمه واسم أبيه أقوال غير ذلك.

(**رضى الله تعالى عنه**) كان من مشاهير الصحابة، وممن حضر بيعة الرضوان تحت الشجرة سنة ست من الهجرة، وسبب هذه البيعة: أن رسول الله ﷺ خرج بألف وأربعمائة، وقيل: وخمسمائة؛ لزيارة البيت، فصده المشركون، أى منعوه، فأرسل إليهم عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ليبلغهم أنه ﷺ لم يأتهم مقاتلا ولا محاربا، وإنما جاءهم زائرا للبيت ومعظما له، فحبسوه عندهم، فأشاع إبليس ـ لعنه الله تعالى ـ أنهم قتلوه ورفع به صوته، فبلغ النبى ﷺ ذلك، فقال ﷺ : «**لا نبرح حتى نناجزهم**[٢] **الحرب**»[٣]، ودعا الناس عند الشجرة للبيعة على الموت؛ فاتفقوا مع رسول الله ﷺ على أن يموتوا ولا يفروا من مقاتلة أهل مكة.

ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا، وأرسلوا عثمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ وفى هذه البيعة نزل قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾[الفتح: ١٨].

---

(١) الدارقطنى فى الأشربة (٤٧٦٨) وأبو نعيم فى الحلية (٩/ ١٧) والطبرانى فى الكبير (٢٢/ ٥٨٩) والحاكم (٤/ ١١٥) وسكت عنه الذهبى .

(٢) نناجزهم: نطلب منهم المبارزة.

(٣) ابن هشام فى السيرة (٣/ ١٩٨) والبيهقى فى الدلائل (٤/ ١٣٥).

وسميت بـيعة الرضوان؛ لما فى هذه الآية من رضـا المولى - عز وجل - عنهم بسببها.

وحكى عن «جرثوم» المذكـور أنه كان يقول: إنى أرجو ألا يخنقنـى الله كما أراكم تخنقون عند الموت، فبينما هو يصلى إذ قُـبض وهو ساجد، فرأت ابنته فى النوم: أن أباها قد مات فاستيقظت فـزعة فنادت: أين أبى؟ قيل لها: فى مصلاه، فنادته فلم يجبها، فأتته فوجدته ساجدا فحركته فسقط ميتا، وكان ذلك بالشام سنة خمس وتسعين.

ومروياته أربعـون حديثا. منها: مـا ذكره المصنف عنه **(عن رسول الله)** وفى نسخة: **(عن النبى ﷺ)** أنه **(قال: إن الله تـعالى فرض فـرائض)** أى أوجبـها على عبـاده، وألزمهم القيـام بها، وهى شاملة لفـرائض الأعيان: كـالصلوات الخمس والزكاة والصوم فى رمـضان والحج. والكفاية: كصـلاة الجنازة ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

(فلا تضيعوها) بتشديد التحتية المكسورة، ويجوز تخفيفها مع كسر ما قبلها، أى لا تتركـوها ولا تتهاونوا فى أدائهـا، بل قومـوا بها كمـا فرضت عليكم، ولا تؤخروها عن أوقاتها.

وقد صح أنه عليـه الصلاة والسلام رأى ليلة الإسراء قومـا ترضخ رؤوسهم، أى تدق وتكسر، كلـما رضخت عـادت كما كـانت ولا يفتر - أى يـؤخر - عنهم ذلك. فـقال: **«من هؤلاء يا جـبريل؟»** قال: هؤلاء الـذين تتثاقل رؤوسـهم عن الصلاة المكتوبة، وما ظلمهم الله شيئا [1]

(وحد) بفتح الحـاء وتشديد الدال المهـملتين، أى بين وعين **(حدودا)** جمع حد، وهو لغة: الحاجز بين الشيئين، وشرعا: عقوبة مقدرة من الشارع تزجر وتمنع عن المعصية. والمعنى: أن الله - تعالى - جعل لكم حواجز وزواجر مقدرة تحجزكم وتمنعكم عـما لا يرضـاه، وقد ورد: **«حد يقـام فى الأرض خيـر من مطر أربعين صباحا»**[2].

---

(١) البيـهقى فى دلائل النبـوة (٣٩٧ - ٤٠٣) والسيوطى فى الدرالمنـثور (٤/ ١٤٤ - ١٤٧) والبزار كـما فى مجمع الزوائد للهيثمى (١/ ٦٧ - ٧٢).

(٢) أحمد (٢/ ٣٦٢، ٤٠٢) والنسائى فى قطع السارق (٨/ ٧٦) وابن ماجة فى الحدود (٢٥٣٧، ٢٥٣٨)

وذكـر العلماء أنه لا يجـوز تعطيل الحـد بمال يؤخذ من العـاصى، وأن ذلك يكون سببا لسقوط حرمة السلطان وسقوط قدره من القلوب.

واعلم: أن الحدود مـتنوعة. منها: حد الزنا ـ وهو الرجم ـ إن كـان الفاعل محصنا، والجلد مائة، والتغريب إلى مسافة القصر عاما إن كان غير محصن.

ومنها: حد السرقة، وهو قطع اليـد اليمنى فى أول مرة، والرجل اليسرى فى المرة الثانية، واليد اليسرى فـى المرة الثالثة، والرجل اليمنى فى المرة الرابعة، وقطع اليد يكون من الكوع، والرجل من الكعب.

ومنها: حـد شرب الخمـر. وهو أربعون جلدة. ومنها: حـد القذف بالزنا. وهو ثمانون جلدة.

(فلا تعتدوها) أى لا تتركوها ولا تتـجاوزوا القدر الذى قدره الشارع فـيها، فلا تزيدوا عليه ولا تنقصوا عنه. وأما ما روى من أن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ جلد شارب الخـمر ثمانين؛ فـهو اجتهـاد منه لزيادة التنكيل، حيث أكـثر الناس الشرب فى زمنه؛ فما زاده تعزير، لا حد.

(وحرم أشياء) أى منع من قربانها وارتكابها. كشـهادة الزور وأكل مال اليتيم والربا وعقوق الوالدين. **(فلا تنتهكوها)** أى لا ترتكبوها ولا تقربوا منها.

حكى عن بعض السلـف ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنـه قال: رأيت المعـاصى تزرى ـ أى تعيب ـ صاحبها وتحقره؛ فتركتها مروءة، فصارت ديانة.

وعن ابن شبرمة ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: العجب ممن يحتمى من الحلال مخافة الداء، ولا يحتمى من الحرام مخافة النار.

(وسكت عن أشياء) أى لم ينزل حكمهـا على نبيه ﷺ **(رحمة لكم)** أى لأجلكم، يعنى: أنه لم يحـرم تلك الأشيـاء فيعـاقب على فعلهـا، ولم يوجبـها فيعاقب على تركها؛ لأجل رحمته ورأفته بكم وتخفيفا عنكم.

وقوله: (غـير نسـيان) حال من السكوت المفهـوم من سكت، أى حال كون السكوت عنها بمعنى عـدم إنزال الحكم فيها، غيـر نسيان لأحكامهـا؛ لأن النسيان مـستـحـيل عليـه ـ سبـحـانه وتعالـى ـ فقـد قـال عز شـأنه: ﴿لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾[طه: ٥٢]. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وإذا كان الأمر كذلك (**فلا تبحثوا عنها**) أى لا تفحصوا عن أحوالها، ولا تفتشوا على أحكامها. بل احكموا بالبراءة الأصلية، والحل فى المنافع والحرمة فى المضار.

وهذا النهى يحتمل اختصاصه بزمنه ﷺ لقوله تعالى: ﴿**لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ [المائدة: ١٠١] لأن السؤال قد يكون سببا لنزول ما فيه تشديد من إيجاب أو تحريم، وقد قال ﷺ: «**إن أعظم المسلمين جرما**» بضم الجيم أى ذنبا «**من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لأجل مسألته**»[1] ويحتمل بقاؤه على عمومه؛ لأنه من التعمق والتنطع، أى التشديد فى الدين والبحث عما لا يعنى.

وقد صح: «**هلك المتنطعون**»[2] والمتنطع: البحاث عما لا يعنيه. وقال ابن مسعود - رضى الله تعالى عنه -: إياكم والتنطع، إياكم والتعميق. وقال عليه الصلاة والسلام: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[3]

قالوا: ومن البحث عما لا يعنى: البحث عن أمور الغيب التى أمرنا بالإيمان بها، ولم تُبين كيفيتها؛ فهو مذموم؛ لأنه قد يؤدى إلى الحيرة والشك، ويرتقي إلى التكذيب. ومن ثم قال ابن إسحاق - رحمه الله تعالى -: لا يجوز التفكر فى الخالق ولا فى المخلوق بما لم يسمع فيه، كأن يقال فى قوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ [الإسراء: ٤٤]. كيف تسبيح الجماد؟ لأنه تعالى أخبر به فيجعله كيف شاء بما شاء، فإن لم يكن التفكر بهذه المثابة كان من أعلى العبادات.

ومنه ما نقله ابن العماد فى «كشف الأسرار» من أن المقداد بن الأسود - رضي الله تعالى عنه - قال: دخلت على أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - فسمعته يقول: قال رسول الله ﷺ: «**تفكر ساعة خير من عبادة سنة**» ثم دخلت على ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - فسمعته يقول: قال رسول الله ﷺ: «**تفكر ساعة خير من عبادة سبع سنين**» ثم دخلت على أبى بكر - رضى الله تعالى عنه - فسمعته يقول: قال رسول الله ﷺ: «**تفكر ساعة خير من عبادة سبعين**

---

(١) البخارى فى الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٩) ومسلم فى الفضائل (٢٣٥٨).

(٢) مسلم فى العلم (٢٦٧٠) وأبو داود فى السنة (٤٦٠٨) وأحمد (١/ ٣٨٦).

(٣) سبق تخريجه.

سنة» قال المقداد ـ رضى الله تعالى عنه ـ: فدخلت على رسول الله ﷺ فأخبرته بما قالوا. فقال: «صدقوا» ثم قال: «ادعهم إلىّ» فدعوتهم. فقال لأبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ: «كيف تفكرك؟ وفى ماذا؟» قال: فى قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] الآية. أى ليستدلوا به على قدرة خالقهما. قال: «تفكرك خير من عبادة سنة»، ثم سأل ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن تفكره: فقال: تفكرى فى الموت، وهو المطلع ـ يعنى يوم القيامة ـ فقال: «تفكرك خير من عبادة سبع سنين» ثم قال لأبى بكر ـ رضى الله تعالى عنه ـ: «كيف تفكرك»؟ قال: تفكرى فى النار وفى أهوالها. وأقول: يا رب اجعلنى يوم القيامة من العظم بحال تملأ النار منى؛ حتى يصدق وعدك، ولا تعذب أمة محمد ﷺ فى النار. فقال: «تفكرك خير من عبادة سبعين سنة» ثم قال: «أرأف أمتى بأمتى أبو بكر»[1] ـ رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين ـ

ثم إن هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ

قال بعضهم: وليس فى الأحاديث حديث واحد، أجمع بانفراده لأصول الدين وفروعه منه. ولهذا قال السمعانى: من عمل به فقد حاز الثواب، وأمن من العقاب.

وهو (حديث حسن رواه الدارقطني وغيره) وتقدم فى الخطبة أن الدارقطنى بفتح الدال المهملة والراء منسوب لدار القطن حارة كبيرة ببغداد، وأن اسمه على ابن عمر. وهو صاحب السنن والعلل والأفراد وغيرها.

وكان أوحد عصره فى الحفظ والفهم والورع. قيل له: هل رأيت مثل نفسك؟ فقال: قال الله تعالى ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] فألح عليه فقال: لم أر أحدا جمع مثل ما جمعت.

وقال فيه القاضى أبو الطيب: إنه أمير المؤمنين فى الحديث: وقال البرقانى: أملى علىّ كتاب العلل من حفظه ـ رحمه الله تعالى ـ

---

(١) رواه بمعناه: أبو يعلى (٥٧٣٦) وابن حجر فى المطالب العالية (٤٠٣٠، ٤٠٣١) والفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للشوكانى ص (٢٤٢)

الدروس المستفادة من الحديث

١ ـ من أصول العقيدة الصحيحة: الإيمان بعالم الغيب.

٢ ـ لا بد من التورع فى الفتوى وعدم الخوض فى الأحكام بالرأى.

٣ ـ عدم التطرق للمسكوت عنه من قبل الشارع.

٤ ـ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم.

الحديث الحادى والثلاثون

الزهد فى الدنيا

٣١ ـ عن أبى العباس ـ سهل بن سعد الساعدى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس؟ فقال: «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة(١)

الشرح والبيان

(**عن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى**) ـ بكسر العين المهملة ـ نسبة إلى جده ساعدة. وكان اسم سهل «حزنا» فسماه النبى ﷺ سهلا. (**رضى الله تعالى عنه**) وفى نسخة: «**عنهما**» وهى أولى؛ لأن أباه له صحبة. وروى: أنه تجهز، ليخرج إلى بدر فمرض فمات، وكان سن ولده سهل يوم وفاة النبى ﷺ خمس عشرة سنة. ومات بالمدينة سنة ثمان وثمانين. وقيل: سنة إحدى وتسعين، وهو آخر صحابى مات بها.

ومروياته مائة حديث وثمانية وثمانون حديثا، منها ما ذكره عنه المصنف. وهو أنه (**قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله دلنى**) بضم الدال المهملة وفتح اللام المشددة أي أرشدنى (**على عمل**) أى صالح جامع للفضائل ومانع من الرذائل (**إذا عملته**) بكسر الميم (**أحبنى الله**) أى رضى عنى وأحسن إلى (**وأحبنى الناس**) أى حصل لهم الشفقة علي، وأرادوا منفعتى. والرواية فى «**أحبنى**» بفتح التحتية، وإن كان يجوز إسكانها، عربية.

واعلم: أن محبة الناس لشخص؛ تابعة لمحبة الله ـ تعالى ـ فإذا أحبه ألقى محبته فى قلوب خلقه؛ فقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل، فقال: إنى أحب فلانا؛ فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادى فى السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه؛ فيحبه أهل السماء. ثم يوضع له القبول فى الأرض**»(٢).

---

(١) ابن ماجة فى الزهد (٤١٠٢) وفى الزوائد: فى إسناده خالد بن عمر وهو ضعيف متفق على ضعفه واتهم بالوضع وأورد له العقيلى هذا الحديث وقال: ليس له أصل من حديث الثورى، لكن قال النووى عقب هذا الحديث: رواه ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة، ورواه الطبرانى فى الكبير (٦/ ٥٩٧٢) وأبو نعيم فى الحلية (٣/ ٢٥٢، ٢٥٣ و ٧/ ١٣٦).

(٢) البخارى فى التوحيد (٧٤٨٥) ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٦٣٧) وأحمد (٢/ ٤١٣).

(**فقال**) رسول الله ﷺ للرجل (**ازهد فى الدنيا**) أى أعرض عنها، ولا تبال بإقبالها وإدبارها، ولا تأخذ منها إلا ما لا بد منه فى الحلال (**يحبك الله**) بفتح الموحدة المشددة؛ لأن الله تعالى يحب من أطاعه. ومن طاعة الله - عز وجل - عدم الالتفات إلى الدنيا، بل هو الطاعة التامة.

وقد كان رسول الله ﷺ على غاية من الإعراض عنها مع تمكنه من التوسع فيها. روى أنه كان يلبس المرقع والصوف، ويأكل خشن الطعام، ويجلس على الأرض بلا حائل، ويأكل عليها ويقول: «**إنما أنا آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد**»[1]. وكان يمر عليه شهران ولا يوقد فى بيوته مصباح ولا نار؛ لطبخ، وإنما كان طعامهم التمر والماء. وكان له جيران لهم غنم فيرسلون له من لبنها، وكان يبيت الليالى المتتابعة طاويا هو وأهله لا يجدون عشاء.

ودخل عليه عمر - رضى الله تعالى عنه - وهو مضطجع على حصير قد أثرت فى جنبه الشريف، متكئ على وسادة من جلد حشوها ليف وليس عليه إلا إزار، فبكى عمر - رضى الله تعالى عنه - فقال له رسول الله ﷺ «**ما يبكيك يا عمر؟**» فقال: ذكرت كِسرىٰ وقيصر عدوى الله، فى الخز والقز والحرير والديباج. وأنت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا؟ فقال: «**أفى شك أنت يا بن الخطاب؟ أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة**»؟ قال: بلى. قال: «**فهو كذلك، أولئك عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا**»[2]

وفى «الشفاء» أن جبريل قال له: إن الله يقول لك: أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت؟ فأطرق ساعة ثم قال: «**يا جبريل ما لى وللدنيا، الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، وقد يجمعها من لا عقل له**» فقال له جبريل: ثبتك الله بالقول الثابت[3] . وفى رواية: «**أريد أن أجوع يوما فأصبر، وأشبع يوما فأشكر**».

---

(١) أبو يعلى (٤٨٩٩) وأبو الشيخ فى أخلاق النبى (١٤١) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ١٩) إسناده حسن، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢/ ٥٤٤).

(٢) البخارى فى التفسير (٤٩١٣) ومسلم فى الطلاق (١٤٧٩).

(٣) الشفاء للقاضى عياض (٢/ ٢٨٠) ورواه أحمد (٦/ ٧١) والبيهقى فى الشعب (١٠٦٣٨) عن عائشة، ورواه البيهقى فى الشعب موقوفا على ابن سعد (١٠٦٣٧) بنحوه.

وورد عنه ﷺ أنه قال: «**لو كانت الدنيا تساوى**» وفى رواية: «**تعدل**» «**عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء**»(١)

وما ألطف قول بعضهم:

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن ... إذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة ... وقد شبعت فيها بطون البهائم

وفى الحديث: «**إذا أحب الله عبدا حماه عن الدنيا، كما يظل أحدكم يحمى سقيمه الماء**» (٢).

وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى: ترك الدنيا شديد، وترك الجنة أشد منه، وإن مهر الجنة ترك الدنيا. وقال بعض السلف: لو كانت الدنيا لؤلؤة تفنى والآخرة خرقة تبقى؛ لكان ينبغى للعاقل أن يؤثر ما يبقى على ما يفنى؛ فكيف والأمر بالعكس.

وقال الفضيل بن عياض - رحمة الله تعالى عليه : جعل الله الشر كله فى بيت، وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد. وهو كما قال سفيان بن عيينة: ثلاث أحرف زاى وهاء ودال. فالزاى ترك الزينة، والهاء ترك الهوى، والدال ترك الدنيا بجملتها.

ثم إن الحامل على الزهد فيها أشياء:

منها: استحضار أن لذاتها شاغلة للقلوب عن الله - تعالى - ومنقصة للدرجات عنده. كما صح عن ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما -: لا يصيب أحد من الدنيا شيئا إلا نقص من درجاته عند الله. ولهذا كان بعض العارفين إذا رأى فى مطبخه أسباب المعيشة؛ حزن، وإذا قل شيء فيه أو عدم؛ فرح.

ومنها: أنها موجبة لطول الحبس والوقوف فى الموقف العظيم والسؤال عن

---

(١) الترمذى فى الزهد (٢٣٢٠) وقال: صحيح غريب، وابن ماجة فى الزهد (٤١١٠) وفى الزوائد فى إسناده زكريا بن منظور وهو ضعيف وفيه إن أصل المتن صحيح. وأبو نعيم فى الحلية (٣/٢٥٣) والحاكم (٣٠٦/٤) وصححه، والطبرانى فى الكبير (٦/ ٥٨٤٠) .

(٢) الترمذى فى الطب (٢٠٣٦) وقال: حسن غريب، والحاكم (٢٠٧/٤، ٣٠٩) وصححه ووافقه الذهبى والطبرانى فى الكبير (١٧/١٩) والبيهقى فى الشعب (٤٤٨. ١).

شكر نعيمها، وأن حلالها حساب وحرامها عذاب.

ومنها: كثرة الذل والتعب فى تحصيلها ومزاحمة الأراذل فى طلبها.

ومنها: كثرة غبونها ـ أى خداعها ـ وسرعة تقلبها وفنائها.

ومنها: حقارتها عند الله تعالى وبغضه لها، ومن ثم قال الفضيل بن عياض ـ نفعنا الله تعالى به ـ: لو أن الدنيا بحذافيرها ـ أى بجملتها ـ أى جميعها؛ عرضت على حلالا؛ لا أحاسب بها، لتقذرتها كما تتقذر الجيفة.

وحكى: أن سيدنا إبراهيم الخليل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ كان له أربعة آلاف كلب تحرس غنمه، فى عنق كل كلب طوق من الذهب. فسئل لم فعل ذلك؟ فقال: لأن الدنيا جيفة وطلابها كلاب، فدفعتها لطلابها.

ومنها: أن تركها موجب لرفع الدرجات وحلول رضوان الله تعالى الأكبر فى دار الكرامات.

وذكر العلماء أنه يحرم الفرح بالدنيا؛ لأجل المباهاة والتفاخر والكبر، ويحرم الحزن على فواتها إن أدى إلى الاعتراض على الله تعالى أو الوقوع فى عرض أحد.

وورد مرفوعا: «**من أسف**» أى حزن «**على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة، ومن أسف على آخرة فاتته؛ اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة**»[(١)]. وقال بعضهم: لما أخذت الدنيا من إبليس اغتم لها فصار ملعونا، ولما أعطيها قارون فرح بها فصار تحت الأرض مسجونا، ونبينا ﷺ لما عرضت عليه؛ لم يأخذها، ولما ردها؛ لم يغتم لها، فصار إلى ما صار.

وحكى: أن عيسى ﷺ خرج سائحا وأخذ معه رغيفا؛ فتبعه يهودى ومعه رغيفان، فقال له عيسى: تشاركنى فى طعامى؟ قال: نعم، ثم لما رأى معه رغيفا واحدا ندم، ولما أراد الأكل جاء برغيف. فقال له عيسى: ما فعلت بالآخر؟ قال: ما كان معى إلا رغيف واحد؛ فأكلا. ثم سارا، فوجد عيسى رجلا أعمى فدعا له فرد الله عليه بصره فقال: يا يهودى بحق الذى أراك الأعمى بصيرا؛ ما فعلت برغيفك؟ فقال: ما كان معى إلا واحد.

---

(١) السيوطى فى الجامع الصغير (٨٤٣٢) وعزاه للرازى فى مشيخته عن ابن عمرو، وقال السيوطى ضعيف، وانظر كنز العمال (٦١٤٧).

ثم مر بمقعد - أى مكسح - فدعا له فإذا هو صحيح، فقال: بحق الذى أراك المقعد صحيحا من أكل الرغيف الثالث؟ قال: ما كان معى إلا واحدا.

ثم وجد نهرا فأخذ بيد اليهودى ومر به على الماء، فقال: بحق الذى أمشاك على الماء من أكل الرغيف؟ فقال: والله ما كان معى إلا واحد.

ثم مر بظبى ترعى فدعا عيسى غزالة فأقبلت فذبحها فأكلا منها، ثم دعا لها بالحياة، فقامت. فقال: يا يهودى بحق الذى أحياها من أكل الرغيف؟ قال: ما كان معى إلا واحد.

ثم دخلا قرية فنزل عيسى فى أعلاها ونزل اليهودى فى أسفلها، وكان قد سرق عصا عيسى، فقال: الآن أحيى الموتى بها. ونادى: الطبيب، الطبيب، فأدخلوه على الملك وهو مريض فضربه بالعصا فقتله، فقال: الآن أحييه فضربه ثانيا وقال: قم، فلم يقم، فأخذوا اليهودى وصلبوه. فبلغ عيسى خبره فأدركه فقال: أنا أحيى لكم صاحبكم، واتركوا لى صاحبى. فدعا للملك بالحياة؛ فأحياه الله تعالى. فقال لليهودى: بحق من أحيا الملك من أكل الرغيف؟ فقال: والله ما كان معى إلا واحد.

ثم سارا فدخلا قرية خربة فوجدا فيها ثلاث لَبِنات من ذهب، فقال عيسى: تقسم ذلك على عدد الرغفان؛ واحدة لى، وواحدة لك. وواحدة للذى أكل الرغيف الثالث. فقال: أنا أكلته وأنت تصلى. وصار كلما أراد أخذ لبنة ثقلت عليه. فقال له عيسى: دعه، فسار ونفسه تطالبه به.

ثم مر باللبنات الثلاثة أنفس، فذهب أحدهم ليأتى بطعام فجعل فيه سما ليأخذ اللبنات كلها، فلما جاء قتله الاثنان وأكلا الطعام. فماتا. ثم مر عليهم عيسى واليهودى، فقال عيسى: انظر يا يهودى هكذا الدنيا تصنع بأهلها، ثم دعا لهم فأحياهم الله تعالى، وتابوا عن حب الدنيا. وأما اليهودى فقال: أعطنى المال. قال: خذه فهو حظك من الدنيا والآخرة؛ فخسف الله به وبالذهب.

وورد فى الحديث: «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**»[1] والله لا يحب الخطايا ولا أهلها.

---

(١) البيهقى فى الشعب عن الحسن مرسلا (١٠٥٠١) وضعفه السيوطى فى الجامع الصغير (٣٦٦٢).

ونقل عن ابن المنكدر ـ رحـمه الله تعالى ـ أنه قـال: تجيء الدنيا يوم القيـامة تتبختر فى زينتها، فتقـول: يا رب اجعلنى لأخس عبادك دارا، فيقول الله تعالى: لا أرضاك لـه، اذهبى فكونى هباء منثـورا. وفى رواية: فيـقول لهـا: اذهبى إلى النار. فتقول: يا رب ومن يحبنى معى. فيقول لها: ومن يحبك؛ فتأخذهم جميعا إلى النار.

واعلم: أن محبتها المذمومة: هى الميل إلى شهواتها المحرمة والمكروهة، وهي وإن كانت محبوبة للإنسان بطبعه؛ تصير عند من وفقه الله ـ تعالى ـ وبصّره بآفاتها كالجيـفة، وأما عند غيـره؛ فهى مزخرفـة مزينة. ومثل هذا الغـزالى ـ رحمه الله تعالى ـ بإنسان صنع حلوا من أعلى السكر، وعجنه بسم قاتل، وأبصر ذلك رجل ولم يبصره آخـر، ووضعه بينهمـا. فمن أبصر ذلك زهده. وغيره يـغتر بظاهره؛ فيحرص عليه ـ أى فيأخذه ـ ويأكل منه فيهلكه.

وأما الميل إلى مباحاتها وتحصيلهـا لفعل الخير فليس مذموما؛ فقد ورد: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح، يصل به رحما ويصنع به معروفا**»(١)

وقد اختلف العلماء، هل الأفضل طلب الدنيا لفعل الخير أو تركها؟ فرجحت طائفة الأول، وطائفة الثـانى. وجمع بينهما: بحمل الأول على من وثق بجـمعها من الحلال وصرفها فى الخير، والثانى على من لم يثق بذلك.

وما ألطف قول عيسى ﷺ: يا طالب الدنيا لتبر؛ تركك للدنيا أبر.

وانقسم الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ قـسمين، قسما ـ وهو الأكثر ـ ترك تحصيلها واشتغل بالعلم والعبادة، وقسـما حصلها وكان خازنا لله تعالى فيها؛ كعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف ـ رضي الله تعالى عنهما ـ

روى: أن عثـمان جـهز غـزوة تبوك بألف بعـير وسـبعين فرسـا، وأتى إلى المصطفى ﷺ بعشـرة آلاف دينار، فصبهـا بين يديه، فجعل ﷺ يقلبهـا بيده ويقول: «**غـفر الله لك يا عـثـمان مـا أسـررت وما أعلنت ومـا هو كـائن إلى يوم القـيامـة**»(٢) ولما قـدم النبى ﷺ المدينة لم يكن بهـا ماء عـذب إلا بئر رومـة،

---

(١) أحمد (٤/ ١٩٧، ٢٠٢) وأبو يعلى (٧٢٩٨) وقال الهيثـمى فى مجمع الزوائد (٤/ ٦٤) رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه ورجالهما رجال الصحيح.

(٢) انظر: الرياض النضرة (٣/ ١٧).

فاشتراها عثمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ بعشرين ألف درهم، وفى رواية: بخمسة وثلاثين ألف درهم ووقفها.

وأعتق عبدالرحمن بن عوف ثلاثين ألفا، وتصدق على عهد المصطفى ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف دينار، ثم بمثلها، ثم بخمسمائة فرس، ثم بألف وخمسمائة راحلة. وكان أهل المدينة عيالا عليه، ثلث يقرضهم، وثلث يقضى ديونهم، وثلث يصلهم خيره. وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة ـ أى بستان ـ فبيعت بأربعمائة ألف، وأوصى بخمسين ألف دينار وألف فرس فى سبيل الله تعالى.

(وازهد فيما عند الناس) أى أعرض عما فى أيديهم من الدنيا **(يحبك الناس)** أى لأنهم منهمكون على محبتها بالطبع. فمن زاحمهم عليها؛ أبغضوه، ومن زهد فيها وتركها لهم أحبوه. وقال الحسن: لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع فى دنياهم، فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه.

وقال بعضهم:

الناس إخوانك ما لم تكن   تطمع فيما عندهم من حطام
فإن تعرضت لأموالهم   كنت عدوا لهم والسلام

وقال أعرابى لأهل البصرة: من سيدكم؟ قالوا: الحسن، قال: بم سادكم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم، فقال: ما أحسن هذا.

وسأل كعب الأحبار عبدالله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنهم ـ ما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعدما حفظوه وعقلوه؟ فقال: يذهبه الطمع، وشره النفس، وطلب الحاجات إلى الناس. فقال: صدقت.

وقال أبو الحسن الشاذلى ـ نفعنا الله تعالى به ـ: دخل على بالمغرب بعض الكبراء، فقال: ما أرى لك كبير عمل، فبم فقت الناس وعظموك؟ فقلت: بخصلة واحدة تمسكت بالإعراض عنهم وعن دنياهم.

وقال بعضهم:

تورع عن سؤال الخلق طرا   وسل ربا كريما ذا هبات[1]
ودع زهرات دنياك اللواتى   تراها لا محالة ذاهبات

---

(١) ذا هبات: أى صاحب عطايا.

وقال آخر:

أرى الزهـاد فى روح وراحــة قلوبـهم عن الدنيـا مـزاحـه
إذا أبصـرتـهم أبصـرت قـوما ملوك الأرض سمـيتهم سمـاحه

ثم إن هذا الحديث أحـد الأحاديث التى عليها مـدار الإسلام، وهو (**حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة**).

وابن ماجـة: اسمـه محـمد بن يزيد القـزوينى. وماجـه بفتح الميم والجـيم وبينهما ألف وفى آخره هاء ساكنة وقـفا ووصلا؛ لأنه اسم أعجمى، لقب لأبيه، وقيل اسم لأمه. وكان من أكابر الحفاظ، ولد سنة تسع ومائتين، ومات سنة ثلاث وتسعين ومائتين ـ رحمة الله تعالى عليه ـ

الدروس المستفادة من الحديث

١ ـ الزهد هو الإعراض عن الشيء احـتقارا له وكذلك هو ترك مـازاد من الحاجة من الحلال.

٢ ـ محبة الناس تابعة لمحبة الله.

٣ ـ الإعراض عما فى أيدى الناس من الزهد.

٤ ـ حب الدنيا رأس كل خطيئة

٥ ـ الإعراض عن الدنيا بشرط ألا يبال الإنسـان بها ولا يأخذ منها إلا ما لابد منه فى الحلال. هذا هو الزهد

الحديث الثانى والثلاثون

لا ضرر ولا ضرار

٣٢ ـ عن أبى سعيد ـ سعد بن مالك بن سنان الخدرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار»

حديث حسن، رواه ابن ماجه، والدارقطنى، وغيرهما مسندا، ورواه مالك فى الموطأ عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن النبى ﷺ مرسلا، فأسقط أبا سعيد، وله طرق يقوى بعضها بعضا (١).

الشرح والبيان

(**عن أبى سعيد ـ سعد بن مالك بن سنان الخدرى**) بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة، نسبة إلى جده خدرة بن عوف، وقيل: نسبة إلى قبيلة من الأنصار اسمها خدرة.

(**رضى الله تعالى عنه**) وفى نسخة صحيحة: «**عنهما**» وهى أولى: لأن أباه مالكا كان صحابيا من شهداء أحد، وهو الذى استقبل رسول الله ﷺ وامتص دمه حين جرح وجهه الشريف. فقال ﷺ حين مصه وازدرده ـ أى بلعه ـ: «**من سره أن ينظر إلى من لا تمسه النار؛ فلينظر إلى مالك بن سنان**»(٢).

وكان ولده سعد صغيرا يوم أحد؛ فرد، فخرج فيمن يتلقى رسول الله ﷺ حين رجع من أحد، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: «**سعد بن مالك**». فقال: نعم بأبى أنت وأمى يا رسول الله، فدنا منه وقبل ركبته فقال له: «**آجرك الله فى أبيك؛ لأنه قتل شهيدا**» كما مر.

وغزا سعد مع رسول الله ﷺ ثنتى عشرة غزوة. أولها الخندق، وكان من الرماة المشهورين. وهو معدود من أهل الصفة، وكان من فضلاء الصحابة وعلمائهم. وروى عنه أنه قال: أصبحت وليس عندنا طعام وقد ربطت حجرا من

---

(١) ابن ماجة فى الأحكام (٢٣٤٠، ٢٣٤١) والدارقطنى (٣٠٦٠، ٤٤٩٥) والحاكم (٢/ ٥٧، ٥٨). ومالك فى الموطأ فى الأقضية ٢/ ٥٧١ (٣١)

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٨، ٢٩) والحاكم (٣/ ٥٦٣) وقال الذهبى: إسناده مظلم، والحديث غير متصل وفى سنده ربيح بن عبدالرحمن بن أبى سعيد الخدرى منكر الحديث كما فى الميزان

الجوع، فقالت امرأتى: ائت النبى ﷺ فاسـأله؛ فقد أتاه فلان فأعطاه. فقلت: لا، حتى لا أجد شـيئا، فطلبت فلم أجد شيئـا. فأتيت النبى ﷺ وهو يخطب فأدركت من قوله: «**من يسـتغن**» أى يظهر الغنى «**يغنه الله**» أى يرزقه الغنى عن الناس «**ومن يستعفف**» أى يكف عن الحرام والسؤال «**يعفه الله**»[1] بتشديد الفاء ـ أى يرزقه الله العفة ـ بأن يعطيه ما يستـغنى به عن السؤال. قال: فما سألت أحدا بعده. وما زال الله يرزقنا حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالا منا.

مـات بالمدينة سنة أربع وسـبعين. وله أربع وتسـعـون سنة، ودفن بالبقـيع. ومروياته ألف ومائة وسبعون حـديثا. منها ما ذكره المصنف عنه وهو: (**أن رسول الله ﷺ قـال: لا ضرر ولا ضـرار**) بفـتح الضاد المعـجمـة في الأول وكسـرها فى الثانى. وكل منهما مبنى على فـتح آخره ـ كما هو الرواية ـ وخبر «**لا**» محذوف. أى فى ديننا أو فى شريعتنا.

ومعنى «**لا ضرر**»: «لا يضر» أحد غيره. ومعنى «**لا ضرار**»: لا يجازيه على إضراره بل يعفو عنه ويصـفح؛ فإن العفو أقرب للتقـوى. وقيل معناه: لا يجازى من يضره بزيادة عن مثل فعله لقوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ**﴾ [البقرة: ١٩٤]. وقيل: الضرر: ما يضـر به الإنسان غيره وينتفع هو به، والضـرار: أن يضره من غـير أن ينتـفع. وقيل العكس. وقـيل: الأول نهى للشخص عـن تعاطى ما يضـر نفسه. والـثانى نهى له عن فعل مـا يضر غـيره. وقيل: الأول عبارة عن منع ما ينفع الغير. والثانى عبارة عن فعل ما يضر به.

وظاهر هذا الحـديث: تحريم سائر أنواع الضـرر. ما قل منهـا وما كـثر؛ لأن النكرة فى سياق النفى تعم.

فاحذر يا أخى أن تؤذى أحـدا أو تضره فى نفسه أو أهله أو مـاله أو عرضه؛ فإن ذلك ظلم، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا**﴾ [طه: ١١١]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**حرم الله من المؤمن دمه وماله وعرضه، وألا يظن به إلا خيرا**»[2]

وذكر العلماء جملة من أنواع الظلم والضرر فـيجب اجتنابها، منها: المكس،

---

(١) كنز العمال (١٧١٢٣).

(٢) ابن ماجة فى الفتن (٣٩٣٢).

وأكل مال اليتيم، والمماطلة فى دفع الحق الذى عليه مع القدرة على وفائه، وظلم المرأة فى صداق أو نفقة أو كسوة، وعدم إيفاء الأجير حقه، وإيذاء المؤمنين بالنهب أو الضرب أو السب. ونحو ذلك.

وروى عن مجاهد أنه قال: إن لجهنم ساحلا كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبخت - أى الإبل - وعقارب كالبغال، فإذا استغاث أهل النار، قالوا: الساحل، فإذا ألقوا فيه سلطت عليهم تلك الهوام؛ فتأخذ أشفار أعينهم وشفاههم وما شاء الله منهم تكشطها كشطا. فيقولون: النار. النار، فإذا ألقوا فيها سلط عليهم الجرب؛ فيحك أحدهم جسده حتى يبدو - أى يظهر عظمه - وإن جلد أحدهم لأربعون ذراعا. قال: يقال: يا فلان هل تجد هذا يؤذيك؟ فيقول: وأى أذى أشد من هذا؟ قال: يقال هذا بما كنت تؤذى المؤمنين.

وعن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة، فينادى به على رؤوس الخلائق: هذا فلان ابن فلان، من كان له عليه حق؛ فليأت إلى حقه، قال: فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها، ثم قرأ: ﴿فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]. قال: فيغفر الله تعالى من حقه يومئذ ما شاء، ولا يغفر من حقوق الخلق شيئا، فينصب العبد - أى يقام، ويرفع للناس - ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق: ائتوا إلى حقوقكم.

قال: فيقول العبد: يا رب فنيت الدنيا. فمن أين أوفيهم حقوقهم؟ فيقول الله لملائكته: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر مظلمته، فإن كان وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفه الله له حتى يدخله الجنة به، وإن كان عبدا شقيا ولم يفضل له شيء، فتقول الملائكة: ربنا فنيت حسناته وبقى طالبوه. فيقول الله تعالى: خذوا من سيئاتهم فأضيفوا إلى سيئاته، ثم صكوا له صكا - أى اكتبوا له كتابا - إلى النار[1]. نسأل الله تعالى السلامة منها بجاه النبى المختار.

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم عليه مدار الإسلام، وهو (**حديث حسن رواه ابن ماجه والدارقطنى وغيرهم**) كالحاكم فى مستدركه، والبيهقى فى شعبه.

---

(١) القرطبى فى التفسير (١٢/ ١٥١) وتفسير ابن كثير (٣/ ٣١٢).

وظاهره: أن الكل رووه من حديث أبى سعيد، وليس كذلك، بل ابن ماجه رواه من حديث ابن عباس وعبادة بن الصامت.

وقوله (**مسندا**) هو ما اتصل سنده من راويه إلى النبى ﷺ (**ورواه**) الإمام (**مالك فى**) كتابه (**الموطأ**) بضم ففتح فتشديد مهملة فهمزة أو ألف. قيل: إنه ألفه فى أربعين سنة، ولما تم اتهم نفسه بالإخلاص فيه، فألقاه فى الماء، وقال: إن ابتل فلا حاجة لى به، فلم يبتل منه شىء. وقال: عرضت كتابى هذا - يعنى الموطأ - على سبعين فقيها من فقهاء المدينة؛ فكلهم واطؤونى - أى وافقونى - عليه. فسميته الموطأ.

ورأى بعضهم المصطفى ﷺ فى منامه فقال له: يا رسول الله حدثنى بعلم أحدث به عنك. فقال ﷺ: إنى قد أوصيت إلى مالك بن أنس بكنز يفرقه عليكم. ألا وهو الموطأ.

(**عن عمرو بن يحيى**) أى يحيى بن عمار التابعى (**عن أبيه، عن النبى ﷺ**).

وقوله (**مرسلا**) هو عند المحدثين ما حذف من سنده الصحابى، ولذا قال المصنف: (**فأسقط**) أى حذف مالك أو يحيى من السند (**أبا سعيد**) الخدرى - رضى الله تعالى عنه - وفى نسخة ذكر قوله «مرسلا» عقب قوله فى الموطأ.

(**وله**) أى لهذا الحديث (**طرق**) أى أسانيد ضعيفة (**يقوى بعضها بعضا**) وفى نسخة: «**يقوى بعضها ببعض**». وفى أخرى: «**يتقوى بعضها ببعض**».

واعلم: أن مالكا راوى هذا الحديث هو أحد الأئمة الأربعة المجتهدين المتبوعين الآن. حملت به أمه ثلاث سنين، وولدته سنة ثلاث وتسعين. وكان من أتباع التابعين. وعليه حمل حديث: «**يوشك أن يضرب الناس آباط المطى فى طلب العلم؛ فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة**»[1].

وقال فيه الشافعى: مالك أستاذى، وعنه أخذت العلم، وما أحد أمنُّ علىّ من مالك، وجعلت مالكا حجة بينى وبين الله - تعالى - وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب - أى المضىء - ولم يبلغ أحد مبلغ مالك فى العلم بحفظه وإتقانه وصيانته.

---

(١) الترمذى فى العلم (٢٦٨٠) وابن عدى فى الكامل (١/ ٨٩).

وقال فيه أبو حنيفة: ما رأيت أعلم بسنة رسول الله ﷺ من مالك بن أنس. وقال أيضا: والله ما رأيتُ أسرع بجواب صادق وزهد تام من مالك بن أنس.

وحُكى: أن امرأة غسلت ميتة فالتصقت يدُها بفرج الميتة؛ فتحير الناس كيف يصنعون، هل يقطعون يد الغاسلة أو فرج الميتة؟ ثم سئل مالك عن ذلك، فقال: سلوها ما قالت لما وضعت يدها على فرجها، فسألوها، فقالت: قلت: طالما عصى هذا الفرجُ ربه، فقال مالك: هذا قذف اجلدوها ثمانين جلدة؛ تخلص يدها، ففعلوا فخلصت ولذا نُودى: **«لا يُفتى ومالك بالمدينة»**.

ومناقبه - رضى الله تعالى عنه - كثيرة. وقد أجمع العلماءُ على أمانته، وجلالته، وعظم سيادته، وتبجيله، وتوقيره، والإذعان له فى الحفظ والتثبت وتعظيم حديث رسول الله ﷺ.

حُكى أنه كان إذا أراد أن يحدث توضأ، وجلس على صدر فراشه، وسرح لحيته، واستعمل الطيب، وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة، فقيل له فى ذلك، فقال: أحبُّ أن أعظم حديث رسول الله ﷺ.

وقيل: إنه كان يُحدث فلدغته عقرب فى ستة عشر موضعاً؛ فتغير لونه واصفر، ولم يقطع حديث رسول الله ﷺ. ولما فرغ أخبر أنه صبر إجلالا لرسول الله ﷺ.

مات بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة، ودفن فى البقيع، وبُنى عليه قبة، وبجانبه قبر نافع مولى ابن عمر - رضى الله تعالى عنهم أجمعين -.

ونقل عن الشافعى أنه قال: قالت لى عمتى، ونحن بمكة، رأيتُ الليلة قائلا يقول: مات أعلمُ أهل الأرض، فحسبنا فرأينا ذلك ليلة موت مالك - رحمه الله ورضى عنه.

الدروس المستفادة من الحديث

١ - الضرورات تبيح المحظورات.

٢ - ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها.

٣ - درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

الحديث الثالث والثلاثون

البينة على من ادعى

٣٣ ـ عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم، لكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر» حديث حسن، رواه البيهقى وغيره هكذا، وبعضه فى الصحيحين[١].

الشرح والبيان

(**عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ**) وتقدم الكلام عليه (**أن رسول الله ﷺ قال: لو يعطى الناس**) أى ما يدعونه (**بدعواهم**) أى المجردة عن الإثبات، يعنى لو أن كل من ادعى على غيره بشىء عند الحاكم يعطى له بمجرد دعواه بلا شهود ولا إثبات (**لا دعى رجال أموال قوم ودماءهم**) يعنى لأخذوا أموالهم وسفكوا دماءهم، فعبر بادعى بدل أخذ وسفك؛ لأن الدعوى سبب للأخذ والسفك.

(**لكن البينة على المدعى**) بتخفيف لكن ـ كما هو الرواية، والكلام جار على معنى النفى؛ لأن لو تفيد النفى، أى لا يعطى الناس بدعواهم المجردة، لكن بالبينة يعطون، وهى على المدعى فإن لم يكن معه بينة فلا يصدق ولا يحكم له فى دعواه، بل يكون القول قول المدعى عليه بيمينه، كما أشار إلى ذلك النبى ﷺ بقوله: (**واليمين على من أنكر**) فيحلّفه القاضى، فإن امتنع عن اليمين ردت على المدعى، فيحلف إن اختار ذلك، ويستحق ما ادعاه بيمينه.

ويجب الاحتراز عن اليمين الكاذبة وشهادة الزور. فقد جاء فى الوعيد عليهما أحاديث كثيرة، منها: قوله ﷺ: **«من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة»** قيل: يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً، قال: **«وإن كان قضيبا»** أى عوداً **«من أراك»**[٢].

---

(١) البيهقى فى «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٥٢) قلت: أصل هذا الحديث فى «الصحيحين» من حديث ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس عن النبى ﷺ بلفظ: «**لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه**» رواه البخارى فى «التفسير»(٤٥٥٢) ومسلم فى «الأقضية» (١٧١١) ورواه ابن ماجه فى «الأحكام» (٢٣٢١) وعبد الرزاق(١٥١٩٣) والبيهقى (٥/ ٣٣١، ٣٣٢) والطحاوى فى «شرح معانى الآثار» (٣/ ١٩١).

(٢) مسلم فى الإيمان (١٣٧) وأحمد (٥/ ٢٦٠).

ومنها ما ورد: **«لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة؛ حتى تجب له النار»**[1]. وفى الصحيحين: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر»**؟ ثلاثاً. قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **«الإشراك بالله وعقوق الوالدين، ألا وقول الزور وشهادة الزور»** فمازال يردّدها حتى قلنا: ليته سكت[2]. شفقة عليه لئلا يتعب من التكرار.

ويجب الاحتراز أيضا من دفع الرشوة وأخذها. فقد ورد فى الحديث: **«لعن الله الراشي والمرتشي والماشي بينهما»**[3]. والرشوة: هى ما يبذل لقاضى السوء؛ ليحكم بغير الحق أو ليمتنع من الحكم بالحق.

وقد حكى: أن ثلاثة قضاة فى زمن بنى إسرائيل، فأرسل الله لهم ملكا يمتحنهم، فوجد رجلا على ماء يسقى بقرة وخلفها عجلة، فدعاها الملك وهو راكب فرساً. فتبعتها العجلة فتخاصما، فقالا: بيننا القاضى، فجاءا إلى القاضى الأول، فدفع إليه الملك درة أى جوهرة، وقال له: احكم بأن العجلة لى، قال: بماذا أحكم؟ قال: أرسل الفرس والبقرة والعجلة، فإن تبعت الفرس؛ فهى لى. فتبعتها؛ فحكم بها له. وأتيا إلى القاضى الثانى فحكم كذلك وأخذ درة، وأما القاضى الثالث فدفع له الملك درة وقال له: احكم بيننا. فقال: إنى حائض، فقال الملك: سبحان الله أيحيض الذكر؟ فقال له القاضى: سبحان الله أتلد الفرس بقرة؟ وحكم بها لصاحبها.

وقيل: إن الحكم فى زمن سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان بالنار، فكان المحق يدخل يده فيها فلا تحرقه، والمبطل إذا أدخل يده فيها أحرقته. وكان الحكم فى زمن سيدنا موسى ﷺ بالعصا؛ فكانت تسكن للحق وتضطرب للباطل. وكان الحكم فى زمن سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ بالريح فكانت تسكن للحق وترفع المبطل، ثم تسقطه على الأرض.

وكان الحكم فى زمن ذى القرنين بالماء، فكان إذا جلس عليه المحق جمده وإذا جلس عليه المبطل ذاب. وكان الحكم فى زمن داود ـ عليه السلام ـ بسلسلة مدلاة

---

(١) ابن ماجة فى الأحكام (٢٣٧٣) وفى إسناده محمد بن الفرات متفق على ضعفه وكذبه أحمد.

(٢) البخارى فى الشهادات (٢٦٥٤) ومسلم فى الإيمان (٨٧).

(٣) أحمد (٥/ ٢٦١) والحاكم (٤/ ١٠٣).

من السماء عند الصخرة التى فى بيت المقدس، فكانوا يأتون إليها، فمن كان محقا تناولهـا بيده، وإلا فـلا يتناولها. فـاتفق أن أودع رجل جوهرة ثمـينة عند رجل، وغاب عنه مدة طويلة، ثم جاء يطلبها فأنكرها، فقال له: امض معى إلى السلسلة نتحاكم عندها. فعمد الذى هى عنده إلى عصا فنقرها ووضع الجوهرة فيها، وسد عليها سـدا خفيا، وجـاء يتوكأ عليهـا، فلما حضر عند السلسلة، قـال لصاحب الجوهرة: خذ عصاى معك حتى أتناول السلسلة، فأخذها منه.

فتقدم الرجل إلى السلسلة، وقال: اللهم إن كنت تعلم أن الوديعة التى كانت عندى قد دفـعتهـا لصاحبـها فقـرب منى السلسلة، ومد يده فـتناولها، فتـعجب صاحبها من ذلك، وقال الناس: قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم. ولما رجعا من عند داود عليه السـلام أخذ الرجل العصـا من صاحب الجوهرة، فلمـا أصبح داود ـ عليه السلام ـ رأى السلسلة قد رفعت، وصار الحكم من حينئذ بالبينة على المدعى واليمين على من أنكر.

تتمة: حكى أن رجلا دخل مكانا خربا، فوجد فيه قتيلا، فلما رآه الناس مع القتيل أخذوه، وقالوا: إنه قد قتله فأحضروه للقتل، فقال: اصبروا علىّ حتى أصلى ركعتين. فلما فـرغ من صلاته، قال: إلهى أنت نهيتنا عن كتمـان الشهادة وما لى شاهد غيرك، فانظر إلى ضعفى وعـجزى؛ فخرج من بين القوم رجل فقال: خلوا سبيله فأنا القاتل. فقالوا له: ما الذى حملك على الإقرار بالقتل؟ فقال: نوديت فى سرى: يا هذا إنه قد طلب منا الشـهادة، فإن أقررت وإلا كشفنا عن حـالك، فما أمكننى إلا الإقرار بالقتل، فقال ولد المقتول: قد عفوت عن القاتل.

وحكمـة كون البـينة على المدعى واليـمين على من أنكر؛ أن جـانب المدعى ضعـيف لدعواه خلاف الأصل ـ فطلب منه الحـجة القوية. وهى البـينة، وجانب المنكر قوى لموافقتـه للأصل وهو براءة الذمة ـ فاكتفى منه بالحجة الضـعيفة. وهى اليمين، فجعلت القوية فى جانب الضعيف، والضعيفة فى جانب القوى؛ ليتعادلا.

ثم إن هذا الحديـث قاعدة عظيـمة من قـواعد الدين، وقـيل فيـه: إنه فصل الخطاب الذى أعطيه سيدنا داود ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ.

وهو (**حديث حسن رواه البيهقى وغيره هكذا**) أى بهذا اللفظ المذكور.

والبيهقى اسمه أحمد بن الحسين، بلغت تصانيفه نحو الألف، واعتنى بجمع نصوص الشافعى وتخريج أحاديثها، حتى قال فيه إمام الحرمين: ما من شافعى إلا وللشافعى عليه منة إلا البيهقى؛ فإن له على الشافعى المنة.

وتقدم فى الخطبة أنه ولد ببيهق سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ومات بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، ونقل إلى بيهق فدفن بها، وهى قرية على عشرين فرسخا من نيسابور.

(وبعضه) أى بعض هذا الحديث مذكور **(فى الصحيحين)** أى صحيحى البخارى ومسلم، ولفظهما عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - : «**لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم، ولكن اليمين على المدعى عليه**»(١).

الدروس المستفادة من الحديث

١ - يعطى الإسلام عناية كبرى بالمحافظة على المال والعرض.

٢ - حفظ الإسلام للحدود يؤدى إلى الأمن الاجتماعى فى البلد.

٣ - يحث الحديث على المحافظة على حقوق الناس وعدم أخذها بغير حق.

٤ - المتهم برىء مالم تثبت إدانته بالبينة.

(١) البخارى فى التفسير (٤٥٥٢) ومسلم فى الأقضية (١٧١١).

الحديث الرابع والثلاثون

تغيير المنكر فريضة

٣٤ ـ عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم [١].

الشرح والبيان

(**عن أبى سعيد الخدرى**) وتقدم الكلام عليه (**رضى الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رأى**) أى علم (**منكم منكراً**) أى شيئا ينكره الشرع ويقبحه (**فليغيره**) أى يزيله (**بيده**) وجوبا عينيا إن انفرد بالعلم، وكفائيا إن شاركه غيره. وليس له التجسس والبحث واقتحام الدور ـ أى دخولها بالظنون ـ فإن أخبره ثقة بمن اختفى بمنكر فيه انتهاك حرمة يفوت تداركه كالزنا والقتل؛ اقتحم له الدار وجوبا، وإن لم يكن فيه انتهاك حرمة؛ فلا تجسس ولا اقتحام.

وحكى: أن سيدنا عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ كان يعس بالمدينة ـ أى يطوف بالليل ـ يحرس الناس، ويكشف أهل الريبة ـ أى أهل السوء ـ فسمع صوت رجل فى بيت يتقيأ، فتسور عليه؛ فوجده وعنده امرأة وخمر، فقال له: يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا تعجل، فإن كنت عصيت الله فى واحدة، فقد عصيته أنت فى ثلاث. قال: وما هن؟ قال: تجسست وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

وأتيت البيوت من ظهورها، وقد أمرنا الله بإتيانها من أبوابها، ودخلت غير بيتك من غير أن تستأذن وقد أمرنا الله بذلك.

فقال له سيدنا عمر: صدقت، واستغفر لنا فقال: غفر الله لنا ولك يا أمير المؤمنين، فقال له سيدنا عمر: هل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم والله يا أمير المؤمنين لئن عفوت عنى لا أعود لمثلها أبدا فعفا عنه، وخرج وتركه.

---

(١) مسلم فى الإيمان (٤٩) وأبو داود فى الصلاة (١١٤٠) وفى الملاحم (٤٣٤٠) والترمذى فى الفتن (٢١٧٢) والنسائى فى الإيمان (٨/ ١١١، ١١٢) وابن ماجة فى إقامة الصلاة (١٢٧٥) وفى الفتن (٤٠١٣) وأحمد (٣/ ١٠، ٤٩، ٥٠).

ونقل عن الغزالى أنه قال: لا يجوز استراق السمع على دار ليسمع صوت الأوتار، ولا الدخول فيها لرؤية المعصية، إلا أن تظهر ظهورا يعرفه من هو خارج كصوت آلة اللهو والسكارى.

هذا، وإنما يجب إزالة المنكر باليد إذا لم يخف على نفسه ضرراً؛ وإلا فلا يجب، بل يُسن ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. لأنه مخصوص بغير ما فيه إزالة المنكر. ولذا كان السلف الصالح يتعرضون لإزالته ولا يبالون بالأخطار.

كما حكى أن زاهدا كسر ملاهى مروان بن الحكم، فأمر أن يلقى بين يدى الأسود، فأدخلوه فى موضعها، فافتتح الصلاة فجاءه جميع ما فى ذلك المكان من الأسود، وصارت تلحسه بألسنتها، وهو يصلى ولا يبالى بها. فلما أصبح مروان، قال: ما فعل بزاهدنا؟ انظروا هل أكلته الأسود؟ فوجدوها قد استأنست به. فتعجبوا من ذلك، وأخرجوه.

وحكى عن أبى عتاب أنه كان يسكن مقابر بخارى، فدخل يوماً المدينة ليزور أخا له فى الله تعالى، فوجد غلمان أميرها؛ نصر بن أحمد خارجين من داره بالملاهى، فرفع رأسه إلى السماء، واستعان بالله تعالى، وحمل عليهم بعصاه، فولوا منهزمين إلى دار الأمير، وأخبروه، فدعاه الأمير، وقال له: أما علمت أن من يخرج على السلطان يتغذى فى السجن؟

فقال له أبو عتاب: أما علمت أنه من يخرج على الرحمن يتعشى فى النيران؟.

فقال له الأمير: من ولاك الحسبة؟.

فقال له: وأنت من ولاك الإمارة؟.

فقال: ولانى الخليفة.

فقال له: وأنا ولانى الحسبة رب الخليفة.

فقال: وليتك الحسبة بـ«سمرقند»

قال: عزلت نفسى عنها.

قال: العجب من أمرك تحتسب حين لم تؤمر، وتمتنع حين تؤمر.

قال: لأنك إذا وليتنى؛ عزلتنى، وإذا ولانى ربى، لم يعزلنى أحد.

فقال الأمير: سل حاجتك.

قال: حاجتى أن ترد على شبابى.

فقال: ليس ذلك إلىّ.

قال: حاجتى أن تكتب إلى مالك خازن جهنم ألا يعذبنى.

قال: ليس ذلك إلىّ.

قال: حاجتى أن تكتب إلى رضوان خازن الجنة أن يدخلنى الجنة.

قال: ليس ذلك إلى.

قال: فأنا مع الرب الذى هو مالك الحوائج كلها لا أسأله حاجة إلا أجابنى إليها.

فخلى الأمير سبيله؛ فذهب.

(فإن لم يستطع) أى فإن لم يقدر على التغيير بيده **(فبلسانه)** أى فليغيره بقوله، كأن يأمره بترك المنكر، ويوبخه على فعله، أو يهدده إن لم يتركه، ويتوعده بإحضار أعوان السلطان، أو يذكره بالله وأليم عقابه؛ مع لين أو إغلاظ بحسب ما يقتضيه الحال، وما يكون أنفع. وقد يبلغ بالرفق ما لا يبلغه بغيره.

حكى: أن رجلا أكثر من شرب الخمر بالشام، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ فكتب له:

﴿ حمٓ (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ١ ـ٣].

فترك الرجل الخمر وتاب منها.

وحكى: أن فقيها رأى شخصا كشف فخذه فى الحمام، فحركه برجله على وجه الاحتقار. وقال له: غط فخذك يا قليل الدين؛ فنزع المئزر من وسطه ورماه، وقال له: ما عدت أجلس إلا عريانا حقارة فيك يا فقيه. فالتفت إليه شخص فقال له بشفقة ولين: يا أخى أنت من ذوى المروءات، ولا يعرف أحد عذرك فى كشف نفسك، وقد غرت عليك أن يراك من يكرهك مكشوفا؛ فيزريك، فقال له: جزاك الله خيرا، وستر نفسه.

وحكى عن بعضهم: أنه كان يجتمع ببعض الأمراء، وكان يلازم لبس الحرير، فقال له: يا أمير بكم الذراع من هذا الحرير؟قال: بدينار. فقال له: إن فى الصوف ماكل ذراع منه بدنانير، وإن مماليكك وخدمك يشاركونك فى لبس الحرير، ولا يليق بشهامتك ومقامك أن يساووك؛ فاعدل إلى الصوف، فإنه أعلى وأغلى، مع ما فيه من السلامة من العقاب الأخروي. فاستحسن كلامه وترك لبس الحرير. ولو قال له ابتداء :هذا حرام فاتركه، لم يفد.

والرفق واجب فيمن لا ينفع معه إلا الرفق، كالجاهل، ومن يخاف شره، وذلك لأنه أقوى فى الامتثال.

وقد حكى أن الملك الظاهر بيبرس، غضب على وزيره، وعزم على قتله، ولم يقبل فيه شفاعة أحد. فبلغ ذلك الشيخ محيى الدين بن العربى ـ نفعنا الله تعالى به ـ فدخل عليه، فقال له: يا مولانا السلطان نحن من جملة رعيتك، ولا نرى أن بحر عفونا يضيق عن العفو عن آلاف ممن خالفوا أمرنا، فكيف يضيق عفو مولانا السلطان عن مثل واحد يخالف أمره؟ فلما سمع ذلك عفا عن قتله، وقضيت للشيخ عنده فى ذلك اليوم حاجات كثيرة.

(فإن لم يستطع) أي فإن لم يقدر على التغيير بلسانه، كأن خاف على نفس أو عضو أو مال أو إثارة فتنة **(فبقلبه)** أى فلينكره بقلبه؛ بأن يكرهه ولا يرضى به، ويعزم على أنه لو قدر على تغييره بفعل أو قول؛ لفعل، وهذا فرض عين على كل إنسان لقدرة كل أحد عليه بخلاف اللذين قبله.

(وذلك) أى الإنكار بالقلب **(أضعف الإيمان)** أى الأعمال، لقدرة كل شخص عليه كما علمت.

وقيل: إن المراد أن ذلك أقل آثار الإيمان وثمراته إذ فيه الكراهة فقط. وهى لا يحصل بها زوال مفسدة المنكر.

ونقل عن الشيخ الشعرانى ـ نفعنا الله تعالى به ـ أنه ذكر فى «المنن» عن سيدى إبراهيم المتبولى ـ عمنا الله تعالى ببركاته ـ أن تغيير المنكر باليد يكون للولاة الذين يَضربون ولا يُضربون ـ ببناء الأول للفاعل والثانى للمفعول ـ وتغييره باللسان للعلماء العاملين؛ فيؤثر أجرهم باللسان فى قلب ذلك المنكر عليه؛ فيرجع

عن ذلك المنكر. وتغييره بالقلب على العارفين الذين غلب عليهم شهود احتقارهم نفوسهم أن يكونوا ناهين لغيرهم؛ فيتوجه أحدهم بقلبه إلى الله - عز وجل - فى تغيير ذلك المنكر؛ فينكف الظالم عن ظلمه وشارب الخمر عن شربه. فهذا هو التغيير حقيقة. وأما قول الإنسان: اللهم إن هذا منكر لا أرضاه؛ فليس فيه تغيير قلب. اهـ.

وحكى عن سيدى معروف الكرخى - رحمه الله تعالى - أنه كان قاعدا على شاطئ الدجلة فمر عليه جماعة فى زورق. أى مركب صغيرة - وهم يشربون الخمر، ويغنون مع ضرب الأوتار، فقيل له: أما ترى جراءة هؤلاء على الله تعالى؟ ادع الله عليهم يخلص المسلمين من شرهم فرفع يديه، وقال: اللهم كما فرحتهم فى الدنيا ففرحهم فى الآخرة. فقالوا له: سألناك أن تدعو عليهم لا أن تدعو لهم. فقال: إنما يفرحهم فى الآخرة بتوبته عليهم فى الدنيا - وذلك لا يضركم.

فجاء الزورق فى الوقت إلى البر، ونزل الرجال فى ناحية والنساء فى ناحية، وخرجوا إلى الله تائبين. فكان منهم عباد وزهاد ببركة دعوة معروف - رضى الله تعالى عنه، ونفعنا به -.

واعلم: أنه قد وردت أحاديث كثيرة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، منها: قوله ﷺ: **«لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم؛ فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»** (١).

ومنها قوله ﷺ: **«أيها الناس مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم، وقبل أن تستغفروا الله؛ فلا يغفر لكم»** (٢).

ومنها قوله ﷺ: **«ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى، ثم يقدرون على أن يغيروا فلا يغيروا، إلا يوشك - أى يقرب - أن يعمهم الله بعقابه»** (٣).

---

(١) البزار فى كشف الأستار (٣٣٠٧) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٦) رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار وفيه حبان بن على وهو متروك وقد وثقه ابن معين فى رواية وضعفه فى غيرها.

(٢) أبو نعيم فى الحلية (٨/ ٢٨٧) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٦) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه من لم أعرفهم.

(٣) رواه أبو داود فى الملاحم (٤٣٣٨) والترمذى فى الفتن (٢١٦٨) وفى تفسير القرآن (٣٠٥٧) وابن ماجة فى الفتن (٤٠٠٥، ٤٠٠٩).

وقال جرير بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنه ـ : ما من قوم أعزاء على الناس ثم لم يغيروا منكراً وهم قادرون، إلا أذلهم الله ـ عز وجل ـ.

وقال أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ : من سمع أحدا يفعل منكراً ولم ينهه، جاء يوم القيامة أصم مقطوع الأذنين.

وقال أبو أمامة ـ رضى الله تعالى عنه ـ : يحشر ناس من هذه الأمة على صورة القردة والخنازير بملاصقتهم أهل المعاصى وتركهم نهيهم وهم قادرون.

ثم إن هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين، وظاهره: أن الإنسان يلزمه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإن لم يمتثل هو ذلك. وهو كذلك

(رواه مسلم) رحمه الله تعالى.

الدروس المستفادة من الحديث

١ ـ وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بشرط أن تكون الدعوة بالموعظة الحسنة وألا يؤدى إنكار المنكر إلى إرتكاب إثم.

٢ ـ الإسلام جاء عكس النظم الاجتماعية التى يسود فيها قانون الغابة والسيادة للأقوياء بل يحرص الإسلام على أن يكون البقاء للأصلح والأطهر.

٣ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خاصية من خواص النظام الإسلامى.

٤ ـ ضمن الإسلام حرية الفرد إذا لم تكن مع حساب حريات الآخرين.

٥ ـ سلاح الداعية ليس السيف بل هو الحكمة والموعظة الحسنة.

الحديث الخامس والثلاثون

مفهوم الأخوة الإسلامية

٣٥ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه». رواه مسلم [١].

الشرح والبيان

(عن أبى هريرة رضي الله تعالى عنه) وتقدم الكلام عليه **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تحاسدوا)** أصله بتاءين حذفت إحداهما تخفيفا وكذا ما بعده. والمعنى: لا يحسد بعضكم بعضا؛ فإن الحسد حرام من الكبائر. وهو تمنى زوال نعمة الغير. سواء تمنى انتقالها إليه أم لا. وقد تطابقت الملل وتوافقت على ذمه وقبحه. وجاء فى عدة أخبار وآثار أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[٢]. وورد أنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل.

وقال بعضهم: ليس شيء أضر من الحسد، يصل بسببه إلى الحاسد خمس عقوبات: غم لا ينقطع، ومصيبة لا يؤجر عليها، ومذمة لا يحمد بها، ويسخط عليه الرب، ويغلق عنه أبواب التوفيق.

وقيل: إن الله تعالى أمر بالاستعاذة من شر الحاسد، كما أمر بها من شر الشيطان.

وحكى: أن إبليس أتى باب فرعون فقرعه. فقال فرعون: من هذا؟ فقال إبليس: أنا ولو كنت إلها ما جهلتنى. فقال له فرعون: ادخل يا ملعون. فلما دخل عليه، قال له فرعون: أتعرف على ظهر الأرض أحدا شراً منك ومنى؟ قال: بلى قال: من هو؟ قال: الحاسد، وبالحسد وقعت فى هذه المحنة. إن لى صديقا

---

(١) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٦٤) وابن ماجة فى الفتن (٣٩٣٣) وأحمد (٢/ ٢٧٧، ٣٦٠).

(٢) أبو داود فى الأدب (٤٩٠٣) وفى سنده مجهول.

أجابنى إلى كل ما دعوته من الشر، فقلت له: قد وجب على حقك؛ فاسأل منى الحاجة. فقال: يا إبليس إن لجارى بقرة فأمتها. فقلت: لا قوة لى على ذلك، أتريد أن أعطيك عشر بقرات مكانها؟فقال: لا أريد إلا هلاكها، فعلمت أن الحاسد شر منى ومنك.

وقال بعضهم: الحاسد جاحد لأنه لا يرضى بقضاء الواحد. وفى معنى ذلك قيل:

ألا قل لمن بات لى حاسدا أتدرى على من أسأت الأدب

أسأت على الله فى فعله كأنك لم ترض لى ما وهب

ومن الحكمة: الحسود لا يسود أبداً، والبخيل تأكل أمواله العدا، والكريم لا يضام أبداً. أى لا يحصل له ضيم، أى ضرر ومشقة ـ.

وحكى: أن رجلا صالحا كان يجالس أمير المؤمنين المعتصم، ويدخل عليه من غير استئذان، وينصحه، فغار منه الوزير فحسده، وقال فى نفسه: إن لم أقتل هذا الرجل أخذ بقلب أمير المؤمنين، وأبعدنى عنه. فدخل يوماً على المعتصم وقال له: يا أمير المؤمنين؛ إن هذا الرجل يقول للناس: إنك أبخر ـ أي نتن الفم ـ وأمارة ذلك: أنه إذا قرب منك يضع يده على أنفه؛ لئلا يشم رائحة البخر. فقال: انصرف حتى أنظر فى ذلك. فخرج وتلطف بالرجل حتى أتى به إلى منزله، وطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم. فلما أكل الرجل منه قال له الوزير: احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم؛ فيتأذى بذلك.

فخرج الرجل وذهب إلى أمير المؤمنين، ونصحه كعادته، فقال له: ادن منى فدنا منه، ووضع يده على فمه مخافة أن يشم رائحة الثوم منه، فقال المعتصم فى نفسه: إن الذى قاله الوزير عن هذا الرجل صدق، وكان لا يكتب بخطه إلا جائزة أو صلة، فكتب له بخطه كتاباً لبعض عماله يذكر فيه: إذا أتاك صاحب كتابى هذا؛ فاذبحه.

فأخذ الرجل الكتاب وخرج فلقيه الوزير بالباب، فقال له: ما هذا الكتاب؟ قال: خط الملك لى بصلة. فظن الوزير أنه يحصل له مال كثير، فقال له: ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك ويعطيك ألفى دينار؟ فقال:

أنت الكبير والحاكم؛ فافعل ما رأيته. فأعطاه الوزير ألفى دينار، وأخذ منه الكتاب وذهب به للعامل وسلمه له، فقرأه، فقال للوزير: إن فى هذا الكتاب: أنى أذبحك. فقال: إن الكتاب ليس لى، الله، الله فى أمرى حتى أراجع الملك، فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة، وأمر بذبحه فذبح.

ثم بعد مدة تفكر الملك فى أمر الرجل، وسأل عن الوزير فأخبره بأن له أياما ما رؤى، وأن الرجل مقيم بالمدينة فتعجب من ذلك، وأحضر الرجل وسأله عن حاله؛ فأخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير بشأن الكتاب، فقال له: إنه ذكر لى أنك تزعم أنى أبخر، فقال الرجل: معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أقول ذلك. قال: فلم وضعت يدك على فمك؟قال: مخافة أن تشمه، وحكى له ما حصل من أخذ الوزير له وإطعامه الثوم، وأن ذلك كله مكر منه وحسد. قال له: صدقت. قاتل الله الحسد، ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله، ثم خلع على الرجل، واتخذه وزيراً.

وحكى: أنه كان للإمام أبى حنيفة ـ رضى الله تعالى عنه ـ حساد، فأرادوا إبطال كلمته؛ فجعلوا لامرأة جعلا على أن تدخله دارها ليلا، وتظهر للناس أنه أرادها بفاحشة، فتعرضت له وقت السحر وهو ذاهب يريد صلاة الفجر فى الجامع. وقالت له: إن زوجى يريد الوصية وهو مريض وأخاف عليه الموت قبل ذلك، فدخل معها، فغلقت الأبواب، وصاحت فجاء الحساد وأخذوا الإمام والمرأة إلى الوالى؛ فأمر بسجنهما حتى تطلع الشمس، فاشتغل الإمام بصلاته فى السجن؛ فندمت المرأة على ما صنعت معه، وأخبرته بما قيل لها فقال لها الإمام: قولى للسجان: إن لى حاجة وأريد أن أخرج وأعود إليك فإذا خرجت فاذهبى إلى أم حماد يعنى زوجته وأخبريها بالقصة وأرسليها إلى وامضى أنت إلى شأنك، ففعلت، ولما حضرت زوجته وطلع النهار طلبهما الوالى، وقال للإمام: أيحل لك أن تخلو بأجنبية؟ قال: على بفلان ـ يعنى أبا زوجته ـ فلما حضر، قيل له: من هذه؟ فكشف وجهها فإذا هى ابنته، فقال: هذه ابنتى زوجتها لهذا الإمام، فعند ذلك أظهر الله تعالى حجته وأعلى كلمته فقال فى ذلك:

إن يحسدونى فإنى غير لائمهم ... قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجد

وقال بعضهم:

دع الحسود وما يلقاه من كمده ... يكفيك منه لهيب النار فى كبده
إن لمت ذا حسد فرجت كربته ... وإن سكت فقد عذبته بيده

وقال آخر:

اصبر على حسد الحسود ... فإن صبرك قاتله
النار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

وهذا كله فى الحسد الحقيقى.

وأما الحسد المجازى فهو غير مذموم، وعرفوه: بأنه تمنى حصول مثل ما لأخيه من النعمة من غير أن تزول عنه والمبادرة إلى الكمال الذى شاهده فى غيره ليلحقه أو يجاوزه، ويسمى غبطة وعليه حمل حديث: « **لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس**»[1] يعنى ليس شىء من الدنيا حقيقا بالغبطة عليه إلا هاتان الخصلتان: العلم وإنفاق المال فى سبيل الله تعالى. وهى - أى الغبطة - مباحة فى الأمور الدنيوية، وسنة فى الدينية.

(**ولا تناجشوا**) بجيم وشين معجمتين من النجش، وهو لغة: الإثارة والإغراء، وشرعا: الزيادة فى المبيع لا لرغبة فى شرائه، بل لأجل غرور غيره. والمعنى: لا يزد بعضكم فى ثمن شىء معروض للبيع ليغر غيره، ويثير رغبته لمشتراه، وهو حرام لما فيه من الإيذاء والغش. ولا فرق فى ذلك بين أن يكون المبيع ليتيم أو لغيره، ولا بين أن يبلغ القيمة أو لا، ومع هذا فيصح البيع خلافا لمالك، ولا خيار للمشترى لتفريطه بعدم تأمله وسؤال أهل الخبرة. ولا تحرم الزيادة لمن له رغبة فى الشراء. ويجوز فتح باب القيمة لعارف بها.

ثم إن تفسير النجش بما ذكر هو ما عليه الأكثر. وقيل: المراد به هنا: النهى عن إغراء بعضهم بعضا على الشر والخصومة. وقيل: المراد به: التنافر أى لا ينفر بعضكم بعضا، كأن يسبه أو يعمل معه شيئا ينفر منه.

---

(١) البخارى فى العلم (٧٣) ومسلم فى صلاة المسافرين (٨١٦).

(ولا تباغضوا) أى لايبغض بعضكم بعضا بتعاطى أسباب البغض؛ كالشتم والضرب ومنع النفع، فالبغض حرام إذا كان لغير الله تعالى. أما إذا كان لله تعالى وهو ما يكون لأجل المعصية؛ فليس بحرام، بل هو واجب، ومن كمال الإيمان لخبر: «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان**»[1] ولا ينبغى احتقار العاصى، وإنما المطلوب الإنكار عليه ونهيه عن ارتكاب ما يخالف الشرع.

ونقل عن سيدى على الخواص رحمه الله تعالى ـ أنه قال: عداوتنا لأفعال من أمرنا الحق تعالى بعداوته عداوة شرعية، وعداوتنا لذاته عداوة طبيعية، والسعادة فى الشرعية لا فى الطبيعية. والظاهر أن مراده بالعداوة: الكراهة.

وقال سيدى عبد القادر الجيلى ـ نفعنا الله تعالى به ـ : إذا وجدت فى قلبك بغض شخص أو حبه؛ فاعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت مكروهة فيهما فاكرهه، وإن كانت محبوبة فيهما؛ فأحبه لئلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك. قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [ص: ٢٦].

وقال الشعرانى ـ رحمه الله تعالى: حقيقة الحب فى الله ألا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء.

وقال الغزالى ـ رحمة الله تعالى عليه ـ : من أحب عالما أو عابدا أو أحب شخصا راغبا فى علم أو عبادة أو خير؛ فإنما أحبه لله وفى الله، وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوة حبه.

وقيل: معنى «**لا تباغضوا**» لا توقعوا العداوة والبغضاء بين المسلمين، فيكون نهياً عن النميمة وهى: نقل كلام بعض الناس إلى بعض على جهة يترتب عليها الإفساد بينهم، وهى محرمة إجماعا، ويجب كما قال الغزالى على كل من حملت إليه نميمة ستة أمور:

الأول: ألا يصدقه، أى النمام.

الثانى: أن ينهاه عن ذلك.

---

(١) أبو داود فى السنة (٤٦٨١) عن أبى أمامة، ورواه الترمذى فى صفة القيامة (٢٥٢١) وأحمد (٣/٤٣٨، ٤٤٠) عن معاذ بن أنس.

الثالث: أن يبغضه فى الله.

الرابع: ألا يظن بالمنقول عن السوء.

الخامس: ألا يتجسس على تحقيق ذلك.

السادس: ألا يحكى ما نم له به.

وقال الشاذلى - عمنا الله تعالى ببركاته - : إذا نقل إليك أحد كلاماً عن صاحب لك، فقل له: يا هذا أنا من صحبة أخى ووده على يقين، ومن قولك على ظن، ولا يترك يقين لظن.

وقال الشيخ أفضل الدين - رحمه الله تعالى - : إذا نقل إليكم أحد كلاماً فى عرضكم عن أحد فازجروه - أى الناقل - ولو كان أعز إخوانكم، وقولوا له: إن كنت تعتقد فينا هذا الأمر فأنت ومن نقلت عنه سواء، بل أنت أسوأ حالاً منه؛ لأنه لم يسمعنا ذلك، وأنت أسمعته لنا، وإن كنت تعتقد أن هذا الأمر باطل فى حقنا وبعيد عنا؛ فما فائدة نقله إلينا؟.

وقال رجل لوهب بن منبه - رضى الله تعالى عنه - : شتمك فلان، فقال له: أما وجد إبليس رجلا يرسله غيرك.

(ولا تدابروا) أى لا تتكلموا فى أدبار إخوانكم بالغيبة والبهتان، أى الكذب والافتراء. وقيل: إن المعنى لا يدبر بعضكم عن بعض معرضا عنه وتاركا إعانته ونصره؛ لأن ذلك يؤدى إلى المعاداة والتقاطع والهجران. وقد جاء فى الحديث: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**» وفى رواية: «**لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان، فيعرض هذا ويعرض هذا**» [1].

وأخرج مسلم وغيره: «**تعرض الأعمال فى كل اثنين وخميس، فيغفر الله عز وجل - فى ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء** - أى عداوة - **يقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا**» [2]. وأخرج الطبرانى وغيره: «**يطلع الله تعالى إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان؛ فيغفر لجميع**

---

(١) البخارى فى الأدب (٦٠٧٧) ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٦٠) وأبو داود فى الأدب (٤٩١١) والترمذى فى البر والصلة (٢٠٢٣).

(٢) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٦٥) وأبو داود فى الأدب (٤٩١٦) والترمذى فى البر والصلة (٢٠٢٣) وأحمد (٢/٢٦٨، ٣٨٩، ٤٠٠).

خلقه إلا لمشرك أو مشاحن»[1].

ويجوز الهجر لغرض شرعى؛ كفسق وابتداع وإيذاء وزجر وإصلاح دين الهاجر أو المهجور.

(ولا يبع بعضكم على بيع بعض) بأن يقول للمشترى فى زمن الخيار: افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص منه. ونظيره: الشراء على الشراء بأن يقول للبائع فى زمن الخيار: افسخه وأنا أشتريه منك بأغلى. والنهى للتحريم لما فيه من الإيذاء الموجب للتباغض.

(وكونوا عباد الله) أى يا عباد الله **(إخوانا)** أى اكتسبوا ما تصيرون به إخوانا من حسن المعاشرة وفعل المؤلفات وترك المنفرات.

وقال القرطبى: كونوا كإخوان النسب فى الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة.

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى -: من شرط الصدق فى الأخوة: أن يكرم الشخص أخاه إذا افتقر أكثر مما كان حال الغنى.

(المسلم أخو المسلم) أى فى الدين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] أى يجمعهم دين واحد.

وذكر العلماء: أن الأخوة الدينية أعظم من الأخوة النسبية؛ لأن الأولى ثمرتها أخروية باقية، والثانية ثمرتها دنيوية فانية.

(لايظلمه) أى لا يدخل عليه ضررا فى نفسه أو دينه أو عرضه أو ماله؛ لأن ذلك ينافى أخوة الإسلام، وقد قال ﷺ: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**»[2].

وقال بعضهم:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقيل: إن الظلم يذهب البركة، فقد حكى: أن ملكا من الملوك خرج يسير فى مملكته وهو مستخف من الناس، حتى نزل على رجل له بقرة، فراحت عليه تلك

---

(١) الطبرانى فى الكبير (٢٠/ ٢١٥) وأبو نعيم (٥/ ١٩١) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٨/ ٦٥) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجالهما ثقات.

(٢) البخارى فى المظالم (٢٤٤٧) ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٧٨، ٢٥٧٩).

البقرة، أى جاءته ـ من المرعى، فحلبت، فإذا حلابها مقدار حلاب ثلاثين بقرة، فحدث الملك نفسه بأخذها. فلما كان الغد غدت البقرة إلى مرعاها ثم راحت فحلبت، فنقص لبنها على النصف، وجاء مقدار خمس عشرة بقرة، فدعا الملك صاحبها، فقال: أخبرنى عن بقرتك أرعت اليوم فى غير مرعاها بالأمس؟ وشربت من غير مشربها بالأمس، فقال: ما رعت في غير مرعاها بالأمس ولا شربت من غير مشربها بالأمس، فقال ما بال حلابها على النصف؟.

فقال: أرى الملك هم بأخذها فنقص لبنها؛ فإن الملك إذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة. قال: وأنت من أين يعرفك الملك؟ قال: هو كما قلت لك. فعاهد الملك ربه ألا يظلم ولا يأخذ البقرة؛ فغدت فرعت، ثم راحت فحلبت، فإذا لبنها قد عاد على مقدار ثلاثين بقرة؛ فاعتبر الملك، وقال فى نفسه: أرى الملك إذا ظلم ـ أو هم بالظلم ذهبت البركة؛ لا جرم لأعدلن فلأكونن على أفضل العدل.

(ولا يخذله) بفتح المثناة التحتية وسكون الخاء وضم الذال المعجمتين، أى لا يترك نصرته ولا نصيحته. وقد قال ﷺ: **«انصر أخاك ظالما أو مظلوما»** قيل: كيف أنصره ظالماً؟ قال: **«تحجزه»** أى تمنعه **«عن الظلم، فإن ذلك نصره»** (١).

وورد مرفوعاً: **«ما من امرئ يخذل امرأ مسلما فى موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته؛ إلا خذله الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته»**(٢).

وورد أيضا: **«من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره؛ أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة»** (٣).

وفى الحديث: **«قال الله تعالى: وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله، ولأنتقمن ممن رأى مظلوما يقدر على أن ينصره فلم يفعل»** (٤).

وفى الحديث أيضاً: **«أمر الله بعبد من عباده أن يضرب فى قبره مائة جلدة،**

---

(١) البخارى فى المظالم (٢٤٤٤) وفى الإكراه (٦٩٥٢) والترمذى فى الفتن (٢٢٥٥) وأحمد (٣/ ٩٩، ٢٠١).

(٢) أحمد (٤/ ٣٠) وأبو داود فى الأدب (٤٨٨٤).

(٣) أحمد (٣/ ٤٨٧) والطبرانى فى الكبير (٦/ ٥٥٥٤) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٧) فيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات.

(٤) الطبرانى فى الكبير (١٠/ ١٠٦٥٢) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٧) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه لم أعرفهم.

فلم يزل يسأل الله تعالى ويدعوه حتى صارت جلدة واحدة، فامتلأ عليه قبره ناراً، فلما ارتفع عنه وأفاق، قال: علام جلدتمونى؟ قالوا: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره» (١).

(ولا يكذبه) بفتح المثناة من تحت وتخفيف الذال المعجمة المكسورة، وضبطه المصنف بضم فسكون، والأول أشهر، أى لا يخبره بأمر على خلاف الواقع؛ لأنه غش وخيانة. وقد جاء فى الحديث: **«إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلا من نتن ما جاء به»** (٢).

وورد أن أعرابيا قال للنبى ﷺ: إنى أريد أن أسلم ولكن أحب الزنا والخمر والسرقة والكذب، ولا أستطيع ترك الجميع فأمرنى بترك خصلة. فقال النبى ﷺ: **«دع الكذب»** فصار كلما هم بزنا أو سرقة أو غيرهما، قال: كيف أصنع إن سألنى النبى ﷺ؟ فإن صدقته حدنى، وإن كذبته فقد خنت عهده على ترك الكذب، فكان تركه سبباً لترك الفواحش كلها.

وما ألطف قول بعضهم:

الصدق فى أقوالنا أقوى لنا　　والكذب فى أفعالنا أفعى لنا
وهم يقولون هم أشياخنا　　فما لهم قد يفعلوا أشياخنا .

واعلم أن لفظة **(ولا يكذبه)** ليست فى كثير من نسخ المتن ولا فى مسلم. فلعلها وقعت فى غير روايته، كذا قاله العلامة السحيمى.

فائدة: ذكر بعضهم أن الكذب خمسة أقسام: واجب لإنقاذ مال مسلم أو نفسه، وحرام وهو الكذب لغير منفعة شرعية، ومندوب وهو الكذب للكفار إن المسلمين أخذوا فى أهبة الحرب إذا قصد بذلك إرهابهم، ومكروه وهو الكذب للزوجة تطييبا لنفسها، ومباح وهو الكذب للإصلاح بين الناس.

وينبغى لمن اضطر إلى الكذب أن يعدل إلى المعاريض ما أمكن، حتى لا يعود نفسه على الكذب. وقد ورد فى الخبر: **«إن فى المعاريض لمندوحة»** أى غنية - **«عن الكذب»**(٣).

---

(١) السيوطى فى شرح الصدور ص (١٦٥) وعزاه لأبى الشيخ في كتاب التوبيخ.
(٢) الترمذى فى البر الصلة (١٩٧٢) وقال: حسن جيد غريب، وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ١٩٧).
(٣) البخارى فى الأدب المفرد (٨٨١، ٩٠٩) موقوفا على عمران بن حصين وهو صحيح موقوفا.

والمعاريض: جمع معراض، والمراد به: اللفظ المحتمل لمعنى بعيد؛ فيراد ويترك القريب. ومن ذلك ما جاء أن أبا بكر - رضى الله تعالى عنه - كان خلف النبى ﷺ حين هاجر معه؛ فتلقاه ناس يعرفونه ولا يعرفون النبى ﷺ فقالوا له: من هذا؟فقال: يهدينى السبيل، فظنوا أنه يعنى هداية الطريق. وهو يريد سبيل الخير.

وحكى أن الحجاج قال لبعض الصحابة: ما تقول فىّ؟ فقال له: أنت القاسط العادل. فقال الحاضرون: قد أثنى عليك، فقال: لا، إنما أراد بالقاسط: الجائر، وبالعادل: العادل عن الحق.

وعلم بعض الصالحين خادمه أن يقول لمن سأل عنه: ما هو هون، ويريد: الهون المعروف. وقصده بذلك: الهروب من الناس.

(ولا يحقره) بفتح المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة وكسر القاف، أى لا يستصغر شأنه وينظر إليه بعين الاحتقار؛ لأنه ربما كان عند الله تعالى خيراً منه وأفضل.

وقد قال المشايخ: من نظر إلى أخيه بعين احتقار عوقب بالذل. وقال الغزالى رحمه الله تعالى: لا تستصغر أحداً من الخلق حياً كان أو ميتاً؛ فتهلك؛ لأنك لا تدرى هل هو خير منك أم لا، فإنه وإن كان فاسقا فلعلك يختم لك بمثل حاله، ويختم له بالصلاح. وقال بعضهم: لا تحتقر غيرك؛ فإنه ربما صار عزيزاً وصرت ذليلاً؛ فينتقم منك.

وقيل فى هذا المعنى:

لا تهين الفقير علك أن   تركع يوماً والدهر قد رفعه

(التقوى) أى سببها الحامل عليها وهو خوف الله تعالى **(ههنا)** يعنى فى القلب الذى هو فى الصدر، ويصح أن يراد بالتقوى هنا الإخلاص. والمعنى: الإخلاص محله القلب **(ويشير)** أى النبى ﷺ **(إلى صدره ثلاث مرات)** وفى نسخة: **«ثلاث مرار»** بكسر الميم - وهذه الجملة من كلام أبي هريرة الراوى، وعدل عما يقتضيه الظاهر من الإتيان بالماضى إلى الإتيان بالمضارع إشارة لاستحضار تلك الحالة، وكانت الإشارة إلى الصدر لأنه محل القلب.

(بحسب امرئ) البـاء زائدة، وحسب بسكون السـين مبـتدأ بمعنى كـافى، وقوله: **(من الشر)** أى من خصـاله. وقوله: **(أن يحـقر)** فى تأويل مصـدر خبر المبتدأ. والمعنى: يكفى المرء من خصال الشر ورذائل الأخلاق احتقاره **(أخاه المسلم)** لأنه ذنب عظيم.

وقد جاء: أن إبليس احتقر آدم فـباء بالخسران الأبدى، وفاز آدم بالعز الأبدى، وشتان ما بينهما، وما أحسن ما قيل:

من عظم النـاس عظمـوه ... فـاز بالفـضل والرئاسـه

ومـزدريهـم لو كـان مـسكا ... لقـيل: فى أصله نجـاسـه.

(كل المسلم) مبتدأ، وقوله **(على المسلم)** متعلق بقوله **(حرام)** وهو الخبر. وقوله **(دمه)** بدل من المبـتدأ، بـدل بعض من كل، وهو ومـا بعده على حـذف مضاف، أى سفك دمه **(وماله)** أى أخذه **(وعرضه)** أى هتكه وذمه والوقوع فيه بالغيبة ونحوها.

وقد ورد أنه ﷺ لما أسـرى به مر بقوم لهم أظفـار من نحاس يخمـشون ـ بضم الميم أى يخدشون ـ ويجرحون بهـا وجوههم وصدورهم، فقال: **«من هؤلاء يا جبـريل؟»** قال: هؤلاء الذين يأكلون لحـوم الناس ويقعون فى أعـراضهم [(١)]. وقال بـعضهـم: أدركنا السلف وهم لا يرون العبـادة فى الصوم ولا فى الـصلاة، ولكن فى الكف عن أعراض الناس.

وروى أن امرأة قـصيرة دخلت على النبى ﷺ فلمـا خرجت قالت عـائشة رضى الله تعالى عنها: مـا أفصح كلامها لولا أنهـا قصيرة. فقـال لها رسول الله ﷺ: **«اغتبـتيها يا عـائشة»** قالت: ما قلت إلا ما فـيها، فقال: **«ذكرت أقبح ما فيها»** ثم قال: **«من كف لسانه عن أعـراض المسلمين؛ أقال الله عثرته يوم القـيامة، ومن ذب عن أخيه فحقيق على الله تعالى أن يعتقه من النار»** [(٢)].

ثم إن قوله **«كل المسلم على المسلم»** إلخ هو المقصـود الأعلى من الحديث، وما سبق كالتمهيد له. وهو حديث عظيم الفوائد، ومن جوامع كلمه ﷺ

(رواه مسلم) رحمه الله تعالى ونفعنا به.

---

(١) احمد (٣/ ٢٢٤).

(٢) احمد (٦/ ١٣٦، ١٨٩، ٢٠٦).

الدروس المستفادة من الحديث

١ ـ للحسد مضار دنيوية وعواقب أخروية.
٢ ـ الحب فى الله والبغض فيه ميزة للأتقياء.
٣ ـ لايبع المسلم على بيع أخيه.
٤ ـ نهى الإسلام عن المقاطعة بين الناس.
٥ ـ من طهر قلبه من الغل والحسد ضمن الحياة الكريمة والاستقرار والطمأنينة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة.
٦ ـ نهى الإسلام عن الكذب والظلم.
٧ ـ إن أكرمكم عند الله أتقاكم.
٨ ـ كل المسلم على المسلم حرام: من الدم، والمال، والعرض.
٩ ـ النجش فى التعامل يؤدى إلى انهيار الاقتصاد الإسلامى.
١٠ ـ إنما المؤمنون إخوة.

الحديث السادس والثلاثون

قضاء حوائج المسلمين

٣٦ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» رواه مسلم بهذا اللفظ [١].

الشرح والبيان

(عن أبى هريرة) وتقدم الكلام عليه **(رضى الله تعالى عنه، عن النبى ﷺ قال: من نفس)** بتشديد الفاء، أى فرج وكشف وأزال بنفسه أو ماله أو جاهه أو دعائه **(عن مؤمن كربة)** أى شدة ومصيبة **(من كرب الدنيا)** أى شدائدها ومصائبها **(نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة)** أى منعها عنه، وحفظه منها مجازاة ومكافأة له على فعله بجنسه. وورد مرفوعاً: **«من أجرى الله على يديه فرجا لمسلم فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة»** [٢].

وورد أيضاً: **«من فرج عن مسلم كربة؛ جعل الله تعالى له يوم القيامة شعبتين من نور على الصراط؛ ليستضىء بضوئهما عالم لا يحصيهم إلا رب العزة»** [٣]. وفى الحديث: **«من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه»** [٤]. وفيه أيضاً: **«من أشبع جائعا، أو كسا عرياناً، أو آوى مسافراً؛ أعاذه الله من أهوال يوم القيامة»** [٥]. وفيه أيضاً: **«من قضى لأخيه المسلم حاجة فى الدنيا؛**

---

(١) مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٩).

(٢) السيوطى فى الجامع الصغير (٨٣٠٥) وعزاه للخطيب البغدادى عن الحسن بن على وقال السيوطى: ضعيف.

(٣) كنز العمال (١٦٤٧٢).

(٤) مسلم فى المساقاة (١٥٦٣).

(٥) الفوائد المجموعة ص (٨٢) بنحوه.

قضى الله له سبعين حاجة من حوائج الآخرة، أدناها المغفرة» (١).

فائدة: أخرج البخارى فى «الأدب» عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: من نزل به هم أو غم أو كرب، أو خاف من سلطان؛ فدعا بهؤلاء؛ استجيب له: أسألك بلا إله إلا أنت رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، وأسألك بلا إله إلا أنت رب السماوات السبع ورب العرش الكريم، وأسألك بلا إله إلا أنت رب السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن إنك على كل شيء قدير، ثم يسأل الله حاجته (٢).

(ومن يسر على معسر) وهو من ركبه الدين وتعسر عليه قضاؤه، والتيسير عليه يكون بصدقة أو قرض أو إبراء أو إنظار إلى ميسرة **(يسر الله)** تعالى **(عليه فى الدنيا والآخرة)** أى سهل عليه أموره ومطالبه فيهما؛ مجازاة ومكافأة له بجنس عمله ـ كما مر ـ وقد جاء فى الحديث: **«من أراد أن تستجاب دعوته وتكشف كربته؛ فليفرج عن معسر»** (٣).

وروى: **«من أنظر معسرا أو وضع عنه؛ أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله»**(٤).

وفى رواية: **« وقاه الله من فيح جهنم»** (٥) أى شدة غليانها وحرها. وورد: **«لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره؛ إلا كان له بكل يوم صدقة»**. وروى الشيخان: أن رجلا كان يداين الناس، وكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا؛ فلقى الله عز وجل؛ فتجاوز عنه (٦).

وقيل: إن المراد بالمعسر: ما هو أعم من المدين؛ ليشمل كل من وقع فى صعوبة أو شدة وتعسر عليه الخلاص منها، وحينئذ يدخل فى التيسير: السعى فى تخليص من حبس ظلماً، والإفتاء لمن ضايقه أمر بما يخلصه منه ولو من غير

---

(١) الفوائد المجموعة للشوكانى ص (٧٤) وقال: رواه الخطيب عن أنس وفى إسناده دينار، ورواه أبو نعيم عن ثوبان بنحوه وفى إسناده فرقد السبخى ليس فى الرواية بشىء.
(٢) البخارى فى الأدب المفرد (٧٣٠) وهو ضعيف الإسناد لأن فيه عبدالعزيز بن قيس أبو سكين مجهول.
(٣) أحمد (٢/٢٣).
(٤) مسلم فى الزهد والرقائق (٣٠٠٦).
(٥) أحمد (١/٣٢٧) وابن كثير فى تفسيره (١/٤٤٦).
(٦) البخارى فى البيوع (٢٠٧٨) وفى أحاديث الأنبياء (٣٤٨٠) ومسلم فى المساقاة (١٥٦٠).

مذهبه.

(ومن ستر مسلماً) أى ستر عورته أو عيوبه وزلاته، خصوصا من ليس معروفاً بالفساد والشر **(ستره الله)** تعالى **(فى الدنيا والآخرة)** بألا يفضحه ولا يعاقبه على ما فرط منه.

وفى الحديث: «**من كسا مسلما عاريا؛ كساه الله من خضر الجنة**»[1] أى من ثيابها الخضر.

وفيه أيضاً: «**لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة**» [2].

وورد: «**من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم؛ كشف الله عورته حتى يفضحه بها فى بيته**» [3].

وحكى: أن رجلا نام ليلة فرأى النبى ﷺ فى منامه، فقال له: يا فلان قم من منامك فسافر إلى بلدة كذا؛ فاسأل بها عن فلان المعداوى؛ فأقرئه منى السلام، وقل له: أنت رفيق رسول الله ﷺ فى الجنة. فلما استيقظ من منامه؛ سافر إليه فوجده لم يعمل خيرا فى نهاره. فأعلمه بذلك، وسأله عن عمله، فقال له: تزوجت امرأة فلما دخلت بها ولدت عندى ولداً من أول ليلة فسترت عليها ولم أفضحها، وأخذت الولد وجئت به للجامع، وجلست أنتظر الناس، فلما حضروا لصلاة الصبح تسارعوا إلى أخذ الولد؛ فحلفت بالطلاق ما يأخذه إلا أنا؛ فأخذته ورددته إلى أمه؛ فربته وسترت عليها.

(والله فى عون العبد) الواو للاستئناف، و «فى» زائدة فى الخبر، وعون بمعنى معين، والإضافة بمعنى اللام. والمعنى: والله معين للعبد أى إعانة كاملة؛ وذلك بأن يؤيده وييسر عليه قضاء حوائجه **(ما كان العبد)** وفى نسخة «**مادام العبد**» أي مدة كونه، أو مدة دوامه **(فى عون أخيه)** أى فى الدين. والإعانة تكون بالقلب أو البدن أو المال أو الجاه.

قال بعضهم:

فرضت على زكاة ما ملكت يدى   وزكاة جاهى أن أعين وأشفعا

---

(١) كنز العمال (٤٣١٣٩، ٤٣١٤٠).

(٢) المنتخب لعبد بن حميد (٨٨٥) وفى سنده خالد بن إلياس متروك كما فى التقريب.

(٣) ابن ماجة فى الحدود (٢٥٤٦) وفى إسناده محمد بن عثمان الجمحى منكر الحديث كما فى الميزان.

وفى الحديث: «**من سعى فى حاجة أخيه المسلم قضيت له أو لم تقض؛ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق**»[1].

وحكى: أن الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ بعث جماعة من أصحابه فى حاجة لرجل، وقال لهم: مروا بثابت البنانى فخذوه معكم، فأتوا ثابتا، فقال: إنى معتكف، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه، فقال: قولوا له: يا أعمش أما تعلم أن مشيك فى حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة؟ فرجعوا إلى ثابت فأخبروه فترك اعتكافه وذهب معهم.

وروى عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ مرفوعاً: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على كل مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضى عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة أحب إلىّ من أن أعتكف فى هذا المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه؛ ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجة حتى يثبتها له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل**»[2].

وحكى: أن سيدنا عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ كان يتعاهد الأرامل، فيستقى لهن الماء بالليل، ورآه طلحة داخلا بيت امرأة ليلا فدخل عليها نهاراً، فإذا هى عجوز عمياء مقعدة ـ أى مكسحة ـ فقال لها: ما يصنع هذا الرجل عندك؟ قالت له: منذ كذا وكذا يتعاهدنى بما يصلح شأنى، ويخرج الأذى عنى ويقم لى بيتى ـ أى يكنسه ـ.

وروى عن أنس ـ رضى الله تعالى عنه ـ مرفوعاً: «**إذا أراد الله بعبد خيراً صير حوائج الناس إليه**»[3] أى جعله ملجأ لحاجاتهم الدنيوية والأخروية، ووفقه للقيام

---

(١) تنزيه الشريعة (٢/١٤٣) وقال الكنانى: رواه المنذرى فى جزء غفران الذنوب وقال: فيه أحمد بن بكار المصيصى قال الحافظ ابن حجر فى اللسان: عندى أحمد بن بكر البالسى خبطوا فى نسبه والحديث موضوع.

(٢) الطبرانى فى الكبير (١٢/١٣٦٤٦) وقال الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢/٦٠٩) هذا إسناد ضعيف جدا.

(٣) الديلمى فى فردوس الأخبار (٩٣٨) وقال الألبانى فى ضعيف الجامع (١/١٣٦) موضوع.

بها، وكساه ثوب المهابة والقبول، وسدده فيما يفعل ويقول.

(**ومن سلك**) أى دخل (**طريقا**) حسيا كان أو معنويا، كالجلوس للتدريس أو التأليف، يعنى من تسـبب بأى سبب كان (**يلتمس**) أى يطلب ويحصل (**فيه**) أى الطريق، أى فى غايته أو بسببه (**علماً**) أى شرعياً بتعليم أو تصنيف.

(**سهل الله**) تعالى له به أى بذلك السلوك المفهوم من سلك (**طريقا إلى الجنة**) أى وأرشده إلى سبيل الهداية والطاعة الموصلين إلى الجنة، أو أنه يجازيه على فعله بتسهيل دخول الجنة، بحيث لا يحصل له مشقة من مشاق يوم القيامة.

زاد فى رواية: «**ولعالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولو أن عابدا مات فى الإسلام ما نقص من الإسلام إلا شخصه، ولو أن عالما مات؛ لفقدته عامة الناس، وما نقص عالم من الأرض إلا ثلم فى الإسلام ثلمة لا يسدها أحد ما اختلف الليل والنهار، ألا وإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، ولمداد جرت به أقلام العلماء أفضل عند الله من دم الشهداء، وليودن رجال قتلوا فى سبيل الله أن يبعثهم الله يوم القيامة علماء؛ لما يرون من فضل أهل العلم، فمن أصاب علما؛ فقد أصاب خير الدنيا والآخرة، ومن آذى العلماء فقد بارز الله تعالى بالمحاربة**»[1].

وروى أنس بن مالك - رضى الله تعالى عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار؛ فلينظر إلى المتعلمين، فو الذى نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف إلى باب عالم إلا كتب الله له بكل قدم؛ عبادة سنة، وبنى له بكل قدم مدينة فى الجنة، ويمشى على الأرض والأرض تستغفر له، ويمسى ويصبح مغفوراً له**».

وقال الشافعى - رحمه الله تعالى -: من لايحب العلم لا خير فيه، فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة؛ فإنه حياة القلوب ومصباح البصائر. ولله در القائل:

وكل فضيلة فيها سناء[2] ... وجدت العلم من هاتيك أسنى
فلا تعتد غير العلم ذخرا ... فإن العلم كنز ليس يفنى

---

(١) لم أقف على هذه الرواية فيما عندى من مصادر.

(٢) سناء: رفعة.

(وما اجتمع قوم) أى جماعة **(فى بيت من بيوت الله)** تعالى، أى مما بنى لثوابه ورضاه كمسجد ومدرسة ورباط وألحق بها غيرها، وأثرت بالذكر؛ لشرفها **(يتلون كتاب الله)** تعالى أى يقرؤونه **(ويتدارسونه بينهم)** أى يتعهدونه، فقد قالوا: إن الدراسة فى الأصل: التعهد للشىء، وذلك شامل لجميع ما يتعلق بالقرآن من التعلم والتعليم والتفسير وتدارس بعضهم على بعض.

قال المصنف فى «التبيان» : وقراءة المدارسة جائزة حسنة، وهى أن يجتمع جماعة يقرأ بعضهم عشراً أو جزءاً أو غير ذلك ثم يسكت، ويقرأ الآخر من حيث انتهى الأول ثم يقرأ الآخر وهكذا [1].

(إلا نزلت عليهم السكينة) أى الطمأنينة والوقار، أى يخلق الله تعالى ذلك فيهم ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[الرعد:٢٨] والمراد بها: طمأنينة الإيمان المفضى إلى رضوان الله تعالى **(وغشيتهم الرحمة)** أى غطتهم وعمتهم من كل جهة، بحيث أنها استوعبت كل ذنب تقدم منهم **(وحفتهم الملائكة)** أى أحاطت بهم ملائكة الرحمة، وطافت حولهم لاستماع كتاب الله تعالى ـ والتبرك به، وتعظيماً للتالين، ومنعا للشيطان أن يصل إليهم.

(وذكرهم الله فيمن عنده) أى أثنى عليهم فى المقربين عنده من الملائكة وأرواح الأنبياء والشهداء والصالحين؛ مباهاة بهم، وإظهاراً لحالهم، فالعندية عندية مكانة. أى شرف، لا عندية مكان لاستحالتها عليه ـ سبحانه وتعالى ـ.

ويؤخذ من هذا الحديث :ندب الاجتماع لتلاوة القرآن فى المسجد، لكن بشرط ألا يجهر فيشوش على من بالمسجد وإلا كره للنهى عنه.

فقد روى أن النبى ﷺ سمعهم يجهرون فقال: «**ألا إن كلكم مناج ربه؛ فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض**» [2].

وحكى عن سعيد بن المسيب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه سمع ذات ليلة فى مسجد النبى ﷺ عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله تعالى عنه ـ يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت، فقال لغلامه: اذهب إلى هذا المصلى فمره أن يخفض

---

(١) التبيان فى آداب حملة القرآن للنووى ص (٥٢).

(٢) أحمد (٣/ ٩٤) وأبو داود فى الصلاة (١٣٣٢) والحاكم (١/ ٣١١).

صوته، فقال الغلام: إن المسجد ليس لنا، وللرجل فيه نصيب، فرفع سعيد صوته، وقال: يا أيها المصلى إن كنت تريد الله بصلاتك فاخفض، وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا، فسكت عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ وخفف ركعته، فلما سلم أخذ نعليه وانصرف، وهو يومئذ أمير المدينة.

(ومن بطأ) بتشديد الطاء المهملة أى قصر **(به عمله)** أى القليل أو غير الكامل أو السيئ، فأخره عن رتبة أهل الكمال **(لم يسرع به نسبه)** أى لم ينفعه شرف نسبه، ولم ينجبر نقصه به، فلا يلحقه برتب أصحاب الأعمال الكاملة؛ لأن الإسراع إلى السعادة إنما هو بالأعمال الصالحة لا بالأنساب. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣] وقال نبيه عليه الصلاة والسلام: « **ائتونى يوم القيامة بأعمالكم لا بأنسابكم؛ فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا**»[١].

وقال الغزالى ـ رحمه الله تعالى ـ : من ظن أنه ينجو بتقوى أبيه؛ كان كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه، ويروى بشربه.

ثم ما تقرر من عدم نفع النسب إنما هو قبل دخول الجنة، أما بعده فينفع لما ورد فى الحديث: «**إن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه؛ لتقر بهم عينه**»[٢]. ونقل عن النسفى أنه قال: كون النسب لا ينفع إنما هو فى حق الكافر، أما المؤمن فقد استثناه الله تعالى فقال: ﴿**يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] أى خال عن الشرك. وقال: ﴿**وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾[سبأ: ٣٧] وقيل: إن شرف النسب الذى لا ينفع: هو ما كان من جهة الدنيا، وحينئذ فلا ينافى ما ورد أنه ﷺ قال: «**وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد، ولى بالبلاغ ؛ أن لا يعذبهم**» [٣].

وقال ﷺ : «**والذى بعثنى بالحق نبياً لو أخذت بحلقة الجنة؛ ما بدأت إلا بكم**».

---

(١) لم اقف عليه بهذا اللفظ.

(٢) البزار كما فى مجمع الزوائد (٧/ ١١٤) وقال الهيثمى فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثورى وفيه ضعف.

(٣) الحاكم (٣/ ١٥٠) وتعقبه الذهبى بقوله: منكر لم يصح.

وجاء فى أحاديث: أن فاطمة ـ رضى الله تعالى عنها ـ أحصنت فرجها؛ فحرمها الله وذريتها على النار. وصح أنه ﷺ خطب فقال: **«ما بال أقوام يقولون إن رحم محمد رسول الله لا ينفع قومه يوم القيامة، بل إن رحمى والله موصولة فى الدنيا والآخرة»** (١).

ثم إن هذا الحديث موقعه عظيم؛ لما فيه من البشارة والنذارة **(رواه مسلم بهذا اللفظ)**.

الدروس المستفادة من الحديث

١ ـ كرب يوم القيامة أشد وأخطر بكثير من كرب الدنيا.

٢ ـ معونة الله للعباد المتمثلة فى هدايته لهم وتوفيقه إياهم مرتبطة على تعاون العباد فيما بينهم وسعيهم فى قضاء حوائج بعضهم.

٣ ـ السعى فى قضاء حوائج المسلمين ومعاونتهم فى الشدائد من أسباب قبول الدعاء.

٤ ـ فى الدعاء دائما فرج وتنفيس.

٥ ـ الحث على التيسير على المعسر.

٦ ـ فضل القرآن الكريم عظيم على الناس.

٧ ـ يقوم المجتمع الإسلامى على التكافل والتكامل.

٨ ـ فضل العلم كبير.

٩ ـ الجزاء من جنس العمل.

١٠ ـ أهمية المسجد فى الإسلام.

١١ ـ يجوز الاجتماع لتلاوة القرآن فى المسجد بشرط ألا يشوش على المصلين.

---

(١) الحاكم (٤/ ٧٤، ٧٥) وصححه ووافقه الذهبى.

الحديث السابع والثلاثون

الترغيب فى الحسنات

٣٥ـ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة» رواه البخارى ومسلم فى «صحيحيهما» بهذه الحروف (١)

الشرح والبيان

.فانظر يا أخى وفقنا الله وإياك إلى عظيم لطف الله، وتأمل هذه الألفاظ.
وقوله: «**عنده**»: إشارة إلى الاعتناء بها. وقوله: «**كاملة**»: للتأكيد وشدة الاعتناء بها. وقال فى السيئة التى هم بها، ثم تركها: «**كتبها الله عنده حسنة كاملة**» فأكدها بكاملة، وإن عملها «**كتبها سيئة واحدة**» فأكد تقليلها بواحدة ولم يؤكدها بكاملة، فلله الحمد والمنة، سبحانه لا نحصى ثناء عليه، وبالله التوفيق.

(**عن ابن عباس**) وتقدم الكلام عليه (**رضى الله تعالى عنهما**) أي عنه وعن أبيه (**عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه**) أي حالة كون هذا الحديث مندرجاً فى جملة الأحاديث التى يرويها عن ربه. وظاهر هذا: أنه من الأحاديث القدسية المنسوبة إلى كلام الله ـ عز وجل ـ ويحتمل أنه حديث نبوى، ويكون قوله: «**فيما يرويه عن ربه**» معناه: فيما يحكيه عن فضل ربه (**تبارك**) أي تعاظم وارتفع (**وتعالى**) أى تنزه عن كل ما لا يليق به

(**قال**) أى النبى ﷺ وقوله: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات**» يحتمل أن يكون من قول الله تعالى؛ فيكون التقدير: قال. «**قال الله تعالى: إن الله**» إلخ، وعليه فالحديث قدسى. ويحتمل أنه من كلام النبى ﷺ يحكيه عن الله تعالى، وعليه فليس الحديث قدسياً. ومعنى كونه « **كتب الحسنات والسيئات**»: أنه قدرها

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤٩١) ومسلم فى الإيمان (١٣١) وأحمد (١/ ٣١٠، ٣٦١).

وأثبتها فى سابق علمه، أو أمر الحفظة بكتابتها فى اللوح المحفوظ. والحسنات: ما يحمد فاعلها ويتعلق بها الثواب، والسيئات: ما يذم فاعلها ويستحق العقاب.

(**ثم بين ذلك**) أى فصّل الذى أجمله فى قوله: «**كتب الحسنات والسيئات**». والضمير فى (**بين**) راجع إلى الله تعالى إن كان الحديث قدسيا، وإلى النبى ﷺ إن كان نبويا، فتكون هذه الجملة من كلام الراوى على الثانى، ومن كلام النبى ﷺ على الأول. والبيان هو قوله (**فمن هم بحسنة**) أي أرادها وصمم على فعلها أو ترجح عنده الفعل (**فلم يعملها**) بفتح الميم، أى لم يأت بها لا بلسانه ولا بأركانه. وهذا شامل لما إذا كان الترك لمانع أو لا (**كتبها الله**) تعالى (**عنده حسنة كاملة**) أى لا نقص فيها. ولو مر على الشخص أزمنة متعددة وهو يحدث نفسه بعمل تلك الحسنة؛ فإن الله تعالى يكتب له حسنات بعدد تلك الأزمنة. قاله الشبرخيتى - وفضل الله واسع -.

ومعنى «**كتبها الله عنده**»: أمر الحفظة بكتابتها فى الصحيفة التى يعلمها. فالعندية عندية شرف لا عندية مكان؛ لأنه تعالى منزه عن المكان والزمان. وعلم من هذا الحديث: أن من توضأ ثم ذهب إلى المسجد يريد الصلاة جماعة فوجد الناس قد صلوا؛ أعطاه الله - عز وجل - مثل أجر من صلى جماعة.

(**وإن هم بها فعملها**) بكسر الميم (**كتبها الله عنده عشر حسنات**) قال تعالى: ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وهذا أقل درجات التضعيف، وقد تضاعف مضاعفة أخرى (**إلى سبعمائة ضعف**) - بكسر الضاد المعجمة - أى مثل (**إلى أضعاف كثيرة**) بحسب خلوص النية، وزيادة الإخلاص، وحضور القلب، وتعدى النفع ونحو ذلك. قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [البقرة: ٢٦١] وقال تعالى: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً**﴾[البقرة: ٢٤٥].

ونقل عن المصنف أنه قال: التضعيف بعشرة لابد منه بفضل الله ورحمته ووعده الذى لا يخلفه. والتضعيف بسبعمائة فأكثر؛ إنما يحصل لبعض الناس على حسب مشيئته. وذكر بعضهم: أن اختلاف المضاعفة يكون باختلاف الأعمال:

فنوع يضاعف بخمسة عشر؛ كصوم يومين من الشهر؛ لقوله عليه الصلاة

والسلام لعبد الله بن عمرو بن العاص: «**صم يومين، ولك ما بقى من الشهر**» (١).

ونوع يضاعف بعشرين. ونوع بثلاثين؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من قال: سبحان الله؛ فله عشر حسنات، ومن قال: لا إله إلا الله؛ فله عشرون حسنة، ومن قال: الحمد لله ؛ كتب له ثلاثون حسنة**» (٢).

ونوع يضاعف بخمسين لخبر: «**من قرأ القرآن بإعرابه؛ فله بكل حرف خمسون حسنة**».

والمراد بإعرابه: معرفة معانى ألفاظه. وليس المراد به: المصطلح عليه فى النحو وهو ما يقابل اللحن؛ لأن القراءة مع فقده ليست بقراءة؛ فلا يثاب عليها. وورد: «**من قرأ القرآن بوضوء فله بكل حرف خمسون حسنة**».

ونوع يضاعف بخمسمائة؛ لحديث: «**صلاة الرجل فى بيته بصلاة وصلاته فى المسجد الذى يجمع فيه بخمسمائة صلاة**» (٣).

ونوع يضاعف بسبعمائة ونوع بسبعة آلاف؛ لحديث: «**من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام فى بيته؛ فله بكل درهم سبعمائة درهم، ومن غزا بنفسه فى سبيل الله، فله بكل درهم سبعة آلاف درهم**» (٤).

ونوع يضاعف بألف ألف؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من دخل السوق فقال بصوت مرتفع: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حى لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شىء قدير؛ كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتا فى الجنة**» (٥).

وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم ـ رضى الله تعالى عنهم ـ يدخلون السوق لنيل فضيلة هذا الذكر.

وقيل لأبى هريرة رضى الله تعالى عنه: أسمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) ابن حبان (٣٦٦٠ ـ إحسان).

(٢) أحمد (٢/ ٣٠٢، ٣١٠) والحاكم (١/ ٥١٢) والمنذرى فى الترغيب والترهيب (٢/ ٤٢٧).

(٣) ابن ماجة فى إقامة الصلاة (١٤١٣) وفى الزوائد: إسناده ضعيف.

(٤) ابن ماجة فى الجهاد (٢٧٦١) وفى الزوائد: فى إسناده خليل بن عبدالله قال الذهبى: لا يعرف

(٥) الترمذى فى الدعوات (٣٤٢٨) وقال: حديث غريب وأحمد (١/ ٤٧) وابن ماجة فى التجارات (٢٢٣٥) وأبو نعيم فى الحلية (٢/ ٣٥٥) والحاكم(١/ ٥٣٨).

«إن الله تعالى ليجزى على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة؟» فقال: سمعته يقول: «**إن الله ليجزى على الحسنة الواحدة ألفى ألف حسنة**» (١).

وقد ورد: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهـا واحدا صمداً، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، إحدى عشرة مرة؛ كتب الله له ألفى ألف حسنة، ومن زاد زاده الله**» (٢).

واعلم: أن من عظيم فضل الله تعالى على عباده المضاعفة بانتقال الحسنة من شخص إلى شخص آخر. كمن تصدق على فقير بدرهم فتصدق به الفقير على ثالث، وهو على رابع، وهو على خامس، وهو على سادس، فيحسب للخامس عشرة، وللرابع مائة، وللثالث ألف، وللثانى عشرة آلاف، وللأول مائة ألف، فكل واحد يعطى أجره وهو العشرة مضروباً فى أجر الذى بعده.

ومن عظيم فضل الله تعالى أيضا: أنه إذا حاسب من له حسنات متفاوتة المقادير جازاه بأجر أرفعها، فإذا وجد فى صحيفته حسنة بألف ألف، كأن قال فى السوق يرفع صوته: «**لا إله إلا الله**» إلى آخر ما تقدم؛ جوزى على سائر حسناته بحسبها. قال الله عز وجل: ﴿**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[النحل: ٩٧].

(**وإن هم بسيئة فلم يعملها**) بل تركها (**كتبها الله عنده حسنة كاملة**) أى لأن رجوعه عن هذا الهم؛ خير أى خير، فجوزى فى مقابلته بحسنة. والمراد بكمالها: عظيم قدرها، وهذا إذا تركها خوفا من الله تعالى مع القدرة على فعلها، وأما إذا تركها لتعطيل أسبابها؛ فلا يكتب له ولا عليه شىء. قاله الشرنوبى. وذكر ابن حجر عن جماعة: أن من سعى فى معصية ما أمكنه ثم حال بينه وبينها قدر كتبت عليه.

(**وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة**) كما قال عز وجل:

﴿**وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا**﴾[الأنعام: ١٦٠] وتقدم: أن الصغائر لو فعلها إنسان؛ تغفر باجتنابه الكبائر وبفعله الحسنات، من صلاة وصوم وصدقة

---

(١) أحمد (٢/٢٩٦) وفى إسناده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٥) رواه أحمد بإسنادين والبزار بنحوه.

(٢) أبو نعيم فى الحلية (٣/١٥٧) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ٨٥) رواه الطبرانى من حديث عبدالله بن أبى أوفى وفيه فايد أبو الورقاء وهو متروك.

وغير ذلك وأولى بالتوبة، وأما الكبائر فلا تغفر إلا بالتوبة.

واختلف في ما يكتب على ابن آدم. فقيل: ما فيه ثواب أو عقاب. وقيل: كل شيء حتى الأنين فى المرض. وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق: ١٨] وهما: وصفان لكل من ملك الحسنات والسيئات. فملك الحسنات يكتب الواجب والمندوب. وملك السيئات يكتب الحرام والمكروه والمباح. ثم إذا كان يوم الخميس عرضت الأعمال على الله تعالى، فأقر منها ما كان من خير أو شر، وألقى الباقى. وهذا مما قيل فى معنى قوله تعالى: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾ [الرعد: ٣٩].

وقيل: إن العبد إذا فعل حسنة بادر ملك اليمين إلى كتبها، وإذا فعل سيئة قال ملك اليسار لملك اليمين: أأكتب؟ فيقول: لا، لعله يستغفر أو يتوب، فإذا مضى ست ساعات فلكية من غير توبة قال له: اكتب أراحنا الله منه. وتقدم التنبيه على ذلك. وقول ملك اليمين لآخر: أراحنا الله منه؛ دعاء عليه بالموت؛ ليتحولا عن مشاهدة المعصية؛ لأنهما يتأذيان بذلك.

ثم إن هذا الحديث حديث عظيم دال على عظم فضل الله على خلقه ورأفته بهم.

(رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما بهذه الحروف).

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(فانظر)** أي تأمل **(يا أخى)** أى فى الدين، وهو نداء تعطف وشفقة؛ ليكون أدعى للامتثال والقبول **(وفقنا الله)** تعالى **(وإياك)** أى أقدرنا على طاعته. ثم النون يحتمل أن تكون للجمع، وأنه أدرج معه من هو كنفسه من أحبابه وأصدقائه، ويحتمل أن تكون للعظمة، وأتى بها؛ لأنه يجوز للإنسان تعظيم نفسه إذا بلغ درجة التأليف، فقد ورد: «**ليس منا من لم يتعاظم بالعلم**» وبدأ بنفسه لأنه يندب للإنسان أن يقدم نفسه فى الأمور الدينية. وقيل: إنه يقدم الدعاء للإخوان؛ إيثارًا لهم، وقد ورد فى الحديث: «**إن العبد إذا دعا لأخيه المسلم قال الله تعالى: عبدى وبك أبداً**» فأى فضيلة تلتمس وراء هذه، وهي كونه مبدؤه به فى الإجابة.

وقوله **(إلى عظيم لطف الله)** متعلق بانظر، وإضافة عظيم لما بعده؛ من إضافة الصفة للموصوف، أى إلى لطف الله العظيم، وفى نسخة: «**إلى عظم لطف الله**» بكسر العين المهملة وفتح الظاء المعجمة، أى إلى كثرة لطفه، أى رفقه وبره بعباده،

حيث إن من هم منهم بحسنة فلم يعملها؛ يكتب له حسنة، فإن عملها؛ كتبت له عشرا أو أكثر، ومن هم بسيئة فلم يعملها؛ لم يكتب عليه شيء، فإن عملها كتبت واحدة فقط.

(**وتأمل**) أى تدبر (**هذه الألفاظ**) المشعرة بأن مقام الفضل أوسع من مقام العدل.

(**وقوله**) أى فى الحسنة (**عنده إشارة إلى الاعتناء**) أى الاهتمام (**بها**) وشرف فاعلها (**وقوله:كاملة للتأكيد**) أى صفة مؤكدة (**ولشدة الاعتناء**) أى مزيد الاهتمام (**بها. وقال فى السيئة التى هم بها ثم تركها:كتبها الله عنده حسنة كاملة، فأكدها بكاملة**) أى اعتناء برفعة تاركها (**وإن عملها**) أى، وقال:وإن عملها (**كتبها سيئة واحدة، فأكد تقليلها بواحدة، ولم يؤكدها بكاملة**) يعنى: أنه لم يصفها بكاملة، بل بواحدة، إشارة إلى تخفيفها.

(**فلله الحمد**) أى الثناء الجميل (**والمنة**) بكسر الميم وتشديد النون ـ أى النعمة ـ من المن وهو الإنعام، ويطلق على تعداد النعم استكثارا لها، وهو من الله محمود، وأما من غيره ـ ما عدا الشيخ والوالد فمذموم. وقد قال الله تعالى: ﴿ **لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ** ﴾[البقرة: ٢٦٤]. نعم لا بأس به إن كان لجلب مصلحة أو دفع مفسدة؛ كأن وجد من المتصدق عليه سب للمتصدق؛ فيمن عليه ليكفه. وما ألطف قول الزمشخرى: «طعم الآلاء أحلى من المن، وهو أمرّ من الآلاء عند المن».

أراد بالآلاء الأولى النعم، وبالثانية بوزن سحاب الشجر المر، وبالمن الأول ما نزل من السماء قرين السلوى، وبالثانى تعداد النعم.

ولبعضهم فى ذلك مع حسن التورية:

إذا غرست جميلا فاسقه غدقا   من المكارم كى ينمو لك الثمر
ولا تشنه بمن إنهم ذكروا   من عادة المن أن يؤذى به الشجر

(سبحانه) أى تنزيها له تعالى عن كل ما لا يليق به **(لا نحصى ثناء عليه)** أى لا نقدر - معشر الخلائق - أن نثنى عليه ثناء موفيا بنعمة من نعمه، فكيف ونعمه علينا لا تحصى، ومكارم ألطافه لا تستقصى **(وبالله)** أى بتيسيره **(التوفيق)** أى تسهيل ما يرضيه.

وأنا أقول كما قال بعضهم:

رب إنى بجاه خير البرايا	أرتجى لطفك العميم لأنجو
فأنا العبد قد دعوت مجيدا	ذا عطاء وللإجابة أرجو
ويقينى بأن ظنى يقينى	من خلاف النعيم والفضل مرجو

الدروس المستفادة من الحديث

١ - من فضل الله علينا أن كتب فعل السيئة سيئة واحدة بلا مضاعفة.

٢ - أمثال العباد تكتب فى الصحائف بواسطة الحفظة من الملائكة.

٣ - من فضل الله مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها أو بأضعاف مضاعفة.

٤ - على الداعى أن يستخدم فى دعوته أسلوب الترغيب والترهيب.

●●●●●

الحديث الثامن والثلاثون

جزاء معاداة الأولياء

٣٨ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته» رواه البخاري [1].

الشرح والبيان

(عن أبي هريرة) وتقدم الكلام عليه **(رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قال)** يعلم من هذا أنه من الأحاديث القدسية، وقد وقع في رواية عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ حدث به عن جبريل ـ عليه السلام ـ عن الله عز وجل.

(من عادى لي وليا) أي من اتخذه عدواً. وفي رواية: **«من أهان لي وليا»**[2] أي جعله مهاناً؛ بأن آذاه وأغضبه بالقول أو الفعل. وفي رواية لأحمد: **«من أذل لي وليا»** [3] وفي أخرى له: **«من آذى لي وليا فقد استحل محارمي»** [4].

وقوله **«لي»** أصله صفة لقوله: **«وليا»** فقدم عليه؛ للاختصاص فصار حالا. وفيه إشارة إلى أن المحذر منه معاداة الولي من حيث ولايته، أي من أجل كونه وليا لله لا مطلقا، فإنه لا مانع من الخصومة معه في نحو حق. والولي: هو العارف بما يجب لله، وما يجوز، وما يستحيل، المواظب على الطاعات، المجتنب

---

(١) البخاري في الرقاق (٦٥٠٢) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤).

(٢) الطبراني في الكبير (٧٨٨٠) عن أبي أمامة وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٤٨) فيه علي بن يزيد وهو ضعيف، وقال ابن رجب في جامع العلوم في شرحه للحديث الثامن والثلاثين على هذا اللفظ: عثمان وعلي بن يزيد ضعيفان، قال أبو حاتم الرازي في هذا الحديث: منكر جدا.

(٣) أحمد (٦/ ٢٥٦).

(٤) أحمد (٦/ ٢٥٦) بنحوه وابن أبي الدنيا في الأولياء (٤٥) والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٤٧، ٢٤٨) وعزاه لأحمد وقال فيه عبدالواحد بن قيس بن عروة وثقه أبو زرعة والعجلي وابن معين في إحدى الروايتين وضعفه غيره.

للمعاصى، المعرض عن التوغل فى اللذات المباحة؛ كالتوسع فى لذيذ المآكل والمشارب والملابس دائماً، فلا يكون الولى إلا عالما. فلهذا قيل: «ما اتخذ الله من ولى جاهل، ولو اتخذه لعلمه ولا يكون إلا عاملا بعلمه».

وقال أبو يزيد البسطامى - رحمه الله تعالى - : لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع فى الهواء؛ فلا تقتدوا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وآداب الشريعة.

وحكى عنه: أنه سمع برجل اشتهر بالولاية والزهد، فمشى إليه فى أصحابه، فدخل عليه فى مسجد، فرآه قد تنخم فى قبلة المسجد، فلم يسلم عليه، وقال لأصحابه: ارجعوا فإن الله لم يأمن هذا على أدب من آداب شريعته، فكيف يأتمنه على أسراره.

وقد قيل: من شرط الولى أن يكون محفوظا. كما أنه من شرط النبى أن يكون معصوماً. والمراد بحفظ الولى: أن يحفظه الله تعالى من تماديه فى المعصية بأن يلهمه التوبة؛ فيتوب منها فوراً، وإلا فلا تقدح فى ولايته. والمراد بالفورية: أنه يتوب قبل فراغ ست ساعات فلكية مدة انتظار الكتبة للتوبة فيها، فإن لم يتب قبل فراغ ما ذكر؛ فليس بولى بل هو مغرور.

ونقل عن المصنف: أن المراد بالولى هنا: المؤمن. وعليه فيكون معنى «**من عادى لى ولياً**» من آذى مؤمنا (**فقد آذنته**) بالمد وفتح المعجمة بعدها نون، أى أعلمته (**بالحرب**) أى بلازمه وهو الهلاك. فليحذر الإنسان من التعرض لكل مسلم.

وقد قال بعض العارفين: إياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله؛ فإن لهم من الله تعالى الولاية العامة. وهم أولياء الله وإن أخطأوا وجاؤوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئا؛ فإن الله تعالى يتلقاهم بمثلها مغفرة.

وروى عن أنس - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**من آذى مؤمنا فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله تعالى، ومن آذى الله تعالى فليتبوأ مقعده من النار**» (١).

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير (١/ ١٦٩) والطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد (٢/ ١٧٩) وقال الهيثمى: فيه القاسم بن مطيب قال ابن حبان: كان يخطئ كثيرا فاستحق الترك. ورواه السيوطى فى الجامع الصغير (٨٢٦٩).

حكاية: روى أن جرجيس ـ عليه السلام ـ كان من أنبياء بنى إسرائيل، وكان فى زمانه ملك كثير الفساد، فمنع الله تعالى عنه المطر، حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك، فركب فى عسكره حتى أتى إلى جرجيس، فوجده فى صومعته وهو يكثر التسبيح والتقديس، فقال له: يا جرجيس إنى أحملك رسالة إلى ربك. فقال له جرجيس: وما هذه الرسالة؟ قال: تقول لربك يأتينا بالمطر وإلا آذيته أذية يسمعها سائر البشر، فما منعنا المطر غيره. فدخل جرجيس إلى محرابه. وقد خرس من خوف الله تعالى عن جوابه، فجاءه جبريل عليه السلام بأمر الله ـ عز وجل ـ فقال له: هات الرسالة التى معك على الوجه الذى قيل لك. فقال جرجيس: إنى أخاف من الله تعالى عند مقال ذلك القول، فقال له جبريل: قل كما قال، هكذا أمر الله العزيز المتعال. فقال جرجيس: إنه قال: إن لم تأتنا بالمطر وإلا آذيته أذية يسمعها سائر البشر. فقال جبريل: يا جرجيس ربك يقول لك: قل له بماذا تؤذيه؟ فمضى جرجيس إليه، وبلغه الرسالة. فقال الملك: لا قدرة لى على أذيته إلا من وجه واحد؛ لأنى ضعيف وهو قوى، وأنا عاجز وهو قادر. وإنما أوذى أحبابه، ومن آذى أحبابه فقد آذاه. فجاء جبريل. فقال: يا جرجيس قل له: لا تفعل فنحن نأتيك بالمطر، ثم جادت السماء بالسحاب، وامتلأت الصحارى بالسيول من كل جانب مدة ثلاثة أيام، وأمر الله النبات والزرع أن يطلع.

فلما رأى الملك ذلك أتى إلى جرجيس وهو فى صومعته يكثر من التسبيح والتقديس، فخرج إليه وقال له: يا هذا ما تريد منا؟ لم لا تشتغل بملكك عنا؟ لا تحملنا مثل تلك الرسالة فإن فيها فظاعة فقال: يا نبى الله ما أتيت حربا بل سلما. وقد انفتح بصرى؛ فإن من عمل الإحسان مع عدوه لأجل وليه؛ يجب أن تسجد الجباه لعظمته، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه.

(وما تقرب إلىّ عبدى) أى ما طلب القرب إلى، أى إلى رضائى ورحمتى وثوابى . **(بشىء)** أى عمل. وقوله: **(أحب)** صفة لشىء مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه لا ينصرف للوصفية ووزن الفعل، ويجوز رفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أى هو أحب **(إلى)** أى أعظم ثوابا **(مما)** أى من أداء ما **(افترضت)** وفى نسخة: **«افترضته»** **(عليه)** عينا كان أو كفاية. كالطهارات الواجبة، والصلوات

الخمس، والزكوات، وصوم رمضان، وحج البيت، وأداء الحقوق إلى أربابها، وبر الوالدين، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والاشتغال بالحرف المهمة. وغير ذلك. وإنما كان الفرض أحب إلى الله تعالى؛ لأنه أكمل من النفل، من حيث أن الأمر به جازم متضمن للثواب على فعله والعقاب على تركه، بخلاف النفل؛ فإن الأمر به غير جازم، فيثاب على فعله ولا يعاقب على تركه. وقد ورد: أن ثواب الفرض يعدل ثواب النفل بسبعين درجة.

(ولا يزال) وفى نسخة: **«وما يزال»** ، وفى أخري: **«وما زال»** **(عبدى يتقرب إليّ)** أى إلى فضلى ومغفرتى **(بالنوافل)** أي بفعلها زيادة عن الفرائض **(حتى أحبه)** بضم أوله وفتح ثالثه، أى حتى أملأ قلبه من معرفتى فتشرق عليه أنوار ولايتى.

وتقدم حديث عن أبى هريرة مرفوعا وهو: **«إن الله تعالى إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال: إنى أحب فلانا فأحببه؛ فيحبه جبريل، ثم ينادى فى السماء فيقول:إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض»**[1].

أى يحدث له فى القلوب مودة، ويزرع فيها مهابة فتحبه القلوب، وترضى عنه النفوس من غير تودد منه ولا تعرض للأسباب التى تكتسب بها مودات القلوب من قرابة أو صداقة. وإنما هو اختصاص منه تعالى لأوليائه. وفائدته:أن يستغفر له أهل السماء والأرض، وينشأ عندهم هيبة وإعزاز له.

نكتة:قال العلماء: مثل الذى يأتى بالنوافل مع الفرائض ومثل غيره؛ كمثل رجل له عبدان، فأعطى كلا منهما درهما ليشترى له فاكهة. فذهب أحدهما فاشترى فاكهة فوضعها فى وعاء وطرح عليها ريحانا ومشموما ،ثم جاء بها. فوضعها بين يدى سيده.

وذهب الآخر فاشترى فاكهة فوضعها فى حجره. ثم جاء بها فوضعها على الأرض بين يدى السيد. فكل واحد من العبدين قد امتثل أمر سيده، لكن أحدهما زاد الوعاء والمشموم. فيصير أحب إلى السيد. فمن فعل النوافل مع الفرائض يصير أحب إلى الله تعالى.

---

(١) سبق تخريجه

والنوافل: هى التطوعات من سائر أصناف العبادات، خصوصاً المؤكدات من صلاة وصوم وصدقة وغير ذلك.

تنبيه: علم مما تقرر: أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقع مع أداء الفرائض، لا مع إخلال بها. وقد قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور.

وقال الغزالى ـ رحمه الله تعالى ـ: المصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة.

وقال سلمان الفارسى ـ رضى الله تعالى عنه: مثل الذى يكثر الفضائل ولا يكمل الفرائض كمثل تاجر خسر رأس ماله وهو يطلب الربح.

وبالجملة: فالفرض كالأساس، والنفل كالبناء عليه، وحينئذ فلا يتحقق التقرب الذى يترتب عليه المحبة إلا بأداء الفرائض وزيادة النوافل عليها.

(فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به) بضم المثناة التحتية **(ويده التى يبطش بها)** بفتح المثناة التحتية وكسر الطاء المهملة. كما هو الرواية **(ورجله التى يمشى بها)** اختلف فى معنى ذلك، فقيل: إن الكلام على حذف مضاف. والتقدير: كنت حافظ سمعه الذى يسمع به؛ فلا يسمع إلا ما يحل سماعه، وكنت حافظ بصره الذى يبصر به، فلا ينظر إلا ما يحل إبصاره، وكنت حافظ يديه التى يبطش بها؛ فلا يبطش بها إلا فيما يحل، وكنت حافظ رجله التى يمشى بها؛ فلا يمشى بها إلا فيما يحل المشى إليه. وقيل: إن المعنى: كنت له فى النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله فى المعاونة. وقيل: إن المعنى: كنت كسمعه وبصره ويده ورجله فى إيثاره أمرى؛ فهو يحب طاعتى ويؤثر خدمتى، كما يحب هذه الجوارح. وقيل: غير ذلك.

(ولئن) بلام القسم أى والله لئن **(سألنى)** أى طلب منى أى شىء من أمور الدنيا والآخرة، فحذف المعمول للتعميم. وكذا يقال فيما بعده.

وقوله **(لأعطينه)** باللام الواقعة فى جواب القسم أى لأجيبن دعوته، وأعطينه الذى طلبه وسأله. وفى بعض النسخ: «**وإن سألنى أعطيته**» والمعنى واحد.

حكى عن العلاء بن الحضرمى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه كان فى سرية، فعطشوا فصلى، وقال: اللهم يا عليم يا حليم يا على يا عظيم، إنا عبيدك وفى سبيلك، نقاتل عدوك فاسقنا غيثا نشرب منه ونتوضأ، ولا تجعل لأحد فيه نصيبا غيرنا. فساروا قليلا فوجدوا نهرا من ماء السماء يتدفق فشربوا وملؤوا أوعيتهم. ثم ساروا، فرجع بعض أصحابه إلى موضع النهر؛ فلم ير شيئا، وكأنه لم يكن فى موضعه ماء قط.

وحكى أن قوماً خرجوا غزاة في سبيل الله تعالى، وكان لبعضهم حمار، فمات الحمار، وارتحل الناس، فقام صاحبه وتوضأ وصلى، وقال: اللهم إنى خرجت مجاهدا فى سبيلك وابتغاء مرضاتك، وأشهد أنك تحيى وتبعث من فى القبور، فأحيى لى حمارى. فقام إلى الحمار وضربه. فقام الحمار ينفض أذنيه، فركبه ولحق أصحابه، ثم باع الحمار بعد ذلك بالكوفة.

فإن قيل: إن جماعة من العباد والصلحاء دعوا وبالغوا فلم يجابوا.

أجيب بأن الإجابة تتنوع، فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور. وهذا هو الغالب فى حق من عمل بهذا الحديث. وتارة يقع المطلوب ولكن يتأخر لحكمة. وتارة تقع الإجابة بغير المطلوب، حيث لا يكون فى المطلوب مصلحة ناجزة . أى عاجلة حاضرة، وفى الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها. وتارة يصرف الله عن الداعى سوءا، وقد تؤخر الإجابة إلى الآخرة ويكون ذلك خيراً للداعى، فقد جاء: أن الله تعالى يبعث عبداً فيقول له: ما سألت شيئا إلا أجبتك فيه، ولكن نجزت، أى عجلت لك البعض فى الدنيا، وما لم أنجزه فى الدنيا فهو مدخر لك؛ فخذه الآن. فيقول ذلك العبد: ليته لم يقض لى حاجة فى الدنيا.

وورد: أن الله تعالى يوقف عبدا بين يديه، فيقول له: إنى أمرتك أن تدعونى ووعدتك أن أستجيب لك. فهل كنت تدعونى؟ فيقول: نعم يارب، فيقول: أما إنك لم تدعنى بدعوة إلا استجيبت، أليس دعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك؟ فيقول: نعم يارب. فيقول: إنى عجلتها لك فى الدنيا، ودعوتنى يوم كذا وكذا أن أفرج عنك فلم تر فرجا؟ فيقول: نعم يارب. فيقول: إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا.

(ولئن استعاذنى) بالنون بعد الذال المعجمة، وفى رواية بالباء الموحدة، والأول أشهر. والمعنى: والله لئن طلب منى أن أعيذه مما يخافه (لأعيذنه) أى لأجيرنه.

فائدة: روى عن معقل بن يسار - رضى الله تعالى عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «**من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى، وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدا. ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة**» [(١)].

وروت خولة بنت حكيم - رضى الله تعالى عنها - عن النبى ﷺ أنه قال: «**من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات؛ لم يضره شىء حتى يرتحل من ذلك المنزل**» [(٢)].

وحكى عن بعض السلف، أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟ - أى حسنها وزينها - قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده؟ قال: هذا يطول، ولكن أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده أى أضيق عليه وأرده جهدى. قال: هذا يطول عليك، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك.

ثم إن هذا الحديث جامع بين الشريعة والحقيقة (**رواه البخارى**) فى صحيحه - رحمه الله تعالى - .

الدروس المستفادة من الحديث

١ - أولياء الله هم أحباؤه.

٢- كل من اتقى الله وواظب على الطاعات واجتنب المنهيات وأعرض عن المشتبهات فهو ولى.

---

(١) الترمذى فى فضائل القرآن (٢٩٢٢) وقال: حديث غريب، وأحمد (٥/ ٢٦١)

(٢) مسلم فى الذكر والتوبة والاستغفار (٢٧٠٨) وأحمد (٦/ ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٠٩) والترمذى فى الدعوات (٣٤٣٧) وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجة فى الطب (٣٥٤٧) والدارمى (٢٦٨٠) ومالك فى الموطأ فى الاستئذان ٢/ ٧٤٥ (٣٤).

٣ ـ الولاية شيء مكتسب بالطاعة مرتبطة بالإيمان والتقوى وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والاستقامة في العقيدة وفي السلوك وفي الأخلاق.

٤ ـ النهي عن معاداة أولياء الله.

٥ ـ الولاء لأولياء الله والبراء من أعداء الله.

٦ ـ من يحارب أولياء الله والدعاة إليه فهو محارب لله ـ عزّ وجلّ ـ.

٧ ـ البعد عن خرافات من يتزعمون ويدعون الولاية.

٨ ـ لا سبيل للولاية سوى طاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ التي جاء بها الرسول ﷺ.

الحديث التاسع والثلاثون

التجاوز عن الخطأ والنسيان

٣٩ ـ عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال:«إن الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه»حديث حسن. رواه ابن ماجة والبيهقى وغيرهما [(١)].

الشرح والبيان

(**عن ابن عباس**) وتقدم الكلام عليه (**رضى الله تعالى عنهما**) أي عنه وعن أبيه (**أن رسول الله ﷺ قال: إن الله**) تعالى (**تجاوز لى**) أى عفا وصفح وسامح لأجلى (**عن أمتى الخطأ**) وهو وقوع الشىء على خلاف ما يراد، كأن يرمى شخص إلى نحو شجرة فيصيب إنساناً فيقتله، فلا قود عليه ولا إثم. نعم تجب الدية على عاقلة المخطئ، ويلزمه ضمان ما أتلفه من الأموال؛ لدليل قام على ذلك (**والنسيان**) وهو عدم الذكر للشىء لذهول أو غفلة، فمن فعل ذنبا نسيانا، أو ترك طاعة كذلك؛ فلا إثم عليه. ومن ذلك يعلم: أنه لا حرمة على من أكل أو جامع فى نهار رمضان ناسياً، بل ولا يفطر بذلك. ومن نسى صلاة حتى خرج وقتها لم يأثم، ولكن يجب عليه قضاؤها، وتجب الإعادة على من صلى محدثا أو بنجس ناسياً، ويلزم الشخص ضمان ما أتلفه مع النسيان؛ لدليل قام على ذاك ـ نظير ما تقدم ـ.

وظاهر الحديث: أن التجاوز عن الخطأ والنسيان؛ خاص بهذه الأمة؛ كرامة لنبيها ﷺ، ولذلك أمرنا أن نقول: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦] طلبا لإدامة هذه النعمة العظيمة.

وجاء : أن بنى إسرائيل كانوا إذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطأوا؛ عجلت لهم العقوبة، فيحرم عليهم شىء مما كان حلالا لهم من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب.

---

(١) ابن ماجة فى الطلاق (٢٠٤٥) وفى الزوائد: إسناده صحيح إن سلم من الانقطاع والظاهر أنه منقطع بدليل زيادة عبيد بن نمير فى الطريق الثانى وليس ببعيد أن يكون السقط من جهة الوليد بن مسلم فإنه كان يدلس، ورواه الدارقطنى (٤٣٠٦) والحاكم (٢/ ١٩٨) وأبو نعيم فى الحلية (٦/ ٣٥٢) والبيهقى (٧/ ٣٥٧) وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجة (١٦٥٩).

وأفاد هذا الحديث: أن النسيان للحلف أو المحلوف عليه، لا يحصل به حنث. ولو بطلاق أو إعتاق، ويقاس عليه الجهل بالحلف أو المحلوف عليه. لا فرق فى ذلك بين الحالف وغيره، لكن إن كان الغرض بالحلف: الحث أو المنع لا مجرد التعليق - وإلا ضر مطلقا. ويريد الغير بأن يكون ممن يبالى بحلف الحالف، وإلا ضر مطلقا أيضا. ومتى انتفى الحنث لا تنحل اليمين - على الأصح - نعم لو قال لا أفعله لا ناسيا ولا جاهلا؛ حنث بفعله مطلقا، وانحلت اليمين.

فائدة:ورد فى الحديث الشريف عن أنس - رضى الله تعالى عنه مرفوعا: «**إذا نسيتم شيئا فصلوا علّى تذكروه إن شاء الله تعالى**» [1].

وقوله: **(وما استكرهوا)** بالبناء للمجهول أى أقهروا **(عليه)** أى على فعله أو قوله. فلا إثم على من صدر منه ذنب بالقهر والإجبار عليه؛ حتى لا يكفر من أكره على الردة فتلفظ بها، أو فعل فعلا مكفرا وقلبه مطمئن بالإيمان غير معتقد لما يقوله أو يفعله، ويلزمه الإتيان بالمعاريض وبما يوهم أنه كفر، ما لم يكره على الصريح بخصوصه، ولو صبر حتى يقتل كان أفضل. ولا يحنث من حمل كرها وأدخل محلا حلف لا يدخله؛ كما لو أكره على الدخول فدخل. ومن أتلف مال غيره كرها؛ فلا إثم عليه لكنه يضمنه، وقرار الضمان على المكره - بكسر الراء -.

ويستثنى من عموم هذا الحديث؛ القتل فلا يباح بالإكراه فيأثم فاعله ومن أكرهه، ويقتلان عند الشافعى - رضى الله تعالى عنه - .

وقال أبو حنيفة - رضى الله تعالى عنه - يقتل المكره. بكسر الراء - دون المباشر.

وقال مالك وأحمد - رضي الله تعالى عنهما -: يقتل المباشر فقط.

ويستثنى أيضا الزنا فلا يباح بالإكراه؛ فيأثم فاعله على الأصح، ولكن يسقط عنه الحد للشبهة.

ومن الإكراه عليه: ما لو اضطرت امرأة لطعام وامتنع مالكه من بذله إلا بالزنا فيها؛ فيحرم عليها تمكينه خلافا لقول مالك - رضى الله تعالى عنه: يجوز لها تمكينه، وصبرها أفضل.

---

(١) السخاوى فى القول البديع ص (٢٢٧).

وقال أبو حنيفة ـ رضى الله تعـالى عنه: يرخص للمرأة الزنا بالإكراه الملجئ؛ لأن نسب الولد لا ينقطع، والكلام في غـير امرأة رِبطت وزنى بها ولا قـدرة لها على الامتناع بوجه؛ فهذه لا تأثم إجماعا.

ثم إن هذا الحديث (حديث حسن رواه ابن مـاجة، والبيهقى وغـيرهما) وهو حديث عظيم عام النفع.

الدروس المستفادة من الحديث

١ ـ الخطأ يرفع الإثم الأخروى.

٢ ـ الخطأ فى المعاملات المالية بين العباد يصحح بردها لأصحابها.

٣ ـ النسيان يسقط الإثم.

٤ ـ النسيان فى حقوق الله ولا يسقط به حق العباد.

٥ ـ الإكراه يسقط العقوبة.

الحديث الأربعون

كن فى الدنيا غريب

٤٠ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهـما ـ قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن فى الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل»

وكان ابن عـمر رضى الله عنهـما يقـول: إذا أمسـيت فلا تنتظر الصـباح، وإذا أصبـحت فلا تنتظر المسـاء، وخذ من صـحتك لمرضك، ومن حيـاتك لموتك. رواه البخاري [(١)].

الشرح والبيان

(عن ابن عمر) وتقدم الكلام عليه (رضى الله تعالى عنهما) أي عنه وعن أبيه (قال) أى ابن عمر (أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي) أى تناوله بيده وقبض عليه، وهو بفتح الميم وكسر الكاف والباء الموحدة وسكون كل من النون والياء التحتية، مجمع العضد والكتف. ويروى بفتح الموحدة وتشديد الياء التحتية تثنية منكب. وإنما فعل معـه ذلك ليتفطن لما يلقى إليـه. وفيه دليل على محـبته له، إذ العادة الغـالبة أن الشخص لا يفعل ذلك إلا مع من يميل إليه ويحبه.

(فقـال) أى النبى ﷺ (كن فى الدنيا) أي فى مـدة إقامتك بـها (كأنك غريب) أى مشبها به يعني لا تركن إليها، ولا تطمئن فيها، ولا تتعلق بها؛ لأنك على جناح السفر منها إلى وطن إقامتك وهو الآخـرة كالغريب الذى لا يستقر فى دار الغربة، ولا يسكن إليها، بل لا يزال مشتاقا إلى وطنه عازماً على السفر إليه.

وقوله (أو عابر سبيل) أى جائز طريق أرقى مما قبله فى التـباعد عن الدنيا؛ لأن الغريب قـد يسكن بلد الغربـة ويقيم فيـها بخـلاف عابر السبـيل أى المار فى الطريق، فإن شأنه ألا يقيم ولا يسكن. وأو بمعنى بل التى للإضراب.

والمعنى: كن فى الدنيا كغريب، بل عابر سـبيل. وفي ذلك حث على احتقار الدنيا، والفراغ منها، والزهد فيها، والاقتصار على أخذ مقدار الضرورة المعينة على الآخرة. فعلى العاقل أن يـقنع فيها بالبلغة والكفاف وهو مـا يكون بقدر الحاجة؛

---

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤١٦) وابن ماجة فى الزهد (١٦) والطبرانى فى الكبير (١٢/ ١٣٤٧٠).

لأنها فى الحقيقة دار مرور وجسر عبور.

فقد قال عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها»**

وقال سلمان الفارسي ـ رضي الله تعالى عنه ـ : أمرني خليلي ﷺ ألا أتخذ من الدنيا إلا كمتاع الراكب.

وما أحسن ما قيل:

تسل عن الدنيا وكن متجنبا	زخارفها واعتد للسير والسفر
ولا تلتمس منها سوى ستر عورة	وقوت كفاف، وارض منها بما حضر
وإياك يوما يستميلك مالها	فكم من غنى بعد مال قد افتقر
وما هى إلا دار يسر وعسرة	وفرح وأحزان وفى صفوها كدر
إذا جمعت شملا سعت فى فراقه	وكم خربت قصراً وكم عمرت حفر

ولله در قوم قيل فيهم كما تقدم:

إن لله عبادا فطنا	طلقوا الدنيا، وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما عرفوا	أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا	صالح الأعمال فيها سفنا

وحكى: أن رجلا دخل على أبى ذر ـ رضي الله تعالى عنه فقال: يا أبا ذر. أين متاعكم؟ فقال: إن لنا بيتا نوجه إليه متاعنا. فقال: لابد من متاع ما دمت ههنا؟ قال: نعلم أن صاحب المنزل لا يدعنا فيه.

وقال داود الطائى رحمه الله تعالى: إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهى ذلك بهم إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم كل يوم زاداً لما بين يديك فافعل، واقض ما أنت قاض من أمورك؛ فكأنك بالرحيل وقد بغتك، فكيف يركن إلى الدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره؟

وقال بعضهم:

أيا من له فى باطن الأرض حفرة	أتأنس بالدنيا وأنت غريب
وما الدهر إلا كر يوم وليلة	وما الموت إلا نازل وقريب

وقال آخر:

الموت في كل حين ينشر الكفنا	ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن إلى الدنيا وزينتها	ولو توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا؟	أين الذين هم كانوا لنا سكنا؟
سقاهم الموت كأسا غير صافية	فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

وروى عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - مرفوعا: «**يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء، أنيابها بادية، مشوه خلقها، لا يراها أحد إلا كرهها؛ فتشرف على الخلائق، فيقال لهم: أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفتها، فيقال: هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها**»

وروى في خبر: أنه يؤمر بها فتلقى في النار فتقول: يارب أين أتباعي وأصحابي؟ فيلحقون بها.

(وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول) في بعض وصاياه: **(إذا أمسيت)** أى دخلت في وقت المساء **(فلا تنتظر الصباح)** أي لا تنتظره في عمل من أعمال البر، بل بادر بفعل الخيرات، وتيقن أنك ميت قبل مجيء الصباح.

(وإذا أصبحت) أي دخلت في وقت الصباح **(فلا تنتظر المساء)** أى لا تمهل ولا تتكاسل عن عمل من أعمال البر، بل بادر وأسرع بفعل ما تستطيعه من الطاعات، ولا تنتظر مجيء المساء؛ لأنه ربما يكون تأخيرها سببا لفواتها وعدم استدراكها.

وبالجملة فينبغي للشخص أن يقصر أمله، ويجعل الموت بين عينيه، فينتظره في كل وقت، ويترك الميل إلى غرور الدنيا، ويقبل على فعل الطاعات خوف أن يفجأه هاذم اللذات.

وحكى عن محمد بن واسع - رحمه الله تعالى - أنه كان إذا أراد النوم قال لأهله: أستودعكم الله فلعلى لا أقوم من نومتى. وجاء فى الحديث: « **لايبيت أحدكم إلا ووصيته عند رأسه؛ فلعل أن يبيت من أهل الدنيا ويصبح فى أهل الآخرة. فكم من مستقبل يوما أو عملا لا يستكمله**» [١].

(١) البخاري في الوصايا (٢٧٣٨) ومسلم في الوصية (١٦٢٧) وأحمد (٢/ ٤، ١٠، ٣٤) وأبو داود في الوصايا (٢٨٦١) والترمذي في الوصايا (٢١١٨) بلفظ « **ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى به يبيت ليلتين إلا ووصيته عنده مكتوبة**».

وقال أبو نصر بن ودعان ـ رحمة الله تعالى عليه ـ :قصر الأمل أصل كل خير، كما أن تطويله أصل كل شر؛ فإن من يقدر فى نفسه أنه لا يعيش غداً لا يسعى لكفاية غد ولا يهتم لها، فيصير حرا من رق الحرص والطمع والذل وخدمة أبناء الدنيا، ويكفيه كل شىء. ومن قدر أن يعيش عشر سنين مثلا؛ فإنه يصير عبدا لهذه الأوصاف الذميمة، ولا يكفيه شىء من الدنيا، ولا يملأ بطنه وعينه إلا التراب.

وعن أبى زكريا التميمى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: بينما سليمان بن عبدالملك فى المسجد الحرام، إذ أتى بحجر منقوش، فطلب من يقرؤه فأتى بوهب ابن منبه ـ رحمة الله تعالى عليه ـ فقرأه فإذا فيه: ابن آدم إنك لو رأيت ما بقى من أجلك لزهدت فى طويل أملك، ولرغبت فى الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك، فإنما يلقاك غدا ندمك إذا زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، وتبرأ منك الولد والقريب، ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا فى حسناتك زائد؛ فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة.

وقال بعضهم: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، والنشاط فى العبادة. ومن نسيه عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، أى تأخيرها، وترك الرضا بالكفاف. وهو ما يكون بقدر الحاجة ـ كما تقدم، والتكاسل فى العبادة.

وقال بعضهم:

إذا هبت رياحك فاغتنمها ... فعقبى كل خافقة سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيها ... فما تدرى السكون متى يكون

إذا ظفرت يداك فلا تقصر ... فإن الدهر عادته يخون

(وخذ من صحتك لمرضك) أى اغتنم العمل الصالح فى زمن صحتك قبل أن تمرض فتعجز عنه وتندم على ما فاتك منه. وقد قالوا: إذا تعود الإنسان على العمل الصالح فى صحته جرى له ثوابه في مرضه؛ لخبر: «**إذا مرض العبد أو سافر** ـ أى وفاته بسبب ذلك ما وظفه على نفسه ـ **كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما**»[1].

---

(١) البخارى فى الجهاد (٢٩٩٦) وأحمد (٤/ ٤١٠، ٤١٨).

وروى: «**إذا مرض العبد يقال لصاحب الشمال: ارفع عنه القلم** - أى فلا يكتب عليه صغائر - **ويقال لصاحب اليمين:اكتب له أحسن ما كان يعمل؛ فإني أعلم به وأنا قيدته**» (١) أي لم يحصل منه تقصير.

(**ومن حياتك**) أى وخذ من زمن حياتك (**لموتك**) وفى رواية: «**قبل موتك**» أى اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك ما دمت حيا. قال الله تعالى: ﴿**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**﴾[البقرة:١٤٨] وقال عز شأنه: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[آل عمرن:١٣٣].

وورد: أن النبى ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمسا قبل خمس:شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**» (٢).

وسئل رسول الله ﷺ عن أكيس الناس - أى أعقلهم، فقال: «**أكثرهم للموت ذكراً، وأشدهم له استعداداً، أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة**» (٣).

وقال بعضهم: من كان غافلا عن الآخرة حتى يأتيه الموت على غرة. أى غفلة فإنه يجد لقدومه غما وحسرة.

حكى: أن رجلا جمع مالا عظيما، ثم صنع يوما طعاما لأهله وقعد على سريره، وهم بين يديه يأكلون، وقد وضع رجلا على رجل وهو يقول لنفسه: تنعمى فقد جمعت لك ما يكفيك، فبينما هو كذلك إذ أقبل ملك الموت في زى مسكين، فقرع الباب، فخرج إليه بعض الغلمان، فقالوا له: ما حاجتك؟ فقال لهم: ادعوا لي سيدكم فانتهروه، وقالوا: مثلك يخرج إليه سيدنا. قال: نعم فجاؤوا فأخبروا سيدهم بذلك، فقال: هلا ضربتموه، فعاد فقرع الباب قرعاً شديداً؛ فخرجوا إليه. فقال: أخبروا سيدكم أنى ملك الموت، فلما سمعوا منه ذلك؛ وقع على الجميع الذل، ودخل عليه ملك الموت، فأحضر أمواله ونظر

---

(١) كنز العمال (٦٨٨٥) وعزاه لابن عساكر.

(٢) ابن المبارك فى الزهد (٢) وأبو نعيم فى الحلية (١٤٨/٤) والحاكم (٣٠٦/٤) وصححه ووافقه الذهبى.

(٣) أبو نعيم فى الحلية (٣١٣/١) والطبرانى فى الصغير (٨٧/٢) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣٠٩/١٠) إسناده حسن، ورواه ابن ماجة مختصرا فى الزهد (٤٢٥٩).

إليها تحسراً وتأسفا، وقـال: لعنك الله من مال، أشغلتنى عن عبادة ربى. فأنطق الله المال وقـال: لـم تسـبنى وقـد كنت تدخل على الملوك بى وترد المتـقين وقـد كنت تنفـقنى فى سبـيل الشر؛ فلا أمـتنع منك، ولو كنت أنفـقتنى فى سـبيل الخـير؛ لنفعتك. ثم قبض ملك الموت روحه وانصرف.

فنسأل الله تعالى من فضله أن يوفقنا لما يحب ويرضى ؛ بمنه وكرمه.

ثم إن هذا الحديث أصل عظيم في قـصر الأمل، وفيه الحث على التـفرغ من هموم الدنيا والاشتغال بأمور الآخرة.

(رواه البخارى) فى صحيحه، أى روى المذكور من الحديث، وكلام ابن عمر رضى الله عنهما.

الدروس المستفادة من الحديث

١ ـ المؤمن الصـادق لا ينظر إلى الحيـاة الدنيا ولا يحـرص عليهـا ولا ينظر طول الأمل.

٢ ـ تذكر الموت خير واعظ ومن لم يعظه هاذم اللذات فلا واعظ له.

٣ ـ الحرص على الدنيا يورث الغفلة عن النعم.

٤ ـ عدم الركون إلى الدنيا والتعلق بها ولا ينشغل الإنسان إلا كما ينشغل الغريب الذى يريد الذهاب إلى وطنه.

٥ ـ حب الدنيا رأس كل خطيئة.

الحديث الحادى والأربعون

اتباع النبى ﷺ

٤١ ـ عن أبى محمد ـ عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ :«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» حديث صحيح رويناه فى كتاب «الحجة» بإسناد صحيح [1].

الشرح والبيان

(عن أبى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص) بحذف الياء وإثباتها **(رضى الله تعالى عنهما)** أى عن عبد الله وأبيه عمرو فإنهما صحابيان.

أسلم عبد الله قبل أبيه، وكان رسول الله ﷺ يفضله عليه؛ لأنه كان من علماء الصحابة وفضلائهم وزهادهم وعبادهم.

وكان كثير التلاوة للقرآن، وكان يقول: لأن تدمع عينى دمعة من خشية الله ـ عز وجل ـ أحب إلىّ من أن أتصدق بألف دينار. وكان يصوم النهار، ويقوم الليل ويرغب عن جماع النساء أي يزهد فيه ـ .

روى: أن أباه زوجه امرأة من قريش، ثم دخل عليها، فقال لها: كيف وجدت زوجك؟ فقالت: خير الرجال لم يعرف لنا فراشا. فأقبل عليه يعظه، وقال له: زوجتك امرأة من قريش؛ فتركتها، ثم انطلق إلى النبى ﷺ فشكاه له، فأرسل إليه ﷺ فأتاه، فقال له: **«أتصوم النهار»**؟قال: نعم. قال: **«وتقوم الليل»**؟ قال: نعم. فقال ﷺ : **«لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأنام وأمس النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»** [2] أى ليس على طريقتى الكاملة.

وكان ـ رضى الله تعالى عنه ـ من أكثر الناس أخذا للحديث والعلم عن رسول الله ﷺ . ويقال: إنه حفظ عن النبى ﷺ ألف مثل. وقد عمى آخر عمره.

وكان مع أبيه إلى أن توفى أبوه بمصر، ثم انتقل إلى الشام إلى أن توفى يزيد. ثم انتقل إلى مكة ومات بها. وقيل: مات بالشام. وقيل: بالطائف. وقيل:

---

(١) ابن أبى عاصم فى السنة (١٥) والديلمى (٧٩٦٠) والخطيب فى تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٩) والبغوى فى شرح السنة (١/ ٢١٢، ٢١٣) وكنز العمال (١٠٨٤).

(٢) البخارى فى النكاح (٥٠٦٣) ومسلم فى النكاح (١٤٠١) وأحمد (٢/ ١٥٨و٣/ ٢٤١).

بمصر سنة خمس أو سبع أو تسع وستين. عن اثنين وسبعين، أو اثنين وتسعين سنة.

ويقال: إنه دفن فى داخل خزانة المصاحف التى فى مسجد أبيه عمرو ـ رضى الله تعالى عنهما ـ وكان قد شهد معـه فتح الشام، وكانت معه رايته يوم اليرموك.

وقيل: إن معاوية ولاه إمارة مصر سنتين بعد موت والده. ومروياته سبعمائة حديث.

ولما أسلم أبوه كان النبى ﷺ يقـربه لمعرفتـه وشجاعتـه، وولاه غزوة ذات السلاسل، وأمده بأبى بكر وعمر وأبى عبيدة بن الجراح ـ رضى الله تعالى عنهم، ثم استعمله على عمان. فـمات ﷺ وهو أميرها. ثم كان من أمراء الأجناد في الجهـاد بالشام في زمن عمـر ـ رضى الله تعالى عنه ـ وفـتح بلاداً كثيـرة كحلب وأنطاكية. وهو الذى فتح مصر وكان أميراً عليها.

ولما تولى عـثمان ـ رضى الله تعـالى عنه ـ الخلافـة أبقاه نحـو أربع سنين ثم عزله عنهـا ثم لما صار الأمر لمعاوية رضى الله تعـالى عنه ـ أقطعه إياها. وتوفى ـ رضى الله تعالى عنه ـ بها وهو ابن تسع وتسعين سنة.

(قال) أى عبد الله بـن عمرو **(قال رسـول الله ﷺ :لا يؤمن أحدكم)** أى إيماناً كاملاً **(حتى يكون هواه)** أى حبه وميله **(تبعا)** أي تابعا **(لما جئت به)** من الشريعة المطهرة، يعنى: لا يكمل إيمان أحـد حتى يهوى بقلبه، ويميل بطبعـه إلى ما جاء به النبى ﷺ من الدين، كميله لمحبوباته الدنيوية التى جبلت النفس على الميل إليها.

واعلم: أنه لا يحصل الرجوع عن هوى النفس ومحبوباتهـا الشهوانية المطبوعة عليها إلا بمجاهدة وتصبر واحتمال مشقة حتى تطمئن النفس، فإذا اطمأنت أحبت ما يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ ونشأ عن هذه المحـبة؛ امتثال الأوامر، واجتناب المناهى، والرضا بالقضاء والقدر.

خاتمة: روى عن حذيفـة بن قتادة رضي الله تعـالى عنه ـ أنه قال: كنت فى مركب فكـسرت بنا، فوقـعت أنا وامرأة على لوح، فـمكثنا سبـعة أيام، فـقالت المرأة: أنا عطشانة، فسألت الله تعالى أن يسقيـها، فنزلت عليها من السماء سلسلة فيهـا كوز معلق فيه مـاء فشربت، فرفعت رأسى أنظر إلى الـسلسلة فرأيت رجلا جالسـا فى الهواء متربعـا. فقلت: ممن أنت؟ قال: من الإنس. قلت: فـما الذى بلغك هذه المنزلة؟قال: آثرت مراد الله تعالى على هواى؛ فأجلسنى كما ترانى.

وعن وهب بن منبه ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: كان فى بنى إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما إلى أن مشيا على الماء، فبينما هما يمشيان على البحر إذ هما برجل يمشى فى الهواء، فقالا: يا عبد الله بأى شىء أدركت هذه المنزلة؟ قال: بيسير من الدنيا، فطمت نفسى عن الشهوات، وكففت لسانى عما لا يعنينى، ورغبت فيما دعانى الله إليه، ولزمت الصمت؛ فإن أقسمت على الله أبر قسمى، وإن سألته أعطانى.

وما أحسن قول بعضهم

إذا طالبتك النفس يوما بشهوة وكان عليها للخلاف طريق

فخالف هواها ما استطعت فإنما هواها عدو والخلاف صديق

وقيل لبعض الحكماء: من الملوك؟فقال: من ملك هواه واتبع رضا مولاه.

وحكى عن بعضهم: أنه كان يطوف بالبيت؛ فنظر إلى امرأة جميلة، فمشى إلى جانبها، ثم قال:

أهوى هوى الدين واللذات تعجبنى فكيف لى بهوى اللذات والدين

فقالت له: دع أحدهما؛ تنل الآخر.

ثم إن هذا الحديث مع وجازته يصلح أن يقال فيه: إنه كل الإسلام؛ لإفادته أن من كان هواه تابعا لجميع ما جاء به النبى ﷺ فهو المؤمن الكامل. ومن أعرض عن جميع ما جاء به ـ ومنه الإيمان فهو الكافر. وأما من تبع البعض فإن كان ما تبعه أصل الدين وهو الإيمان دون ما سواه فهو الفاسق وعكسه المنافق.

وبين المصنف مرتبة هذا الحديث فقال: **(حديث صحيح رويناه)** أى نقلناه حالة كونه **(فى كتاب الحجة بإسناد صحيح)** وهذا الكتاب ألفه الأصفهانى فى عقائد أهل السنة. وقيل: إن مؤلفه المقدسى.

الدروس المستفادة من الحديث

١ ـ اتباع منهج النبى ﷺ من حقيقة الإيمان.

٢ ـ لا بد أن تكون النفس وما تميل إليه طبقا للشريعة الإسلامية.

٣ ـ عدم اتباع منهج النبى ﷺ يخرج الإنسان عن الإسلام.

رحمة الله تعالى على ابن آدم

٤٢ ـ عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى. يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى، يابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة». رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح [١].

الشرح والبيان

(عن أنس رضى الله تعالى عنه) وتقدم الكلام عليه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: يابن آدم)** يعلم من ذلك أنه حديث قدسى، والنداء فيه عام لكل من يتأتى نداؤه **(إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك)** يصح أن تكون ما مصدرية ظرفية لقوله: «**غفرت**» ، ويصح أن تكون شرطية. وعلى كل فالواو فى **(ورجوتنى)** للحال. والمعنى على الأول: أنى غفرت لك ذنوبك مدة دعائك فى حال رجائك إياى. والمعنى على الثانى: أنك إن دعوتنى مع رجائك إياى غفرت لك.

(على ما كان منك) أى مع ما حصل منك من الذنوب الكثيرة، فعلى بمعنى مع، ويصح أن تكون زائدة، «**وما كان منك**» مفعول غفرت. ويصح أن تكون بمعنى الباء متعلقة بقوله الآتى **(ولا أبالى)** والمعنى: ولا أبالى بما كان منك. ويصح أن تكون على بابها متعلقة بمحذوف، والتقدير: غفرت لك غفرانا مشتملا ومستعليا لسعته على ما كان منك.

وقوله **(ولا أبالى)** أى ولا أكترث بذنوبك، ولا يعظم علىّ كثرتها. وقد ورد فى الحديث: «**إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة؛ فإن الله سبحانه وتعالى لا يتعاظمه شىء**» [٢]. أى: فالقليل والكثير والجليل والحقير؛ عنده سواء؛ لأنه تعالى لا حجر عليه فيما يفعله، ولا معقب لحكمه، ولا مانع لتفضله، ولأن جرائم العباد فى

---

(١) الترمذى فى الدعوات (٣٥٤٠) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأحمد (٥/ ١٧٢).
(٢) ابن حبان (٨٩٣ ـ إحسان).

جنب عظمة رحمته كذرة صغيرة بل أقل منها. وقد قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف :١٥٦].

ولله در القائل:

إذا كنت الكريم فلا أبالى ولو بلغت ذنوبى القطر عدا

فكم من مذنب فى الناس مثلى بعفوك من لهيب النار عدى

واعلم: أن الدعاء بلا واسطة من خصوصيات هذه الأمة، وأما الأمم الماضية فكانوا يذهبون إلى أنبيائهم ليسألوا لهم.

وقد روى معمر عن قتادة رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم يعطها إلا نبى، كان يقال للنبى: اذهب فليس عليك حرج، وقال لهذه الأمة ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج:٧٨] أى ضيق بتكليف ما يشق عليكم القيام به، وكان يقال للنبى: أنت شهيد على قومك، وقال لهذه الأمة: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[البقرة:١٤٣] وكان يقال للنبى: سل تعط. وقال لهذه الأمة: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]

فإن قلت: قد ثبت أن القلم جف بما هو كائن، فما ثمرة الدعاء؟ أجيب بأن الدعاء من جملة ما تعبدنا الله تعالى به، وما في علم الله غائب عنا؛ فلذا كان العبد على جناحى الرجاء والخوف اللذين بهما تتم العبودية. وأجيب أيضا: بأن القضاء نوعان: قضاء مبرم، وقضاء معلق. فطلب الدعاء لأجل الثانى. وبفرض كونه لم يصادفه؛ يحصل به للداعى ثواب.

وقد سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام ـ رحمهما الله تعالى ـ: هل يعصى من يقول لا حاجة لنا إلى الدعاء؛ لأنه لا يرد ما قدر وقضى؟ فأجاب: من زعم أنه لا يحتاج إلى الدعاء؛ فقد كذب وعصى. ويلزمه أن يقول: لا حاجة لنا إلى الطاعة والإيمان؛ لأن ما قضاه الله تعالى من الثواب والعقاب لابد منه، وما يدرى هذا الأحمق أن الله تعالى قد رتب مصالح الدنيا والآخرة على الأسباب، ومن ترك الأسباب بناء على أن ما سبق به القضاء لابد منه؛ لزمه ألا يأكل إذا جاع، ولا يشرب إذا عطش، ولا يلبس إذا برد، ولا يتداوى إذا مرض، وأن يلقى الكفار بلا سلاح، ويقول فى ذلك كله: ما قضاه الله تعالى لايرد، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل.

وذكر الغزالي - رحمة الله تعالى عليه - أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء، كما أن الماء سبب لخروج النبات، والترس سبب لدفع السهام، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء؛ عدم حمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

ثم إن الدعاء له آداب: منها تحرى الأوقات الفاضلة، وتقديم الوضوء والصلاة والتوبة، واستقبال القبلة، ورفع الأيدى، والاعتراف بالذنب، وخفض الصوت، وافتتاحه بالحمد والثناء والصلاة على النبى ﷺ، وجعل الصلاة فى وسطه وختمه بها وبآمين، وألا يخص نفسه بالدعاء بل يعمم، وأن يحسن ظنه بالله ويرجو منه الإجابة، فقد ورد فى الحديث القدسى: «**أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء**»[(١)]. وقال عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - : والله الذى لا إله غيره لا يحسن أحد الظن بالله ؛ إلا أعطاه الله ظنه. وذلك أن الخير بيده.

وما أحسن قول بعضهم:

يا فاتحا لى كل باب مرتجى ... إنى لعفو منك عنى مرتجى
فامنن على بما ينيل سعادتى ... فسعادتى طوعا متى تأمر تجى

وأخرج ابن المبارك وأحمد والطبرانى عن معاذ بن جبل - رضى الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**إن شئتم أنبأتكم ما أول ما يقول الله للمؤمنين يوم القيامة، وما أول ما يقولون له**» قلنا: نعم يا رسول الله، قال: «**فإن الله تعالى يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا ربنا، فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا عفوك ومغفرتك، فيقول: قد وجبت لكم مغفرتى**»[(٢)].

قال بعضهم: والرجاء حسن الظن بالله فى قبول طاعة وفقت لها أو مغفرة سيئة تبت منها، وأما الطمأنينة مع ترك الطاعات والإصرار على المخالفات؛ فأمن وغرور وقد نهى عنه.

---

(١) أحمد (٣/ ٤٩١و٤/ ١٠٦) وابن المبارك فى الزهد (٩٠٩) والحاكم (٤/ ٢٤٩) وابن حبان (٦٣٤ - إحسان).

(٢) أحمد (٥/ ٢٣٨) وابن المبارك فى الزهد (٢٧٦) والطبرانى فى الكبير (٢٠/ ٢٥١) وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ١٧٩) وقال الهيثمى فى المجمع: (١٢/ ٢٢) فيه عبدالله بن زهر ضعيف.

وقال ابن الجوزى ـ رحمه الله تعالى ـ : إن مثل الراجى مع الإصرار على المعصية كمثل من رجا حصادا وما زرع، أو ولدا وما نكح.

وقال عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله تعالى ونفعنا به ـ :

ما بال دينك ترضى أن تدنسه   وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها   إن السفينة لا تجرى على اليبس

وقال ابن المقرى ـ رحمة الله تعالى عليه ـ :

تقول مع العصيان: ربى غافر   صدقت ولكن غافر بالمشيئة
وربك رزاق كما هو غافر   فلم لا تصدق فيهما بالسوية
على أنه بالرزق كفل نفسه   لكل ولم يكفل لكل بجنة
ولم ترض إلا السعى فيما كفيته   وإهمال ما كلفته من وظيفة
تسىء به ظنا وتحسن تارة   على حسب ما يقضى الهوى بالقضية

وكان سفيان الثورى ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: أرجى الناس للنجاة؛ أخوفهم على نفسه.

ومن ثم قيل: من علامة الرجاء؛ حسن الطاعة.

وقيل: إنه لابد لتحقق الرجاء من الخوف.

فيجب على الشخص أن يجمع بينهما ليسلم، ولا يقتصر على أحدهما دون الآخر؛ لأنه ربما يفضى الرجاء إلى المكر، والخوف إلى القنوط. وكل منهما مذموم.

وفى الحديث الشريف: «**أقسم الخوف والرجاء ألا يجتمعا فى أحد فى الدنيا؛ فيريح ريح النار، ولا يفترقا فى أحد فى الدنيا، فيريح ريح الجنة**» (١).

والمختار عند المالكية: تغليب الخوف إن كان صحيحا والرجاء إن كان مريضا. والراجح عند الشافعية: استواؤهما فى حق الصحيح، بأن ينظر تارة إلى عيوب نفسه فيخاف، وتارة ينظر إلى كرم الله تعالى فيرجو، وأما المريض فيكون رجاؤه أغلب من خوفه، لقوله ﷺ : «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**

---

(١) البيهقى فى الشعب (١٠٠٤).

تعالى»[1].

وقال الإمام الشافعي ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى مرض موته:

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى   جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته   بعفوك ربى كان عفوك أعظما.

(يا بن آدم لو بلغت) أى وصلت **(ذنوبك عنان السماء)** بفتح العين المهملة وتخفيف النون ـ أى السحاب وأضيف إلى السماء لكونه في جهتها. وقيل: هو اسم لما عنّ لك من السماء، أى ظهر لك إذا رفعت بصرك إليها. والمعنى: لو كثرت ذنوبك وملأت الأرض والفضاء حتى وصلت بفرض كونها أجساما إلى السحاب أو ما ظهر من السماء.

(ثم استغفرتنى) أى طلبت منى مغفرتها **(غفرت لك)** إياها، غير مبال بكثرتها، وذلك لأن كرم الله تعالى وفضله ورحمته لا تتناهى؛ فهى أكثر وأوسع مما ذكر وحقيقة الاستغفار: اللهم اغفر لى. ويقوم مقامه: أستغفر الله؛ لأنه خبر بمعنى الطلب. وفى الحديث: **«من قال: أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه؛ غفر له وإن كان قد فر من الزحف»**[2] أى من صف المسلمين فى قتال الكفار.

وفى بعض الآثار: إن الاستغفار يجىء يوم القيامة محدقا بأعمال الخلائق، له أنين حول العرش، يقول: إلهى، حقى ـ حقى. وقال إبراهيم بن أدهم: ما ألهم الله تعالى عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه.

وعد السيوطى ـ رحمه الله تعالى ـ من خصائص هذه الأمة: أن الله يغفر لهم ذنوبهم بالاستغفار. وقيل: إن المراد بالاستغفار فى الحديث؛ التوبة، ولها شروط خمسة:

الأول: الإقلاع عن الذنب ـ أى تركه ـ فقد ورد: **«المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه»**[3].

---

(١) مسلم فى الجنة وصفة نعيمها (٢٨٧٧) وأحمد (٣/ ٣١٥) وأبو داود فى الجنائز (٣١١٣) وابن ماجة فى الزهد (٤١٦٧).

(٢) الترمذى فى الدعوات (٣٥٧٧) وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٣) البيهقى فى الشعب (٧١٧٨) وفى سنده سلم من سالم البلخى وهو ضعيف.

الثانى: الندم عليه بأن يتحزن ويتوجع على فعله، ويتمنى كونه لم يفعله. ولابد أن يكون الندم عليه من حيث كونه ذنبا، فلا يصح الندم لإضراره ببدنه، أو هتك عرضه، أو صرف ماله أو نحو ذلك. وأما الندم للخوف من النار أو للطمع فى الجنة؛ ففيه خلاف. والصحيح أنه يكفى.

الثالث: العزم والتصميم على ألا يعود إليه ما عاش كما لا يعود اللبن إلى الضرع.

الرابع: وقوعها أى التوبة قبل الغرغرة، أى قبل بلوغ الروح الحلقوم. وهى حالة النزع التى ييأس فيها الشخص من الحياة.

الخامس: وقوعها قبل طلوع الشمس من مغربها، فإن كان الذنب يتعلق بآدمى؛ زيد:

شرط سادس: وهو رد الظلامة إلى صاحبها، أو تحصيل البراءة منه إن قدر. فيجب عليه أن يرد ما غصبه أو سرقه مثلا لصاحبه أو وارثه، أو رد البدل إن كان المأخوذ تالفاً، فإن عجز عن المالك أو وارثه دفعه لحاكم ثقة، فإن تعذر صرفه فيما يشاء من المصالح بنية غرم بدله إن وجد مستحقه، فإن أعسر عزم على الأداء عند قدرته، فإن مات قبله؛ فالمرجو من فضل الله أن يعوض المستحق، ويجزئه الاستحلال، بأن يطلب من صاحب الظلامة أن يبرئه بعد أن يذكر له ما حصل منه، لأن الإبراء عندنا ـ معاشر الشافعية ـ يشترط فيه العلم بالمبرأ منه.

ويعلم من ذلك: أن من اغتاب شخصا وأراد الاستحلال منه؛ فلابد أن يذكر له اللفظ الواقع منه. ومن وقع عنده لاختلاف الغرض بذلك، فلا أثر للتحليل مع الجهل بما حلل منه. خلافا لما ذهب إليه المالكية والحنفية من أنه لا يجب التفصيل مع طلب الإبراء، فإن تعذر الاستحلال لموت المغتاب أو تعسر لغيبته الطويلة؛ استغفر له. كما أنها إذا لم تبلغه؛ يكفى فيها الندم والاستغفار له، بل لا يجوز إعلامه حينئذ، فقد قال ابن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ: لا تؤذه مرتين، فإذا بلغته بعد الندم والاستغفار له؛ لم يضر. لخبر ابن عدى: «**إذا اغتاب أحدكم أخاه فليستغفر له؛ فإنها كفارة له**»[1].

(١) ابن عدى فى الكامل للضعفاء (٣/ ٢٤٧).

وقال الشعرانى ـ نفعنا الله تعالى به ـ: ينبغى لمن يعلم من نفسه أن عليه للناس حقوقا فى المال والعرض، وتعذر رضاهم، أن يقرأ مع حضور سورة الإخلاص اثنتى عشرة مرة والمعوذتين كل ليلة، ويهدى ثوابهن فى صحائف أولئك الناس. وكيفية الإهداء أن يقول: «اللهم صل وسلم على نبيك وحبيبك سيدنا محمد وآله، وأثبنى على ما قرأته، واجعله فى صحائف من له على تبعة من عبادك من مال وعرض»

واعلم: أنه لا يشترط فى التوبة التلفظ بالاستغفار. خلافا لبعضهم، حيث قال: إنها لا تتم إلا به لقوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]. ويدل للأول حديث: «**ما علم الله تعالى من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له من قبل أن يستغفر منه**»(١).

ولا يشترط أيضا مفارقة مكان المعصية. خلافا للزمخشرى. وكذا لا يشترط تجديد التوبة كلما ذكر المعصية. خلافا للقاضى أبى بكر الباقلانى.

ومحل الخلاف ما لم يتهيج ويفرح ويلتذ بذكر المعصية أو سماعها، وإلا وجب التجديد، اتفاقا.

واختلف فى التوبة النصوح التي تكفر السيئات وتبدلها بحسنات؛ فقيل: هى أن يتوب الشخص ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع. وقيل: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيئ الخلان ـ أى الأصدقاء ـ

وقيل: إن علاماتها ثلاث: قلة الطعام، وقلة الكلام، وقلة المنام. وقيل: علاماتها مخالفة الهوى، وكثرة البكا، ومكابدة الجوع والظما.

ثم إن الأخبار والآثار الواردة فى التوبة كبيرة، منها: ما أخرجه الأصبهانى أنه ﷺ قال: «**إذا تاب العبد من ذنوبه؛ أنسى الله حفظته ذنوبه، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه**» أى محاله من الأرض «**حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب**»(٢)

وحكى: أنه كان فى بنى إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة، ثم عصاه

---

(١) الحاكم (٤/ ٢٥٣) وتعقبه الذهبى بقوله هشام بن زيد متروك.

(٢) الأصبهانى فى الترغيب والترهيب (٧٥١).

عشرين سنة، ثم إنه نظر فى المرآة، فرأى الشيب فى لحيته. فساءه ذلك، فقال: إلهى أطعتك عشرين سنة، ثم عصيتك عشرين سنة. فإن رجعت إليك تقبلنى؟ فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصه: أحببتنا فأحببناك، وتركتنا فتركناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإن رجعت إلينا قبلناك.

وحكى: أن سبب توبة الفضيل بن عياض - رضى الله تعالى عنه - أنه عشق جارية، فواعدته ليلة، فبينما هو يرتقى الجدران إليها إذ سمع قارئا يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[الحديد: ١٦] فرجع القهقرى. وهو يقول: بلى والله قد آن. فآواه الليل إلى خربة وفيها جماعة وبعضهم يقول لبعض: إن فلانا يقطع الطريق - يعنونه - فقال الفضيل: أرانى بالليل أسعى فى معصية الله تعالى، وقوما من المسلمين يخافوننى. اللهم إنى قد تبت إليك، وجعلت توبتى إليك جوار بيتك الحرام.

(يا بن آدم إنك لو أتيتنى بقُراب الأرض) بضم القاف أشهر من كسرها، أى بقرب ملئها أو بملئها، وهو أبلغ فى سعة العفو **(خطايا)** أى ذنوبا **(ثم لقيتنى)** أى بعد موتك حال كونك **(لا تشرك بى شيئا)** بأن كنت معتقدا توحيدى، ومصدقا برسولى محمد ﷺ، وبما جاء به وهو الإيمان **(لأتيتك)** أى جازيتك **(بقرابها مغفرة)** أى لغفرتها لك. وعبر بقرابها للمشاركة، وإلا فمغفرة الله - سبحانه وتعالى - أعظم، وأوسع من ذلك.

وظاهر الحديث: حصول المغفرة للخطايا. وإن لم يصحبها استغفار. ولا مانع منه إلا أنه ليس عاما لكل أحد، بل لمن شاء الله تعالى له ذلك - كما لا يخفى -

ثم إن هذا الحديث أرجى حديث فى السنة **(رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح)** وفيه دلالة على سعة رحمة الله تعالى وكرمه وجوده، لكن لا يجوز لأحد كما قال بعضهم أن يغتر به، وينهمك فى المعاصى، وإنما القصد منه: بيان كثرة مغفرته تعالى لئلا ييأس المذنبون منها بكثرة الخطايا.

وروى عن كعب الأحبار - رضى الله تعالى عنه - أنه قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى آليت - أى خلفت - على نفسى قبل أن أخلق السموات والأرض والدنيا والآخرة أنه من لقينى وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صادقا من قلبه؛ كتبت له براءة وعتقا من النار، وأوصيت ملك

الموت عند قبض روحه أن يكون أرفق به من والديه، وأوصيت منكرا ونكيرا إذا دخلا عليه قبره أن لا يروعاه، وأوسع له فى قبره وأؤنسه من وحشة قبره، ولا يسألنى يوم القيامة عن شىء إلا أعطيته إياه.

وفى خبر مسند: أن رجلا يؤمر به إلى النار فإذا بلغ ثلث الطريق؛ التفت، فإذا بلغ نصف الطريق التفت، فإذا بلغ ثلثى الطريق التفت، فيقول الله تعالى: ردوه، ثم يسأله فيقول: لم التفت؟ فيقول: لما بلغت ثلث الطريق تذكرت قولك: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾. فقلت: لعلك تغفر لى، فلمنا بلغت نصف الطريق تذكرت قولك: ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾[آل عمران: ١٣٥]. فلقت: لعلك تغفر لى. فلما بلغت ثلثى الطريق تذكرت قولك: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر: ٥٣] فازدت طمعا، فيقول الله عز وجل: اذهب فقد غفرت لك.

فنسأل الله تعالى من فضله بجاه النبى وآله وصحبه أن يغفر لنا ذنوبنا، ويستر فى الدارين عيوبنا.

الدروس المستفادة من الحديث

١ ـ الدعاء مخ العبادة.

٢ ـ رحمة الله كبيرة على العباد .

٣ ـ الاستغفار له فضل عظيم فيجب علينا أن نحافظ عليه.

٤ ـ إن الله يغفر الذنوب جميعا إلا الشرك به.

وهذا آخر ما سهل الله تعالى جمعه ـ على حسب الإمكان ـ مع اشتغال البال بالهموم والأحزان، وإنى أقول كما قال بعضهم:

يامن غدا ناظرا فيما جمعت وقد أضحى يردد فى أفنائه النظرا
سألتك الله إن عاينت من خطأ فاستر على فخير الناس من سترا

وأطلب من الله تعالى أن يمن بقوله، وينفع به كما نفع بأصوله، وحسبى الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبى الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وقد تم هذا الجمع ـ بعون الله تعالى ـ فى يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان سنة ألف وثلاثمائة وسبعة وعشرين، من هجرة سيد ولد عدنان، على يد الفقير الفانى، محمد بن عبدالله الجردانى الدمياطى الشافعى، عامله الله بلطفه الخفى، وغفر له ولوالديه ومشايخه والمسلمين، بجاه خاتم النبيين والمرسلين. سيدنا محمد النبى المعظم ﷺ ما لاح بدر التمام، وفاح مسك الختام.

تم الكتاب والحمد لله

باب
ضبط الخفى من الألفاظ للإمام النووى

قال النووى ـ رحمه الله تعالى ـ بعد ذكره الحديث الثانى والأربعين:

فهذا آخر ما قصدته من بيان الأحاديث التى جمعت قواعد الإسلام، وتضمنت ما لا يحصى من أنواع العلوم، فى الأصول والفروع والآداب، وسائر وجوه الأحكام.

وها أنا أذكر باباً مختصراً جداً فى ضبط خفى ألفاظها، مرتّبة، لئلا يغلط فى شىء منها، يستغنى بها حافظها عن مراجعة غيره فى ضبطها، ثم أشرعُ فى شرحها، إن شاء الله تعالى، فى كتاب مستقل [(١)]، وأرجو من فضل الله تعالى أن يوفقنى فيه لبيان مهمات من اللطائف، وجمل من الفوائد والمعارف، لا يستغنى مسلم عن معرفة مثلها، ويظهر لمطالعها جزالة هذه الأحاديث وعظم فضلها، وما اشتملت عليه من النفائس التى ذكرتُها، والمهمات التى وصفتُها، ويعلم بها الحكمة فى اختيار هذه الأحاديث الأربعين، وأنها حقيقة بذلك عند الناظرين.

وإنما أفردتُها عن هذا الجزء ليسهل حفظ هذا الجزء بانفراده، ثم من أراد ضمّ الشرح إليه؛ فليفعل، ولله عليه المنة بذلك؛ إذ يقف على نفائس اللطائف المستنبطة من كلام من قال الله فى حقه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[(٢)].

باب الإشارات إلى ضبط الألفاظ المشكلات

هذا الباب وإن ترجمتُه بالمشكلاتُ فقد أُنبه فيه على ألفاظ من الواضحات:

فى الخطبة[(٣)]: «نضر الله امرءاً» روى بتشديد الضاد وتخفيفها، والتشديد أكثر، ومعناه: حسنَّه وجمَّله.

---

(١) هذا الكتاب مطبوعاً.

(٢) النجم: ٣، ٤.

(٣) فى مقدمة الكتاب للنووى فى شرح الأربعين نووية.

الحديث الأول

«عن أميرَ المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ» هو أول من سمى أمير المؤمنين.

قوله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات**»: المراد لا تحسب الأعمال الشرعية إلا بالنية.

قوله ﷺ :« **فهجرته إلى الله ورسوله**» معناه: مقبولة.

الحديث الثانى

«**لا يُرى عليه أثرُ السفر**» هو بضم الياء من «يُرى»

قوله ﷺ :« **تؤمن بالقدر خيره وشره**» معناه: تعتقد أن الله قدر الخير والشر قبل خلق الخلق، وأن جميع الكائنات بقضاء الله تعالى وقدره، وهو مريد لها.

قوله ﷺ :«**فأخبرنى عن أماراتها**» هو بفتح الهمزة: أى علاماتها، ويقال: أمار ـ بلا هاء ـ لغتان، لكن الرواية بالهاء.

قوله ﷺ :« **تلد الأمة ربَّتها**»: أى: سيدتها، ومعناه: أن تكثر السرارى حتى تلد الأمة السرية بنتاً لسيدها، وبنت السيد فى معنى السيد، وقيل: يكثر بيع السرارى حتى تشترى المرأة أمها وتستعبدها جاهلة بأنها أمها، وقيل: غير ذلك. وقد أوضحته فى «شرح صحيح مسلم» بدلائله وجميع طرقه .

وقوله ﷺ :« **العالة**»: أى: الفقراء، معناه: أن أسافل الناس يصيرون أهل ثروة ظاهرة.

قوله ﷺ :«**فلبثت مليّاً**» هو بتشديد الياء أى: زماناً كثيراً، وكان ذلك ثلاثا، هكذا جاء مبينا فى رواية أبى داود والترمذى وغيرهما .

الحديث الخامس

قوله ﷺ :«**من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**» أى: مردود، كالخلق بمعنى المخلوق.

الحديث السادس

قوله ﷺ :«**استبرأ لدينه وعرضه**» أى: صان دينه وحمى عرضه من وقوع الناس فيه.

قوله ﷺ: «**يوشِكُ**» هو بضم الياء وكسر الشين أى: يسرع ويقرب.

قوله ﷺ: «**حمى الله محارمه**» معناه: الذى حماه الله تعالى ومنع دخوله هو الأشياء التى حرمها.

الحديث السابع

قوله: «**عن أبى رُقَيَّة**» هو بضم الراء، وفتح القاف، وتشديد الياء.

قوله: «**الدَّارى**» منسوب إلى جد له اسمه الدار، وقيل: إلى موقع يقال له: دارين، ويقال فيه أيضاً: الدَّيرى نسبة إلى دير كان يتعبد فيه ،وقد بسطت القول فى إيضاحه فى أوائل شرح صحيح مسلم .

الحديث التاسع

قوله ﷺ: «**واختلافُهم**» هو بضم الفاء لا بكسرها.

الحديث العاشر

قوله ﷺ: «**غُذِى بالحرام**» هو بضم الغين وكسر الذال المعجمة المخففة.

الحديث الحادى عشر

قوله ﷺ: «**دع ما يريبك إلا ما لا يريبك**» بفتح الياء وضمها لغتان، والفتح أفصح وأشهر، ومعناه: اترك ما شككت فيه واعدل إلى ما لا تشك فيه.

الحديث الثانى عشر

قوله ﷺ: «**يَعنيه**» بفتح أوله.

الحديث الرابع عشر

قوله ﷺ: «**الثيب الزانى**» معناه: المحصن إذا زنى، وللإحصان شروط معروفة فى كتب الفقه.

الحديث الخامس عشر

قوله ﷺ: «**أو ليصمتُ**» بضم الميم.

الحديث السابع عشر

«**القتلَة**» و«**الذِّبحةُ**» بكسر أولهما.

قوله ﷺ: «**وليُحدَّ**» هو بضم الياء، وكسر الحاء، وتشديد الدال، يقال: أحدَّ السكين، وحدَّها، واَستحدَّها بمعنى.

الحديث الثامن عشر

قوله: «**جُنْدُب**» بضم الجيم وبضم الدال وفتحها، و «**جنُادة**» بضم الجيم.

الحديث التاسع عشر

«**تُجاهَك**» بضم التاء وفتح الهاء: أى: أمامك كما فى الرواية الأخرى.

و«**تعرَّف إلى الله فى الرَّخاء**» أى: تحبب إليه بلزوم طاعته، واجتناب مخالفته.

الحديث العشرون

قوله ﷺ: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**» معناه: إذا أردت فعل شىء: فإن كان مما لا يُستَحيى من الله، ومن الناس فى فعله، وإلاّ فلا، وعلى هذا مدار الإسلام.

الحديث الحادى والعشرون

«**قل آمنت بالله ثم استقم**» أى: استقم كما أمرت ممتثلاً أمر الله تعالى مجتنباً نهيه.

الحديث الثالث والعشرون

قوله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**»: المراد بالطهور الوضوء، قيل: معناه، ينتهى تضعيف ثوابه إلى نصف أجر الإيمان، وقيل: الإيمان يجبّ ما قبله من الخطايا، وكذلك الوضوء، ولكن الوضوء تتوقف صحته على الإيمان فصار نصفاً، وقيل: المراد بالإيمان الصلاة، والطهور شرط لصحتها، فصار كالشرط، وقيل غير ذلك.

قوله ﷺ: «**والحمد لله تملأ الميزان**» أى: ثوابها. «**وسبحان الله والحمد لله تملآن**» أى: لو قدر ثوابهما جسما. وسببه ما اشتملتا عليه من التنزيه والتفويض إلى الله تعالى.

«**والصلاة نور**» أى: تمنع من المعاصى وتنهى عن الفحشاء وتهدى إلى الصواب، وقيل: يكون ثوابها نوراً لصاحبها يوم القيامة، وقيل: لأنها سبب لاستنارة القلب.

«**والصدقة برهان**» أى: حجة لصاحبها فى أداء حق المال، وقيل: حجة فى إيمان صاحبها لأن المنافق لا يفعلها غالباً.

«**والصبر ضياء**»أى: الصبر المحبوب، وهو الصبر على طاعة الله، والبلاء ومكاره الدنيا، وعن المعاصى. ومعناه: لا يزال صاحبه مستضيئاً مستمراً على الصواب.

«**كل الناس يغدو فبائع نفسه**» معناه: كل إنسان يسعى بنفسه، فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما.

« **موبقها**» أى: يهلكها. وقد بسطت شرح هذا الحديث فى أول شرح صحيح مسلم فمن أراد فليراجعه، وبالله التوفيق.

الحديث الرابع والعشرون

قوله تعالى: «**حرمت الظلم على نفسى**» أى: تقدست عنه، فالظلم مستحيل فى حق الله تعالى؛ لأنه مجاوزة للحد أو التصرف فى غير ملك، وهما جميعاً محال فى حق الله تعالى.

قوله تعالى: «**فلا تظالموا**» هو بفتح التاء أى: لا تتظالموا.

قوله تعالى: «**إلا كما ينقص المِخْيط**» هو بكسر الميم وإسكان الخاء المعجمة وفتح الياء: الإبرة. ومعناه: لا ينقص شيئاً.

الحديث الخامس والعشرون

«**الدُّثور**» بضم الدال والثاء المثلثة: الأموال. واحدها دَثر كفلس وفلوس.

قوله ﷺ: «**وفى بُضع أحدكم**» هو بضم الباء وإسكان الضاد المعجمة، هو كناية عن الجماع، إذا نوى به العبادة، وهو: قضاء حق الزوجية وطلب ولد صالح، وإعفاف النفس وكفها عن المحارم.

الحديث السادس والعشرون

«**السُّلامى**» بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم، وجمعه سُلاميات بفتح الميم، وهى المفاصل والأعضاء، وهى ثلثمائة وستون مفصلاً، ثبت ذلك فى صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ.

الحديث السابع والعشرون

«النَّواس» بفتح النون وتشديد الواو. «وسمعان» بكسر السين المهملة وفتحها.

قوله ﷺ: «حاك» بالحاء المهملة والكاف أى: تردد.

«وابصة» بكسر الباء الموحدة.

الحديث الثامن والعشرون

«العرباض» بكسر العين الموحدة. «سارية» بالسين المهملة، والياء المثناة من تحت.

قوله: رضى الله عنه ـ: «ذَرَفت» بفتح الذال المعجمة والراء أى: سالت.

قوله ﷺ: «بالنواجذ» هو بالذال المعجمة، وهى الأنياب، وقيل: الأضراس. والبدعة ما عمل على غير مثال سبق.

الحديث التاسع والعشرون

«وذروة السنام» بكسر الذال وضمها أى: أعلاه.

«ملاك الشىء» بكسر الميم أى: مقصوده.

قوله ﷺ: «يكب» هو بفتح الياء وضم الكاف.

الحديث الثلاثون

« الخشنى» بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين وبالنون، منسوب إلى خشنة قبيلة معروفة.

قوله: «جُرْثوم» بضم الجيم والثاء المثلثة وإسكان الراء بينهما، وفى اسمه واسم أبيه اختلاف كثير.

قوله ﷺ: «فلا تنتهكوها» انتهاك الحرمة: تناولها بما لا يحل.

الحديث الثانى والثلاثون

«ولا ضرار» بكسر الضاد المعجمة.

الحديث الرابع والثلاثون

«فإن لم يستطع فبقلبه» معناه: فلينكر بقلبه.

«وذلك أضعف الإيمان» أى: أقله ثمرة.

الحديث الخامس والثلاثون

«**ولا يخذله**» هو بفتح الياء وضم الذال المعجمة.

قوله ﷺ: «**بحسب امرئ من الشر**» هو بإسكان السين المهملة أى: يكفيه من الشر.

الحديث الثامن والثلاثون

قوله تعالى: «**فقد آذنته بالحرب**» هو بهمزة ممدودة أى: أعلمته بأنه محارب لى.

قوله تعالى: «**استعاذنى**» ضبطوه بالنون وبالباء، وكلاهما صحيح.

الحديث الأربعون

قوله ﷺ: «**كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» أى: لا تركن إليها ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب إلى أهله.

الحديث الثانى والأربعون

قوله ﷺ: «**عنان السماء**» بفتح العين، قيل: هو السحاب، وقيل: ما عنّ لك منها، أى ظهر إذا رفعت رأسك.

قوله ﷺ: «**بقُراب الأرض**» بضم القاف وكسرها، لغتان روى بهما، والضم أشهر، معناه: ما يقارب ملأها.

فصل

اعلم: أن الحديث المذكور أولاً: «**من حفظ على أمتى أربعين حديثاً**» معنى الحفظ هنا: أن ينقلها إلى المسلمين وإن لم يحفظها ولم يعرف معناها. هذا حقيقة معناه، وبه يحصل انتفاع المسلمين، لا بحفظ ما ينقله إليهم.

والله أعلم بالصواب.

فهرس الجواهر اللؤلؤية شرح فى الأربعين النووية

الحديث	الصفحة